



بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development



جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :

Date:

العدد: ١٢٨٢ / ٢
التاريخ: ٢٠١٣ / ١٠ / ٦

ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة المصباح

تحية طيبة...

اشارة الى كتابكم المرقم ١٤٩٩٦ في ٢٠١٣/٩/٢٩ والحاقا بكتابنا المرقم ب ت ٨٠٣٣/٤ في ٢٠١٣/٦/٦ بالإمكان اعتماد "مجلة المصباح" الصادرة عنكم لأغراض الترقية العلمية .
....مع وافر التقدير

أ.م.د. محمد عبد عطية السراج
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠١٣/١٠/٦

نسخة منه الى/

- دائرة البحث والتطوير/ الشؤون العلمية.
- الصادرة.
النس/١٠/٦

Website: www.rddiraq.com

mail : gd_office@rddiraq.com , scientificdep@rddiraq.com

الهاتف / ٧١٩٤٠٦٥



العتبة الحسينية المقدسة

المُصْبِح

مَجْلَةُ عِلْمِيَّةٍ فَضْلِيَّةٍ مُحْكَمَةٍ
تُعْنَى بِالدراساتِ وَالْأبحاثِ الْقُرْآنِيَّةِ

تَصَدَّرُ عَنْ

العتبة الحسينية المقدسة

العدد الخامس والعشرون - ربيع (١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م)

السنة السابعة

المشرف العام

سَمَاحَةُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْمُهْدِيِّ الْكِرْبَلَاءِيِّ

المتولي الشرعي للعبئة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ هَدَّادٌ

مدير التحرير والعلاقات العامة

الدُّكْتُورُ حَمِيدٌ مُجِيدٌ هَدَّادٌ

— هيئة التحرير —

أ.د. علي رحيم هادي الحلو

أ.د. صالح مهدي عباس

أ.د. عمار عبودي نصار

أ.د. زهير غازي زاهد

أ.م.د. عبد الجواد البيضاني

أ.م.د. علي عباس الاعرجي

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبد الجبار ناجي

بيت الحكمة - بغداد

أ.د. احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي

أ.د. محمد علي آذرشب

جامعة طهران - ايران

أ.د. حازم سليمان الحلي

جامعة بابل - العراق

أ. علي ابو الخير

جمهورية مصر العربية

الشيخ الدكتور منصور مندور

الازهر الشريف

أ.د. محمد كريم ابراهيم

جامعة بابل - العراق

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة - العراق

أ.د. محمد جواد الطريحي

جامعة بغداد - العراق

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق - سورية

أ.د. عبود جودي الحلي

جامعة كربلاء - العراق

المصباح

مجلة علمية فضلية محكمة
تُعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

العدد الخامس والعشرون - ربيع (١٦٠٦م - ١٤٣٧هـ)

الترقيم الدولي :

ISSN: 2226 - 5228

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق

٢٠١٠ / ١٤١٤

العنوان الموقعي

مجلة المصباح - شارع السدرة

كربلاء المقدسة - جمهورية العراق

الاتصالات

مدير التحرير والعلاقات العامة

٠٧٨١٠٨٠٠٦٢٧

٠٧٧٠٣٢٨٥٠٧٨

ادارة المجلة

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٥٥

٠٠٩٦٤ ٣٢ ٣١٠٠٦٦

بدالة

داخلي: ٥٦١

التنسيق والمتابعة والتوزيع

علي أفضيلة الشمري (العراق)

٠٧٨١٠٤٢٧١٣٠ / هـ

د. أحمد كامل الجابري

(جمهورية مصر العربية)

٠٠٢٠١١١١٢٦٧٧٧٩ / هـ

معتد الترجمة الانكليزية

سعد شريف طاهر

الاتصالات والمراسلة

غازر عبد الامير الطريحي

الاخراج والتصميم

قاسم سالم محمد

البريد الإلكتروني: almissbah@imamhussain.org

موقعنا على شبكة الإنترنت: www.almissbah.imamhussain.org



٩	« كلمة الافتتاح / رئيس التحرير
١٣	« المصداق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خي منه خلقتني (...)) / محسن وهيب عيد
٤٥	« دلالة الصراط المستقيم في القرآن الكريم / أ.م.د. ناجي حلاوي
٦٧	« النظام الثنائي الزوجي في اطوار خلق الانسان / م.د. خولة مهدي شاكر الجراح
٨٩	« القلة والكثرة في القرآن الكريم / الاستاذ المتمرس الدكتور حازم سليمان الحلي
١١٣	« مصاديق الولاية للامامة بعد النبوة في القرآن / سماحة الشيخ موسى راضي نصار
١٥٧	« الكليات القرآنية بين التأسيس القواعدي والقواعد المؤسسة / الشيخ ليث عبد الحسن
١٩١	« جماليات الدعاء في القرآن الكريم / أ.م.د. عاطي عبيات
٢٠٧	« دلالة الاستقامة في النصوص القرآنية / أ.م.د. الشيخ عدنان فرحان خميس القاسم
٢٢٧	« الوحي والالهام بين الرؤية اللغوية والرؤية القرآنية / السيد خالد سيساوي
٢٤٩	« تفسير (الجهل والجاهلية) / الاستاذ الدكتور محمد جواد اسكندرلو
٢٦٩	« الاستعمال القرآني لمادة (فسق) / أ.د. أحمد جواد العتابي
٢٨٧	« نظرية الاصطفاء في القرآن الكريم / الشيخ الدكتور علي حمود العبادي
٣١٥	« توجيه النص القرآني في ضوء حروف المعاني / د. احمد حسين الجحيشي
٣٤٩	« السياق الدلالي لحروف الجواب في القرآن / م.م. ستار جبار هاشم
٣٨٥	« الترغيب والترهيب / أ.م.د. حسن كاظم أسد
٤١٥	« تأملات في قوله تعالى ((يرتع ويلعب...)) / الشيخ حسين كاظم عبد الزياي
٤٣٣	« نافذة المصباح

ضوابط النشر

١. أن يكون البحث منسجماً مع اختصاص المجلة وتوجهها في نشر الابحاث التي تتعلق بالقرآن الكريم حصرياً.
٢. أن لا يكون البحث منشوراً في مجلة داخل العراق وخارجه ، أو مستلاً من كتاب أو رسالة جامعية أو محملاً على الشبكة العنكبوتية على أن يلتزم الباحث بذلك بتعهد خطي.
٣. أن لا يكون البحث نمطياً أو مما أشيع موضوعه بحثاً، أو سردياً أو إحصائياً أو إجرائياً مما لا يتمثل فيه جهد الباحث الفكري.
٤. يرسل البحث محملاً على CD أو فلاش او بوساطة البريد الالكتروني للمجلة مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل عنده. ولاتستوفي المجلة أية مبالغ نقدية عن نشر الابحاث المطلوبة للتحكيم والترقية.
٥. تقوم المجلة باشعار الباحث بوصول البحث، ثم تشعره بقبول النشر في حال موافقة هيئة التحرير على ذلك وعندها يكون البحث ملكا للمجلة لايجوز تقديمه للنشر في مجلة أخرى.
٦. ترتيب الابحاث في المجلة يخضع لسياق فني صرف ولا علاقة لأهميته أو لمكانة الباحث بذلك.
٧. يهمل كل بحث لا يحمل المعلومات المطلوبة عن الباحث (اسمه -درجته العلمية -مكان عمله -عنوانه الكامل ورقم هاتفه أو عنوان بريده الالكتروني).
٨. يستحسن للباحث الإشهار بنشاطه العلمي والثقافي في سطور قليلة.
٩. تحتفظ هيئة التحرير بحق حذف أو تعديل ما لايتماشى وسياسة المجلة في نشر علوم القرآن الكريم حصرياً أو ماخرج منها عن منهج البحث العلمي أوالموضوعي أو مامس جوهر العقائد الاسلامية ورموزها الفكرية والدينية.

كلمة الافتتاح

بقلم رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله في علاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله ومن والا... وبعد:

ففي زحمة التيارات الفكرية التي تلبس حلة الإسلام، الصادقة منها والمزيفة، المخلصة منها وتلك التي ركبت موجة الدين، تشعل مجلة المصباح الشمعة السابعة من عمرها الحافل بالعتاء الثر الذي يغني العقول المستنيرة بعلوم ومعارف كتاب الله العزيز، القرآن الكريم الذي لا ينقص عطاءه الآخذون ولا ينضب مائه الماتحون فالحمد لله الذي اكرمنا، والبشرية جمعاء به هدى ونورا وطريقا مهيعا وصراطا مستقيما ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [سورة المائدة: ١٥-١٦]. وبعد هذا القول الالهي الفصل، لا يوجد من بين بني البشر من يدعي خلافه، الا من أمرض الله قلبه.

فالقرآن الكريم كنز محفوظ في عالم الملكوت، أتاح منزهة -جل وعلا- لمن يريد اكتناه مكنونه الحق في الغوص في لججه الغامرة واقتناء أصدافه ودوره، واصطياد جواهره ونفائسه، خادما بذلك كل من يتعطش للانتفاع

بتلك الجواهر والذُرر، يُصلحُ بها نفسه وعقله، وينمي قدراته العقلية التي سوف تنفتح على مصراعيها للإيمان بأن القلم الذي خطَّ هذا القرآن على اللوح المحفوظ ليس من جنس الأقلام التي تخطُّ بوحى بشر، ذلك أن عقل البشر أعجمي وهذا كتابٌ يُعربُ عن خالقِ الكون ومصوره ومبدعه - سبحانه وتعالى عما يصفون.. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿[سورة النحل: ١٠٢ - ١٠٣].

إنَّ دعوى أنَّ النبيَّ الأكرم قد تلقَّى القرآنَ مِنْ أَهْلِ الْمَلِ وَالنَّحْلِ، لم تكن محجورةً على أهلِ الجاهليةِ ممَّنْ ناولُوا النبيَّ في بدءِ الدَّعوة وعهدها المكيِّ، بل امتدت لتصل الى زماننا بفعلِ موجةِ التشكيكِ التي يروجُ لها المستشرقون والمستغربون، ويتلقَّاها الموهومون بمنهجيةِ تلكِ الفئاتِ المسخرةِ لتدمير الفكر الإيمانيِّ في المجتمعِ المسلمِ مِنْ جذوره الأعمق وفي مقدِّمتها القرآنَ الكريمَ وانتهاءً بممارساتِ بعضِ المسلمينِ مِنَ الْجَهْلَةِ والمغرَّرِ بهم والمتطرفينَ وغيرهم. فراحوا يملأون الدنيا عَجيجاً زاعمينَ أنَّ هذا هو جوهر الدين.. وقد وقع في يدي مؤخراً كتابٌ تافه لمؤلفٍ متخرِّصٍ، جاء تحت عنوان (مهزلةُ العقلِ الدينيِّ) الذي ربط فيه الدينَ كُلَّهُ بما سماه بـ(الميثولوجيا).

ان هذا الرجل (كما سمعتُ منه دائماً) ممن يؤمنون بأنَّ القرآنَ الكريمَ واحدٌ من كتب الأساطير التي سمعها محمدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى

فصاغها بأسلوبٍ سَجَّعِ الْكُهَّانِ...!. وان تشريعاته انما جاءت امتداداً للطقوس والعادات الجاهلية.. وأن النبي محمداً لم يكن أيّ عداً لتلك الطقوس، ويضرب على ذلك امثلة قرأها في كتب الملاحدة والآثاريين... وما الى ذلك من افكار يخدم بها الفكر الاستشراقي الصهيوني -الصليبي، متطوعاً وبلا ثمن يتقاضاه اللهم الا شفاء نفسه المريضة. وحين تجادله في ما يعتقد ويدّعي، تجده لا يتأثم من اتخاذ امثال (معروف الرصافي) في كتابه الماسوني المسموم (الشخصية المحمدية) مثلاً اعلى في الفكر الرصين الذي يجب ان يكون عليه الباحث والمفكر، متجاهلاً ان الرصافي مطعون حتى في طهارة كيانه الجسدي وانه يعوّض عن عقْد نفسيّة كثيرة كان يعاني منها...!!

لم أكن أودّ الإفاضة في مثل هذا الجانب من البحث الأكاديمي المنحرف لولا ما يستفزُّ به أولئك الادعياء عامة الناس الذين يأخذون كلامهم بنية حسنة فيؤمنون بها بوصفها صدرت عمّن لايتهم في دينه او في ميراثه العقدي، غافلين عن ان امثالهم أشدُّ خطراً من ملاحدة الاديان الاخرى او العربيين عن الفكر الماسوني العالمي سواء بقصد ام بدون قصد.

ان مجلة (المصباح) ماضية تخبُّ الطريق للوصول الى كنوز القرآن التي ينكرها من جعل الله على ابصارهم غشاوة...!! ألم تقل الحكمة العربية:

قد تنكرُ العينُ ضوءَ الشمسِ مِنْ رَمَدٍ

وينكرُ الفمُّ طعمَ الماءِ مِنْ سَقَمٍ

وعلى الله قصدُ السبيلِ

بحوث العدد



البحوث وما تتضمنها من آراء وافكار تعبر عن رأي كاتبها

المِصْدَاقُ الْوَاقِعِيُّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾

محسن وهيب عبد
كربلاء المقدسة - العراق

فحوى البحث

بحث توافقي يتخذ من مقولة ابليس - لعنه الله - مصداقاً لما اتخذه المتسلطون على رقاب الشعوب والافراد من شعار سماه السيد الباحث (الشعار الابليسي) ضد ادم عليه السلام و ذريته، والذي تحول الى عقيدة، بل سمة، عند ذراري ابليس من الصهاينة اليهود بخاصة، وحملة الشعارات الشوفينية والاستعلاء العرقي بعامة. وقد صنع هؤلاء لانفسهم واقعاً منظوراً يشبه، الى اخر الحد، واقع ابليس الذي حمله الكبر والحسد على معصية امر الله - سبحانه وتعالى - بالسجود لادم عليه السلام. والبحث يعد جديداً في طرحه، متوافقاً في افكاره ووثيق الصلة بما عنته الآية الكريمة في سورة الاعراف بعيداً عن اراء المفسرين القدامى والمحدثين.

المقدمة:

﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [سورة الاعراف: ١٢]، و [سورة ص: ٧٦].

هذا القول: (انا خير منه)؛ هو تعليل ابليس في اعتراضه على امر الله تعالى بالسجود لآدم، باعتباره افضل من ادم من حيث التكوين والبناء، وفسق ابليس يكمن في هذا القول؛ لأنه يعني انه وحده الذي يعلم الافضلية، وهو وحده الذي يضع معيارها من دون الله. فقد فسق (خرج) عن امر ربه بهذا الكبر الذي صنعه لنفسه.

ثم صار الكبر؛ هذه الصفة الرذيلة شعارا وعقيدة لذريته وشركائه وأتباعه من بعده ضد ذرية آدم، وبهذه الصفة الرذيلة ايضا، صنعوا لهم واقعا منظورا مثل واقع ابليس يطالعنا صباح مساء... يأتي بحثنا في دراسة هذا الواقع الذي صنعه ابليس وذرائه وأتباعه من خلال القرآن الكريم.

لا يصح منا على الاطلاق ان نتعامل مع النص القرآني على انه لغة او نص

لغوي فقط، لأنه في حقيقته، وحي يعبر عن روح من امر الله تعالى القائم في مخلوقاته، كما يقول الله تعالى فيه: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿ [سورة الشورى: ٥٣].

فالتفسير الذي يعتمد النص فقط؛ لا يعدو كونه حذقة تعبر عن ماهية المفسر ومقدار معرفته وإحاطته العلمية، لا علاقة له بفهم سلطان الوحي؛ الروح التي هي من امر الله تعالى التي يكمن في النص والقائم في واقع الخلق.

فان لم يكن التفسير يشير الى هذه الحقيقة في النص القرآني فان التفسير في هذه الحالة يمثل انعكاسا لمساقط كلام الله من المفسر نفسه، وليس تعبيرا عن إحاطة المفسر بقصد القاصد وهو الله سبحانه وتعالى، وبما شاء ان يبلغه لنا جل وعلا، وهو سبحانه يقول: ﴿ وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ ۚ ﴾



اما التفسير بالواقع ومن الواقع باعتبار الكون بكل تفاصيله كترجمة لإرادة الله تعالى في خلقه والوحي المكتوب في القران هو السلطان الذي يقوم به الواقع الكوني، بل هو الذي يعطى معنى الاحكام للآي الكريم وبه يتعزز ايمان المرء بربه وكتابه ويبعث الثقة في ان كتاب الله تبيان لكل شيء، وقد يفتح الله علينا ملاحظات اخرى لطواهر اشار اليها القران في بياناته، ويستخلص عللها.

القران وصناعة الواقع

قد يرى احد في عطف القران على الواقع بعد عما تعود عليه الدارسون للأبحاث في النصوص القرآنية، لكن الحقيقة ان الامعان باعتبار النص القراني نص لغوى هو الذي بعد عما يجب عليه البحث في القران الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿سُئِرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: ٥٣]. والآفاق؛ هي واقع الكون

والكائنات، والأنفس؛ هي واقع البشر. من هذا المنطلق اعتمدنا ان نعكس الصورة الحية القائمة للروح من امر الله (الوحي) في الواقع الآفاقي للكون والواقع النفسي للناس اللذان يحاكيان، بل يصنعان معاني الايات القرآنية، فإنما كان الكون بكل انماطه الواقعة كائنا بروح من امر الله تعالى؛ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، ثم جعل الانسان خليفة بنفخة من روح الله؛ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: ٢٩]، و [سورة ص: ٧٢]، ثم كلف الله تعالى الرسل ﷺ بالوحي؛ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة يوسف: ١٠٩]^(٢)، فكل نمط من الكون قائم

(١) [سورة البقرة: ١١٧]، وتكررت في: [سورة آل عمران - ٤٧ و ٥٩]، وفي [سورة الانعام: ٧٣]، وفي [سورة النحل: ٤٠]، وفي [سورة مريم: ٣٥]، و في [سورة يس: ٨٢]، وفي [سورة غافر: ٤٠].

(٢) تكررت في [سورة النحل: ٤٣]، وتكررت في [سورة الانبياء: ٧].



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) **المصباح** .

الاي الكريم، وقد يصعب على المرء ان يطلع على واقع تلك الاية؛ اما لجهل، او او لقصور او لسبب خارج الارادة البشرية، ولكن المؤسف في الكثير الغالب نجد انه بدل ان يتهم الانسان نفسه، يقفز -والعياذ بالله -ليتهم الله تعالى في قوله.. . انظر قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٣٩].

فمن القران ما لم يأت تأويله بمعنى ان مقومات الواقع وظروفه الذي تتحدث عنه الاية المعينة لم يأت بعد في زمانه ومكانه، وعليه فان ما تحدث عنه ابليس؛ (انا خير منه)، هو حقيقة ما كان عليه واقع ابليس من الكبر النفسي والفسوق على امر الله تعالى والتكبر على ادم.. وهو كما نرى اليوم؛ انه واقع للمستكبرين والمتكبرين على ابناء جلدتهم من الانس، بما يجعلنا لا نشك بأنهم ذرية لإبليس شرك شيطان، يحاكون واقعه، فان الاية لها واقع

بالأمر من روح الله تعالى (كن). اذا؛ فليكن تفسيرنا لكتاب الله؛ هو بيان معاني قيمومة امر الله تعالى في واقع الكائنات حيث تكمن معاني الايات وتأويلها على الواقع الكوني والبشري، فالنص القراني ليس نصا لغويا مثل باقي النصوص فحسب انما هو روح تحكي ترجمة لسنن الكون ومبدأ الخلق وان ما يجري في واقع الناس انما هو ترجمة لما انبأ به القران من قصة الخلق ولما يجري في الكون وتبياننا لكل شيء.

الواقع والتأويل

ان تجسد معنى النص القران كاملا الى واقع حي منظور هو التأويل، قال الله تعالى في ذلك: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذَسُّوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُعَاءَ فَيَسْأَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [سورة الاعراف: ٥٣].

ويتأكد هذا المعنى للتأويل في القران كون التأويل، هو الواقع المترجم لمعنى



يترجمها سنتناول تفاصيله انشاء الله تعالى في هذا البحث.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

ولذا يرد هنا تساؤل كبير ومثير؛ وهو: إذا كان التأويل -كما يقول الله سبحانه وتعالى مقصور عليه جل شأنه.. والراسخون في العلم الذين تجاوزوا الزيغ والفتن قليلون جدا أو لا يكادون يعرفون، فما الحكمة من التنزيل إذن؟.

إن هذا التساؤل في الواقع شبهة، ردُّها بسيط: فالتأويل هو واقع حق عن حال من الوجود، يتمثل في طور خلقي له حدوده من الزمان والمكان ومتغيرات أخرى لا نحيط بها... وقد يحضر واقعها فيعلمه ادنى الناس إلا

إن الله تعالى يعلم كل شيء، ما كان وما لم يكن، والراسخون في العلم يلتصق علمهم بعلم الله ويصدقون ويدعون لكل ما جاء عن الحق فهو حق.

والقران، كلام الخالق عن خلقه في تكثره وفي اختلاف حدوده، وفي عوالمه المختلفة إلى خلقه؛ فهو إذن حديث واقع لواقع. والتأويل هو تجلي الواقع الذي تتحدث عنه الآية حين يتيسر تجلي ذلك الواقع إلى المخاطب أو المقصود في الخطاب.

متى يحصل الانسان على التأويل؟. أن الاعتبار بحدود التغيرات في الزمان والمكان اللذان يجسدان الآية المعينة هو تفسير واقعي ملموس لاشك فيه.

فعلى سبيل المثال؛ الحياة الأخرى واقع، والمستقبل والغيب في الحديث عنهما -كما نسميه- هو واقع آخر والعوالم الأخرى وقائع لا نعلم منها شيء إلا ما اطلعنا عليه رب العالمين قال تعالى، فاذا حصل وتجلي لك واقع من هذه الوقائع او عشته فعلا فقد



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) **الْمُحْتَبَأِ** .

حصلت على التأويل:

﴿ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩].

وقال تعالى: ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [سورة الجن: ٢٦ - ٢٨].

وفي الآيتين إشارة إلى الحديث عن هذا الواقع (الغيب) إلى الرسل ﷺ ليلبغوا به الناس كجزء من وظيفتهم، فكل حديث عن واقع ما دون تجلي ذلك الواقع، يبقى رهين وضعه، فالتأويل لا يأتي إلا بأجل، لأن الوقع يرتبط بالزمن والمكان ولا يقوم إلا معها، فمثلاً؛ التأويل لغيب العالم الآخر يأتي كاملاً يوم القيامة... أو بالتدرج، يراه الانسان واقعا منذ الوفاة حتى نيل

العقاب أو الفوز بالثواب.. (يوم يأتي تأويله).

وفي آيات أخرى يشير إلى معاني تجلي الواقع بالتأويل، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا... (الآية) [سورة الاعراف: ٥٣].

إذن: عند تطابق قول الله تعالى، في آيه الكريم مع الواقع المنظور المتجلي للآدمي، يأتي التأويل، فالقران دوماً إنما هو حديث عن واقع قائم، وتجلي هذا الواقع القائم للعيان (الحواس)؛ يتلازم مع اقتران الأبعاد الزمنية والمكانية، ولذا يقول الذين نسوه من قبل؛ قد جاءت رسل ربنا بالحق.. قال تعالى: ﴿ يَقُولُ الَّذِينَ ذُنُوبُهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾.

اما المؤمنون فقد قالوا قبل التجلي بفضل الإيمان؛ ﴿ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ فالإيمان من سبل الرسوخ في



العلم، بل هو السبيل الاقوم للرسوخ في العلم.

اي القران الكريم محكم ومتشابه؛ فالمحكم؛ هو ما قامت به جلبة العقل في أصوله العرفية فاصطلح عليها بالعرف وتعامل بها الناس جميعا، لذا فلا يرى تعارضا مع ما يراه العقلاء في أدنى درجات العقل.

لأن المحكم من الآي الكريم؛ سهل منساب، مقبول، معروف، مرضي، لأنه يفسر نفسه بتطابقه مع الفطرة الإنسانية والمرتكزات العقلية العمومية العرفية.

المتشابه: هي الآيات التي يضيق عندها المرتكز العقلي على عمومه أو أنها تعارض العرف في معانيه الاصطلاحية بل وفي مصاديقه أحيانا، بسبب رغبة العقل العرفي عن العلم بغير أدواته التي قام بها وعليها، لان العرف مؤثر قوي في إشغال العقل عن سكوته السليمة، لذا فالعقول منشغلة في عمومها عن ما توجه إليه الآيات في ذات الموضوع فيشتبه فيه.

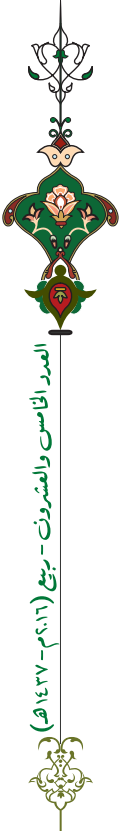
وفي كثير من الآيات المحكمات؛

نجد في الواقع ترجمة صادقة لمعاني تلك الآيات، اي ان الآية يفسرها الواقع بتفاصيله النفسية والاجتماعية.. ومن تلك الآيات المحكمات التي يترجمها الواقع في ذرية ابليس وأتباعه ضد ادم عليه السلام هي شعار ابليس واعتقاده بأنه خير من ادم عليه السلام: ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ [سورة الاعراف: ١٢]، و [سورة ص: ٧٦].

وذلك هو واقعنا المنظور والمعاش اليوم مع ذرية ابليس وأتباعه الذين يرفعون ذات الشعار ويعتقدون به وتنطوي نفوسهم عليه وترجمه افعالهم. ولذا فلنر من هم الذين يرفعون هذا الشعار اليوم ويعتقدون به، وبالتالي لتعرّف على من هم الذين يحققون رغبة ابليس المعلنّة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الاسراء: ٦٢].

وجاء في قول الله تعالى ما يدل على أن لابليس نسل و ذرية قال الله تعالى:

﴿ أَفَنَسَخِدُوهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِ



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) **الْمُحْتَبَاةُ** .

وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴿٥٠﴾ [سورة الكهف: ٥٠].

عودٌ للآية اصل البحث:

ونعود الى قوله تعالى في سورة ص،
في سياق العلة من قول ابليس هذا، او
شعاره، هذا او عقيدته هذه:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ

طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي

فَقَعُوا لَهُ سَجْدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ

كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ

مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ

تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ

الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ

وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَإِنَّكَ

رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ

﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأَعُوذَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا

عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ [سورة ص:

٧١ - ٨٣].

ولأن القرآن يفسر بعضه بعضا،

نذكر يقوله تعالى في سورة الاسراء:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ

فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ

خَلَقْتَ طِينًا ﴿١١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا

الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَى لَيْنٍ أَخْرَتَنِي إِلَى يَوْمِ

الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٢﴾

قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ

جَزَاءُكُمْ جَزَاءٌ مَّوْفُورًا ﴿١٣﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ

أَسْطَظَعَتِ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخِيلِكَ

وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

وَعَدُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا

﴿١٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾

وينكشف الغطاء اليوم اكثر في هذه

المعنى الواقعي وعلى الميدان والواقع

البشري المعاش حاليا؛ فنحن نرى اليوم

ونعيش تفسيرا ميدانيا لهذا الشعار

يرفعه ابناء ابليس وذريته واتباعه و

ويعتقده النواصب: (انا خير منه).

(انا خير منه): هذا هو اليوم شعار

وعقيدة الارهابيين في كل العالم وكل

من يحمل فكرة انه خير من الاخرين

انما يحمل في ذاته فكرا ارهابيا حاقدا

على البشر انى كانوا، ومع الاسف فان

هذه العقيدة اليوم تعمر بها كثير من

القلوب، فهي اليوم قوية وفاعلة على



الساحة الدولية من قبل اتباع ابليس
وذرية ابليس عموماً.

والإرهابيون الكبار الشواخص
الثلاث خصوصاً: هم كما نجدهم في
واقعنا المعاش حالياً:

أولاً: الإرهابيون؛ أبناء الرجل
الاصهب (The Nurdy Man)
وذريته:

يقول المؤرخ البريطاني الشهير
(أرنولد توينبي): (إن دراسة الجنس
أو العرق كعامل منتج للحضارة؛
تفترض وجود علاقة بين الصفات
النفسية، وبين طائفة من المظاهر
الطبيعية. ويعتبر اللون هو الصفة
البدنية التي يعول عليها الأوروبيون-
أكثر من غيره- في الدفاع عن نظريات
العرق الأبيض المتفوق، وإن أكثر
النظريات العنصرية شيوعاً هي التي
تضع في المقام الأول السلالة ذات
البشرة البيضاء والشعر الأصفر
والعيون الشهباء، ويدعوها البعض
بـ(الإنسان النوردي) أي الإنسان
الشمالي، ويدعوه الفيلسوف الألماني

(نيتشه) بالوحش الأشقر^(٣).

ونيتشه هذا يمثل أكبر المفكرين
الغربيين الذين مجدوا القوة، وتقوم
فلسفته على (إدارة القوة)، والسعي
لإنجاب الإنسان الفائق، وأخذ هذه
الفكرة (رودولف هتler) وبنى عليها
نظرية تفوق العرق الجرمانى؛ والتي
ترتب عليها جنون القوة وهاجس
السيطرة الشاملة، وقهر الشعوب
الأخرى واستعبادها، فأفرزت تلك
الحروب التي دمرت أوروبا وغيرها؟).

ومازال هذا التيار يعتمر النفوس
في كل الأحزاب اليمينية والمحافظة في
أوروبا وأمريكا والغرب بشكل عام،
وإن كان ذلك لا يظهر في الواجهات
إلا أنه فعال جداً بما يعتري نفوس
القادة الغربيين من أمثال؛ هولاند
الفرنسي وميركل الألمانية وديفيد
كامرون البريطاني وخادمهم الأسود
الاضحوكة أوباما.

(٣) نقلاً عن: المقدادي فؤاد كاظم؛ (الإرهاب
بين ثقافتين)، مجلة رسالة الثقلين، العدد:
٤٢ ص ٦.

المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) **المَصْنُوع** .

مسلم بالاستهزاء بنبي الرحمة محمد ﷺ .
(ان صدور هذه الإهانة للرسول ﷺ
بتمويل فرنسي رسمي، ينبغي أن يضع
الحكومة الفرنسية والمسؤولين الفرنسيين
تحت طائلة الملاحقة والمحاسبة حيثما
وجدوا، وأصبح من حق كل مسلم
اليوم حيثما وجد أن يرفع دعوى
قضائية بتهمة 'سب وازدراء الأديان'
ضد سفراء فرنسا، وأن يوجه غضبه
نحو معاقبة الدولة الفرنسية، وأي دولة
غربية تستبجح معتقده، بتنظيم جميع
أشكال المقاطعة السياسية، والثقافية،
والاقتصادية).

هذا النص هو لجريدة عربية، بمعنى
ان اثاره النعرات الطائفية والدينية
والعرقية مازال مستمراً، وهو غاية
ابليس من شعاره الذي مازال يرفعه
ابناؤه البيض الصهب لصالح ابناء الله
واحباؤه الصهاينة، الذين يشاركونهم
الشعار نفسه!!.

ثانيا: ابناء الله واحباؤه أوشعب الله
المختار:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ

فانا خير منه عند الوحش الأشقر
نظرية فكرية ضاربة الجذور في تفضيل
الانسان الابيض او الاصهب على بقية
البشر؛ بدأت اعتبارا من ابيقور الى
نيتشه الى هيجل، وجسدها هتلر خير
تجسيد في النازية (تمجيد العرق الاربي
وألمانيا تحت الشمس)، ثم بعد تعثرها
في النازية عادت مخففة الى المجرمين من
ابنائهم المستعمرين في الشرق الاوسط
والهند والجزائر وغيرها وهي اليوم
واضحة في الذين نراهم اليوم، الذين
يزعمون انهم يدعمون حرية الراي في
الاستهزاء بسيد الكائنات محمد ورموز
الاسلام الاخرى ويخرون راكعين امام
رموز الصهاينة ولا ينبسون بنت شفه
اتجاه العم سام (الصهاينة واخوانهم في
شعار ابليس)!!.

مثلا: الجريدة التي استهدفها
الارهابيون التكفيريون التي اسمها:
(Charlie Hebdo)، عادت بتمويل
حكومي واسع وبعده الملايين من
النسخ وباللغات العالمية الستة الحية..
لستتفز مقدسات مليار ونصف مليار



وَالنَّصْرَى نَحْنُ أَبْنَاؤُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَعْزِقُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ [سورة المائدة: ١٨].

الصف الثاني الواقعي الذي يعتقد ويرفع شعار ابليس: متمثل بالصهاينة ودولتهم العنصرية، فالواقع انهم ينظرون بعين ابليس الى كل البشر باعتبارهم افضل الجميع؛ عقيدة تلمودية لا خلاف فيها عندهم الا القليل منهم.

جاء في سفر التثنية: (إنك يا إسرائيل شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم).
التثنية ٧: ٦ - ٨.

فبني اسرائيل (يعقوب) وحدهم

الأسياذ في هذا العالم، وبقية الناس مجرد عبيد لهم، فهم دونهم في الخلقة والحقوق، فالصهيوني له حق تملك الاخر وكل ما يملك. وتلك كتبهم التلمودية تشهد على هذا والدليل هي اعمالهم في التاريخ وفي فلسطين التي سنشرحها في الحلقة الثالثة انشاء الله دليل حقيقتهم الفكرية هذا ودليل انتمائهم الى ابليس بالشعار والولاء والتذري.

يبرز هذا الشعار عندهم كما عند الارهابيين الاخرين بنشر الفتنة بين بناء البشر، وهم فقط المتفرجون على صراع البهائم من حولهم.

وقد وجدوا في التكفيريين ضالتههم في تحقيق أحلامهم هذه، وقد افلحوا فيما خططوا له. وفي لاحق البحث سنعرض جانباً من فضائع الصهاينة وارهابهم ضد اهل الارض الفلسطينيين انشاء الله تعالى.

ثالثاً: ابناء ابليس التكفيريون من السلفية الوهابية ومن اتباع ابن تيمية الذين يدعون انهم وحدهم الذين



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) (المصباح).

وإنما غيرهم دوني لا يملك مقومات وملكات ذاتية لبناء الحضارة، وهم في جبهة واحدة مع ابناء العم سام المختارين من قبل الرب - كما يدعي الصهاينة - وان غيرهم عبيد ليس إلا.

والطرف الثاني: الذين يردون على الطرف الأول بنفس شعاره: فيقولون أنهم أمراء المؤمنين والناس من غيرهم ليس الا كلهم كفرة.

اذن وكما نرى اليوم: اتباع ابليس وذرائه من الطرفين هم الإرهابيون الذين يشعلون النار في العالم بسلاحهم المقيت، وهم علة ومركز اثاره النعرات من كل لون على سطح هذا الكوكب.. في حين ان الأبرياء من ابناء البشرية هم الضحايا في هذا الواقع المقتل من قبل ابليس، وفي كل ان من لحظات عصرنا هذا.

والإنسانية في حالة شبه مخدرة ومضللة إزاء هذا الواقع.. ولذا يتوقع بعض اصحاب العقول في العالم، ثورة انسانية كبرى ضد هذا الواقع المظلم من امثال شيللر اذ يقول:

يمثلون الاسلام: لأنهم يرون انهم هم وحدهم خير من يمثل الاسلام الحق، وهم وحدهم القابضون على الحقيقة، وان كل الناس من غيرهم كفار لا يستحقون الا الموت. ويتمثل هؤلاء الابالسة اليوم بداعش والقاعدة والنصرة وكلاهما لابن لادن وتباعه في شرق الارض وغربها.

ويتقاسم كل الإرهابيين في العالم، وأنى كانوا، مواصفات لا إنسانية؛ محصور بالقسوة والحق على الإنسانية بما يبرز بهذا الشعار (انا خير منه). ودوما ينفذون هذا الشعار بإثارة النعرات الطائفية والعرقية والدينية والمذهبية.

فترى اليوم وفي هذه الساعات بالذات إن هناك تناغما في مسوغات القتل والذبح والحرق والتفجير والتدمير بين طرفين قساة ليس الا لصالح ابليس:

الطرف الأول: هو القائد الغربي المتغطرس بلونه الأبيض المترفع على كل البشر باعتباره وعاء الحضارة الوحيد،



((على ان تضليل الجماهير لا يمثل أول أداة تتبناها النخب الحاكمة من اجل الحفاظ على السيطرة الاجتماعية فالحكام لا يلجؤون الى التضليل الإعلامي - كما يوضح فريز - إلا عندما يبدأ الشعب في الظهور ولو بصورة فجأة؛ كإرادة اجتماعية، في مسار العملية التاريخية، إما قبل ذلك؛ فلا وجود للتضليل بالمعنى الدقيق للكلمة، بل نجد بالأحرى قمعا شاملا، اذا لا ضرورة هناك لتضليل المضطهدين، عندما يكونون غارقين لآذانهم في بؤس الواقع)) (٤).

ان العامل الحاسم في بروز التضليل بشكله الحالي على الأرض هو دخول الانسان ومميزات الانسانية بكل معانيها كسلعة في اقتصاد السوق. كما يرى شيللر:

((ان وسائل التضليل عديدة ومتنوعة، إلا ان من الواضح ان السيطرة على أجهزة المعلومات والصور على كل المستويات تمثل وسيلة أساسية،

(٤) المصدر نفسه ص ٧.

ويتم تأمين ذلك من خلال أعمال قاعدة بسيطة من قواعد اقتصاد السوق. ومن واقع سيطرة ابليس بشعاره وعقائده على الناس يتم اليوم بامتلاك وسائل الاستفزاز بالصوت والمشاركة في المال والاولاد: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

فامتلاك وسائل الإعلام والسيطرة عليها، شأنه شأن أشكال الملكية والاموال الأخرى، متاح لمن يملكون راس المال. ولذا فان أسياد المال، في العالم هم ملوك التضليل. ان تأثيرهم يطال حتى اكبر المؤسسات السياسية في العالم، واكبر دليل على ذلك؛ هو أجهزة التنصت التي نصبت في مقرات الحزب الديموقراطي الأمريكي سنة ١٩٧٢).

ومضى شيللر مشيرا الى تاثير اتباع ابليس: (ولقد بلغ من شدة تأثير أوّلئك الأسياد؛ ان منعوا الأمم المتحدة من



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) (المصباح) •

وأشباههم، أو حكام طغاة عملاء
للأسياد البيض كما في عالمنا العربي
والاسلامي لا يستطيعون أن يقولوا
بغير مقالة أسيادهم.

نحن نرى ان العداة للإسلام يخرج
علينا دوما بشكل سيناريوهات إعلامية
ودعائية، وكلما خبت نار العداة بفعل
الزمن: خرج علينا واحدا من تلك
(السيناريوهات)، عميقة التأثير في
المجتمع الغربي: باعتباره مجتمع الحرية
الفكرية!! بينما هو حقير ذليل جدا
ازاء العم سام!!

من تلك (السيناريوهات)، ما
كان خرجت به الصحف الدنيارية
ثم النرويجية ثم الأوربية، من صور
كاريكاتيرية تهين المسلمين في نبيهم
المصطفى محمد ﷺ، بدعوى حرية
الصحافة التي لا تجرؤ على ان تتحدث
بكلمة واحدة عن خفايا محرقة اليهود،
ولا تجرؤ ان تتكلم عن حق الفلسطينيين
في الحياة الكريمة والعودة والوجود، فما
هم الا كاذبون وبيادق تحركهم النخبة
التي تسوقهم إلى حيث مصالحها.

تولي إنشاء نظام عالمي للاتصالات عن
طريق الأقمار الصناعية، بل الأكثر من
هذا قد يطال تأثيرهم تحديد الرئيس
الأنسب للولايات المتحدة و ربما دولا
أخرى)) (٥).

((ويتنبأ البعض بثورة واسعة
النطاق ضد هذا الواقع)) (٦).

الا انهم وضعوا معادلة ظالمة من
خلال عولمتهم يخضع لها الواقع اليوم
هي: معادلة العولمة: ظلم + ترفيه = لا
ثورة.

او قد يتولانا الله برحمة تتمثل في
هزة وجدانية قوية تجعل البشرية تفوق
مما يراد بها من قبل ابناء ابليس وذريته.
فان القادة في كل العالم اليوم: أما
مهووسون بحب المال وتكريس كل
شيء في جمعه من مصادره الشيطانية،
بالسلطة والجاه، أو ممن تمتلئ صدورهم
بالحقد على الإنسانية من قتلة الأنبياء

(٥) المصدر السابق ص ١٠.

(٦) John Curley, "The Future of
the America Capitalism",
Quarterly Review of
Economics and Business



إن الذي يتحصل من مجمل: أفعال وأنشطة وتوجهات اصحاب شعار ابليس (انا خير منه) وبشكل منتظم ومخطط ومنظر له، في أوروبا وأمريكا والغرب عموما منذ انتهاء الحرب الباردة... إن هذا الذي يجري هو بمثابة الزيت الذي يغذي نار الإرهاب وان وراءه يد خبيثة تذكى كلما خمد!

والغريب أن الغرب عموما هو واحد ممن يدفع الفاتورة دوما ولا من متنبه ولا من واع، فلمصلحة من اذن يدور الصراع؟. ومن يقود اصحاب هذا الشعار الى النار؟. ان ابليس بكرة الانسان ولا يريد له الخير. فهل من متنبه!!.

تحت هذا الشعار (انا خير منه) نظريات شيطانية كبرى تحكم العالم ينفذها شرك الشيطان:

نرى اليوم وعلى مستوى الانتروبولوجيا الثقافية؛ يطرح منظرو الصراع الحضاري المعاصرون؛ يطرحون أفكارا مشابهة لتبريرات استعماري القرن التاسع عشر؛ (دعه

يمر.. دعه يعمل.. دعه ينهب...)، فمثلا: فرنسيس فوكوياما ضمن كتابه نهاية التاريخ والانسان الاخير، لا يرى فرقا جوهريا بين الظاهرة الفاشية في أوروبا وظاهر الصحوة الإسلامية في العالم الاسلامي: فكلاهما عنده ردة فعل ممن هضمت حقوقه وديست كرامته، وان كان يعترف ان المقارنة سطحية، والأخطر من ذلك جزمه بان العالم الإسلامي خاضع لبيئة فكرية صراعية وان المسلمين غير قادرين على الخروج من مرحلة التاريخ، أي إلى حيث تسود الليبرالية الديمقراطية المنتصرة طبقا لحركة التاريخ وفقا لنظرية هيغل (Prossesuce Hegelian) الصيرورة، ونيثشية الغاية بالنسبة لفوكوياما، ويبقى الإسلام -من حيث هو بنية ثقافية صراعية تتغذى على الدوام من النزاعات حسب زعمهم- مشكلا المانع من ترقى الشعوب المسلمة وتأهلها لمرحلة السلم واللاصراع!.

أما الرافد الثاني لشعار ابليس (انا خير منه) فيتجسد في الهجوم الثقافي



المعاصر: في خط فكري مواز لتاريخية فوكوياما وهو النهج الانتروبولوجي الثقافي الذي تبناه صموئيل هنتغتون، ضمن كتابه الشهير (صراع الحضارات)، وحيث ان صموئيل قد تغذى من أفكار (برنارد لويس)، المجاهر دائما بميوله الصهيونية، وعدائه للإسلام، بوصفه (خطرا على الحضارة اليهودية المسيحية). لذا لابد انه وقع في فخ هذا الشعار اللعين (انا خير منه)، وعمي عن تبرير سياسة نظرائه الغربيين بالكيل بمكايل متعددة لدى تعاملهم مع المسلمين وخصوصهم (البوسنة وفلسطين وشيعة البحرين وشيعة السعودية...). وحصول مثل هذا التبرير يذكر بما كتبه (كارل ماركس) في حق مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري للغزو الفرنسي للجزائر^(٧).

الأكاذيب الأخرى التي ينظرون لها، فالمعايير المزدوجة هذه يجدها المسلم على كل صعيد يدعي الغربيون أنهم بلغوا فيه إنسانيتهم: ولناخذ على سبيل الحصر أمثلة على ذلك:

أولاً: الحرية الشخصية:

وهو ما يتشدد به الغربيون، ويعدونها عنوان حضارتهم، يجد المسلم أو المسلمة خصوصاً أنها محض هراء، فالمسلمة للاحق لها إن ترتدي لباس اقرب دينها لها، وإنها إن لبست ما يناسب عقيدتها تعاقب بالطرد من الوظيفة أو الجامعة أو من المدرسة، وعلى المنصف إن يرى مقدار ما تنطوي عليه نفس المسلمة المتعفة أو أبوها أو زوجها أو أخوها أو المسلم المراقب، من اضطهاد وهم يرون إن الحرية مباحة للأخريات بالتهتك أو وهن يبارسن الرذيلة علنا في الحدائق العامة الغربية.

إن الحرية الشخصية في الغرب لها اتجاه واحد فقط، هو الذي يتوافق مع المركزية الغربية ولا يتعارض مع التوجهات الصهيونية، وهو بهذا يخدم

وفي كل مدعيات الغرب معايير مزدوجة الحرية الشخصية وحقوق الانسان والحرية الفكرية وكل

(٧) الطرابيشي؛ جورج (الماركسية والجزائر)، دار الطليعة، بيروت - ١٩٨١م.

طرفاً آخر في أيديولوجية الإرهاب وهو ما يستفيد منه المجرمون في غسل العقول البسيطة وتوجيهها إلى الاستشهاد لرفع الاضطهاد عن المسلمين، والانتقام من واضعي المعايير المزدوجة لأؤلئك الأشرار - كما يظن - والذي يستفيد منه الحاقدون في الطعن بالدين واعتباره ممارسة إرهابية يدعو لها الدين الإسلامي.

ثانياً: الحرية الفكرية:

وهي من عناوين حضارة الغرب: هي كذلك يجدها المسلم محض هراء، وهو يرى إن الأوروبي الأصيل (روجي غارودي) يقدم للمحاكمة ويهان، لأنه ألف كتاباً عن الأساطير الصهيونية، بل إن الناشر للكتاب يغرم ويصادر الكتاب من الأسواق... في حين إن الذي يشتم نبي المسلمين في كتابه (آيات شيطانية): الهندي سليمان رشدي: تصرف الملايين على حمايته في أوروبا ويطلع كتابه بكل لغات العالم. واليوم جريدة شارلي لوبدو تطبع بـ ستة ملايين نسخة وبـ ست لغات حية لتنتشر

ما يسخر من مشاعر مليار ونصف مسلم بنبيهم. وهذا مما يترك أثراً بالغاً جداً في لب كل مسلم لأنه إجراء لا يشك في عدوانيته وخبثه، إلا من لا لب له ولا ضمير، حتى وإن لم يكن مسلماً، فكيف سيكون من يريد إن يوظف كل شيء لمآربه.

ثالثاً: الديمقراطية:

فازت بالانتخابات التركية الديمقراطية النائية عام ١٩٩٨م (مروة قاقوجي) التركية في البرلمان التركي، إلا أنها كانت محتشمة اللباس وتضع قطعة قماش فوق رأسها لتغطية شعرها، كما تعتقد بالإسلام.. والآن فإنكم جميعاً تعلمون مصيرها!! فقد أوصلتها الديمقراطية الغربية إلى الطرد من البلاد، وإسقاط الجنسية التركية عنها، عام ١٩٩٩م، بعد فوزها عن حزب الفضيلة بحجة أنها محجة^(٨)!، إنها منتهى القسوة التي لا نجد مثيلاً لها إلا عند التكفيريين.

(٨) المنار، العدد: ٧٦، شوال ١٤٢٤ هـ، بقلم إيمان الوزير.

المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) (المصباح) •

إن أي منصف يرى في ذلك اضطهاداً أيها اضطهاد: فهناك شعب يشرد بالكامل، ودولة تخرج على كل القوانين الدولية تحت رعاية غربية كاملة وعمياء.. انه عار يكلل الحضارة الغربية ومسوخ لعدم استقرار العالم القائم على الظلم.

لكن الغريب إن هذا الظلم والذي يقع على الفلسطينيين مما لا يشغل اهتمام تنظيم التكفيريين اخوان شغب الله المختار في شعار ابوهم ابليس، فلا يصلح هذا الشعار ليستغله التكفيريون في تجنيد الانتحاريين ضد إسرائيل!!.

وهناك في هذا الموضع غريب آخر: وهو: استخدام أمريكا لليورانيوم المنضب مع إنها يمكن إن تحسم الحرب بغير استخدام هذا السلاح؟!.

لذلك نلاحظ: لا داعي لاستخدام هذا السلاح خصوصاً وأنه كلف الغرب (٨٠٠٠٠) مصاب وكلف أمريكا (١٢٠٠٠) مصاب، فلصالح من إذن استخدام هذا السلاح الخبيث؟.

ان كل من يحمل هذا الشعار في

من هذا المثال أرجو أن يلتفت المنصف إلى مقدار الاضطهاد الذي تنطوي عليه نفوس المسلمين الذين يعلمون أو ربما أعلمهم آخرون: إن النساء في استنبول يعرضن عاريات من خلف الزجاج في (الفترينات): من اجل الرذيلة، وعليهن أرقام يستدل بها الزبائن، ربما في هذا عار يجعل التكفيريين يفخرون بقتل الأطفال في العراق، والجزائر... من دون التعرض لهذه الأسواق!!.

رابعاً: القرارات الدولية:

عشرات القرارات التي صدرت من الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومجلس الأمن لا ينفذ منها إلا ما صدر ضد دول بذاتها، بينما ما يصدر ضد إسرائيل فانه يبقى حبراً على ورق ولا يجرؤ أحد إن يقول لماذا؟.

ثم كل ما تقوم به إسرائيل من ذبح للفلسطينيين وتدمير وتشريد وهدم بيوت ومزارع وردم الآبار: مباح إلا إن يقوم فلسطيني بما يدل على انه معارضة على ذلك الفعل فانه إرهاب.



نفسه هو ابليسي ارهابي لاحالة وان هذا
الشعار هو محور واساس ايديولوجية
الارهاب في العالم.

ولقد استفاد الارهابيون البيض
والصهيانية من خاصية ارتباط هذه
الظاهرة بالشعوب الإسلامية المقهورة،
من خلال التكفيريين وأفراد يدعون
الإسلام، فوضفوا هذه الظاهرة لصالح
صراعمهم مع الإسلام، وعملوا على
استغلالها باتجاهين خبيثين جدا:

الأول: تبناه فرنسيس فوكوياما
كتيار ثقافي، بل كموضوع أساسي
في الانترولوجيا الثقافية: يدّعي إن
العقيدة الإسلامية تبنى أساسا على فكر
صراعي، لا يمكن التعايش معه: لأنه
لا يمكن للمعتقد بالإسلام إن يكون
مسالما وينسجم مع أجواء الأمن والدعة
والاستقرار التي توفرها الحضارة
الغربية!!.

والثاني: تبنته دوائر المخابرات
الغربية عموما والصهيونية خصوصا
والـ (CIA) بالأخص: لبناء جماعات
إسلامية متشددة جدا، أو دعمها

بشكل أو بآخر: تكفّر ما عداها وتظهر
الإرهاب بأجلى صورته البشعة المروعة:
وهذا ليس سرا: فكثير من المجاميع
المتشددة هم صنيعة أمريكا أبان الحكم
الشيوعي لأفغانستان كما يعلم الجميع.

وكلاء إبليس وذرائع:

ان المتبع اليوم للاحداث في اقتصاد
السوق؛ سوق المال واحكامه، و سوق
الارهاب العالمية وتوجهاته، وسوق
النفط في صعودها ونزولها؛ يجد أن
هناك تناغم بين ابناء ابليس الكبار من
اصحاب رؤوس الاموال في عقيدتهم
البراجماتية ومحاولة انفاذها وسيطرتها
وتحكمها من خلال الفكر الليبرالي،
نجد ذلك في طروحات (صموئيل
هنتنغتون) في صدام الحضارات،
وطروحات (فرنسيس فوكوياما)، في
نهاية التاريخ، والذي يفصح تماما عن
ماهية الفكر الاستعلائي الابيقوري

النيتشوي الهيجلي بتفوق العرق الأبيض
(أنا خير منه)، من جهة؛ وبين تطلعات
النخبة من أسياذ المال في العالم من
اتباع ابليس والذي يتبنون الليبرالية



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) **المصباح** .

يقوده وكلاء إبليس.
لسنا نحاول اخافة العالم لكننا
نلفت النظر الى ان هذا الواقع القائم
هو ترجمة لقول الله تعالى في كتابه
الكريم.

والان و بعد ان تأكدنا من ان
الشیطان وشعاره هو من يتحكم
بالعالم فماذا تتوقعون من عدو يتمكن
من عدوه؟؟.

ان عمل التكفيريين في القتل صربا
والذبح امام الكميرات مفتخرين بالعار
و حرق الاحياء و قطع الرؤوس و سمل
الأعين و نشر أشلاء الناس أطفالا
وكبارا ونساءً مسئولين وغيرهم، وبيع
النساء في سوق الرقيق في سوريا أولا،
ثم في العراق وأفغانستان ونبش القبور
وإثارة النعرات من كل لون...

ان هذه الاعمال صارت مادة دسمة
لوسائل الإعلام الغربية العملاقة
والمسيطر عليها من قبل ابناء إبليس
في الطرف الثاني، لتؤكد الثوابت
الفوكويامية، (البيئة الفكرية الصراعية
للإسلام)، طعنا بالدين وتمهيدا لإبراز

كايدلوجية (دعه يمر، دعه ينهب، دعه
يستغل)، من جهة أخرى.. تواصلنا
على دمج الشعارين: شعار انا خير
منه، وشعار: دعه يمر الى النفط العربي
والمسوق الاسلامي بمعناه البراجماتي.

والمعنى في تلك الطروحات
يجدهم انهم وضمفوا تيموس أفلاطون،
وتحلل مكيا فيلي، وغرور هيغل... كي
ينتهي التاريخ لمصلحة الرجل الأبيض
لينطلق متحلا من كل التزام، وليبقى
الآخر حبيس قيم تلزمه الصراع.

إنها رومانسية سياسية لاغير، ولا
علاقة لها بواقع الحال الذي يترجم
آيات الله تعالى في شعار إبليس ودعوته
وطبيعة التكوين الإنساني، لان هذه
الاطروحات النظرية بحد ذاتها قيد
للذات (انا خير منه) فهي عبودية
للشیطان وعبودية للهوى.

اذن هم سجناء الغرور الابليسي
الشیطاني (انا خير منه) التي تكرسها
نظرية نهاية التاريخ، وتؤكد لها
طروحات صدام الحضارات، فليتنظر
العالم جحيم الإرهاب في غايته من عالم



التفوق للفكر اللبرالي الغربي، بداية لسيطرة أسياد المال (شركاء ابليس بلا منازع على ثروات العالم عموما والعالم الإسلامي خصوصا.

فإن مما يبثه ذرية ابليس في الطرف الثاني من العالم في واقع الناس اليوم هو: إن الإرهاب وما يتجسد في اعمال وأفعال التكفيريين؛ هو اعتقاد عتيد اتخذه المسلمون من قرآنهم وسيلة لقهر الشعوب، وهو: قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [سورة الانفال: ٦٠].

والإعلام الغربي ثري بأفعال ذرية ابليس وحملة شعاره النواصب التكفيريين المسجلة والموثقة اعلاميا وفي كل يوم لهم ابداع ابليسي في اثبات هذا الشعار (انا خير منه)، وكلها تصدق ما يراه صموئيل هنتنغتون وفوكوياما.

الا اننا بخصوص هذه الاية نؤكد ما يلي:

١. لا يوجد على وجه الأرض إنسان، له لب -غير التكفيريين أو من هم

من صنائع المخابرات العالمية- يؤمن بقبح هذا المعنى السائد للإرهاب أو يروج له: بما يفعل التكفيرون من منكرات ما انزل بها من سلطان، ولا تنسجم مع روح القرآن في الدعوة للإحسان، وبأسلوب يجعل حتى الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة فصلت: ٣٤].

٢. كثير من عباقرة و مفكري الغرب المنصفين: يعتبرون الإسلام أفضل دين سماوي يقدر الإنسان ويحترم البشرية: من أمثال (برناردشو)، و(روجيه غار ودي) الذي اعتنق الإسلام، ومثلهم (روبرت كوين): مستشار الأمن القومي الأمريكي زمن الرئيس الأمريكي (نيكسون)، الذي اعتنق الإسلام... وكثير جدا ممن أشاروا إشارات رائعة لأهمية الإسلام



- والمسلمين في نهضة الغرب الحديثة. ويتآمرون لتزييف الحقائق..
٣. إن لفظ ترهبون به عدو الله وعدوكم: إنما هو من باب الأخذ بالرادع، الذي يحفظ السلام. فعُدو الله هو عدو السلام، والله هو السلام، ومنه السلام، واليه يعود السلام: وهذا مما لا يختلف عليه الناس شعوباً ودولاً، فلا توجد دولة في العالم لا تأخذ بأسباب الردع اللازم لحفظ سيادتها.. ولذا فلا يحق لأحد أن يؤاخذ المسلمين والدولة الإسلامية إن وجدت ان أخذت بأسباب الردع لأعدائها الذين هم أعداء الله جل وعلا.
٤. في الواقع من الجانب الآخر: إن الذين يرهبون عباد الله هم صنّاع أسلحة الدمار الشامل، وهم رعاة العملاء من حكام الشعوب المستعمرة من دول العالم الثالث.. والإرهابيون: هم صنّاع الأسلحة المرهبة، وصناع وسائل التعذيب التي يمنحونها للحكام الذين سلطوهم على الشعوب، وهم الذين يمكرون بالناس
- والإرهابيون: هم الذين يكيلون بمكيالين بين الناس فيزرعون الأحقاد ليحصدوا الإرهاب ممن يئنون تحت وطأة هذا الغبن الذي يمارس بإمعان وسبق إصرار من قبل رعاة الإنسانية التي يعذبها الإرهاب!.
- وعلى هذا الديدن تستمر عجلة الشيطان بالدوران، و أبناء البشرية دوما هم الضحية.
- إن بنا حاجة -اليوم- إلى تشخيص دقيق وعلمي ومنطقي اصحاب شعار: (انا خير منه)، في محاولة جادة للخروج من هذا اللغط المقرف الذي تجتره وسائل الإعلام التي يملكها شركاء ابليس وأعداء الله دون توقف. وليقف المثقف حيثما يكون موقعه في الموقف الصحيح من هذه اللمة التي يطلع الشيطان اليوم وفي واقعنا هذا منها راسه مزهوا بكثرة انصاره واعوانه وذرائعه.
- في واقعنا اليوم الذي يصنعه اتباع ابليس وذريته وانصاره الرافعون

لعقدته وشعاره (انا خير منه) يتصاعد السجال صخباً من خلال الجدل الدائر اليوم في موضوع الإرهاب والعنف، ومعاني اللاعنف، ويأخذ سادة المال، و صنّاع الرأي العام، بنواصي كل المحركات التي توجه المقود في عجل الإعلام الضخم والسريع، من اجل إن يلبسوا المصطلحات الإعلامية المعاني التي تخدم مصالحهم وتديم سيادتهم واستحكام سيطرتهم على العالم فان من وراء ذلك العجل الذي يدور دوماً ولا يتوقف، أيد صنّاع السياسة بخطوطها الحمراء والخضراء، والذين هم بدورهم موظفون لأسياد المال، والذين هم بدورهم عبيد للشيطان.. حيث لا رحمة لهم ولا عدل أو ضمير يردعهم. وليكون بعدها الرأي العام (المفبرك)، يساعدهم في ذلك التكفيريون بافعالهم المشينة الملصقة بالاسلام، وهذا هو الذي يشكل الضغط الذي تتوجه به الأمور كلها لضمان مصالح ذلك الشيطان وتفوقه في هذا الواقع.

هذا ما يجري في واقعنا اليوم، فلا

معنى لما يفترض أن يتضمنه هذا الواقع من مطابقة مع الحق، والعدل ومعاني الرحمة، مما دفع كثير ممن تصدوا لمواقع القيادة الدينية، وآخرين ممن يقودون تيارات قومية ووطنية من المنصفين في العالم للتصدي لهذا الواقع الدولي غير المنصف، ولو بإمكانيات أقل بكثير من إمكانيات صنّاع الرأي العام، ولكن أنى لأحد مهما كان منصفاً أن يجدي في جهد مفرد، إزاء الإعلام الكبير الذي يقتحم عليه حتى بيته، وقد ينتزع منا أولادنا، وربما يتعدى تأثيره لأكثر من هذا، قبل أن تنتفض الفطرة البشرية، كما يتوقع ذلك دهاقنة الإرهاب الإعلامي أنفسهم وكما مر معنا في تنبؤات؛ (أ. روبرت شيللر)؛ في كتابه (المتلاعبون بالعقول) بثورة عالمية ضد ها الواق الابليسي.

واقع التعاون والتنسيق بين ابناء ابليس وذرائه:

إن الاهتمام من قبل الارهابيين الدوليين بمساعدة التكفيريين، ينصب اليوم على ترويج كذبة تقول:



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) (المصباح).

وإنهم ورثة الخلافة الإسلامية. وصدق بهذا الحث، أولئك القادة المزعومون للإسلام: وأفتوا مباشرة بتكفير المسلمين جميعاً ما عداهم.. في حين إتخذ الافاكون الأسياد البيض والصهاينة، مما يقوم به أولئك التكفيريون الأدعياء من قطع الرؤوس وقتل الأبرياء والقصف والعصف والتفجير، والأفعال القاسية المنفرة.. اتخذوا من هذه الأفعال أمثلة لإثبات دعاوى فوكوياما وأمثاله.

نماذج من إفعال شعب الله المختار التي تدل على تبنيهم لشعار ابليس والاعتقاد بمضمونه:

ومثل ما رأينا في إرهاب السيد الأبيض، في اوربا نفسها اثناء الحكم النازي والفاشيو قبلهما، وفيما راينا من قتله مئات الالاف من ابناء الشعوب الاصلية في الامريكيتين وفيما نراه اليوم من كذبه ومعايره المزدوجة، فان هناك من هو أقربهم منه لابليس وأعتى منه إرهابا، يدلس عليه السادة البيض إمعاناً في احتقار الإنسان لأخيه الإنسان لمصالح غير مشروعة مشتركة

إن الإسلام: فكر يغذي الصراع سيكولوجيا في نفوس معتقديه، وفكرة الإسلام أصلاً تقوم على الصراع.. وقد تزعم هذه الأطروحة الكذبة (فوكوياما) الأمريكي من اصل ياباني. ولهذه الفكرة إمدادات في نفس البنية الاجتماعية الإسلامية تعضد فوكوياما من خلال:

١. الدعوة إلى الليبرالية التي هي أساس وبديل فوكوياما الذي لا أفضل منه لحكم العالم: فاليوم هناك تيار من المثقفين المسلمين يدعون إلى الليبرالية الإسلامية، من أمثال عبد الكريم سروش الإيراني وحسن حنفي المصري وغيرهم.

ولكي لا تبقى هذه الفرية على الإسلام مجرد زعم، أوجدوا حركات إسلامية تكفيرية تخدم إدعاءاتهم؛ فجنّدوا الجهّال والمتطرفين ودعموهما على كل الأصعدة وأخرجوهما إلى الواقع بأبشع الصور، وروجوا لهم بأنهم يمثلون الإسلام والاسلام منهم بريء.. وان قادتها هم من يمثل الإسلام



بين سادة البياض والسادة ابناء الله!!
فالصهاينة إدعوا السيادة، بما
لا أحد يستطيع إن ينازعهم إياها..
لأنها منحت لهم بتفويض الهي!! كما
تصفهم الكتب المنزلة من الله - كما
يدعون - فهم شعب الله المختار!!
وهم الصهاينة.

ولذلك فهم يتكبرون ويستعلون
على الأغيار والأغيار: هي المقابل العربي
لفظ العبري (جويم): وهي تشير إلى
الأمم غير اليهودية، وقد تحول هذا
الاستعلاء والتكبر إلى عدوانية واضحة
لمعاني قول ابليس (انا خير منه) في
التلمود: الذي يدعو دعوة صريحة إلى
(قتل الغريب حتى ولو كان من أحسن
الناس خلقا)^(٩).

والغريب: الذي ليس له تفسير
واضح: هو أن في سيادة الصهاينة امتياز
في احتقار الأوروبيين على مسمع ومرأى،
بل وحماية من الأوروبيين أنفسهم!!

(٩) المسيري؛ عبد الوهاب، «الصهيونية
والعنف من بداية الاستيطان إلى
الانتفاضة»، دار الشروق القاهرة -
٢٠٠١م، ط١، ص٢٠.

ففي ١٩٠٧م انشأ اليهود في
فلسطين أول قوة إرهابية لتنفيذ شعار
ابليس، باسم منظمة الحرس اليهودي -
هاشومير-، وقد اشرف عليها حزب
بوعالي صهيون^(١٠).

وكان شعار المنظمة: (سقط يهودا
بالدم والنار، وسيبعث بالدم والنار)،
وقد أنشأها الإرهابي الكبير (دافيد بن
غوريون)..
وفي عام ١٩١٩م انقلبت

(الهاشومير) إلى منظمة (أهاغانا):
التي ارتكبت مجزرة دير ياسين الرهيبة
والمشهورة بالتعاون مع منظمة
(الارغون) في التاسع من نيسان عام
١٩٤٨م.

ولقد وصف أحد قادة الارغون
هذه المذبحة بقول يدل تماما على
اعتقاده بشعار ابيه ابليس: (لقد قمنا
بعملية تنظيف)^(١١). أي انه طهر

(١٠) صلاح زكي؛ «نظرية الأمن الإسرائيلي»،
دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط١،
١٩٧٨م، ص٣٤.

(١١) جوناثان؛ ديمبلي وودونالد؛ ماك
كولين، «الفلسطينيون» الدار العربية



الارض من الاقدار كوصف للعرب. أما الوصف الدقيق للمذبحة فقد جاء على يد رئيس بعثة الصليب الأحمر الدولي آنذاك (جاك دي رينييه) (١٢)، حيث قال:

(بعض مقاتلي الارغون قطعوا أوصال ضحاياهم بالخناجر قبل إن يقتلوهم) (١٣)، مما يذكرنا بالحقق الابليسي على البشر في افعال التكفيريين المشابهة لانها من منبع واحد وشعار واحد: (انا خير منه).

كما إن سلطات السيد الأبيض البريطاني سجلت بدورها تفاصيل الإرهاب الصهيوني بدقة متناهية، على يد مفتش الشرطة العام، (ريتشارد كالتنغ) الذي قام بالتحقيق بالحادث فقال: (نزعت أساور وحلقات النساء، من أذرعهن وأصابعهن بوحشية متناهية وقطعت، أجزاء من آذانهن

للموسوعات، بيروت (ب. ت)، ص ٨٥.

(١٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة. (١٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

لانتزاع الأقرط منها) (١٤). ثم يتباهى الإرهابي (مناحيم بيغن) بالعار فيقول عن دير ياسين المذبحة الكبرى في التاريخ: (تملك العرب هلع لا حدود له، بعد سماعهم القصص عن مذبحة الارغون، وبدأوا بالهروب للنجاة بأنفسهم، وسرعان ما تطور هذا الهروب إلى فرار جماعي جامع لا يمكن السيطرة عليه) (١٥).

وهكذا كانت مذابح (كفر قاسم، وكفر برعم) نسخا طبق الأصل لمذبحة دير ياسين، وكأن عيني السيد الأبيض في غشاوة من هذا الإجرام الذي ليس له مثيل، بل الذي حصل انه قدم للإرهابيين اليهود وساما: بان واسى اليهود بمذابح هتلر ومحرقته، وصارت في بلاد الغرب معاداة السامية التي تعني معاداة إسرائيل جريمة يعاقب عليها القانون وذلك تغطية لأنهم بناء اب واحد ومعتقدي شعار واحد.

أليس هذا الواقع هو الذي يحیی

اليوم في وجود الناس عموما وفي العرب خصوصا؟!.

وجدير بالأشارة ان الصهاينة هم أول من ادخل أسلوب الرسائل والطرود المغمومة، وأسلوب التخريب الاقتصادي في العمل الإرهابي:

فعلى سبيل المثال منها: تلك الرسائل التي بعثوا بها إلى بعض المسؤولين البريطانيين في الثلاثينات من القرن الماضي، واغتيالهم مسئولين بريطانيين آخرين خارج فلسطين، بسبب موقفهم المعارض للحركة الصهيونية، وكذلك نفس خط أنابيب النفط قرب حيفا في صيف ١٩٢٩م.

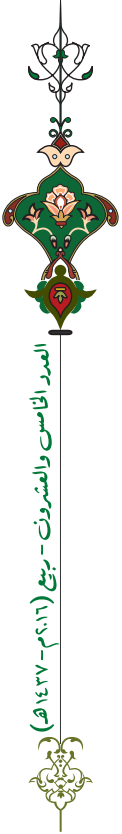
وقد بلغ الأمر بالصهاينة إلى أن يستخدموا الإرهاب حتى ضد اليهود الذين لا يؤمنون بها، إذا ما كان ذلك يساعد على تحقيق أهدافها في إجبارهم على الهجرة إلى فلسطين.. فقد NSF الصهاينة السفيتين باتريا في العام ١٩٤٠م.. والباخرة ستروما عام ١٩٤٢م، واغراقها بمن عليهما من ركاب يهود.. وتعاون الصهاينة مع

النازية في مذابح اليهود في أوربا إبان الحرب العالمية الثانية لإجبارهم على الهجرة إلى فلسطين^(١٦).

وفي عام ١٩٤٦م قامت منظمة إرهابية صهيونية بتفجير فندق الملك داود في القدس، حيث كان مركز سلطات الانتداب البريطاني، وكان المبرر لهذه العملية وما شابهها من عمليات مرعبة قامت بها المنظمة الصهيونية الإرهابية المعروفة (ارغون)، هو رفع الروح المعنوية الصدامية لدى اليهود، كما قال مناحيم بيغن زعيم المنظمة.

وفي عام ١٩٤٨ اغتال الصهاينة مبعوث الأمم المتحدة إلى فلسطين الكونت السويدي (برنادوت)، لأنهم خافوا من نتائج منتظرة لمهمته في المشكلة الفلسطينية.

إن قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة المرقم (٢٢٧٩) لسنة (١٩٧٥)، باعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، يعتبر (١٦) الموسوعة العربية المصدر نفسه، ص ٩٦٢.



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) (المصباح).

قامت بها عصاباتا في ألمانة الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية: كتسيم المياه والخبز، واصطياد العلماء الألمان وملاحقتهم وقتل الكثير منهم^(١٧).

ويظنون أن تبديل الأسماء، ومرور الوقت، كفيل بنسيان حقيقتهم وإظهارهم بمظهر أجمل وأحسن. فمن عصابة الارغون ولد حزب الحرية (حيروت). ومن عصابة البالماخ ولد حزب المابام. ومن عصابة الهاغانا ولد حزب الماباي. ومن عصابة اشتيرن ولدت حركة البحي.

لكن هذا لا يمنع الصهانية من إنشاء عصابات إرهابية جديدة فالغريب في واقعنا اليوم الذي استمكن فيه ابليس بشعاره وعقيدته في ابنائه؛ لا أحد يجرو أن يقول للشيطان أنت شيطان لان الكبار كلهم هم وكلاؤه على الناس. (ففي شهر تموز عام ١٩٧٦ أعلن الحاخام الصهيوني مائير كاهانا)^(١٨):

(١٧) الموسوعة الفلسطينية المصدر نفسه، ص ١٩١.

(١٨) صلاح زكي، «نظرية الأمن الإسرائيلي»،

فلتة قدرية تدل على ارتباط الإرهاب بانحراف الفطرة واحتكار السيادة الذي أذهل النخبة المتنفذة في العالم، فعملوا ليل نهار حتى استطاعوا جعل الأمم المتحدة تتراجع عن هذا القرار لاحقا.

ولقد أصدر ثلاثة من عناصر الموساد السابقين كتابا عام ١٩٧٨ يقولون فيه: (إن الإرهاب يشكل مركز الصدارة في أعمال وكالة المخابرات الإسرائيلية -الموساد)..

ولم يقتصر الصهانية -قبل وبعد تأسيس كيانه الغاصب -على أسلوب نسف المنازل وإلقاء المتفجرات على الأسواق وقتل الأطفال والنساء.. وهم الذين ابتكروا المذابح الجماعية كما في حدث ذلك في دير ياسين في فلسطين، ومذبحة صبرا وشاتيلا في جنوب لبنان، إلى مذبحة قانا في ١٨ نيسان ١٩٩٦ م.

وفي كتاب (المتقمون) للكاتب الإسرائيلي (بار زوهار): نجد تفاصيلاً للأساليب الإرهابية الصهيونية التي



عن تأسيس المنظمة الإرهابية المعروفة باسم (كاخ) ..

ومن ترجمة حقيقة وحدة هذا الشعار (انا خير منه) ووحدة الاعتقاد ووحدة الهدف: هو إن كل كبرياء السيد الأبيض يتلاشى إزاء العم سام: فيسكت حتى عندما يذله أبناء العم سام (الصهاينة خصوصا) بشكل مباشر وعلنا، فيما نرى منه من كبر وتكبر وكبرياء إزاء الآخرين.. فالمتبع لا يرى للسيد الأبيض مثالا: أدنى شرف إزاء إذلال الصهاينة لسيادته.

فإسرائيل تتدخل في شؤون الدول الغربية كلها، وتتجسس عليهم، وتهين رؤسائهم، وتحتقر ما يصدر (مصادفة) من إشارات منصفة للحق الفلسطيني.. ولحسن الحظ فإن الزائد من تكبر البيض، يستهلكه ازدراء الصهاينة لهم، فيما يكون باعثاً للمظلومين لاحتقار الجميع وهو سبب لبروز الإرهاب في الجانب الآخر من الأرض، وتعزيز

دار الثقافة الجديدة القاهرة ط١، ١٩٧٨م، ص٣٤.

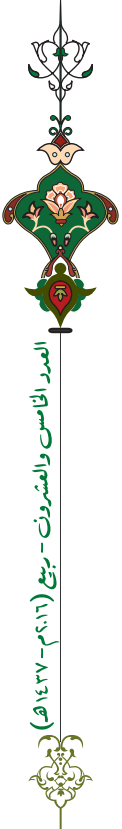
الواقع العالمي لصالح الايديولوجية الابليسية.

فمثلا: عملية (فندق الملك داود) ضد البريطانيين، واغتيال اللورد موين وزير الدولة البريطاني المقيم في الشرق الأدنى، عندما أرسلت عصابة اشترين اثنين من أعضائها إلى القاهرة، لينفذوا عملية الاغتيال في ٦ تشرين الثاني ١٩٤٥م.

وهكذا كان حال الكونت (فولك برنادوت) الوسيط الدولي للأمم المتحدة في فلسطين. ثم إن كل الزعماء الإسرائيليين يصرحون علنا بالاستعلاء واحتقار الآخرين بل ويحثون شعبهم عليه، بل ويفعلون ما يدل على ذلك، وبدون أدنى حرج (١٩).

وقد احتقر الإسرائيليون عشرات القرارات الدولية ولا يجرؤ أحد حتى إن يشير إلى ذلك!!.

(١٩) ألمسيري؛ عبد الوهاب، «نهاية التاريخ، مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني»، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ص١١٣.



المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) (الْمُصَدِّقُ)

من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه
ورسله، ولكنّه سبحانه كرّه إليهم
التكابر ورضي لهم التواضع، فألصقوا
بالأرض خدودهم، وعفّروا في
التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم
للمؤمنين، وكانوا أقواماً مستضعفين،
قد اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم
بالمجهدّة، وامتنحهم بالمخاوف،
ونخصهم بالمكاره (٢٠).

بمعنى ان امير المؤمنين (عليه السلام)، يأمر
بالتواضع ويبين وجوهه، ويشير الى
فصائله من بني البشر، مستضعفين
مبتلين بالجوع والخوف والمكاره، وأنهم
من اتباع الطاهرين (عليهم السلام)، فقد جاء في
مستدرك سفينة البحار.

(أن حبهم (عليهم السلام) علامة طيب الولادة
وبغضهم علامة خبيثها. وكما جاء في
سورة النحل: (وعلامات وبالنجم هم
يهتدون). قال أبو عبد الله (عليه السلام): نحن
العلامات، والنجم رسول الله (صلى الله عليه وآله). وفي
رواية هو أمير المؤمنين (عليه السلام) (٢١).

(٢٠) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢ و ١٩٢.

(٢١) مجمع البيان ٦: ٣٥٤.

الوقاية من داء ابليس (الكبر):
اشد الناس تواضعا الأنبياء،
واشد الناس تكبرا، ابليس وحزبه
المستكبرون، وكل الانبياء يدعون الناس
الى التواضع؛ وأكثر الناس تواضعا
الائمة الطاهرين (عليهم السلام).

ذلك لان في خلق التواضع وقاية
من داء ابليس: (الكبر) وتحصنا من
ندائه: (انا خير منه)، الذي اطلقه ضد
ادم (عليه السلام) كما في قصة الخلق، وما زال ذلك
سلاحه ضد ابناء آدم يلبسه لبعضهم
ضد بعض، ولذلك يشخص سيد
الاصياء الامام علي (عليه السلام) الداء ويخصص
الوقاية والعلاج في هذا المعنى من
كلامه (عليه السلام) في الخطبة القاصعة من نهج
البلاغة: (واعتمدوا وضع التذلل على
رؤوسكم وإلقاء التعزّز تحت أقدامكم،
وخلع التكبر من أعناقكم، واتخذوا
التواضع مسلحة بينكم وبين عدوكم
إبليس وجنوده، فإنّ له من كلّ أمة
جنوداً وأعواناً ورجلاً وفرساناً، ولا
تكونوا كالمتكبر على ابن أمّه - إلى أن
قال: (فلو رخص الله في الكبر لأحد



واقع اتباع اهل البيت عليه السلام:

ما يثبت الواقع في اي مجتمع من مجتمعات اتباع اهل البيت عليه السلام خصوصا في جنوب العراق؛ لو زرت أي مدينة من مدن الجنوب حيث اتباع اهل البيت عليه السلام؛ لوجدت فيها ان هناك الصابئي يعيش الى جنب المسيحي الى جنب السني الى جنب المذاهب الاخرى بسلام واحترام. في حين من المستحيل ان يعيش الصابئي والمسيحي او احد من اتباع اهل البيت عليه السلام في منطقة فيها اغلبية وهابية مثلا، بمعنى ان الذي يرفض نداء ابليس (انا خير منه) عقيدة واتباعا لأهل البيت عليه السلام، نجد منه وفيه مصاديق خلق الانبياء والأئمة عليه السلام؛ فهم محصنون عقائديا بحب اهل البيت عليه السلام ضد داء ابليس ويحتقرون نداءه، في حين لا نجد ذلك مطلقا في مناطق يسكنها التكفيريون ومطلق اتباع عبد الوهاب وابن تيمية.

وفي مجموعة ورام: قال رسول الله ﷺ: (إذا هدى الله عبدا للإسلام و حسن صورته و جعله في موضع

غير شائن له و رزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله) (٢٢).

و قال ﷺ: (إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة) (٢٣).

و قال ﷺ: (إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا رحمكم الله).. (٢٤)

انها دعوة لرفض نداء ابليس (ان خير منه) لخلق مجتمع انساني متعايش كما نجده اليوم في مجتمعات اهل البيت عليه السلام.

فقول من لا ينطق عن الهوى ﷺ: (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه). (٢٥)

وقوله ﷺ: (كلكم لأدم وادم من تراب...) (٢٦).

والمقياس القراني الذي يتفاضل به الناس هو التقى.. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

(٢٢) مجموعة ورام ج ١ / ص: ١٩٥.

(٢٣) نفس المصدر السابق.

(٢٤) نفس المصدر السابق.

(٢٥) علل الشرائع / ٥٢٣. و معاني الاخبار

ص: ٢٣٩. وبحار الانوار: ج ٧٢: ص:

١٤٨. و معاني الأخبار: ٢٣٩ / ١.

(٢٦) تحف العقول ص ٣١ - ٣٣.

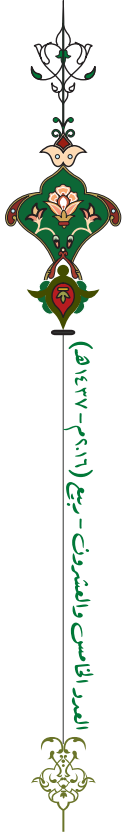
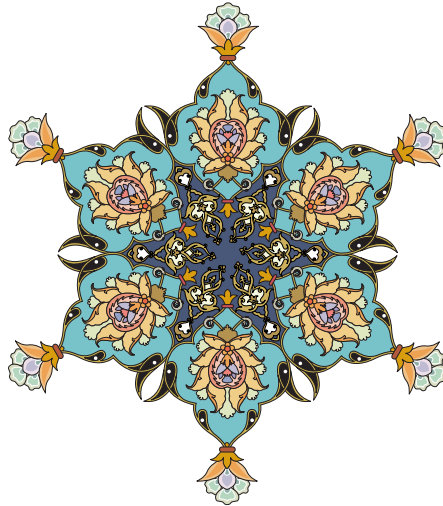
المصدق الواقعي لقوله تعالى ((قال انا خير منه خلقتني...)) (المصباح).

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [سورة
الحجرات: ١٣].

كل هذه الوصايا القرآنية و النبوية
لو أتبعتم لم يبق لحزب الشيطان وجنود
ابليس إلا ان يتمايزوا بشعار سيدهم
ابليس و بفجاجة منطقهم بأنهم افضل
من الاخرين وإنهم وحدهم اصحاب

الحق والقابضون على الحقيقة والناس
كلهم كفار!!
فليشخصهم الناس وليتجنبوهم
بل وليحاربوهم اذا اقتضى الامر قال
تعالى: ﴿وَإِنْ كَثُرُوا أَيَّمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ
عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا
أَيِّمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ
لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢].



دلالة الصراط المستقيم في القرآن الكريم

أ.م.د. ناجي حجلاني
مؤسسة الزيتونة - الجمهورية التونسية

فحوى البحث

عد السيد الباحث مفهوم (الصراط المستقيم) الوارد ذكره في القرآن الكريم وفي مواضع كثيرة، ضمن التشابه الذي مثل الفضاء الدلالي المفتوح على مصراعيه ضمن السيرورة الزمنية بحيث يحتمل عدداً غير محدود من التأويل التي لا ينفي بعضها البعض ولا يخطئها لأنها متأثرة بالضرورة بما يدركه مفسر في عصر قد يتفطن مفسر آخر الى امر اخر في عصر مغاير. وقد رأى الباحث ان المسلمين قد ذهبوا بعيداً في تناولهم هذا النص الالهي وهو امر في غاية الخطر في تشويه العقائد وتلوين المعاني القرآنية وقد نقل الباحث اراء علماء المسلمين في معنى الآية و ترك للقارئ المتقصي حرية الفهم والحكم على ان يكون للعقل وقابلية التحليل مكان واضح في هذا الحكم بعيداً عن الهوى والتعصب.

مدخل

لقد أنزل الله تعالى كتابه وغير صيغته من حالة تند عن الإدراك والوعي البشريين إلى صيغة مدركة في قالب لغوي يستطيع العقل البشري تناوله فهما وتفسيرا وتأويلا وذلك معنى ظاهر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة الزخرف: ٣] والجعل هو التغير والصيرورة من حال إلى حال. هذه العملية من الله تعالى إحسان إلى عباده لأنه يسر لهم كلامه لكي يدبروه ويتذوقوا معانيه غير المتناهية لأنها نابعة عن الخالق الذي يتصف بصفات الكمال غير المتناهي. ومن ثم ضمنه التشابه الممثل للفضاء الدلالي المفتوح على مصراعيه على السيرورة الزمنية بحيث يحتمل عددا غير محدود من الإمكانيات التأويلية التي لا ينفي بعضها البعض ولا يخطئها لأنها متأثرة بالضرورة بمقام القول فما يدركه مفسر في عصر قد يتفطن مفسر آخر إلى أمر آخر في عصر مغاير. وذلك كله بحسب المناخ الثقافي والسقف المعرفي المتاحين

في عصر هذا أو ذاك.

إلا أن المسلمين في تناولهم لهذا النص الإلهي قد ذهبوا بعيدا في التحكم بمعانيه أو قل فيما فهموه منه فقسموا طبقات معانيه على أربع طبقات وانظر إلى ما أورده الطبري في هذا المجال رواية عن ابن عباس: "التفسير على أربعة أوجه: تفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلم إلا ببيان رسول الله، وتفسير لا يعلمه إلا الله" (١). وإذ يوافقه في هذا الرأي كثير من المفسرين فهم بذلك يثرون إشكالات عديدة منها إذا كان الأمر على هذه الشاكلة فلماذا يُنزل الله جانبا من كلامه لا يفهمه إلا هو؟ وما هو القصد من جانب آخر لا يعلمه إلا الرسول وقد أمر بالتبليغ؟ وأما الجانب الذي لا يعلمه إلا العلماء فهو ضرب من الكهنوت الدخيل على الثقافة الإسلامية. وقد استغل هذا الأمر لإعلاء منزلة بعض الشيوخ ليصبحوا

(١) الطبري، جامع البيان، مج ١، مقدمة المؤلف، ص ٩٠ - ٩١..

أشبهه بكهنة المعابد المحتكرين للمعنى
القائمين بدور الوساطة بين الله وعباده.
وهو أمر في غاية الخطر في تشويه
العقائد وتلوين المعاني القرآنية الشديدة
الوضوح. وأمّا النوع الرابع فلم يبيّن
القدامى حدوده ولا ضبطوا معانيه.

نخلص من ذلك إلى الإشارة إلى
أنّ أزمة المسلمين قديما وحديثا تكمن
في تحديد طبيعة علاقتهم بهذا الكتاب
الإلهي فمنهم من يزيّن به المكتبة داخل
المنزل، ومنهم من يتبرّك به ومنهم من
يفهمه كما فهمه الأسلاف المفسّرون
ومنهم من يهجره هجرا ومنهم من يتخذ
من حفظه وتلاوته عملا بدلا من أن
يعمل بتعاليمه.

إنّ الجدير بالذكر هو أنّ القدامى
رأوا أنّ أحسن الطرق التفسيرية هي
تفسير القرآن بالقرآن والحال أنّ هذا
الرأي ظلّ مطلبا عزيز التطبيق لأنك
بمجرد التقدّم في مطالعة تفسير الآيات
الأولى تجد الأحاديث والمرويات
والآثار والأشعار أكثر من الاستشهاد
بآيات أخرى تصبّ في الدلالة نفسها.

وبغض النظر عمّا تثيره هذه المرويات
من تشويش على المعنى فإنّ السؤال
المركزي في الوعي التفسيري يظلّ
منهجيا بالأساس وعليه فإنّ كلّ ما
يثيره التراث من قضايا إنّما هو يطرح
أسئلة في وقتنا الراهن أكثر ممّا يقدّم
أجوبة لأنّ تحكيم الأحاديث في ضبط
المعنى القرآني انجرّ عنه القول لدى
البعض إنّ القرآن أحوج إلى السنّة
أكثر من حاجة السنّة إلى القرآن كما
انجرّ عنه القول بأنّ السنّة وحي ثان.
وقد أصبح القول بأنّ السنّة شارحة
للقرآن وموضحة له مدخلا خطيرا
من مداخل تفسير النصّ القرآني وفق
رؤية المفسّر، بحيث تكون له كامل
الصلاحية في ربط ما شاء من الأخبار
بما شاء من الآيات، مدّعا أنّها شارحة
لها وموضحة، بمجرد أن يرى بين الآية
والخبر علاقة ما^(٢). وهو أمر يتعارض
رأسا مع ما قصد إليه الرسول ﷺ

(٢) انظر مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي
في تفسير القرآن، دار الطليعة، ط ١،
لبنان ٢٠٠٤، ص ١٠٥..



حين نهى عن كتابة كلامه: "لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحّه" (٣). أضف إلى ذلك مدى صحّة ما يرويه القصاصون وأهل المغازي وقد ذكروا أنّهم إذا استحسنوا قولاً نسبوه إلى الرسول عليه الصّلاة والسّلام. وقد أشار مصطفى السّباعي إلى الدّور الذي اضطلع به (الرّوافض) في الكذب ووضع الأحاديث مستشهداً بما قاله مالك بن أنس فيهم: «لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون»، وأورد أنّ الشّيخ حماد بن سلمة حدّثه شيخ من (الرّوافض)، قال: «كنّا إذا اجتمعنا فاستحسنّا شيئاً جعلناه حديثاً» (٤).

وأما الشّعْر المستعان به لتوضيح معاني القرآن فأثاره السّلبية كثيره جدّاً منها أنّه رهين الرّؤية الشّعريّة التي تسمح بالتّرادف ولا ترادف في اللّغة لأنّ كلّ مفردة تحتوي على معنى ولو دقّ

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزّهد والرّقائق، باب الثّبت في الحديث وحكم كتابة العلم، ج ١، ص ١٣٦٦..

(٤) انظر مصطفى السّباعي، السّنة مكانتها في التّشريع الإسلامي، ص ٩٦.

ولطف. ثمّ إنّّه ينهض على المبالغات والزّيادة والنّقصان ولا مبالغة في القرآن ولا زيادة ولا نقصان وليس من اليسير الجمع بين موقف القرآن في سورة الشعراء من الشّعراء وبين ما يروى عن ابن عبّاس: "إذا سألْتُموني عن غريب القرآن فالتمّسوه في الشّعْر، فإنّ الشّعْر ديوانُ العرب" (٥). وكلّ ذلك وغيره في حاجة إلى مزيد النّظر والتّدقيق ونحن إذ نتناول مصطلح الصّراط المستقيم الوارد في القرآن الكريم فإنّنا نرغب في إزاحة الغبار ما استطعنا عمّا علق به من أفهام عبر التّاريخ ولعلّ ذلك يكون مثرياً ومثيراً لنقاش يعود بالفائدة على المسلمين وكفى بذلك مطلباً ونوالاً.

ينبع الاهتمام بفكرة الصّراط المستقيم من كونها مسألة مركزية في الاعتقاد يكررها المسلم في كل جزء من أجزاء صلواته اليوميّة. وقد أُعيدت هذه العبارة في القرآن

(٥) انظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، تحقيق هشام سمير البخاري، طبعة دار عالم الكتب، الرّياض، ٢٠٠٣، ص ٢٤.

إحدى وعشرين مرة بصيغها المتنوعة بين التّكثير والتّعريف تقريراً لقيمة هذا المصطلح. والجدير بالملاحظة أنّ أغلب الدّارسين كالمُتعبّدين يستعملون عبارة الصّراط المستقيم من دون تحديد مسبق ومتّفق عليه لدى العلماء حول ما يعنيه الصّراط. وقد تعلّقت بهذه الفكرة أفهام وتصورات متنوّعة إلى حد الاختلاف وشابتها شوائب عديدة جعلت من الصّراط جسراً هو أقرب ما يكون إلى الجسر المجدّد والمتعين. ولا غرو في ذلك إذ لم يتخلّص العقل من الصّورة البدويّة والبدائيّة التي أخرجها المتديّنون عبر الصّيرورة الزّمنيّة. ولا عجب مرّة أخرى حينئذ أن يُقدّم الصّراط على أفهام متنوّعة وصور مختلفة إذ هو لصيق بمصائر النّاس ومحدّد لمآلهم ولذلك نجد له صدى في أغلب الدّيانات. إنّ همّ المنظومات الإيمانيّة هو إضفاء المعنى على أدقّ جزئيات الحياة إنّ في الدّنيا أو في العوالم الآتية. ولما كانت هذه العوالم غيبيّة فإنّ العقل الإنساني يحدّف فيها أحياناً بغير

مجداف فيجنىح إلى التّمثيل والتّخيل والتّجسيد. وما زال العقل الفقهي في الثّقافة الإسلاميّة يفعل فعله في إجراء الأفهام على الآيات التي من طبيعتها التّعميم المقصود البادي في الإشاريّة والرّمزيّة ليُخرجها مخرجاً مشهديّاً وتصويريّاً هو أقرب إلى التّريغيب والتّرهيب منه إلى تقرير الحقيقة الدّينيّة. وقد كان بإمكان هذا النّص الدّيني المتّصل في الوحي أن يكون واضحاً مدقّقاً في الجزئيات، ولكنّ ذلك فعل قاتل للمعنى منغلّق على الذات لا يسمح بالنّظر وإعادة النّظر وفق المجريات التي يقتضيها التّطوّر الاجتماعي والثّقافي وهو ما اصطلاح عليه فقهيّاً بالعرف الجاري. وفي هذا الفضاء من المعرفة المنفتحة على الصّيرورة الزّمنيّة فإنّ الرّسول قد أعرض على إنجاز تفسير جاهز للكتاب وهو على ذلك قدير بأنّ ذلك يتعارض رأساً مع مقتضيات ختم النّبوءة. إنّ ختم النّبوءة إعلان صريح على أنّ العقل البشري قد بلغ من القدرة مداها

ولقد ورد في لسان العرب أنّ اللفظة تصحّ بالسّين وبالصاد وبالزّاي، فترد سراطا وصرطا وزراطا وفي كلّ ذلك تعني الطّريق. والسّراط هو السّبيل الواضح والمنهاج البين. والصّراط لغة في السّراط، وقلبت السّين صادًا بمفعول الجوار الصّوتي وبالصاد لغة قريش الأوّلين التي جاء بها الكتاب. وقيل للطّريق الواضح سراط لأنّه كأنّه يسترط المارّة لكثرة سلوكهم. وقد ذهب ثعلب إلى أنّ الصّراط يعني الموت أي على طريقهم^(٧). وقد ورد عند الزّمخشري أنّ الصّراط يُسمّى لقما لأنّه يلتقم المارّة كما يلتقم الأكل اللّقمة فتتوارى عن الأنظار ويُجمع على صُرط ككتاب كُتّب وهو يؤثّث ويُذكّر كالطّريق^(٨).

(٧) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التّراث العربي، لبنان، د. ت، مج ٧، مادّة سراط، ص ٣١٣ - ٣١٤، ومادّة صراط، ص ٣٤٠.

(٨) جار الله الزّمخشري، الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، ج ١، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر، تونس، د. ت، ص ٢٠ - ٢١.

على التّجريد والتّخلّص من ضروب التّجسيد^(٦) والتّقليد. وعليه فإنّ ما يفهمه الإنسان العادي أو متوسّط الثّقافة ليس بالضرورة ما يقتنع به صاحب العقل الثّاقب والنّظر الفاحص.

إنّ مفهوم الصّراط المستقيم يزداد قيمة في حياة الإنسان ووجوده من خلال ما تكشف عنه سورة الفاتحة من الطّلب المستمرّ سعيا للهداية إلى الصّراط المستقيم وعليه فإنّ ضرورة التّعرف على معالم هذا الصّراط وما يتعلّق به من مقتضيات الحياة الإنسانيّة. ومن ثمّ نلّفى بعدين أساسيّين: الأوّل نظري تفهّمي، والثّاني سلوكي عملي تمثّلا لهذه الاستقامة المغذّية للإنسانيّة وللقيم والأخلاق، إذ الاكتفاء بالمستوى النّظري، ولاسيّما في عوالم الثّقافة الدّينيّة، يبدو كطائر بجناح واحد.

(٦) يقول محمد إقبال في هذا الصّدّد: "إنّ النبوة في الإسلام لتبلغ كما لها في إدراكها الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها" محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦، ص ١٤٩.

إِنَّ مقولة الصُّراط المستقيم بما تضمّنته من قابليّة للتّقليب بحسب تعدّد المعاني جعلت المفسّرين يتحدّثون عن طريق أحيانا وعن جسر أحيانا أخرى هو أدقّ من حدّ السّيف أو الشّعرة يمتدّ فوق جهنّم ونسبوا للنّار كلاليب تنهش وتنغرس في جسد المارّ وأنّ كلّ كلب يمثّل ذنبا من الذّنوب التي أرتكبت في الحياة الدّنيا، علما بأنّ النّور البادي من أحد أصابع قدمي المارّ على هذا الجسر يكون بحسب عمله في الدّنيا ولربّما خبا أحيانا وأضاء أحيانا أخرى. فبقدر صلاح هذا المارّ يكون ضياؤه من على هذا الجسر وكأنّ الميزان والحساب ليسا كافيين لإقامة الجزاء حتّى يستبين مقدار الخير ومقدار الشرّ من خلال هذه الإضاءة المنبعثة منه وهي عودة مرّة أخرى إلى التّجسيد.

لقد ورد في الصّحيحين ومسند أحمد ما يلي: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ أَنَسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: "هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ،

قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ، فيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ فَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسُ وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرُ وَيَتَّبِعْ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ وَتَبَقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا^(٩)، فيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وَبِهِ كَلَالِيبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَّا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ. قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ

(٩) أو شَافِعُوها في مسند أحمد.

المُوبِقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُلُ^(١٠) ثُمَّ يَنْجُو حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْرِفُوهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرِ السُّجُودِ فَيُخْرِجُوهُمْ قَدْ امْتَحِشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحَبَّةِ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ قَدْ قَسَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذُكَاؤُهَا فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ فَيَقُولُ لَعَلَّكَ إِنِ اعْطَيْتَكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ فَيَقُولُ لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرُهُ فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ يَا رَبِّ قَرَّبَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَلَيْسَ قَدْ رَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ وَيَلَّكَ ابْنُ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو فَيَقُولُ لَعَلِّي: إِنِ اعْطَيْتَكَ ذَلِكَ تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرُهُ فَيُعْطِي اللَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاقِيقَ أَنْ لَا

يَسْأَلُهُ غَيْرُهُ فَيَقْرَبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ ثُمَّ يَقُولُ أَوَلَيْسَ قَدْ رَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرُهُ وَيَلَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشَقَى خَلْقِكَ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَصْحَكَ فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُّخُولِ فِيهَا فَإِذَا دَخَلَ فِيهَا قِيلَ لَهُ تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِهِ الْأَمَانِيُّ فَيَقُولُ لَهُ: هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا^(١١). وانظر إلى ما ورد

(١١) صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، طبعة جديدة، مكتبة الإيمان، مصر، ٢٠٠٣، كتاب الرقاق، حديث رقم ٦٥٧٣، ص ١٣٢٩-١٣٣٠. وصحيح مسلم بشرح النووي، طبعة مرتبة، المكتب الجامعي، مصر، د. ت، مج ٢، ج ٣، حديث رقم ٢٩٩، ص ١٤-١٥. ومسند أحمد، شرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط ١، ١٩٩٥، ج ٧، حديث رقم ٤٣٧٧، ص ٤٣٢.

إذا اتفقت الصحاح الثلاثة في منبع الخبر المتمثل في أبي هريرة فإن سلسلة الأسانيد تختلف من صحيح إلى آخر.

(١٠) أو المُجَارَى في مسند أحمد.



ثني هذا الحديث من تفاصيل تحيل على المتخيل الذي كثر في أكاذيب القصص وأصحاب المغازي والتفسير^(١٢) مما يؤكد ما ذهب إليه أحمد بن حنبل من أن ثلاثة كتب لا أصول لها: "المغازي والملاحم والتفسير". والقصد منه لا صحة لمنطلقاتها، فقد سعى من له دراية بالأخبار والآثار من أهل الكتاب ولا سيما الذين أسلموا منهم إلى إفشاء ما عن لهم من تصوّر وتخيّل حول العوالم المحجوبة والمغيبوبة، ولا أدل على ذلك من المحاوراة مع الله وهي لم تخل من مساومة باردة إلى حدّ السدّاجة وكأنّ الله بدا غير ذي علم ولا دراية بحقائق الأمور.

وليس ذلك ببعيد عمّا روي عن إسحاق بن إبراهيم من أنّه قال: أخبرنا معاذ بن هشام، حدّثني أبي، عن قتادة، عن أبي المُوَكَّل النّاجي، عن أبي سعيد الخدريّ رحمته الله، عن رسول الله ﷺ، قال: "إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، حُبِسُوا

بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا نَقُّوا وَهَذَّبُوا أُذُنَ هُمْ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا^(١٣). وقد روي أن هذا الصراط يتكوّن من سبعة قناطر: قنطرة التّوحيد فقنطرة الصّلاة فالصّوم فالزّكاة فالحجّ فالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ثمّ قنطرة المظالم، وهي قناطر في شكل حواجز يُختبر من خلالها المارّ في الحصيصة المتبقّاة من كلّ ركن من هذه الأركان الشعائريّة والتّعبدية، وفي كلّ قنطرة إمّا إخفاق فسقوط في النّار وإمّا نجاة فمرور إلى القنطرة الموالية.

وبالالتفات إلى كتب التّفسير نلفي تعدّدا في مستويات الفهم للصّراط المستقيم منها ما ارتآه الزّخشي من أنّه يفيد طريق الحقّ وهو ملّة الإسلام وبدله صراط الذين أنعمت عليهم أي صراط

(١٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، حديث رقم ٢٤٤٠، ص ٥٠٤.

(١٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٢٢٧.



المسلمين على أبلغ وجه^(١٤).

وقد يشمل معنى الصراط المستقيم أكثر من معنى كتمثل هداية الله وتوفيقه إلى اعتباره مجسداً في شخوص بشرية تمثل أسوة حسنة لبقية المؤمنين. فالطبري، على سبيل المثال، يقول في معرض تفسيره للآية "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ": أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أنّ الصراط المستقيم، هو الطريق المستقيم: هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. والذي هو أولى بتأويل الآية عنده أن يكون معنياً به: وفّقنا للثبات على ما ارتضيناه، ووفّقنا له من أنعمت عليه من عبادك، من قول وعمل. وفي سرده لتفسير القرآن أورد الطبري ما روي عن عليّ بن أبي طالب عن النبي أنّه قال وذكر القرآن فقال: هو الصراط المستقيم. وعن ابن عباس أن الصراط المستقيم هو الإسلام وفي رواية

أخرى الطريق. وعن أبي العالية قال هو رسول الله وصاحبه من بعده أبو بكر وعمر^(١٥).

ولقد أشار محمد عجيبة إلى أنّ الأساطير "قد تهاجر أحيانا إلى فضاءات مكتوبة مختلفة منها كتب التفسير وكتب قصص الأنبياء فتكون منطلقاً لبناء المعنى وتوضيحه، وقد يكون ذلك التحوير في أحد شكلين اثنين: في شكل سردي أو في شكل حجاج فتقوم الأسطورة بـ "مسرحة" العقيدة، أحيانا وتجسيم قيم الخير والشر وغيرها في شكل محسوس يقربها من جمهورها من "العامة" أحيانا أخرى، وهذا بالذات ما فعله المفسرون والقصّاص أحيانا مع بعض الأساطير، فساعدوا بذلك على إقحام التراث الأسطوري في التّصورات والمعتقدات داخل مجتمع من المجتمعات وساهموا في إغناء تلك



(١٥) انظر الطبري، جامع البيان، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري ومحمد عادل محمد ومحمد عبد اللطيف خلف ومحمود مرسي عبد الحميد، دار السلام، ط. ٢، مصر، ٢٠٠٧، مج ١، ص ١٥٠-١٥٣.

(١٤) جاز الله الرّخشي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ١، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر، تونس، د. ت، ص ٢٠-٢١.

الحكايات بطبقات رمزيّة جديدة، وهو ما يمكن أن ننتبّه على سبيل المثال في "قصة بلوقيا"، ضمن قصص الأنبياء للثعلبي، وضمن ألف ليلة وليلة في "قصة حاسب كريم الدين" وهي حكاية يتنازعها فضاءان اثنان: فضاء المقدّس من جهة وفضاء الدنيوي من جهة أخرى. وهي قصة تمسح العقيدة مستعينة بأساطير عديدة منها أسطورة جليجامش وأسطورة الخليقة وغيرها^(١٦).

وفي تفسيره للآية ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [سورة مريم: ٧١] يذكر الطّبري الأخبار المروية عن الرّسول فيقول: "يوضع الصّراط بين ظهري جهنّم عليه حسك كحسك السّعدان ثمّ يستجيز النّاس، فجاج مسلّم ومجروح به، ثمّ ناج ومحتبس

(١٦) محمّد عجيّة، الأساطير وتحوّلاتها، الأساطير والأدب، مقال ضمن أعمال مهداة إلى الأستاذ عبد المجيد الشّرفي، وحدة البحث: في قراءة الخطاب الدّيني، كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة تونس، ط١، ٢٠١٤، ص١١٧.

ومكدّس فيها". ولا يجد الطّبري مناصا غير الاستشهاد بما أثر عن الرّسول من الأخبار والأحاديث فيسترسل في سردها مستمداً منها صدقيّة ما يذهب إليه من آراء تفسيريّة، يقول: عن أبي سعيد الخدري، أنّ الرّسول قال: "يؤتى بالجسر -يعني يوم القيامة- فيجعل بين ظهري جهنّم. قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟. قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلايب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد، يقال لها السّعدان، يمرّ عليها المؤمنون كالطّرف والبرق والريح، وكأجاويد الخيل والرّكاب، فجاج مسلّم ومخدوش مسلّم ومكدوس في جهنّم، ثمّ يمرّ آخر يسحب سحباً، فما أنتم بأشدّ مناشدة لي في الحقّ، قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار تبارك وتعالى إذا رأوهم قد نجوا وبقي إخوانهم"^(١٧).

(١٧) انظر الطّبري، جامع البيان، تحقيق أحمد عبد الرزّاق البكري ومحمّد عادل محمّد ومحمّد عبد اللّطيف خلف ومحمود مرسي عبد الحميد، مج ٧، دار السّلام، ط. ٢، مصر، ٢٠٠٧، ص٥٥٢٩.



﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ٥١] أن الصراط المستقيم هو الذي قد حمل قومه عليه وجاءهم به (٢٠). والصراط هو الطريق الواضح والمحجّة المستقيمة غير المعوجة من اتّبعه يهdy إلى رضا الله وإلى النّجاة من عذاب الله والفوز بجنته (٢١). وهو الطريق الذي لا اعوجاج فيه، وهو دين الله القويم الذي اختاره لعباده وشرعه لهم، وهو الإسلام الذي يهديهم لإصابة فضل الله الذي تفضّل به على أوليائه ويسدّدهم لسلوك منهج من أنعم عليه من أهل طاعته، ولاقتفاء آثارهم (٢٢)، وهذا الفهم يستند

(٢٠) انظر الطّبري، جامع البيان، مج ٣، ص ١٨٠٠.

(٢١) انظر الطّبري، جامع البيان، مج ٣، ص ١٨٩٩.

(٢٢) انظر الطّبري، جامع البيان، مج ٣، ص ٢٤٠٥ و مج ٤، ص ٢٦٥٢ وص ٢٧٩٣ وص ٣٢٥٣ وص ٣٣٤٢ وص ٣٤٠١ وص ٣٤٢٦ ومج ٧، ص ٥٨١٧ وص ٥٩٤٧ وص ٦٠٧٦، ومج ٨، ص ٦٧٢٠ وص ٦٨١٤ وص ٦٨٥٢.

وفي معرض تفسيره للآية ﴿ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة البقرة: ١٤٢] يفسّر الطّبري الصّراط المستقيم بالتوجّه شطر المسجد الحرام لقلبة إبراهيم، وقد أضلّ الله اليهود والمنافقين وجماعة الشّرك بالله (١٨).

وفي الآية ﴿ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣] يقول الطّبري: "فكانت هداية الله - جلّ ثناؤه - الذين آمنوا بمحمّد وبما جاء به لما اختلف هؤلاء الأحزاب من بني إسرائيل الذين أوتوا الكتاب فيه من الحقّ بإذنه أن وفّقهم لإصابة ما كان عليه الحقّ من كان قبل المختلفين الذين وصف الله صفتهم في هذه الآية إذ كانوا أمة واحدة. وذلك هو دين إبراهيم الحنيف المسلم خليل الرّحمان، فصاروا بذلك أمة وسطا، كما وصفهم به ربّهم ليكونوا شهداء على النّاس (١٩).

وقد جاء على لسان عيسى في الآية:

(١٨) تفسير الطّبري، جامع البيان، مج ١، ص ٧٤٤.

(١٩) تفسير الطّبري، جامع البيان، مج ٢، ص ١١٣٦.



إلى منطوق الآية ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ

صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٦]

وإن تعلق الخطاب فيها بقوم شعيب^(٢٣)

حيث تعلق المعنى بالبعد المادي في

الصُّراط. وأمّا في تفسيره للآية: ﴿قَالَ

فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الأعراف: ١٦] فيورد الطُّبري

رواية سبرة بن الفاكه أن سمع النبي

يقول: "إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعْدَ لَابْنِ آدَمَ

بِأُطْرُقَةٍ، فَقَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ:

أَتَسْلَمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ؟. فعصاه

فأسلم، ثمَّ قَعْدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ، فَقَالَ:

أَتَهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مِثْلُ

الْمُهَاجِرِ كَالْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ؟. فعصاه

وهاجر. ثمَّ قَعْدَ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، وَهُوَ

جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ، فَقَالَ: أَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ

فَتُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ وَيُقَسِّمُ الْمَالَ؟. فعصاه

وجاهد. "وقد أورد الطُّبري عن عون

بن عبد الله في تفسير الآية قال: "طريق

مكة". ولم يكتفِ الطُّبري بإيراد رواية

عون وإنما علّق عليها و نقدّها معتبرا أنّ

(٢٣) انظر الطُّبري، جامع البيان، مج ٥،

ص ٣٥٧٠.

الصُّراط في روايته وإن كان من صراط

الله المستقيم فإنّه ليس الصُّراط كلّهُ،

وإنّما أخبر عدوّ الله أنّه يقعد لهم صراط

الله المستقيم ولم يخصّص منه شيئا دون

شيء معتبرا أنّ ذلك فهم أشبه بظاهر

التنزيل وأولى بالتأويل، لأن الخبيث لا

يألو عباد الله الصّد عن كلّ ما كان لهم

قربة إلى الله، معلنا بذلك أنّه يلتقي بآراء

أهل التّأويل، كمجاهد وابن عبّاس

وقتادة، الذين ذهبوا إلى أنّ الصُّراط هو

سبيل الحقّ^(٢٤).

وأمّا بالنسبة إلى الطُّباطبائي في

تفسيره الميزان فإنّه يتوسّع في التّأويل

ليطال عليّ بن أبي طالب ليضحى

مفهوم الصراط المستقيم متعلقا بما

يذكر من اننا نقرأ في كل يوم عشر

مرات على الأقل في سورة الفاتحة اهدنا

(٢٤) انظر الطُّبري، جامع البيان، مج ٥،

ص ٣٤٥٦ - ٣٤٥٧ ومج ٦، ص ٤٣٥٩

وص ٤٨٩٦ وص ٥٠٦٨. ومج ٧،

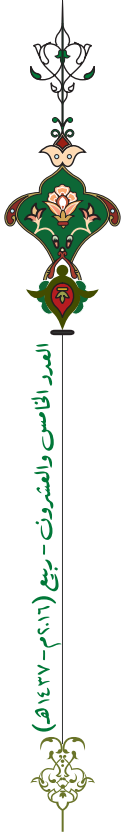
ص ٥٤٩٨ وص ٥٦٦٥، وص ٥٩٤٨،

ومج ٨، ص ٦٨٥٥، وص ٦٨٨٠

وص ٦٩٢٨، وص ٦٩٨٥، ومج ٩،

ص ٧٢٦٠، وص ٧٢٩٤، وص ٧٣١٢،

وص ٧٤٧١، ومج ١٠، ص ٨١٢٥.



أركان توحيده ونحن موضع سرهوعن ابن شهر آشوب عن تفسير وكيع بن الجراح عن الثوري عن السدي عن أسباط و مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال: قولوا معاشر العباد ارشدنا الى حب محمد ﷺ وأهل بيته (٢٥) ﷺ. وفي هذا المجال يُعلّق أحمد مصطفى يعقوب بأنّ الاختلاف دبّ بين المسلمين فيما يتعلّق بالإمامة، وإذ كان الحقّ مع عليّ فإنّ الصّراط المستقيم هو ما سلكه عليّ فهو ما الحقّ والحقّ معه وأنّ ولاية عليّ هي الصّراط المستقيم (٢٦).

وقد ذهب ابن قيّم الجوزيّة إلى أنّ الله على صراط مستقيم (٢٧) ومعناه أنّ

(٢٥) محمد حسين الطّباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، لبنان، ١٩٩٧، ج١، ص٣٢-٤٥.

(٢٦) أحمد مصطفى يعقوب، ما معنى الصّراط المستقيم، alkolainy. blogspot. com /٢٠١٥ /٠٦ /blog -post٤٤.html.

(٢٧) تنصّ الآية ٥٦ من سورة هود ١١ على ما يلي: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ

الصراط المستقيم، لكن هلاًّ تساءلنا ما هو الصراط المستقيم؟. أعتقد أننا لو تساءلنا وعرفنا المقصود لوجدنا أنفسنا خاشعين في الصلاة أكثر وأكثر، في الحقيقة أن للصراط المستقيم معاني كثيرة لكنها كلها نور على نور وكلها في نور واحد، فقد ذكر العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه في تفسير الميزان وفي الفقيه والعياشي عن الصادق (عليه السلام) قال: الصراط المستقيم أمير المؤمنين عوفي المعاني عن الصادق (عليه السلام) قال: هي الطريق إلى معرفة الله و هما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه في الآخرة فتردى في نار جهنموفي المعاني ايضا عن السجاد (عليه السلام) قال: ليس بين الله وبين حجته حجاب، ولا لله دون حجته ستر، نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن عتبة علمه ونحن تراجمه وحيه ونحن

أقواله كلّها صدق ورشد وعدل وهدى وأفعاله كلّها مصالح وحكم ورحمة وخير. والشر لا يدخل في أقوال من اتّبع الصّراط المستقيم وأفعاله، وأنّ الذين اتّبعوا الصّراط المستقيم يتّصفون بهذه الخصلة ويتحلّون بهذه الصفات (٢٨).

وليس هذا التّصوّر العليق بالصّراط المستقيم مقتصرًا على التّفكير السّني وإنّما هو شديد الشّبه بما يرتئيه أهل التّشيع.

وفي هذا الصّدّد لابدّ من التّنويه أولاً بحقيقة تتمثّل في أنّ الصّراط المستقيم صراطان: صراط في الدّنيا، وصراط في الآخرة تبعًا لما أشار إليه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) عن هذين الصّراطين: «.. فأما الصّراط المستقيم في الدنيا فهو ماقصّر عن الغلوّ، وارتفع عن التّقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. وأما الطّريق الآخر

دَابَّةٌ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٨﴾

(٢٨) ابن القيم الجوزيّة، مدارج السّالّكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتب العلميّة، ط ١، لبنان، د. ت، ص ٣١-٣٢.

فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة... الذي هو مستقيم». صراط الإنسان في الدّنيا سوف يتجلّى يوم القيامة جسراً ممدوداً على متن جهنّم. لابدّ للوصول إلى نعيم الجنان من المرور عليه. ومعنى هذا: أنّ الصّراط الأخرويّ هو امتداد لصراط الإنسان في حياته الأرضيّة، بل هو نفسه قد تجسّد ظاهراً للعيان في عالم الانكشاف الأخرويّ المين. وهو جسر تصفه الروايات بأنّه مظلم، يسعى النّاس عليه على قدر أنوارهم. ويصوّر حديث للإمام الصادق (عليه السلام) يتمثّل في أنّ مسير النّاس آنذاك على الصّراط: «هو أدقّ من الشّعرة، وأحدّ من السّيف فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق. ومنهم من يمرّ عليه مثل عدوّ الفرس. ومنهم من يمرّ عليه ماشياً. ومنهم من يمرّ عليه حَبَواً. ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً. فتأخذ النّار منه شيئاً، وتترك منه شيئاً». وهذا المرور منوط، سرعة وبُطء، بقدر نور المارّين، وتتفاوت سرعة المشي بتفاوت نور اليقين. وما من شكّ أنّ التّمسك بالحقّ

كتاب افستا الزرادشتي يُمثل الجسر فاصلا بين عالم الأحياء و عالم الأموات. وعبره يمرّ الجميع عند الوفاة. فإذا كان الشخص من الأشرار سيضيق عليه هذا الجسر ويخرج شيطان ليسحب روحه إلى مكان العقاب الأبدي وإذا كان الشخص من الأخيار سيتسع الجسر أمامه بما فيه الكفاية ليعبر هذا الشخص بكلّ سلام، وحسب الديانة الزرادشتية فإنّ الصالح من الناس سيخلد في الجنة إلى جانب النبيّ زرادشت في حين أنّ الشرير سيخلد في النار إلى جانب الشياطين (٣٠).

وأما في المسيحية فنلغي قول المسيح المتعلّق بنيل الجزاء إن خيرا أو شرا إذ يقول: "تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين"

(٣٠) إلياس ديلمي، الصراط حقيقة أم خرافة، مقال منشور في المجلة الالكترونية الحوار التمذّن، عدد ٤٧٧٩، بتاريخ ١٦ / ٠٤ / ٢٠١٥.

[http:// www. ahewar. org/ debat/ show. art. asp? aid](http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid)

=٤٦٤٠٢٦

والالتزام بالموقف التوحيدّي الراسخ بما يتطلّب من البراءة والرّفص لكلّ مُطاع من دون الله، أفكاراً أم أشخاصاً أم أعمالاً إنّما يشبه المشي في طريق ضيق شديد الضيق، حادّ بارز الحدة.. كأنّما هو نصلة سيف. وفي مناجاة النبيّ موسى عليه السلام: إلهي، ماجزاء من تلا حكمتك سرّاً وجهراً؟. قال: ياموسى، يمرّ على الصراط كالبرق (٢٩).

إنّ المتأمل في الموروث الديني لدى الشعوب القديمة يُلقي قصصا يطالع في ثناياها أفكارا متعلّقة بما يُعرف بالصراط المستقيم وهو ما يُدعم الرأى القائل: إنّ فكرة الصراط ليست تصوّرا خاصّا بالديانة الإسلامية أو اليهودية أو المسيحية وإنّما هو تصوّر ضارب في القدم فحسب الزرادشتية پل چينود CinvatPeretum-chinvat bridge الصراط (جسر) جهنم في

(٢٩) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، إيران، الكتاب الخامس، قصص الأنبياء، القسم الأوّل، ص ٥٢٠.



فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ
عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدِّينُونَةِ" (٣١).

وبعيدا عن التّصوّرات التي هي من
إنتاج المتدينين بمقتضى محاورة النصّ
وتفسيره وفق أرضيّة المفسّر المعرفيّة
والثقافيّة فإنّ العودة إلى القرآن الكريم
تفضي إلى اعتبار أنّ الصّراط المستقيم
يتمثّل في الفرقان وهي عبارة عن
وصايا عشر نزلت على موسى ثمّ محمّد
وهو عبارة عن جملة القيم المشكّلة
للمحرّمات في قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ

مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا
بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ
وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَقْلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ
كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ

(٣١) إنجيل يوحنا، الإصحاح ٥: ٢٨ - ٣٠.

وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذْكُرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ
هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [سورة
الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

وتبعا للقليل القرآني الوارد في
هذه الآيات يتجلّى بما لا يدعو إلى
الشكّ أمام الدّارس أنّ القرآن قد أمدّ
قارئه بمفاتيح الولوج إلى عوالمه فهما
وتفسيرا وتأويلا وهذه المفاتيح هي
ما يسمّيه بتفصيل الكتاب. فالآيات
صريحة العبارة مفصلة المعنى المراد
من الصّراط المستقيم. إنّهُ يتمثّل في
مجموعة قيم إنسانيّة لا يختلف في
مشروعيتها اثنان على اختلاف المذاهب
والاتّجاهات لأنّها لصيقة بالفطرة
والفطرة ثابتة لا تبدّل ولا تتحوّل.
فليس من المعقول أن يُستفتى شعب
من الشّعوب أو أن يمرّر إلى التّصويت
اقترح لإقرار التّوحيد أو مشروعية
طاعة الوالدين أو قتل النفس البريئة
أو إرساء العدل في الأرض بين النّاس.
إنّ رأس هذه القيم المُشار إليها هي

الصراط المستقيم من تعقيب الله عز وجل عليها بقوله ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ وقد تنبه الزمخشري في معرض تفسيره لهذه الآية أن قول الله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ معطوف على أن لا تشركوا باعتبار أن أن ناصبة للفعل حتى يكون المعنى في أتل عليكم نفيًا للإشراك واتل عليكم أن هذا صراطي مستقيم، فالصراط المستقيم علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ومعناه لأن صراطي مستقيم فاتبعوه فأن مفسرة لفعل التلاوة والأوامر والنواهي تقدم عنها فعل التحريم فعلم أن التحريم عائد على الأضداد المتمثلة في الإشراك وعقوق الوالدين ونكث عهد الله (٣٢).

وقد اهتدى محمد شحرور إلى هذه المعاني وأحسن تفسيرها في كتابه

(٣٢) جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ج ٢، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر، تونس، د. ت، ص ١٣٥.

فكرة التوحيد الإلهي الذي يدل الكون موضوعيًا على أنه صناعة دقيقة تشهد بربوبية الإله الحكيم القادر وأن الإحسان إلى الوالدين اعتراف لهما بالفضل الذي يتمثل في سبب الإيجاد إلى جانب التربية والرعاية وعدم القتل العمد وتجنب الفواحش الظاهرة والباطنة وأن لا يتفاقم الجشع ليتسبب في قتل الأبناء أو الاستيلاء على أموال اليتامى أو التضحية بالإحسان والقسط الواردين في الميزان. وكل ذلك في مصاف التكليف بما تتسع لها الطاقة البشرية ثم الصدق في القول ولا سيما في أداء الشهادة ولو كان ذلك ضد أهل القربى إذا كان القريب ظالما ومن القيم الخالدة أيضا الوفاء بعهد الله، وتجنب نكاح المحرمات كالأم والأخت والبنت وأكل الميتة ولحم الخنزير وشرب الدم السائل وكذلك أكل الربا وارتكاب الإثم والبغي بغير الحق وأن يقول الإنسان على الله ما لا يعلم. ولا أوضح ولا أدل على أن هذه القيم هي المشكلة لفكرة



"الكتاب والقرآن" (٣٣).

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا
رَّسُولًا ﴾ [سورة الإسراء: ٩٣].

ومع هذا فإنّ اللافِت هو كثرة الأحاديث المنسوبة إلى الرّسول والتي تدور حول تفاصيل الحساب والميزان والحشر ومن بين هذه التّفاصيل ما ذُكر عن الصّراط وقد رسم على أنّه جسر فلم يجانب كثيرا مما كان عليه في ثقافات سابقة منها الرّرادشيّة واليهوديّة والمسيحيّة ممّا يدلّ على أنّ البنية الدّهنيّة الدّينيّة على تشابه كبير قد يصل أحيانا إلى حد التّمائل.

إنّ المتأمل في جُلّ التّفاسير والكتب التي تنظر للفعل التّفسيّري تؤكّد أنّ أفضل طريقة لتفسير القرآن إنّما تكون بالقرآن والذي يعينه هذا الاتّجاه فليتمس توضيح الغامض من النصّ القرآني في الأحاديث وفي السّنّة إلّا أنّ هذا المطلب ظلّ كلاما نظريّا إذ يجد المطالع لكتب التّفسير استعانة منذ الوهلة الأولى بالدّلالة اللّغويّة أو لا ثمّ بما قيل حول الآية من أحاديث أو آثار للصّحابة أو التّابعين ولا سيما ما تعلّق

إنشغل الإنسان بمصيره وانشد بفكره إلى عالم ما بعد الموت فانتهى إلى إقامة تصوّرات للحساب والعقاب والثواب وللجنة والنار وذلك بحسب المنطلقات المختلفة إن كانت تمثّلات وتخييلات أو عقائد وردت في الكتب المقدّسة. ولم تكن الثّقافة الإسلاميّة بدعا من الثّقافات الأخرى، إذ اهتمّت بعالم الغيب اهتمامها بعلم الشّهادة أو أكثر انطلاقا من قياس الغائب على الشّاهد واستنطاقا للآيات والأحاديث النّبويّة العليقة بالمعاد وقضاياه. وإذ نشير إلى أنّها مجموع قضايا ذات صلة مباشرة بعالم الغيب فإنّ الرّسول قد صرّح في أكثر من مرّة أنّه إنسان لا يعلم الغيب وإنّما هو مجرّد مبلغ لוחي يتنزّل عليه. وقد كان القرآن شديد الوضوح والصّرامة في هذا الأمر إذ لا يعلم الغيب إلّا الله:

(٣٣) انظر محمد شحرور، الكتاب والقرآن، ص ٤٩١ وما بعدها (الفرقان أو الوصايا العشر).



وقد تصدّت هذه المقالة إلى أنموذج مفهومين من المفاهيم القرآنية المهمة التي أبان عنها القرآن في مواضع كثيرة وإذ لم ينتبه المفسّرون إليها فقد انساقوا وراء معاني جانبية ولا سيما إذا جاروا الأخبار والآثار وهي في الغالب حجاب يخفي على الأعين عين الصواب.

المصادر والمراجع

- ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتب العلمية، ط ١، لبنان، د.ت.
- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د.ت.
- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، شرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط ١، ١٩٩٥.
- جار الله الزّخشي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج ٢، مكتبة مصر، دار سحنون للنشر، تونس، د.ت.
- صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، طبعة جديدة،

بأسباب النزول من مرويات وأخبار. وهكذا تكشف طريقة التفسير التقليديّة بقصد أو بغير قصد عن عدم كفاية الآيات في بيان دلالة الآيات الأخرى وهي إساءة بادية في عدم اعتبار النصّ القرآني بناء متكامل الأجزاء. وقد زاد هذا تصوّر عمقا بعد أن ارتفع الشافعي بالسنة إلى مستوى الوحي المضاهي للوحي القرآني في المنزلّة، حتّى قيل إنّ القرآن به حاجة إلى السنة أكثر من احتياج السنة للقرآن. ومن ثمّ فوّت الوعي الدّيني على نفسه أبعادا ودلالات في غاية الأهميّة. ولا غرو في ذلك فالقداامي تحبطوا في اعتبار أنّ آيات المصحف محكمة كلّها مرّة أو هي متشابهة مرّة أخرى أو هي مزيج بين هذا وذاك. ولم يتفطنوا إلى نوع الآخر من الخطاب وهو تفصيل الكتاب الذي يحيل على توضيح الغامض من الآيات أو التي تبدو كذلك، فأضحى بذلك مفتاح البيان كامنا داخل النسيج النصّي المشكل للعوالم الدلاليّة التي يرسمها الخطاب القرآني.



- مكتبة الإيوان، مصر، ٢٠٠٣.
- صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة مرتبة، المكتب الجامعي، مصر، د.ت.
- الطبري، جامع البيان، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري ومحمد عادل محمد ومحمد عبد اللطيف خلف ومحمود مرسي عبد الحميد، دار السلام، ط٢، مصر، ٢٠٠٧.
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١، تحقيق هشام سمير البخاري، طبعة دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣.
- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق مؤسسة إحياء الكتب الإسلامية، إيران.
- أحمد مصطفى يعقوب، ما معنى الصراط المستقيم، alkolainy.blogspot.com.
- بوهندي مصطفى، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، دار الطليعة، ط١، تونس، ط١، ٢٠١٤.
- لبنان ٢٠٠٤.
- السباعي مصطفى، السنة مكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٩٨٢، دمشق.
- شحور محمد، الكتاب و القرآن.
- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦.
- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، لبنان، ١٩٩٧.
- محمد عجيبة، الأساطير وتحولاتها، الأساطير والأدب، مقال ضمن أعمال مهداة إلى الأستاذ عبد المجيد الشرفي، وحدة البحث: في قراءة الخطاب الديني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ط١، ٢٠١٤.

المراجع



النَّظَامُ الثَّنَائِيُّ الزَّوْجِيُّ فِي أَطْوَارِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ (رؤية قرآنية)

م. د. د. خولة مهدي شاكر الجراح
كلية الفقه - جامعة الكوفة

فحوى البحث

بحث تطبيقي يعرض لحقيقة (النظام الثنائي الزوجي) في الحياة وتطبيق هذا القانون على اهم عنصر في هذه الحياة وهو الانسان هذا القانون دفع السيدة الباحثة لان تطبقه على عرض القرآن الكريم الانسان من طور (التراب) الى طور (الانسان السوي) وقد قسمت البحث على مقدمة ومبحثين، تناولت في المبحث الاول: مفهوم النظام الثنائي الزوجي من خلال المعنى اللغوي والاصطلاحي لمفردات العنوان. اما المبحث الثاني فقد قامت الباحثة بتطبيق هذا النظام على خلق الانسان كما بسطها القرآن الكريم، وقسمت مطالبه بحسب مراحل تكوين الجنين. وختمت البحث بطرح النتائج وصلت اليها.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فإن الكون مبني على أساس مذهل من التوازن والاتزان، ولا يتحقق هذا التوازن والاتزان في التركيبة الخلقية للكون والكائنات إلا وفق مبدأ الزوجية، ففي صميم تركيبة كل ذرة من ذرات الوجود، وكل خلية من خلايا أحياءه نجد شقين متضادين متوازنين متساويين، متكاملين ومتنافرين، إنها سُنَّةُ إلهية أخرجتها يد العناية الربانية والحكمة الصمدانية في خزائن الجود وبثها في رحم هذا الوجود قاعدة أساسية وركيزة جوهرية، دونها لا تستقيم تركيبة ولا تتم بنية ولا يكتمل تكوين، دونها لا تكون مادة جماد موات، ولا مادة حية، دونها لا يتم تصميم حجر ولا شجر ولا نجم ولا حي من الأحياء.

المبحث الأول:

مفهوم النظام الثنائي الزوجي

١. النظام في اللغة والاصطلاح:
الانتظام في اللغة هو الاتساق^(١)، ونظم أصل يدل على تأليف الشيء وتكثيفه^(٢). ونظمت اللؤلؤ أي جمعته في السِّلْك، ونظم الأمر على المثل وكل شيء قرنه بآخر أو صَمَمَتْ بعضه إلى بعض فقد نَظَمْتَهُ ونظام كل أمر ملاكه. ويقال ليس لأمره نظام إذا لم تستقم طريقته^(٣).

وأما النظم في الاصطلاح: تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني، متناسقة الدلالات، على حسب ما يقتضيه العقل^(٤).

٢. الثنائي في اللغة والاصطلاح:

وأما لفظة ثني فقد وردت في اللغة:

(١) ظ: كتاب العين، الفراهيدي، ١٨ / ١٦٦.

(٢) ظ: معجم مقاييس اللغة، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، ٥ / ٤٤٣.

(٣) ظ: لسان العرب، أبْن منظور. ٦ / ١٩٦.

(٤) ظ: التعريفات، الجرجاني، ٢٤٢.

هو ضم واحدٍ إلى واحدٍ وثنيُّ الشيء
تشية: جعله أثين^(٥).

وأما لفظة الزوج لغة: هو خلاف
الفرد، وما ذكر عن ابن سيده: الزوج
الفرد الذي له قرين^(٦). ويقال لكل
واحد من القرينين من الذكر والأنثى في
الحيوانات المتزاوجة زوج.

والأشياء كلها مركبة من جوهر
وعرض، ومادة وصورة. وإن لاشيء
يتعدى من تركيب يقتضي كونه
مصنوعاً، وأنه لا بدّ له من صانع،
تنبيهاً أنه تعالى هو الفرد فيتبين أن كل
ما في العالم زوج من حيث أن له ضدّاً
أو مثلاً ما أو تركيباً ما^(٧). ومن حيث
أن له نقيضاً أو نظيراً ومثال النقيض:
الحلو والمر، والليل والنهار، والرطب
واليابس.

ومثال النظير: الشكلاان المتماثلان،
والصنفان المتماثلان، والشكلاان

(٥) ظ: كتاب العين، الفراهيدي، ٨ / ٢٤٢ /
٢٤٣.

(٦) ظ: لسان العرب، ابن منظور، ٦ / ١٠٧.

(٧) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب
الأصفهاني، ٣٨٤ - ٣٨٥.

المتماثلان والصنفان المتماثلان زوج^(٨).
بل لا ينفك بوجه من التركيب وإنما ذكر
زوجين تنبيهاً أن الشيء، وإن لم يكن له
ضد ولا مثل فإنه لا ينفك من تركيب
جوهر وعرض^(٩).

أما تعريف الزوجية اصطلاحاً:
فقد ورد أن الصنف يخالفه صنف
آخر سواء كانا صنفين لا ثالث لهما
أم لا نظير ما تأتي فيه التشية^(١٠).
فزوجية الزوج هي كونه مقتصرّاً في
تحقيقه وتشكله إلى تآلف وتركب قرينه
وشقه الثاني ولذلك يقال لكل واحد
من القرينين من حيث هما قرينان:
زوج لافتقاره إلى قرينه، وكذا يقال
لمجموع القرينين زوج لافتقاره في
تحقيقه زوجاً إلى التآلف والتركيب
فكون الأشياء أزواجاً مقارنة بعضها
بعضاً لإنتاج ثالث أو كونه مولداً من

(٨) ظ: معجم مقاييس اللغة، بن فارس بن
زكريا، ٣ / ٣٥.

(٩) ظ: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب
الأصفهاني، ٣٤٨ - ٣٨٥.

(١٠) ظ: الميزان في تفسير القرآن،
الطباطبائي، ١١ / ٢٩١.

تألف أثنين^(١١).

محالة في حق الخلق وغير جائزة إلا له تعالى^(١٦). وقانون الزوجية العام: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس: ٣٦].

لذلك فالزوجية تشمل الكائنات جميعاً من الإنسان والنبات والجماد والكائنات الروحية والأقدار والموازين والأشكال والنجوم والكواكب والمتقابلات المرئية المحسوسة والمتصورة^(١٧)، وغيرها مما لا يعلمه إلا الله.

والأزواج الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى. وقال بعض المحققين كل ما سوى الله فهو زوج كالفوق والتحت، واليمين واليسار، و القدم والخلف، والماضي والمستقبل، والذوات والصفات، والشتاء والصيف، والربيع

(١٦) ظ: الإعجاز القرآني في الكون والخلق والعلم، محمد الصادق بوعلاق، ٨٢.

(١٧) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد حسين علي الصغير، ١٧٨.

أي من صنفين كل منهما يزواج الآخر من جهة وإن خالفه من أخرى، و لا يتم نفع أحدهما إلا بالآخر من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الأضداد من الغنى والفقر، والحسن والقبح والحياة والموت^(١٢).

فالزوجان المتقابلان يتم أحدهما بالآخر: فاعل ومنفعل كالذكر والأنثى^(١٣) من حيث أن كل أثنين منهما زوج، والله تعالى فرد لا مثل له^(١٤).

والتزاوج هو جزء من القانون الكوني العام الذي يربط كل الكائنات بنظام وقانون الزوجية^(١٥). وهذه الزوجية سمة عامة صبغ الله تعالى كل مخلوقاته ليتفرد سبحانه وتعالى بالوترية التي لا تقبل الشفعية فتصير (الوترية)

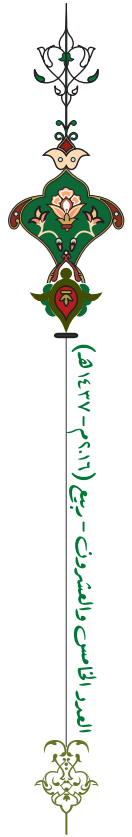
(١١) م. ن، ١٨ / ٩٠ - ٩١.

(١٢) ظ: تفسير السراج المنير، محمد الشربيني الخطيب، ١ / ٤٢٩.

(١٣) ظ: الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ١٨ / ٣٨٢.

(١٤) ظ: الكشف، الزمخشري، ٦ / ٢٢١.

(١٥) من فقه الجنس في قنواته المذهبية، د. احمد الوائلي، ٥٦.



والخريف، وكونها أزواجا يدل على كونها ممكنة الوجود في ذواتها محدثة مسبقة بالعدم فأما الحق سبحانه فهو الفرد المنزه عن الضد والند والمقابل والمعاضد، فلهذا قال سبحانه ﴿الَّذِي

خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ أي كل ما هو زوج فهو مخلوق فدلّ هذا على أن خالقها فرد مطلق منزّه عن الزوجية^(١٨).

والزوجية تكاد تكون قانونا علميا فنحن نجد الثنائية الزوجية في كل شيء، وإن عنصر الزوجية مبثوث في صميم الوجود بذراته ومجراته وأحياءه في الجهاد حيث لها خواص مغناطيسية وكهربائية^(١٩). من حيث وجود الشحنات الكهربائية السالبة والشحنات الكهربائية الموجبة فإذا نظرنا إلى الحيوان وجدنا الزوجية وإذا ارتقينا إلى النبات وجدنا الزوجية

(١٨) ظ: مفاتيح الغيب، الرازي، ٧/

٢٩٣.

(١٩) ظ: الزوجية والأزواج في القرآن الكريم، عفيفي محمود عفيفي، مجلة الأزهر، السنة الثالثة والسبعون، ٢/

٢١٢.

وحتى في الأحياء المختلة فنجد أعضاء ذكرية وأخرى أنثوية^(٢٠). وإذا ارتقينا إلى الأصناف وجدناها كلها أزواج فملائكة زوج، والإنس زوج، والجن زوج، وكل صنف من الطير زوج^(٢١). وكذلك نرى أن الزوجية تتحكم حتى في النجوم فهناك تزاوج ظاهري في النجوم، ومع كثرة النجوم في هذه السماء الواسعة غاية الوسع فان الفواصل بين النجوم فواصل هائلة وأبعاد شاسعة جداً، وإن اقرب نجم إلى شمسنا هذه يبعد عنها ٢٦ مليون ميل.

إذن يحق لنا أن نقول: ما افرغ هذه السماء وما اشد وحشة النجم الواحد في هذا الفراغ الهائل، ولكن شاء الله تعالى أن يجعل الأشياء كلها حتى النجوم مزدوجة تتحكم فيها الزوجية ليكون التفرد والوحدانية خاصاً به

(٢٠) ظ: علم السنن الإلهية في الإعجاز

القرآني في الكون والخلق والعلم، محمد

صادق بوعلاق، ٨١.

(٢١) ظ: الدر المنثور في تفسير المأثور، عبد

الرحمن السيوطي، ٧/ ٥٥.



التآلف الزوجي أي أنه تعالى أوجد بين الزوجين من الألفة والجاذبية، ما يكفل التقاء هذين العنصرين ليتم تشكيل ونشوء الأفراد الجديدة.

وإن لنظام الزوجية في الكائنات كافة فائدة وهي حفظ النوع وضمان استمراره على امتداد الأزمنة التي يقدر للحياة أن يعيشها.

وفي ظل هذه اللمسات القصيرة العبارة، الهائلة المدى، في أجواء السماء وفي أماد الأرض، وفي أعماق الخلائق، يهتف بالبشر ليفروا إلى خالق السماء والأرض والخلائق، متجربين من كل ما يثقل أرواحهم ويقيدها... موحدين الله الذي خلق هذا الكون وحده بلا شريك.

المبحث الثاني:

النظام الثنائي الزوجي في الإنسان:

إن عظمة مفهوم آيات الله تجلت اليوم أكثر من ذي قبل نتيجة للتقدم الكبير في علم الأجنة فهذا الجنين يبدأ بخليه لا شكل لها ولا هيكل ولا أعضاء ولا أجهزه ولكنها تتخذ أشكالا مختلفة

تعالى، فإذا نظرت إلى السماء بالمنظار لرأيت نقطتين مضيئتين مقتربتين في السماء أشد الاقتراب، واحدة زرقاء والأخرى برتقالية أو حمراء، إنهما نجمان يشد بعضهما بعضاً، ويدور أحدهما على الآخر، أي ينجذب أحدهما من قبل الآخر تحقيقاً للتزاوج، ولو وجهنا إليها المنظار لوجدنا أزواجاً من النجوم إنها ألوف ألوف إنها الثنائيات النجمية^(٢٢).

نتيجة المبحث:

بعد الاطلاع على مصادر اللغة العربية والمصادر العلمية.. استطاع البحث التوصل إلى مفهوم جامع عام للموضوع، فالنظام الثنائي الزوجي: هو قانون الهي متناسق في الانتظام والدقة قائم على أساس التقابل الثنائي الزوجي بين الفردين أي (الفرد الذي له قرين) مثل الذكر والأنثى والمتقابلات المرئية المحسوسة والمتصورة حيث أن الله تعالى خلق بين هذه الأزواج نفحة خاصة وهي

(٢٢) المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، محمد حسين علي الصغير، ١٨٠.



كل يوم وهي في الرحم وكأن فريقا من الرسامين الماهرين يحيطون بها ويشغلون عليها^(٢٣).

وقد رصدت كل آية منها زاوية معينة من هذا الخلق لذلك سيوردها البحث كلها كي تصبح الرؤية واضحة في تصوير النظام الثنائي الزوجي في الإنسان بوصفه يتكون من نظام ثنائي التكوين وهو النطفة والبيضة، وهذه المراحل هي:

١. مرحلة التراب:

تحدث القرآن الكريم عن التراب في قوله تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ [سورة الروم: ٢٠]، ويستفاد من الآية المتقدمة بأن خلق الإنسان كان في بدايته من التراب، إذن التراب هو المادة الأولية^(٢٤). وهو أصل آدم عليه السلام أول البشر^(٢٥). وقد

(٢٣) تفسير الأمل، مكارم الشيرازي، ٢/ ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢٤) ظ: الإنسان من التراب الى التراب، نعمة الله الصالح، ٢٧ - ٢٩.

(٢٥) ظ: م. ن + مجمع البيان، الطبري، ٨/ ٨٩.

أثبت الطب الحديث أن جسم الإنسان يحوي من العناصر ما تحتويه الأرض فهو يتكون من الكربون، والاكسجين، والايروجين، والكبريت. والكثير من العناصر في حين إن التراب يتكون من نفس هذه العناصر التي يتكون منها جسم الإنسان^(٢٦).

٢. مرحلة النطفة:

تلت مرحلة التراب مرحلة النطفة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٢].

وان النطفة تعني الماء القليل والصابي الذي يطلق على ماء الرجل.

عندما يتغذى الإنسان على الماء والغذاء يقوم الدم بدوره بامتصاص الغذاء، ثم يصفى الدم ويرشح في الرئة وفي الكلى، ومن خلاصة الدم تكون طاقه الإنسان^(٢٧). ومنه تكون النطفة التي يخلق منها الإنسان، وتتكون النطفة

(٢٦) ظ: الإعجاز العلمي في القرآن، حميد النجدي، ٢٠٦.

(٢٧) ظ: تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ٨٥ / ١.

الترقوة والشدوة^(٣١).

إذن من هذه المعاني نلاحظ أنه تعالى يخلق الإنسان من هذه النطفة التي يعبر عنها المفسرون بأنها شيء بسيط وحقير إلا أنه بدون هذه النطفة لا يمكن أن يتكون الإنسان فهي الأساس في خلقه.

والإعجاز هنا يكمن في حقيقة خلق الإنسان من نطفه واحدة، وإن هذه النطفة بحساب الحروف الأبجدية تساوي (٢٣) ومن الجدير بالذكر إن نطفة الإنسان تحتوي على (٢٣) كروموسوم وهذه حكمة إلهية عظيمة، وإذا اتحدت هذه النطفة مع البيضة أصبح العدد (٤٦) كروموسوم، وهي كروموسومات الإنسان الكاملة^(٣٢) فسبحان الخالق المصور الذي خلق الإنسان من نظام ثنائي التكوين وهو النطفة والبيضة.

والكروموسومات في طياتها هي

(٣١) ظ: ذكر أعضاء الإنسان، محمد بن حبيب البغدادي، ٥٥.

(٣٢) ظ: الموسوعة القرآنية، صلاح الكاظمي، ٢٤٦.

من رأس وعنق وذيل طويل يساعدها على الحركة للوصول إلى البويضة وأن هذه النطفة تصب وتراق في رحم الأنثى. وهذه المرحلة هي المرحلة الثانية التي يمر بها الإنسان في مراحل خلقه وهي مرحلة النطفة والتي خلق الله تعالى منها الزوجين الذكر والأنثى^(٢٨).

فعند اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ينتج ما يطلق عليه بالنطفة الأمشاج^(٢٩). ويبين الله تعالى موضوع خروج ذلك الماء كما في قوله تعالى ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۚ﴾ [سورة الطارق: ٥ - ٧].

فإنه يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة^(٣٠)، في حين إن الصلب يعني كل شيء من الظهر فيه فقار، والترائب تعني عظام الصدر ومايين

(٢٨) ظ: بحر العلوم، السمرقندي، ٤/٢١٥.

(٢٩) ظ: النكت والعيون، الماوردي، ٤/٣٦٠.

(٣٠) ظ: لباب التأويل في معالم التنزيل، الخازن، ٦/٢٤٩.



في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ﴾ [سورة الحج: ٥].

يذكر سبحانه و تعالى إن الإنسان بعد ما كان نطفة تراق في الرحم أصبح علقه أي قطعه من الدم^(٣٥)، الجامد المنغرز في بطانة الرحم، حيث يصير الماء السائل (النطفة) دما جامدا^(٣٦) بان تحل هذه النطفة البيضاء إلى علقه حمراء^(٣٧)، فتغير بالكثافة وتبدل اللون من عوامل أودعها الله إليه في الرحم.

ويبدأ هذا الطور في اليوم السادس من بدء الحمل وينتهي في الأسبوع الثالث منه^(٣٨)، وبذلك فان العلقه تبدأ من اليوم السادس وتلتصق في

المسئولة عن تحديد الجنس الإنساني وتحديد صفاته الوراثية وكذلك صفاته الجسمية وملامحه الجسدية وما إلى ذلك. وقد اكتشف العلم الحديث ان المئات من الحيوانات المنوية التي تنجح في الوصول إلى البويضة من بين أكثر من مائة مليون حيوان منوي، تظل تدور مع البويضة وحولها في حركه دائرية عكس عقارب الساعة حتى يستطيع أقواها أن يخترق البويضة^(٣٣)، فعندما تلقح البويضة وتصبح بويضة ملقحه تبدأ في انقسامات متعددة وتعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام والانشقاق. وتتحول حينئذ إلى المرحلة التي تليها وهي العلقه^(٣٤).

٣. مرحلة العلقه:

لقد أشارت الآيات الكريمة الى الطور الثالث الذي يمر به الإنسان خلال أطوار خلقه وهو طور العلقه

(٣٣) ظ: العلاج الجيني ومستقبل الطب في القرن القادم، عبد الهادي مصباح، ١٩.

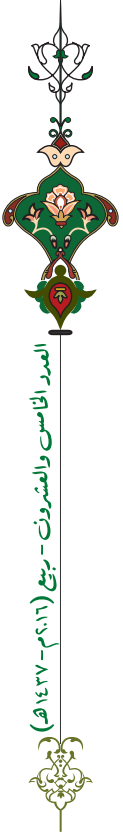
(٣٤) خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ٣٦٧.

(٣٥) ظ: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، ٤٩٢/٣.

(٣٦) ظ: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩/ ٣٤٠.

(٣٧) ظ: تفسير ابن مسعود، أبو السعود، ٤/ ٤٩٠.

(٣٨) ظ: من علم الطب القرآني، عدنان شريف، ٥١.



بالرغم من صغر حجمها^(٤٤).
وفي نهاية هذه المرحلة يبدأ ظهور
أول كتلة بدنية في اليوم العشرين أو
الحادي والعشرين منذ التلقيح. وعندئذ
تكون العلقة قد تحولت إلى مضغة^(٤٥).

٤. مرحلة المضغة:

أشارت الآية الكريمة إلى طور
مهم من أطوار خلق الإنسان وهو
طور المضغة وقد تجلّى ذكر المضغة في
قوله تعالى ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾
﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا﴾ [سورة
المؤمنون: ١٤].

يقول أبو السعود في تفسيره إن
المضغة عبارة عن قطعه لحم لا استبانة
ولا تمايز فيها^(٤٦). وإن قطعة اللحم
الحمراء هذه فيها عروق خضر مشبكية
ثم تصير إلى عظم^(٤٧).

(٤٤) ظ: الإعجاز العلمي في الإسلام - القرآن
الكريم -، محمد كامل عبد الصمد،
٢٠٦.

(٤٥) ظ: خلق الإنسان بين الطب والقران،
محمد علي البار، ٣٦٨ - ٣٦٩.

(٤٦) ظ: إرشاد العقل السليم الى مزايا
الكتاب الكريم، ابو سعود، ٤ / ٣٦٥.

(٤٧) ظ: نور الثقلين، الحويزي، ٣ / ٢٦٥.

جدار الرحم^(٣٩)، ومن إعجاز القران
العلمي تسميه هذا الكائن بالعلقه
فأنه وضع بديع لهذا الاسم إذ قد ثبت
في علم التشريح إن هذا الجزء الذي
استحالت إليه النطفة هو كائن له قوه
امتصاص القوه من دم الأم^(٤٠) من
المواد الغذائية وكل ما يحتاج من الماء
والفيتامينات^(٤١)، بسبب التصاقه في
عروق الرحم تدفع إليه قوه الدم^(٤٢).

والجنين في هذه المرحلة أشبه
بالعلقه التي تتعلق في أجسام الحيوانات
لامتصاص الدماء ويكون في هذه الحالة
محاطا بالماء^(٤٣). ومن هنا يتجلى سبب
تسمية القرآن الكريم لهذا الطور بالعلقه
وذلك بسبب شدة تعلقها بالرحم

(٣٩) ظ: القرآن والطب الحديث، عبد الرضا
علي، ٢٥٠.

(٤٠) ظ: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩/
٣٤٠.

(٤١) ظ: القرآن والطب الحديث، عبد الرضا
علي، ٢٥٠.

(٤٢) ظ: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٩/
٣٤٠.

(٤٣) ظ: الإعجاز العلمي في القرآن، عايد طه
ناصر، ١١٩.



وكذلك وصف المفسرون المضغة بأنها مقدار ما يمتنع من اللحم، ولكن مفهوم الآية الكريمة هو أن وصف المضغة ينطبق على مرحلة الكتلة البدنية إذ يبدو الجنين فيها وكأن أسناناً انغrust فيه ولاكته ثم قذفته (٤٨).

و تبدأ من الأسبوع الثالث من حياة الجنين حتى الأسبوع السابع، خلال هذه الفترة تظهر الكتل البدنية وعددها (٤٢ - ٤٥) زوجاً معطية وصف وشكل اللحم الممضوغ، ومن هنا سمي هذا الطور من حياة الجنين بالمضغة، وهي تسمية من خالق الجنين. وطول الجنين في هذه المرحلة لا يتجاوز (١) سم وهو يبدو تحت المجهر قطعه لحم ممضوغة وغضروف خامته فيما بعد سيكون لاحقاً العمود الفقري وبقية العظام (٤٩). وبشكل عام فإن الكتل البدنية هي الأساس الذي يقوم

(٤٨) الهندسة الوراثية في القرآن وأسرار الروح وخلق الإنسان، محمد محمود عبد الله، ٣٥.

(٤٩) ظ: علم الطب القرآني، عدنان شريف، ٥٤.

عليه الجهاز الهيكلي والعضلي ومنها يتكون (٥٠).

ويبدأ دور المضغة في الأسبوع الثالث للحمل وفيه تخلق العينين وتتمايز الخلايا وتظهر خلايا متخصصة كالعصبية والقلبية والدموية وغيرها (٥١). وبعد أن تنغرز في جدار الرحم يقوم هرمون بروجسترون بإفراز الجسم الأصفر وهو ضروري لعيش ونمو المضغة، وأي نقص في هذا الهرمون يؤدي إلى الإجهاض (٥٢).

إذن تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي يمر بها الإنسان وهو في أطوار خلقه، وبذلك تتفق الحقيقة العلمية مع الحقيقة القرآنية فهي صادرة من الخالق سبحانه وتعالى.

٥. مرحلة العظام:

وقد جاء ذكر العظام في قوله تعالى

(٥٠) ظ: معالم خلق الإنسان في القرآن الكريم، عبود راضي، ٥٥.

(٥١) ظ: علم الطب القرآني، عدنان شريف، ٥٥.

(٥٢) ظ: الموسوعة الطبية العربية، عبد الحسين بيرم، ٢٩٩ - ٣٠٠.

وعروقتها^(٥٦).

إذن من هذه اللحم الصغيرة يخلق الله تعالى إنساناً كاملاً بكل المواصفات، والعظام هي مرتكز الإنسان والشيء الأساس والمهم في جسم الإنسان. حيث تتكون العظام من طبقه خارجية تسمى بالسحاء في داخل هذه الطبقة توجد طبقة العظم الصلبة والمضغوطة التي تعطي صلابته وقوته وتحتوي على شبكه من ألاوعيه الدموية التي تقوم بنقل كريات الدم الحمراء المصنوعة داخل بعض العظام. أما الطبقة الأخيرة من مكونات العظم فهي طبقه العظم الرخوة الأسفنجية^(٥٧).

ففي الأسبوعين الخامس والسادس تبدأ المرحلة الغشائية، ويظهر النسيج السابق للعظام، وفي أواخر الأسبوع

(٥٦) ظ: تفسير القران العظيم، ابن كثير، ٥ /

٤٦٦.

(٥٧) ظ: مم يتكون العظم، موسوعة الملك عبدالله، شبكة المعلومات العالمية، [Http// www.sevvah.comlat](http://www.sevvah.comlat)

﴿ فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

تجلت عظمة الصانع سبحانه عند هذه المرحلة بتشكيل العظام للجنين على هيئته مخصوصة وإزالة صورة المضغة عنه واكتسابه صورة جديدة حيث يتخلق الهيكل العظمي.

أذن تسلسلنا في الآيات والأطوار حتى وصلنا إلى هذا الطور وهو طور العظام -والعظام هي الأشكال التي يتكون منها جسم الإنسان، فقطعة اللحم الصغيرة تحولت إلى عظام صلبة^(٥٣)، أي جعلها الله متصلبة لتكون عموداً للبدن على أشكال مخصوصة^(٥٤)، وهذه تصيير بحسب الوصف، وحقيقته إزالة الصورة الأولى عن المادة وإضافة صورة أخرى عليها^(٥٥) ويشكل الله تعالى منها رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها

(٥٣) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٤ / ٣٠٨.

(٥٤) ظ: الفتحة القدير، الشوكاني، ٣ / ٤٨٣.

(٥٥) ظ: روح المعاني، الألوسي، ١٠ / ٢١.



﴿فَكْسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ [سورة المؤمنون: ١٤].

اتفق المفسرون في تفسير هذه الآية وهي: بعد ما تكونت العظام يقول الله تعالى فأثبتنا اللحم على العظام كاللباس^(٦١) أي انه يستر العظم فيجعله كالكسوة لها^(٦٢) وان كل عظم من تلك العظام قد كساها بما يليق به من اللحم على مقدار لائق وهيأه مناسبة له^(٦٣) وفي هذه الآيات تتجلى القدرة الباهرة في تطوير السلالة الإنسانية حيث التدرج من البسيط إلى المركب ومن الصعب إلى الأصعب فهذه المواد الأولية في التركيب للكيان الإنساني: تراب، نطفة، علقه، مضغة، عظام، لحم. تكون جسيما ما^(٦٤).

السادس تأتي المرحلة الغضروفية ثم تظهر في الأسبوع السابع مراكز تمعظم في أقواس الفقرات وتبدأ الأضلاع عندئذ تظهر^(٥٨) وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنية الكريمة حيث يتحول من المضغة التي تحمل غضاريفاً إلى عظام لتشكل الهيكل العظمي. ومع بداية الأسبوع السابع تعطي العظام شكلاً للجسم ويسمى الطور بالتمعظم^(٥٩) ويبلغ مجموع العظام في الجسم ٢٤٨ عظمة يستثنى من ذلك سلاميات الأصابع في التشريح، أي إنها مائتان وثمانية وأربعون عظمة غير السلاميات^(٦٠).

ثم يبدأ الجنين الطور الأخير من التخلق وهو طور كساء العظام باللحم.

٦. مرحلة اللحم.

تجلى ذكر هذه المرحلة بقوله تعالى:

(٥٨) ظ: الهندسة الوراثية في القران، محمد محمود عبدالله، ٤٠.

(٥٩) ظ: الإعجاز العلمي في القران، عايد طه ناصف، ١٢٣.

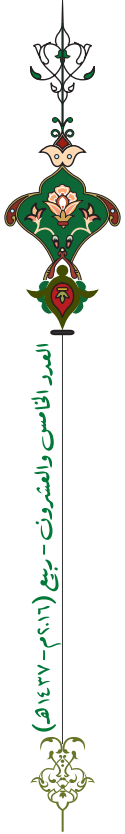
(٦٠) الهندسة الوراثية في القران، محمد محمود عبدالله، ٤١.

(٦١) ظ: مفاتيح الغيب، الرازي، ١١ / ١٧٠.

(٦٢) ظ: باب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٤ / ٤٤٦.

(٦٣) ظ: إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٤ / ٤٩٠. فتح القدير، الشوكاني، ٥ / ١٤٨.

(٦٤) ظ: نظرات معاصرة من القران الكريم، محمد حسين الصغير، ٩ / ٨.



الجنينية^(٦٦). وهذه المرحلة تعتبر مرحلة وضع الأسس لجميع الأعضاء، والأسس لجميع الأعضاء توضع في الفترة ما بين (الأسبوع الرابع والثامن) كما ذكرناها سابقاً. ولهذا تعتبر هذه الفترة هي الفترة الحرجة التي تكون فيها الجينات اشد ما تكون قابلية للتغير ولذا فإن تأثير الأدوية والعقاقير أو الأشعة أو الحميات مثل الحصبة الألمانية تكون في أوج تأثيرها على الجنين في هذه الفترة، ولذا ينبغي أن تجتنب الحامل التعرض لمثل هذه الأمور طول فترة الحمل بصورة عامة وفي هذه الفترة الحرجة على الخصوص^(٦٧).

ثم يبدأ الجنين بعد الأسبوع الثامن مرحلة أخرى مختلفة يسميها القرآن الكريم مرحلة النشأة خلقاً آخر. ولذلك يعتبر طور كساء العظام باللحم الحد الفاصل بين المرحلة

(٦٦) ظ: أطوار الجنين ونفخ الروح، عبد الجواد المصاوي، مجلة الإعجاز العلمي، العدد الثامن.

(٦٧) ظ: خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ٣٧٥-٣٧٦.

ومن طريف القول هو ما أثبتته علم الأجنة بأن الجنين عندما يطوي مرحلة كونه علقه ومضغة تتبدل كل خلاياه إلى خلايا عظمية ثم تغطيها العضلات واللحم بالتدرج وهذا هو ما جاءت به الآية السابقة بالدقة العلمية للقرآن الكريم، ذلك أنه لم يكن في ذلك الزمان ما يسمى بعلم الأجنة وعلى الخصوص محيط جزيرة العرب الذي لم يتوفر فيه الاطلاع عن أبسط المسائل العلمية^(٦٥) والكشف عن هذه المعلومات قبل أربعة عشر قرناً أي ما يقارب ١٤٠٠ سنة وفي عهد لم يكن مستوى العلم يسمح بالوصول إلى هذه الحقيقة يعد بلا شك معجزه إلهية ثابتة.

وبنهاية الأسبوع الثامن تنتهي مرحلة التخليق حيث تكون جميع الأجهزة الخارجية والداخلية قد تشكلت ولكن في صورة مصغرة ودقيقة، ومرحلة التخليق: هي المرحلة التي يسميها علماء الأجنة بـ (المرحلة

(٦٥) ظ: نفحات القرآن، مكارم الشيرازي، ١٦ / ٨.



الجينية والحمية (٦٨).

وفي هذه المرحلة يتحول القسم الباقي من الكتل البدنية والتي تحدثنا عنها في-مرحلة المضغة -إلى عضلات تكسو العمود الفقري وعظام الأطراف (٦٩).

((وهنا يقف الإنسان مدهوشاً أمام ما كشف عنه القرآن، من حقيقة في تكوين الجنين لم تعرف على وجه الدقة إلا أخيراً بعد تقدم علم الأجنة التشريحي، ذلك أن خلايا العظام غير خلايا اللحم، وقد ثبت أن خلايا العظام هي التي تتكون أولاً في الجنين، ولا تشاهد خلية واحدة من خلايا اللحم إلا بعد ظهور خلايا العظام، وتمازج الهيكل العظمي للجنين وهي الحقيقة التي يسجلها النص القرآني ﴿فَخَلَقْنَا

(٦٨) ظ: أطوار الجنين ونفخ الروح، عبد الجواد الصاوي، مجلة الإعجاز العلمي، العدد الثامن، [http:// www. eajaz. org / index. php / com-ponent](http://www.eajaz.org/index.php/com-ponent)

(٦٩) ظ: علم الطب القرآني، عدنان الشريف، ٥٩.

الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴿٦٨﴾

[سورة المؤمنون: ١٤] فسبحان العليم الخبير ((٧٠).

وبالمرحلة اللحمية يقترب الجسد الإنساني من الاكتمال صيانة ووقاية لأجهزة الجسم المختلفة واكتساءها للبنى التحتية وحفاظا لها وتغطيتها بحلة تلبسه ثوب التمام والبهاء والجمال وتحفظها من الصدمات والكدمات بصورة كبيرة وتفسح لها فرصة أداء وظائفها المختلفة بشكل سليم وتمنع عنها التلف بشكل يمكنها من أداء أعمالها (٧١).

٧. مرحلة التسوية والتعديل:

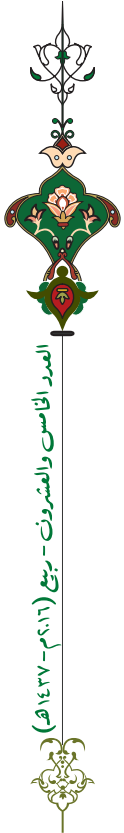
وقد تجلى ذكر هذه المرحلة في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [سورة الانفطار:

٦-٨].

تتحدث هذه الآية الكريمة عن

(٧٠) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤ / ٢٤٥٩.

(٧١) ظ: معالم خلق الإنسان في القرآن الكريم، عبود الراضي، ٥٨.



الإنساني للجنين بعد ما كانت الأطوار السابقة، من طور النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام إلى اللحم، أطوار خلق الإنسان وتجميع وتعديل في أعضاء الجنين.

وقد بين علم الأجنة المقارن أن مختلف الأجنة عند الفقريات تمر في مرحلة معينة من تطورها بأطوار لا يستطيع خلالها أي عالم أجنة أن يفرق بينهما وبين الجنين الإنساني في الشكل حتى الأسبوع السابع أو الثامن، حين يأخذ الجنين عند الإنسان شكله الإنساني الذي يميزه عن بقية أجنه الفقريات.

وهنا يكمن الإعجاز في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٤] أي أنشأناه في خلق يختلف فيه عن بقية المخلوقات (٧٥).

٨. نفخ الروح:

ويعبر القرآن الكريم عن هذه المرحلة بقوله تعالى ﴿وَنَسْفُكُوكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ

(٧٥) ظ: من علم الطب القرآني، عدنان الشريف، ٦٣.

مرحلة من مراحل خلق الإنسان ألا وهي التسوية والتعديل. إذ تعني التسوية: هو أن الله تعالى سوى من اليمين والرجلين والعينين ونحو ذلك. أما فعدلك أي عدله في المزاج على وجه يصح معه وجود الحياة. وأما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [سورة آل عمران: ٦] أي يجعلكم على صور في أرحام الأمهات من ذكر وأنثى، قصيرا وطويلا، واسود وابيض (٧٢)، وكذلك في التشابه بين الأقارب وما إلى ذلك (٧٣)، و جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم (٧٤). نستخلص من هذا أن التصوير والتعديل والتسوية تتم من الله تعالى من دون تدخل الأفراد في هذا الأمر.

وتبدأ هذه المرحلة منذ الأسبوع التاسع أي بداية الشهر الثالث حتى الولادة وفي هذه المدة يتم إعطاء الشكل

(٧٢) الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، الواحدي، ١ / ٧٨. معالم التنزيل، البغوي، ٦ / ٢.

(٧٣) المحرر الوجيز، المحاربي، ٢ / ٤١١.

(٧٤) ظ: الكشف، الزمخشري، ٧ / ٢٤٧.

الْعِلْمُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ [سورة الإسراء: ٨٥].

الروح تعني النفس، والروح سريان شيء لطيف في البدن والمباشر له الملك الموكل على الرحم، وهذا السريان لا يتم إلا بعد تكوين الجنين^(٧٦).

تحدث الآية الكريمة المتعلقة بهذه المرحلة عن نفخ الروح فعندما تكتمل مراحل خلق الإنسان ينفخ الله تعالى الروح فيه^(٧٧). وهي جسم لطيف جدا سرى في البدن كسريان ماء الورد في الورد وهي تتصف بالخروج والدخول^(٧٨).

وإن عبارة نفخ الروح في الآية الشريفة ﴿وَنَفَخْ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [سورة السجدة: ٩] فيها دلالة على حلول الروح في الجسم الإنساني^(٧٩).

إذن نخلص الى أن الروح هي

(٧٦) ظ: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ١٠٠ / ٥.

(٧٧) ظ: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم وسبع المثاني، الألوسي، ٤٩٦ / ١٥.

(٧٨) ظ: الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، ١٢ / ١٠٧.

(٧٩) ظ: تبين القرآن، محمد الحسيني الشيرازي، ٣ / ٧٥.

النفس الإنسانية. والروح، تلکم النسمة الربانية، لا يعلم حقيقتها إلا الخالق سبحانه، فهي السر الرباني منتهى علمها إلى خالقها ومنشئها، ومن العدم موجودها ومحيتها لا نملك إلا تعريفاً لوظيفتها فقط، فهي التي تدخل المادة فتكسيها الحركة بعد السكون، والحياة بعد الموت، وكفى بالإنسان فخراً أنه يحمل خاصية الروح، وهي نفخة الرب سبحانه.

والروح هي مرحلة التطور الأخير في خلق الإنسان، يبعث الحياة فيه بعد الموت، والحركة بعد السكون^(٨٠). وعند نفخ الروح تبدأ الحركة حيث تتم عملية اتصال الجهاز العصبي بالأجهزة والعضلات، وتشعر الحامل بحركة جنينها.

وفي هذه المرحلة يحدث فيها الله سبحانه وتعالى تحولاً مدهشاً في الجنين يمنح خلاله الحياة للجنين الميت، وأيضاً يكتسب القابلية على التكامل

(٨٠) ظ: الهندسة الوراثية في القرآن الكريم، محمد محمود عبد الله، ٤٨.



وقوة الفكر وقوة الخيال، فسبحان من
مثل الكون في داخل هذا الجرم الصغير.

فالإعجاز في الآيات الكريمة
المتقدمة يكمن في أن بدون نفخ الروح
من الله تعالى لا يتحول الجنين بينما يبقى
جماداً. فتبارك الله أحسن الخالقين الذي
جمع بين الروح وهي من العالم العلوي
وبين الجسم وهو من عالم التراب، ومن
هذا التدبير والخلق العجيب نفهم أن
هنالك قدرة إلهية عظيمة وصانعاً مدبراً
أبدع في خلقه، وإنها لمن أقوى الأدلة على
وحدانية الله سبحانه وتعالى.

ومن هذا التصميم والهندسة الدقيقة
في الخلقة نستخلص أن الخلق الإنساني
جاء من نظام ثنائي التكوين وهو
(النطفة والبيضة).

نتائج البحث:

استطاع البحث مما تقدّم أن
يستخلص عدة نتائج، هي:

1. أن كل شيء في الكون مخلوق على
أساس الثنائية الزوجية ابتداءً
بالدقائق الأولية وانتهاءً بالمجرات
والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ

وعلى تحمل المسؤولية باعتباره كائناً
أميناً^(٨١).

ومجمل القول أن عملية نفخ الروح
في الجنين قد أنشأته خلقاً آخر يتميز
بإنسانيته وصفاته التي هي من بعض
صفات الله سبحانه، وتمثل شيئاً من
فيوضاته وقبساته وألطفه بهذا المخلوق
فكانت فيه نفخة الروح والتي يلزمها
العلم والإرادة والتفكير والعدل
والرحمة.. وهذه الصفات والخواص
والسمات كانت مع نفخ الروح في
الإنسان، ولولا هذه النفخة لأصبح
مثله كمثّل الحيوانات الأخرى ليس
إلا. أما الذي جعله يمثل خلقاً آخر فهو
الإنشاء الجديد بعد التسوية والتعديل
ونفخة الروح^(٨٢)، فأصبح يمثل مخلوقاً
له القابلية على التكامل وعلى تحمل
المسؤولية من خلال القوى التي أودعها
الله سبحانه وتعالى فيه، وهي قوة العقل

(٨١) ظ: الإعجاز الطبي في القرآن، مريم
شمس، ٢٦٥-٢٦٦.

(٨٢) ظ: معالم خلق الإنسان في القرآن الكريم،
عبود الراضي، ٦٠-٦١.

شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾
 وقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ
 الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
 وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢﴾ فقد
 اقترنت الأولى بكل شيء والثانية بما
 لا تعلمون وهذا الاقتران يدل على
 الشمول، فكلمة شيء تشمل غير
 الأحياء أيضا وإن التعبير يقرر أن
 الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس
 الزوجية. أذن الزوجية تتجلى في كل
 شيء.

٢. الزوجية تتجلى حتى في الأمور التي
 لم يطلعنا الله سبحانه وتعالى عليها
 بدليل قوله ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣﴾
 أي ومما لم يطلعهم الله تعالى على
 خصوصياته لعدم قدرة البشر على
 الإحاطة بها وإنما أطلعهم بهذه
 الأمور بطريق الإجمال.

٣. أن الزوجية سمة عامة صبغ الله
 تعالى بها كل مخلوقاته ليتفرد سبحانه
 وتعالى بالوُثْرِيَّة التي لا تقبل
 الشفعية. فتصير (الوُثْرِيَّة) محالة في
 حق الخلق وغير جائزة إلا له تعالى.

٤. إن الزوجان المتقابلان يتمم أحدهما
 بالآخر فاعل ومنفعل كالذكر
 والأنثى ومطلق المتقابلات المرئية
 المحسوسة والمتصورة يتمم بعضها
 بعضاً في انسجام عجيب وتوافق
 غريب.

٥. أن الله سبحانه وتعالى اوجد بين
 الزوجين من الألفة والجاذبية ما
 يكفل التقاء هذين العنصرين ليتم
 تشكل ونشوء الاجيال الجديدة،
 إذن لنظام الزوجية بين المخلوقات
 فائدة وهي حفظ النوع وضمان
 استمراره على امتداد ألامنة التي
 يقدر للحياة أن يعيشها.

٦. لم تكتشف مراحل تكوين الجنين
 علميا إلا بعد التطور العلمي في
 علم الأجنة، بينما رصدت آيات
 القرآن الكريم زوايا هذا الخلق
 العجيب مصورة لنا عملية تكوين
 الكائن الحي (الإنسان) من خلال
 النظام الثنائي التكويني وهو النطفة
 والبيضة.

٧. إن الروح هي النفس الإنسانية التي

لا يعلم حقيقتها إلا الخالق سبحانه،
منتهى علمها إليه سبحانه، تدخل
المادة فتكسبها الحركة بعد السكون،
والحياة بعد الموت، فتصبح المادة
مخلوقاً له القابلية على التكامل وعلى
تحمل المسؤولية من خلال القوى
التي أودعها الله فيه، وهي قوة
العقل وقوة الفكر وقوة الخيال،
فسبحان من مثل الكون في داخل
هذا الجرم الصغير.

المصادر والمراجع

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.
١. الألوسي: أبو الفضل شهاب الدين
محمود البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) /
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم
و السبع المثاني، ضبطه و صححه:
علي عبد الباري عطية، دار الكتب
العلمية، بيروت - لبنان، ط ٢
(١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م).

٢. الأصفهاني: العلامة الراغب (ت
٤٢٥ هـ)، مفردات ألفاظ القرآن،
تحقيق صفوان عدنان داودي، الدار
الشامية، بيروت، ط ٤ (١٤٢٥ هـ)

١٣٨٣ هـ. ش).
٣. البغوي: الحسن بن مسعود (ت ٥٤ هـ) /
معالم التنزيل، تحقيق: محمد
عبد الله النمر و آخرون، دار طبية
للنشر و التوزيع، ط ٤ (١٤١٧ هـ) /
١٩٩٧ م).
٤. البضاوي: ناصر الدين بن عمر
الشيرازي (ت ٦٨٥ هـ) / أنوار
التنزيل و أسرار التأويل، القاهرة،
د. ت.

٥. الجرجاني: الشريف علي بن محمد /
التعريفات، ضبطه و صححه جماعة
من علماء باشراف الناشر، دار
الكتب العلمية، بيروت - لبنان،
ط ١ (١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م).

٦. الخويزي: عبد علي بن جمعة
العروسي / تفسير نور الثقلين،
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
بيروت - لبنان، ط ١ (١٤١٢ هـ) /
١٩٩١ م).

٧. الخازن: علي بن محمد بن إبراهيم
بن عمر الشحي / لباب التأويل في
معاني التنزيل، دار المحجة البيضاء،



- بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٩ هـ) / ١٣. الشربيني: شمس الدين محمد بن احمد / تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٥ هـ).
٨. الرازي: محمد بن فخر الدين بن ضياء الدين (ت ٦٠٤ هـ) / مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ٣ (١٤٠٥ هـ / ١٩٩٧ م).
٩. الزمخشري: أبي القاسم محمود بن عمر الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ)، الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل، حققه على نسخه و خطه عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م).
١٠. أبو السعود، تفسير ابن السعود، دار التونسية للنشر، ط ٢ (١٩٨٤ م).
١١. السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم / بحر العلوم، تحقيق د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، ط ٢ (٢٠٠٥ م).
١٢. السيوطي: عبد الرحمن / الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط ٢ (١٤١٤ هـ) / ١٩٩٣ م).
١٣. الشربيني: شمس الدين محمد بن احمد / تفسير السراج المنير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢٥ هـ).
١٤. الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ)، الفتح القدير الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، عالم الكتب، بيروت - لبنان، د. ت.
١٥. ابن عاشور: محمد طاهر بن محمد بن طاهر (ت ٣٩٣ هـ)، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، ط ٣ (١٩٨٤ هـ).
١٦. العماوي: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي (ت ٩٨٢ هـ) / أرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١ (١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م).
١٧. ابن فارس: أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) / معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد



- السلام محمد هارون، مكتب
الإعلام الإسلامي، قم - إيران، ط ١
(١٤٠٤ هـ، ١٩٧٥ م).
١٨. الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل
بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) / العين،
تحقيق د. مهدي خزوم و د. إبراهيم
السامرائي، ط ٢ (١٤٠٩ هـ /
١٩٨٠ م).
١٩. الكاشاني: محمد بن المرتضى الفيض
الكاشاني (ت ١٠٩ هـ) / تفسير
الصافي، منشورات الأعلمي
للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢
(١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م).
٢٠. ابن الكثير: أبو الفداء إسماعيل بن
عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت
٧٤٧ هـ) / تفسير القرآن العظيم،
راجعه و خرج أحاديثه أيمن
محمد نصر الدين و د. عبد الرحمن
الهاشمي، مؤسسة المختار للنشر
و التوزيع، القاهرة، (١٤٢٧ هـ /
٢٠٠٦ م).
٢١. الماوردي: علي بن محمد بن حبيب
البصري (ت ٤٥٠ هـ) / النكت و
- العيون، دار الكتب العلمية، ط ٢
(١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م).
٢٢. المحاربي: ابن عطية / المحرر الوجيز
في تفسير الكتاب العزيز، دار الفكر
العربي للطباعة و النشر، ط ١
(٢٠٠٢ م).
٢٣. ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل
محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري
الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ) /
لسان العرب، نسقه و علق عليه
و وضع فهارسه علي شيري، دار
إحياء التراث العربي للطباعة و
النشر و التوزيع، بيروت - لبنان،
ط ١ (١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م).
٢٤. النسفي: عبد الله بن أحمد بن
محمود / مدارك التنزيل و حقائق
التأويل، مدارك التنزيل و حقائق
التأويل، دار الكتب العلمية،
بيروت - لبنان، ط ١ (١٤٢١ هـ /
٢٠٠١ م).



الْقِلَّةُ وَالكَثْرَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

الاستاذ المتفرس الدكتور حازم سليمان الحلي

جامعة بابل - العراق

فحوى البحث

صرح القرآن الكريم بوصف القلة والكثرة من الناس، بان الكفة ترجح بتصنيف القلة ضمن مجموعة المجتمع الايجابي فقليل منهم مؤمنون وقليل منهم شاكرون، وقليل منهم عقلاء اولو ألباب واعية وهكذا...

اما الكثرة فهم بخلاف ذلك: كافرون، فاسقون، لا قلوب واعية لهم وهكذا.

وقد حصر البحث بالذكر والامثلة القرآنية والتاريخية كل فئة منهم، مشيراً الى ان انحياز الكثرة الكاثرة من (اصحاب الشمال) الى غيهم وكفرهم وفسوقهم سنة من سنن الخلق منذ ان وطئت قدم الانسان الارض الى يوم الناس هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يعطي الكثير بالقليل، ولا يشاركه في ملكه القليل ولا الكثير، وكثرة الصلاة وأتم السلام على رسوله الأمين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعلى عباده الذين اصطفى، وبعد.

ف عجيبٌ أمر هذا القرآن المحكم، الذي أذهل العقول وحير المفكرين بما اشتمل عليه من أسرارٍ وإعجازٍ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٢].

قال الذي أنزله سبحانه وتعالى ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١)، يصدق بعضه بعضاً، ويفسر بعضه بعضاً، ومما يدل على أنه من عند الله أنه لا اختلاف فيه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٢)

(١) من قوله تعالى من [سورة الأنعام: ٣٨] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلِيرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُنْثَى لَكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

(٢) من قوله تعالى من [سورة النساء: ٨٢]: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

وهو كتابٌ ظاهره أنيقٌ، وباطنه عميقٌ، لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبُه^(٣)، هو أحسن الحديث، وما جالسه أحدٌ إلا قام عنه بزيادةٍ في هدى، أو نقصانٍ من عمى^(٤).

أنزله الله نوراً لا تطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يدرك قعره، ومنهاجاً^(٥) لا يضل نهجه، وهو ينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، بحرٌ لا ينزفه المستنزفون، وعيونٌ لا ينضبها الماتحون^(٦)، ومناهل لا يغضبها الواردون، جعله الله علماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى^(٧).

نزل في زمانٍ القائل فيه بالحق قليلٌ، وجاء على غير ما يقيس البشر، فقد دأب الناس أن يأخذوا برأي الأثرية

(٣) نهج البلاغة: ٦١.

(٤) نهج البلاغة: ٢٥٢.

(٥) المنهاج: الطريق. لسان العرب - نهج: ٣٠٠ / ٤١.

(٦) الماتحون جمع ماتح، وهو المستقي الذي يجذب رشاء الدلو من البئر، والمتح جذب رشاء الدلو وانتزاعه، والماتح الذي يملأ الدلو من أسفل البئر.

(٧) نهج البلاغة: ٣١٥ - ٣١٦.

إذا أشكل عندهم الأمر، ولكن القرآن
نبه على أن الحق كان مع القلة في حين
اتبعت الكثرة طريق الضلال.

القلة:

لم تكن القلة دليلاً على الباطل،
فقد قال الإمام علي عليه السلام: (أيها الناس
لا تستوحشوا من طريق الهدى لقلة
أهله) (٨).

وقد مدح القرآن الكريم القلة
وأخبرنا أن الحق مع القلة الصفة من
عباد الله. وبعث الله سبحانه وتعالى
أنبياءه يدعون الناس إلى الخير والهدى
والتوحيد فاتبعهم القلة المستضعفون
وحاربتهم الكثرة الجاهلة. فقد بعث الله
سبحانه وتعالى نوحاً عليه السلام رسلاً إلى الخلق
فكذبوه، ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٩).

ويشير القرآن إلى القلة الناجين
منهم بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ

(٨) نهج البلاغة: ٣١٩.

(٩) من قوله تعالى من [سورة هود: ٤٠]:
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ
سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا
قَلِيلٌ﴾.

مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنَّهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَجْعَلْنَا مِنْهُمْ

ويخبرنا القرآن الكريم أن الله دعا

بني إسرائيل إلى عبادته وحده وطاعة

أوامره فقتلوا إلا قليلاً منهم: ﴿وَإِذْ

أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ

إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ

حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ

مُعْرِضُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣]،

وتخلف بنو إسرائيل عن الجهاد وتخلوا

عنه فوصفوا بالظالمين، إلا القلة منهم

الذين تصدوا له ونهضوا به وَابْنَانَا

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا

مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (١١)،

(١٠) من قوله تعالى من [سورة هود: ١١٦]

﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ

يَنَّهُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ

أَجْعَلْنَا مِنْهُمْ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا

أَتَرُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

(١١) من قوله تعالى من [سورة البقرة: ٢٤٦]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِ الْعِلَاءِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ

مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ آلِهِمْ أَيْتُ لَنَا مَلِكٌ
نُّقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ



وتغلب فئة قليلة صابرة فئة كثيرة
يَاذَنُ اللَّهُ: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ
غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

فقد جاءت قريش يوم بدرٍ
بعنجهيتها وجبروتها وطغيانها، بألف

أي: فبنقضهم ميثاقهم حقاً لعناهم،
زائدة تفيد التوكيد، ومثلها قوله تعالى:
﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْ تُفْلِحُوا﴾ [سورة
آل عمران: ١٥٩]، فبنقضهم ميثاقهم
حقاً ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طُبَيِّاتٍ أُحْضِرْنَ
[سورة النساء: ١٦٠]، وإنما وصفهم
بالقلة، لأنهم لم يصدقوا بجميع ما يجب
عليهم التصديق به، ويجوز أن يكون
الاستثناء من الذين نفي عنهم الإيمان،
فيكون المعنى: إلا عدداً قليلاً على أنه
سبحانه علم أن من يؤمن من جملتهم
جماعة قليلة، فاستثناهم من جملة من
أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون، وقوله تعالى:
﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾ متعلق بما قبله،
بقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَرَأَاكَ اللَّهُ جَهْرَةً
فَأَخَذْتَهُمُ الصَّعِقَةَ يُظْلِمُهُمْ﴾ [سورة
النساء: ١٥٣]، فالمعنى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ
الصَّعِقَةَ يُظْلِمُهُمْ﴾، وبنقضهم ميثاقهم
حقاً، وبكفرهم، وبكذا وكذا فالكلام
يتبع بعضه بعضاً. التبيان في تفسير
القرآن: ٣ / ٣٧٩ - ٣٨٠، و٣٨٧ ÷
٣٨٨، ومجمع البيان: ٣ / ١٩٣.

ولما تعرضوا للاختبار فشلوا فيه إلا
قليلاً منهم ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ
فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ
فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ (١٢).

وقال سبحانه وتعالى عنهم أيضاً:
﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بَيَّاتٍ
وَقَالِهِمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ
بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ (١٣).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ إِلَّا تَقْتُلُوا قَالُوا
وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ
عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ.

(١٢) من قوله تعالى من [سورة البقرة: ٢٤٩]
﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ
اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ
اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمْ
مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ
اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

(١٣) [سورة النساء: ١٥٥]، ﴿مَا﴾ في
قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ﴾



فارسٍ على ألف فرس^(١٤) فقابلتهم
القلة من المسلمين ثلاثمئة وثلاثة
عشر مقاتلا^(١٥) وليس معهم سوى
فرسٍ واحدٍ تحت الزبير بن العوام
فغلبت الفئة القليلة الفئة الطاغوتية
الكثيرة ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، فقتلو منهم
سبعين وأسرُوا سبعين^(١٦) وفر الباقون
غير معقبين في السابع عشر من رمضان
للسنة الثانية من الهجرة^(١٧).

فحقق العدد الأقل من المقاتلين
المؤمنين الصابرين الغلبة والانتصار على
العدد الذي يكثرهم عشرة أضعاف:
﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا
وَأَتْنَيْنَّ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١٨).

(١٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٢٧٥.

(١٥) السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٢٨١،

والسيرة النبوية لابن كثير: ٢ / ٤٦٥.

(١٦) السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٢٦٣،

والسيرة النبوية لابن كثير: ٢ / ٤٦٣.

(١٧) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٦.

(١٨) من قوله تعالى من [سورة الأنفال: ٦٥]

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
الْفِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا
وَأَتْنَيْنَّ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

قليلاً ما تشكرون:

أغدق الله سبحانه وتعالى على
عباده بالنعمة التي لا يجدونها عند
غيره وكان شكرهم قليلاً. قال تعالى:
﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة
الأعراف: ١٠]، ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمْ
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾
[سورة المؤمنون: ٧٨]، ﴿وَجَعَلَ
لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا
تَشْكُرُونَ﴾ [سورة السجدة: ٩].
ومحص الله عباده، فابتلاهم، وهو أعلم
بهم، ولكن ليقطع حجتهم، فوجد
أقلهم شاكرين قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ
عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(١٩).

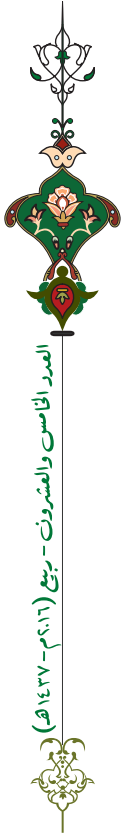
﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾^(٢٠)، فالمتخاذلون من

(١٩) من قوله تعالى من [سورة سبأ: ١٣]

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَبَبٍ وَمَتَشِيلٍ
وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ
دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾.

(٢٠) من قوله تعالى من [سورة ص: ٢٤]

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيمِكَ إِلَىٰ نَعِيمِهِ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الظَّالِمِ لِيَئِنِّي بِبَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا





• المصباح

القلة والكثرة في القرآن الكريم

يقاتلون معكم فهو سبحانه عارفٌ بأحوالهم لا يخفى عليه شيءٌ منها^(٢٢) يتخلفون عن جيش رسول الله ﷺ فيصفهم القرآن بأنهم لا يفقهون إلا قليلاً بقوله تعالى ﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الفتح: ١٥].

والذين يتبعون الحق قليلون، قال تعالى على لسان فرعون عن بني إسرائيل الذين اتبعوا موسى (على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام): ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٥٤]، و الشرذمة القليل من الناس والعصبة القليلة والشرذمة من كل شيء بقيته القليلة^(٢٣).

(٢٢) التبيان: ٨ / ٣٢٦، ومجمع البيان: ٨ / ١٠٧.

(٢٣) التبيان: ٨ / ٢٥، ومجمع البيان: ٧ / ٢٤٢، ولسان العرب: شرذم: ٧ / ٧٧، وتاج العروس - شرذم: ٣٢ / ٤٦٤.

المنافقين الذين يدعون أنهم مؤمنون، لا يوطنون أنفسهم عند اصطكاك الأُسنة، إذا حمي الوطيس بل يفرون من الزحف فيفضح القرآن الكريم موقفهم بقوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب: ١٨]، وهم الذين يعوقون عن القتال، ويشبطونهم عنه، فهم يدعون إخوانهم المنافقين إلى القعود عن الجهاد، ويشغلونهم لينصرفوا عنه^(٢١).

مثلهم مثل إخوانهم المنافقين الذين ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَكَوُونَ عَنْ آبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠]، وإن تكلفوا الحضور معكم يقاتلون رياءً فلا يحضرون إلا قليلاً بقدر ما يوهمون أنهم معكم، فلا

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿

(٢١) التبيان: ٨ / ٣٢٥، ومجمع البيان: ٨ / ١٠٧.

أما السابقون المقربون عند الله فإنهم ليسوا كثيرين بل هم أقل القليل إنهم ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿[سورة الواقعة: ١٣- ١٤]، والثلة الجماعة الكثيرة العدد (٢٤)، وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٦٦]، والمؤمنون هم القلة، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود: ٤٠].

والقلة هي التي لا تتبع الشيطان إذا اتبعه غيرها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢٥).

(٢٤) التبيان: ٩ / ٢٧٦، ومجمع البيان: ٩ / ٢٧٦، ولسان العرب: ثلث: ٢ / ١٢٣، وتاج العروس: - ثلث: ٢٨ / ١٦٣.

(٢٥) من قوله تعالى من [سورة النساء: ٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي

يبدو من خلال سياق الآيات التي سبقت هذه الآية والتي تحف بها أنها تتحدث -والله العالم- عن وقعة بدر الصغرى، وعن حال المسلمين من ضعفاء الإيذان الذين دس أبو سفيان بينهم من يشيع فيهم أن المشركين وفي طليعتهم أبو سفيان نفسه جهزوا لقتالهم جيشاً كبيراً قويا فليحذروا منه ليخيفهم ويضعفهم ويخذلهم عن الخروج مع النبي ﷺ، هذه الأراجيف التي ينشرها بين المسلمين المبعوثون من قبل المشركين لنشر الخوف بين المسلمين، فكان ضعفاء الإيذان من المؤمنين ينقلونها بعفوية من غير تدبر ولا تبصر، فتسبب الخوف والذعر بين الآخرين، فيسبب ذلك وهناً في عزيمة المؤمنين، غير أن الله سبحانه وتعالى وقاهم من اتباع شياطين الأنس هؤلاء، فقصر الوعد على بعض الأفراد المستجيبين منهم لأن الاستجابة فعلٌ ظاهري لا يلزمه التقوى والإحسان

الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا.

إذ لا يصبر على مرارة الحق إلا القليل، فالأجر العظيم ليس لعامتهم، وتكرر هذا المعنى في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤُوسَ لَهَا إِن كُنتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْكُمْ أُمَتِّعُكُمْ وَأُسْرِخُكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَلَئِنْ كُنتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلِلَّآخِرَةِ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٨ - ٢٩]، فما قال: أعد لكن، بل قال تعالى: ﴿أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنْكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾.

وهذا يشبه ما جاء في سورة آل عمران، من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ۖ﴾ (١٧٣) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۖ﴾ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فَفَضَّلَ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءُ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ ۖ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ۖ﴾ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۖ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٢ - ١٧٥] دلالة على

الذين عليها مدار الأجر العظيم، ومن هنا يتبين أن هؤلاء الجماعة ما كانوا خالصين لله في أمره بل كان فيهم من لم يكن محسنًا متقيا يستحق عظيم الأجر من الله سبحانه وتعالى، وهم الكثرة (٢٦)، وربما يقال إن (من) هنا في قوله تعالى (منهم) بياضية، كما هي في قوله تعالى: ﴿رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أُنْزِلَ السُّجُودُ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]، فهم كثرة وما كان كلهم مخلصين لله في أمره لذلك ما قال الله تعالى وعدهم الله أجرا عظيما بل قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۖ﴾ فلم يسلم من ذلك إلا النبي ﷺ وخاصته، وهم القلة،

(٢٦) هود: ينظر في: التبيان: ٣ / ٢٧٢، ومجمع البيان: ٣ / ١١٨ - ١١٩.



أن المؤمنين كانوا على خطر الضلال، ولا ضلال أخطر من مخالفتهم أوامر الرسول ﷺ، وقد أمره الله سبحانه وتعالى بالإعراض عنهم^(٢٧) وإلا يسميهم بأسمائهم، إبقاءً عليهم بستر أمورهم إلى أن يستقر أمر الإسلام^(٢٨)، فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾

[سورة النساء: ٨١] ولا دليل على أن المحكي عنهم من المنافقين^(٢٩)، كما ذكر بعضهم^(٣٠)، بل سياق الآيات على عكس ذلك، والآيات تشير إلى خروج

(٢٧) الميزان: ١٩ / ٥.

(٢٨) التبيان: ٣ / ٢٧٠، ومجمع البيان: ٣ /

١١٧.

(٢٩) الميزان: ١٩ / ٥.

(٣٠) ممن ذكر ذلك أبو سعيد الحسن بن يسار البصري (ت ١١٠) ومحمد بن مروان السدي (ت ١٢٧) والضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥). التبيان: ٣ / ٢٦٩، ومجمع البيان: ٣ / ١١٦، و سير أعلام النبلاء: ٤ / ٥٦٤ - ٥٧٦، و ٥٩٩، و ٥ / ٢٦٤ وغاية النهاية: ١ / ٢١٣، و ٣٠٦، و ٢ / ٢٢٩.

النبي ﷺ في من بقي من أصحابه بعد معركة أحدٍ دون قصة بدرٍ الصغرى، وهو مأمورٌ بالدفاع عن الإسلام ولو بقي وحده، بدلالة قوله تعالى: ﴿فَقَنِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [سورة النساء: ٨٤].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾. ظاهر الآية أن الإشارة إلى المرجفين الذين قالوا لهم ما قالوا، لنشر الرعب بينهم، وهذا من الموارد التي أطلق فيها القرآن الشيطان على الإنسان، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، أي

الناس الذين قالوا لكم ما قالوا، لأن ذلكم الشيطان، والقرح الذي تشير إليه الآيات هو ما أصاب المؤمنين يوم أحدٍ باستشهاد سبعين شهيداً من المؤمنين، منهم أربعة من المهاجرين وهم الحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ﷺ ومصعب بن عمير من بني عبد الدار، والشهاس بن

عثمان المخزومي، وعبد الله بن جحش الأسدي، والباقون من الأنصار رضي الله عنهم، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ^(٣١).

وقال تعالى: ﴿لَيْنَ أَخْرَتَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٣٢).

ووصف القرآن الكريم المنافقين بأنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً، وقليل منهم من لم يرتكب جرم الخيانة، وأنهم لا يأتون البأس إلا قليلاً فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ^(٣٣)، وأهل العلم قليلون، قال تعالى عن أقوال الناس عن عدد أهل الكهف: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ

رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٢٢]، والقلة هي التي تتجنب الخيانة رضي الله عنه ولا تزال تطلّع على خائنة منهم رضي الله عنهم إلا قليلاً منهم ^(٣٤)، وإذا حمي الوطيس أو برز بطل من الأبطال فالذين يشبتون ويوطنون أنفسهم لملاقاة الأبطال في البأساء هم القلة ويتقاعس غيرهم رضي الله عنهم ولا يأتون البأس إلا قليلاً ^(٣٥). ذلك لأنهم قليلاً ما يذكرون نعم ربهم عليهم، التي شملهم بها آناء الليل وأطراف النهار منذ نشأتهم وحتى آخر مطافهم في الحياة الدنيا.

(٣٤) من قوله تعالى من [سورة المائدة: ١٣]

﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ بَيِّنَتُهُمْ لَعْنَتُنَا وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(٣٥) من قوله تعالى من [سورة الأحزاب: ١٨]

﴿فَدَعَا اللَّهُ الْمَعْرُوفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٣١) الميزان: ٤ / ٦٥ - ٦٦، و ٥ / ١٩ - ٢٦.

(٣٢) من قوله تعالى من [سورة الإسراء: ٦٢]

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ لِأَخْتِنِكَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

(٣٣) من قوله تعالى من [سورة النساء: ١٤٢]

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.



قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة غافر: ٥٨]، بل الإنسان إلى الكفر بنعمة ربه أقرب وأميل، ويكون تذكره نعم ربه عليه قليلاً، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النمل: ٦٢].

ومن نعم الله على عباده إرسال الرسل إليهم يدعونهم إلى الهدى ومنهم نبينا محمد ﷺ نبي الرحمة ومن نعمه القرآن الذي أنزله عليه، وقال تعالى: لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣]، نعم إنهم قليلاً ما يتذكرون وقليلاً ما يؤمنون ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ (٤١) وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الحاقة: ٤١-٤٢] وقليلاً ما يشكرون ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الملك: ٢٣]

وذلك ناتج من قلة إيمانهم، الذي سببه قلة فهمهم ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٣٦)، ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ٤٦]، فما كانوا يسمعون ولا يعقلون فكانوا و من يولهم في القتال دبره ﴿وَمَا وَهُنَّ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٢]، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك: ١٠]، فقد انجلت الأمور، وأضاء الصبح لذي عينين، فأدركوا خطأهم ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ (٣٧).

الكثرة:

ما كانت الكثرة دائماً تدل على الحق، حيث نجد كثرة من الناس كافراً يقف بينهم نبي يدعوهم إلى الهدى فتتبعه (٣٦) من قوله تعالى من [سورة الفتح: ١٥]: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعَكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ قَلِيلًا قَلِيلًا﴾ (٣٧) من قوله تعالى من [سورة ص: ٣] ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحْنِمْهُمْ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

برسول الله ﷺ، وما فتح الله عليه من مكة جمعها مالك بن عوفٍ النصري فاجتمع إليه من هوازن وثقيف، واجتمعت نصر وجهيم كلها، وسعد بن بكرٍ وناسٌ قلةً من بني هلالٍ، ومن بني مالكٍ سبيعٌ وأحمر ابنا الحرث وأمر الناس كان إلى مالك بن عوفٍ النصري وهو يوم ذاك ابن ثلاثين سنة وهو سيد قومه فجمع عوائل المقاتلين وذرائهم وأنعامهم وجعلها خلف المقاتلين^(٤٠) على أمل أن يتحمسوا في قتال رسول الله ﷺ للدفاع عنها، وهو راي لم يرجحه دريد بن الصمة الذي كان في بني جشم وهو شيخٌ كبيرٌ انتفع المشركون من خبرته في الحروب لأن الهارب الخائف لا تمنعه أمواله ولا ذرائه من الهرب^(٤١) وهذا ما حصل فعلا فصارت بعد الحرب غنائم كثيرةً للمسلمين وفي بني جشم

قلة من الناس، ولذلك فإن أولياء الله لا يعدون كثرة الناس من حولهم مصدر قوة، ولا تفرقهم عنهم مصدر ضعف. هذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول (لا يزيدني كثرة الناس حولي عزةً، ولا تفرقهم عني وحشةً)^(٣٨)، فالكثرة لا تغني شيئاً قال تعالى: ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتَكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾^(٣٩)، وقال تعالى عن الكثرة: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾^(٤٥) ثم أنزل الله سبحانه على رسوله وعلى المؤمنين ﴿[سورة التوبة: ٢٥-٢٦] عندما حقق النبي ﷺ انتصاراً بفتح مكة في شهر رمضان من العام الثامن للهجرة، ولما سمعت هوازن

(٣٨) نهج البلاغة: ٤٠٩.

(٣٩) من قوله تعالى من [سورة الأنفال: ١٩] ﴿إِنْ تَسْتَفِينُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٤٠) السيرة النبوية لابن إسحاق: ٢ / ٥٤٨، والمغازي: ٣ / ٨٨٦-٨٨٨
(٤١) السيرة النبوية لابن إسحاق: ٢ / ٥٤٨-٥٤٩، والسيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ٧٠-٧١.



دريد بن الصمة وهو شيخ كبير انتفعو من خبرته في الحروب. فتوجه إليهم رسول الله ﷺ بجيشه الذي جاء معه لفتح مكة بعشرة آلاف مقاتل، ومعه الفان من مكة، فصار العدد اثني عشر ألفاً وعلى رواية جاء باثني عشر ألفاً والتحق به من مكة ألفان فصار عدد جيشه أربعة عشر ألفاً (٤٢) حتى قال ابو بكر «لن نغلب اليوم من قلة» (٤٣)، وانتهى رسول الله إلى وادي حنين لعشر خلون من شوال سنة ثمان للهجرة (٤٤)، فلما التقوا مع المشركين في وادي حنين بين مكة والطائف وثارت عليهم خيل المشركين لم يلبثوا، على كثرتهم حتى انكفؤوا منهزمين بأجمعهم، لا يقبل أحدٌ على أحد (٤٥).

وشوهد كبار الصحابة منهزمين،

(٤٢) السيرة النبوية لابن كثير: ٣ / ٦١٥.

(٤٣) المغازي: ٣ / ٨٩٠، وأنساب الأشراف:

١ / ٤٦٣، وزاد المسير: ٣ / ٤١٤، ودلائل

الصدق: ٦ / ٤٠٣، وفتح الباري شرح

صحيح البخاري: ٦٢٢ الحديث: ٤٠٦٠،

ونسبها إلى رجل لم يسمه.

(٤٤) المغازي: ٣ / ٨٩٢.

(٤٥) السيرة النبوية لابن كثير: ٣ / ٦١٥.

ففي صحيح البخاري: قال أبو قتادة: «انهزم المسلمون، وانهزمت معهم، فإذا عمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟»

قال: أمر الله!.

ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ (٤٦).

وقال أبو قتادة: «لما التقينا كانت للمسلمين جولة - إلى أن قال: فلحق عمر فقلت: ما بال الناس؟»

قال أمر الله!! ثم رجعوا (٤٧).

ونحوه في كتاب «الجهاد» من صحيح مسلم في باب «استحقاق القتال سلب المقتول» (٤٨).

وفي شرح صحيح البخاري: «لما فر الناس يوم حنين جعل النبي ﷺ يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فلم يبق معه إلا أربعة نفر: ثلاثة من

(٤٦) صحيح البخاري: ٥ / ٣١٢، الحديث

٣٢٣، ودلائل الصدق / ٦ / ٤٢٧.

(٤٧) صحيح البخاري: ٥ / ٣١٢، الحديث

٣٢٣، ودلائل الصدق / ٦ / ٤٢٧.

(٤٨) صحيح مسلم: ٥ / ١٤٨، ودلائل

الصدق / ٦ / ٤٢٧.



سيفه فيهم كالنار في الهشيم، فقتل منهم بسيفه، في ذلك الموقف أربعين من شجعانهم الذين تكالبوا على رسول الله ﷺ لمحاولة قتله (٥١).

وكان للمرأة المسلمة دورها في هذه المعركة، كما كان لها دورها في المواقف السابقة، فقد حضرت بيعة العقبة الثانية أم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية من بني النجار، وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي، إحدى نساء بني سلمة، وبايعن رسول الله تلك البيعة المشهودة في ذلك الظرف الحساس (٥٢)، وحضرت أم عمارة نسيبة المازنية معركة أحد، وكانت من الثابتين المدافعين عن رسول الله ﷺ فيها (٥٣)، لما

(٥١) الإرشاد: ١/ ٧٤، والاستيعاب: ٢/

٤٨٥، وموسوعة عبد الله بن عباس: ١/

١٢٣.

(٥٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٥٥ - ٥٦ وتاريخ الطبري: ٢/ ٣٦٠، ودلائل النبوة للأصفهاني: ٣٠٨، ودلائل النبوة للبيهقي: ٢/ ٤٤٣ - ٤٥٢، والسيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ١٧٩ - ١٨٠، و١٩٤ - ١٩٩، والبداية والنهاية: ٣/ ١٥٨.

(٥٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٣٤ - ٣٥.

بني هاشم ورجل من غيرهم: علي ﷺ والعباس بين يديه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بالعنان، وابن مسعود من الجانب الأيسر (٤٩).

وبقي رسول الله مع بني هاشم الذين ثبتوا معه، وهم تسعة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، بين يديه يذب عنه بسيفه، و العباس بن عبد المطلب عن يمينه والفضل بن العباس بن عبد المطلب عن يساره. وأبوسفيان بن الحارث ممسكٌ بسرج بغلته عند ثفرها (٥٠). ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، ومعتب بن أبي لهب ومعهم أيمن بن عبيد، بن أم أيمن، الذي استشهد في ذلك اليوم ﷺ كانوا من حوله ﷺ.

وكان علي ﷺ يضرب المشركين بسيفه، بين يدي رسول الله ﷺ فكان

(٤٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٦٢٤ الحديث: ٤٠٦١.

(٥٠) الثفر: ثفر الدابة بالتحريك: السير في مؤخرة السرج. لسان العرب - ثفر: ٢/ ١٠٦.



أصيب، وفي حنين كان للمرأة المسلمة دورها، حيث ثبتت الصحابييات يوم انهزم الصحابة بما فيهم الأرقام الكبيرة منهم .

وذم القرآن الكريم الكثرة ونعت أكثر الناس بأنهم لا يعقلون، ولا يسمعون نصحاً ولا يقبلون هداية، وعدم السمع هنا هو التوغل في الجهل فقال تعالى مستفهماً استفهماً إنكارياً ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اخْتَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعيم بل هم أضل سبيلاً [سورة الفرقان: ٤٣ - ٤٤].

ووصف القرآن الكافرين بافتراء الكذب، ونعت أكثرهم بالجهل، فقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٥٤﴾.

ووصف الجهلة بأن أكثرهم لا يعقلون، ولا يسمعون دعوة داعي الهدى،

(٥٤) من قوله تعالى [سورة المائدة: ١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَیْرَةٍ وَلَا سَآئِرَةٍ وَلَا وَصِيْلَةٍ وَلَا حَاجٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٥٤﴾.

فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [سورة الحجرات: ٤]، ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝٥٥﴾.

وقال تعالى: ﴿فَاعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهَمُّهُمُ لَا يَسْمَعُونَ ۝٥٦﴾ [سورة فصلت: ٤].

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٥٧﴾ [سورة العنكبوت: ٦٣]، ووصف أكثر الناس بأنهم لا يعلمون، فقال تعالى عن ساعة يوم القيامة ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٨﴾، وقال

(٥٥) من قوله تعالى من [سورة الأعراف: ١٧٩] ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۝٥٥﴾.

(٥٦) من قوله تعالى من [سورة الأعراف: ١٨٧] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ نُفِثَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا غَنَّةٌ يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٦﴾.

تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٧)، وقال عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة القصص: ١٣]، وقال تعالى عن الوعد الحق: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة

الروم: ٦]، و﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٦]، و﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة غافر: ٥٧].

وقال جل شأنه: ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية:

(٦٠) من قوله تعالى من [سورة يوسف: ٦٨] ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

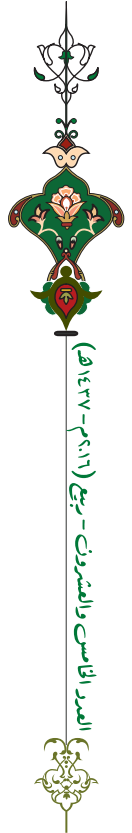
تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٧)، و﴿أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٨)، و﴿لَا بُدِيلَ لِيَخْلُقِ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٩).

وقال عن نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(٥٧) من قوله تعالى من [سورة يوسف: ٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمِّهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَانًا لِيُوسَفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٥٨) من قوله تعالى من [سورة يوسف: ٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٥٩) من قوله تعالى من [سورة الروم: ٣٠] ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِيَخْلُقِ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي الْفَتِمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.



٢٦]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٣٨]،

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ اللهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُزِيلَ آيَةَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿أَلَا

إِنَّمَا طَلَبْتُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١]،

وقال تعالى عن المشركين: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٤]،

وقال جل شأنه ﴿وَمَنْ زَرَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٥]،

وقال تعالى ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٢٩]،

وقال سبحانه وتعالى عن عدم علم

الناس ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَاتٍ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ١٠١]،

ويستفهم القرآن استفهامًا إنكارياً فيقول ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة النمل: ٦١]،

ويستفهم استفهامًا تقريرياً فيقول: ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّحُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة القصص: ٥٧]،

وقال جل شأنه: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة لقمان: ٢٥]،

وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَلْتَهُ نِعْمَةٌ مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزمر: ٤٩]،

وقال جل شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الدخان: ٣٨-٣٩]،

وقال جل شأنه: ﴿وَلِإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الطور: ٤٧].

وكثيرٌ من الناس غافلون عن آيات الله، ويجهلون.

كثيرٌ من الناس في غفلةٍ عن آيات الله، معرضون عنها قال تعالى: ﴿وَلِإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَفِلُونَ﴾ [سورة يونس: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٤].

فهؤلاء الذين لا يعلمون هم الذين يجهلون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْتَوَفَّى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١١].

ووصف كثيراً من الناس بالغفلة، فقال تعالى: ﴿وَلِإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَغَفِلُونَ﴾ [سورة يونس: ٩٢]، ولا يتبعون إلا الظن ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [سورة يونس: ٣٦].

أكثر الناس لا يؤمنون: وصف القرآن أكثر الناس بأنهم لا يؤمنون، فقال تعالى:

﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة هود: ١٧].
﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الرعد: ١].

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة غافر: ٥٩].

وأكثر بني إسرائيل لا يؤمنون: ﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٠].

ووصف أكثر المشركين بأنهم لا يؤمنون، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يس: ٧].

وهذا الوصف ينطبق على الكافرين أيضاً من المشركين الذين نزل بينهم



القرآن، وعلى بني إسرائيل، وقوم نوح،
وقوم هود، وشمود قوم صالح، وقوم
لوط، وأصحاب الأيكة قوم شعيب،
فقال تعالى عنهم جميعاً: ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾ (٦١).

وكثيرُ الفاسقون:

وصف القرآن كثيراً من الأمم
بالفسق، فقال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ
وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٦].

وقال جل شأنه: ﴿ثُمَّ فَفَعْنَا عَلَى
ءَاثَرِهِمْ بُرْهَانًا وَفَقَعْنَا بِعِيسَى ابْنِ
مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي
قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَنِيَّةً
أَبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَتَأْتِينَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٧].

كثيرٌ من الناس فاسقون:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ

(٦١) [سورة الشعراء: ٨ و ٦٧ و ١٠٣ و ١٢١ و ١٣٩ و ١٥٨ و ١٧٤ و ١٩٠].

لَفَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٩].

ووصف كثيراً من بني إسرائيل
بالفسق فقال جل شأنه عنهم:

﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ
أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾
[سورة المائدة: ٨١]، ويقول لأهل
الكتاب: ﴿وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة
المائدة: ٥٩]، إنهم ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل
عمران: ١١٠].

ويصف أكثر المشركين الغابرين من
الأمم البائدة بأنهم فاسقون لاعهد لهم،
قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ
عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾
[سورة الأعراف: ١٠٢].

ويصف المشركين الذين بعث فيهم
رسول الله ﷺ بأنهم يرضون المسلمين
بأفواههم وتأبى قلوبهم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨].

أكثرهم لا يشكرون:

صرح القرآن الكريم أن أكثر الناس
لا يشكرون نعمة الله عليهم، قال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة غافر: ٦١]، [سورة يونس: ٦٠]، و ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة النمل: ٧٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧].
وأكثرهم في ضلال:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [سورة يس: ٦٢]، و ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ لِيُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة الأنعام: ١١٦]، و ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٦]، و ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ١١٩]، و ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦].

و ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [سورة نوح: ٧١].

وأكثرهم للحق كارهون:

نستطيع أن نقول مطمئنين إن أكثر الناس للحق كارهون، هذا ما أكدته

القرآن، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٨].

و ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٩].
الكثرة المرسفة:

إن كثيراً من بني إسرائيل لمسرفون: قال تعالى عنهم: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [سورة المائدة: ٣٢].

الكثرة الموغلة في البغي:

الظلم من شيم النفوس، ما لم تجد وازعاً، والقرآن يؤكد هذا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة ص: ٢٤].

وأكثرهم كاذبون:

قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٤﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

ويسارعون في الإثم:



﴿ وَرَبِّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ ﴾

[سورة المائدة: ٦٢].

والكثرة الكافرة:

يصف القرآن الكريم الكثرة من أهل الكتاب، والكثرة من الناس بالكفر.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٦٨]، و ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [سورة المائدة: ٨٠]، ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾ [سورة الروم: ٨]، ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ [سورة الفرقان: ٥٠]، ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٨٣].

يصور القرآن الكريم الكثرة الكافرة المشتركة بأنها ستكون غداً حطب جهنم قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلَ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴾ [سورة الروم: ٤٢]، ﴿ بَلْ كَانُوا

يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴾

[سورة سبأ: ٤١]، ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ

كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

ويظهر ذلك جلياً أيضاً من خلال البيان القرآني الذي فيه العموم باستعمال اسم الجنس من غير ذكر لفظ الكثرة وهو مبثوث في القرآن الكريم؛ أشير هنا إلى بعضه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَنُ كُفُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ٦٧].

ويأتي، أحياناً مؤكداً بأكثر من مؤكد، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَبِغْيٍ ﴾ [سورة العلق: ٦]، و ﴿ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكَفَّارٌ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٤]، و ﴿ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكُفُورٌ ﴾ [سورة الأنعام: ١١٩].

بل هو كفورٌ مبينٌ، متجاهرٌ في كفره، اتخذ إلهه هواه وإذا قيل له اتق الله أخذته الغزة بالإثم: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَنَ لَكُفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الزخرف: ١٥]. و ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٦].

وقد يأتي القسم من بين المؤكدات



زيادةً في التوكيد كقوله تعالى:

﴿وَالْعَدِيدِ ضَبْحًا رَضَى... إِنَّ الْإِنْسَانَ

لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ [سورة العاديات: ١-٦].

وقد يخصص هذا العموم أحياناً،

كقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَفِي خُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا

بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: ١-٣]، عملاً

بالقاعدة الأصولية: "ما من عام إلا وقد

خص".

وقد يأتي بأسلوب التعجب من

كفره، كقوله تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾

[سورة عبس: ١٧].

وظاهرة القلة والكثرة نجدها في

السنة النبوية المطهرة أيضاً، وليس هذا

مجال التوسع في الحديث في هذا الجانب

لأن موضوعنا: (القلة والكثرة في القرآن

الكريم)، لذلك نكتفي هنا بحديثين

اثنين:

أحدهما: ما رواه البخاري: عن أبي

هريرة عن النبي ﷺ، قال: (بيننا أنا قائمٌ

إذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ

بيني وبينهم فقال: هلم).

فقلت: أين؟.

قال: إلى النار والله.

قلت: وما شأنهم؟.

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم

القهقري، ثم إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم

خرج رجلٌ بيني وبينهم.

فقال: هلم.

فقلت: أين؟.

قال: إلى النار والله.

قلت: وما شأنهم؟.

قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم

القهقري فلا يخلص منهم إلا مثل همل

النعم) (٦٢).

والهمل: ضوال الإبل، واحدها

هامل أي: إن الناجي منهم قليلٌ كقلة

النعم الضالة (٦٣)، وأكثرهم يساقون إلى

النار لارتدادهم فيه دلالةٌ على قلة الناجين

من النار وكثرة الذين يساقون إليها زمراً.

(٦٢) صحيح البخاري ٨ / ١٢١. باب الفتن

رقم الباب ٩٢. حديث الحوض رقم:

٦٠٩٩.

(٦٣) النهاية في غريب الحديث: ٥ / ٢٧١، و

فتح الباري: ١١ / ٤٠١، لسان العرب-

مل: ١٥ / ١٣٥.



وثانيهما: قول النبي ﷺ: (ستفترق أمتي من بعدي إلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً، واحدةٌ ناجيةٌ، واثنانِ وسبعون في النار)^(٦٤).

وفي الحديث دلالة واضحة على كثرة من في النار وقلة الناجين منها. وهذه ظاهرةٌ عجيبةٌ، مهمةٌ، أشار إليها القرآن الكريم وأيدها السنة النبوية المطهرة إنها جديرةٌ بالوقوف عندها وقفة تأمل. نعيد معها قراءة تاريخنا، ونتأمل فهل نقل لنا التاريخ الوقائع التاريخية كما هي؟ أم ضللنا فنقل لنا ما أراد الحاكم أن نقرأ وحجب عنا الحقيقة؟ وإذا أردنا أن نكون منصفين نقول: حجب عنا التاريخ، ما لا يرضى الحاكم أن نقرأ

أهم المصادر

١. تاريخ الرسل والملوك، تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط ٢، دار

(٦٤) مجمع الزوائد: ١ / ١٨٩، و المعجم الصغير للطبراني: ١ / ٢٥٦، وكنز العمال: ١ / ٢١٠ ح: ١٠٥٥ و ١٠٥٧.

المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٦٩م.
٢. التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ.) تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ب. ت.
٣. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري (ت ٣٢١هـ) تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤م.
٤. دلائل الصدق لنهج الحق. للشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٥هـ.)، ط ١، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤٢٢-١٤٢٦هـ.
٥. دلائل النبوة، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٦. دلائل النبوة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصفهاني (ت ٤٣٠هـ) تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي،

١٢. كنز العمال لعلاء الدين علي بن حسام
المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) مؤسسة
الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/
١٩٨٩م.
١٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي
علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت
٥٤٨هـ) ط ١، دار العلوم، بيروت،
١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور
الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت
٨٠٧هـ) ط ١، دار الكتاب العربي،
بيروت، ١٤٠٢هـ.
١٥. المعجم الصغير للحافظ أبي القاسم
سليمان بن أحمد الطبراني (ت
٣٦٠هـ) دار الكتب العلمية، بيروت،
١٤٠٣هـ.
١٦. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن
زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق
أحمد يوسف نجاتي وجماعته، مطبعة
دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ/
١٩٥٥م.
٧. زاد المسير في علم التفسير، لأبي
الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي
(ت ٥٩٧هـ) دار الكتب العلمية،
١٤١٤هـ.
٨. السيرة النبوية، لأبي دلائل الصدق
لنهج الحق. للشيخ محمد حسن
المظفر (ت ١٣٧٥هـ)، ط ١، تحقيق
مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،
قم، ١٤٢٢-١٤٢٦هـ.
٩. السيرة النبوية. لأسماعيل بن كثير
(٧٠١- ٧٧٤هـ) تحقيق مصطفى
عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت،
١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
١٠. شرح التصريح، للشيخ خالد بن
زين الدين الأزهري (ت ٩٠٥هـ)
وبهامشه حاشية يس، مطبعة عيسى
البابي الحلبي، القاهرة، ب. ت.
١١. صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد
بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة
البخاري (ت ٢٥٦هـ) المطبعة،
العثمانية، القاهرة، ١٣٥٥هـ.



مَصَادِيقُ الْوَلَايَةِ لِلْإِمَامَةِ بَعْدَ النَّبُوَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَيْنَ شَرْعِيَّةِ النَّصِّ وَمَفْهُومِ الْإِخْتِيَارِ (بحث استدلالي)

سماحة الشيخ موسى راضي نصار
استاذ في الحوزة العلمية
النجف الاشرف - العراق

فحوى البحث

بحث استدلالي يخوض في ما رسمه لنا عنوانه. ولعل إدراج بحث (ولاية الامامة، ضمن المباحث القرآنية، يمكن ان يوقفنا على مقارنة ترتقي بالباحث الى ايجاد ارضية مشتركة بين المنهج القرآني والنبوي في مبحث الامامة. بحيث يعمل كل من اراد الوصول الى الحقيقة بطريقته الخاصة في البحث. وبالنظر لطول البحث، اقتصرت المجلة على نشر ما يجري منه في سياق اختصاصها المتمثل بالبحث القرآني وارااء المفسرين وعلماء العقائد.

مدخل:

ان يكون الطريق المؤدي الى معالجتها طريق القرآن، وهو الحق الذي ينبغي بالضرورة ان يمثل لاحكامه بالقبول كل من يؤمن بالقرآن الكريم هاديا الى الحق ليوصله الى سعادة الدنيا والاخرة، ومحصل هذه السعادة هو الايمان بالدين الحق، وهو عند الله الاسلام.

وان السبيل المهتدي اليه والذي اشارت اليه الاية هو سبيل اختياري وان الشكر والكفر اللذين يترتبان على الهداية المذكورة واقعان في مستقر الاختيار للانسان ان يتلبس بايها شاء من غير اكراه واجبار^(١) قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ

السَّبِيلَ يَسَّرُهُ﴾ [سورة عبس: ٢٠].

ومعنى السبيل هنا الطريق القويم المتكامل المؤدي الى الايمان وتيسيره له هو هبة العقل وتمكينه من النظر بجلاء الى الطريق الذي يريد سلوكه طريق الخير او طريق الشر^(٢) فهو مخير باي الوسيلة اعتمد واي الدلالة اختار للوصول الى

اقتضت حكمة الله تعالى في الاديان ان يكون الدين الاسلامي من بينها دينا دستوريا يتخذ من القرآن الكريم مرجعية تشريعية تحكي مسيرة الاصلاح الاجتماعي، بوصفه منظومة من القوانين الاصلاحية يتداخل فيها الديني والاخلاقي والسياسي، ليس فيه تطرف ولا تساهل مع الحق والمهمة التي اتى من اجلها اعطاء الحق لكل من يستحقه.

فالقرآن الكريم هو مرجع الامة عند الاختلاف، ومن حكم به لم يخطيء العدل ومن عمل به يكون مهتديا بنوره وهاديا الى الحق لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ [سورة يونس: ٣٥].

فالهداية اذن طريق الايصال الى الحق بنفس المهتدي لا بوساطة غيره، قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الدهر: ٣].

ولكي تصح أية معالجة طريقها الاهتداء اذ كانت عقدية او اخلاقية او سياسية ذات معنى وجودي ينبغي

(١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ١٢٢.

(٢) الالوسي: روح المعاني، ج ١٥، ص ٢٤٦.

ما يريد لذا نجد كل الايات الحاكية
لمعنى الهداية جاءت بامر منه تعالى فهو
الهادي الى الطريق، فكلما اسندت الهداية
اليه تعالى تستند الى القرآن كقوله: ﴿ إِنَّ
هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [سورة
الاسراء: ٩] وكذلك اسنادها للنبي ﷺ
لقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾
[سورة القصص: ٥٦].

والمعنى انك لا تتمكن من اراءة
الطريق لكل من احببت بل انما يمكنك
اراءته لمن اردنا^(٣) هدايته.

اذن الهداية التي هي بمعنى اراءة
الطريق وتنشيط حركة المهتدين وتلقين
قيم التقوى للمتقين، فقد وصف الله
تعالى كتابه في آيات اخرى بانه هدى
للمتقين كقوله ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ
هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢] وكذلك

وصفه تعالى بانه هدى للمسلمين
كقوله تعالى ﴿ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ
رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة
النحل: ١٠٢] اذن القرآن الكريم هاد

(٣) الالوسي: روح المعاني، ج ١، ص ٩٤.

لجميع: للمتقين والعلماء العاملين
به وكذلك سواد الناس وذلك لعدم
تناهي معارفه وعدم امكان الاحاطة
بعلومه لغيره عز وجل فالكل يستفيض
منه بقدر قابليته.

وليس المراد بالمتقين خصوصاً من
بلغ المرتبة القصوى في ايمانه وتقواه لان
القرآن الكريم نافع وهاد لجميع المراتب
بل وجميع الناس، ولا تختص هدايته
بالمتقين فقط لان الوصف لا يدل على
المفهوم خصوصاً مع التصريح بالعموم
في آيات كثيرة^(٤) بل هي صفة جامعة
لجميع المراتب الالمانية، فوصفهم بانهم
على هدى من ربهم. فدل ذلك على ان
تلبسهم بهذه الصفات الكريمة جاء
باعتبار هذا الفعل امراً محموداً، فهم انما
صاروا متقين لتلبسهم بهذه الصفات -
وهي صفات المتقين- بهداية منه تعالى،

ثم وصف الكتاب بانه هدى لهؤلاء
المتقين بقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا
رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٢]
وبذلك ظهر ان هؤلاء وهم متقون

(٤) السبزواري: مواهب الرحمن، ج ١، ص ٦٣.



النساء: [٧١] وقال تعالى في وصفهم ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٥] (٦). ولعل من اوضح طرق الهداية في القرآن الكريم ((ولاية الامامة)) فهناك تلازم بين الهداية والامامة، فكلما تعرض القرآن لمعنى الامامة تعرض معها للهداية كقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٤] فوصفها بالهداية وصف تعريف، ثم قيدها بالامر فيبين ان الامامة ليست مطلق الهداية بل هي الهداية التي تقع بامر الله (٧).

ولعل إدراج بحث ((ولاية الامامة)) ضمن المباحث القرآنية يمكن ان يوقفنا على مقارنة ترتقى بالمباحث الى ايجاد ارضية مشتركة بين المنهج القرآني

(٦) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٤.

(٧) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٧٢. والاية نازلة في امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام بالاخبار المتواترة.

محفوفون بهدايتين، هداية اولى بها صاروا متقين وهداية ثانية، اكرمهم الله سبحانه بها بعد التقوى (٥) فتصبح الهداية كلها من الله تعالى وقد قال في نعتها ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ﴾ [سورة الانعام: ١٢٥].

اذن وظيفة القرآن ان يهدي للتي هي احسن، ليس عن طريق الايمان الديني وحده وانما عن طريق التفكير العقلي السليم الذي يهدي الى اراءة الطريق والوصول الى الغاية المطلوبة بحسب تكوين رؤية تكاملية في الايمان مصحوبة بالدعاء بوصفه عاملا يساعد على استمرار الهداية لقوله تعالى ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [سورة آل عمران: ٨] أي ثبتنا على الهداية القائمة على الايمان وهناك ثمة هداية خص بها الدعاة الى الله، وهم اصحاب رسول الله ﷺ حتى مكنهم الله وتولى امرهم وولاهم امر هداية عباده حيث قال ﴿وَحَسِّنْ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا﴾ [سورة

(٥) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٤.

والنبوي في مبحث الإمامة بحيث يعمل كل من اراد الوصول الى الحقيقة بطريقته الخاصة - في البحث - ما دام القرآن الكريم هو اصل تشريعها، ولم يضع قيودا على البحث بما تقتضيه الأدلة الثبوتية وفقا لاحكام النص القرآني في ولاية الامامة وما التزم به النص النبوي في آياتها وفق ما التقى عليه الاجماع.

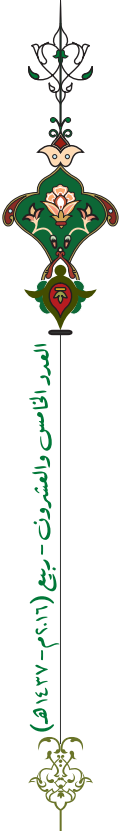
والثير في الامر ان كل فريق من مفكري الاسلام حاول اظهار ولاية الامامة بالقدر الذي يمكن معه ان يثبت بأدلتها المعتمدة لديه سواء تعلق اثباتها بالمضمون او بالنص بناء على مرجعيته المعيارية، ومن هنا استمد موضوع الامامة طابعا جدليا بين فرقاء الفكر الاسلامي، وقد عني العلماء بتقريرها على انها اساس الفكر الديني السياسي، لانها من نمط الهداية الايصالية لاقامة العدل بين الناس.

وليس من الممكن تنفيذ العدالة التي ينشدها الاسلام الا عن طريق حكومة ((الدولة العادلة)) التي تقوم على ((ولاية الامامة المعصومة)) لان

نواميس الحياة وقوانين المجتمعات تقضي بأقامة حكومة مهمتها سياسة الناس واقامة العدل بينهم، والاسلام من تلك المجتمعات التي تحتاج الى حكومة عادلة تتولى شؤونهم وتراعي مصالحهم كما اراد الله لها ان تطبق في المجتمعات المسلمة في ضوء القرآن ونهج السنة، وهذا ما حصل فعلا بتفويض منه تعالى الى رسوله ﷺ في تولي الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الخلافة بعد النبي ﷺ لان ولاية الامامة مكملة لولاية النبوة، وليس من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة، بل هي ركن من اركان الدين وقاعدة من قواعد الحكم في الاسلام لا يجوز للنبي اغفالها او تفويضها للناس، ولا يصح ان تكون الامامة بالاختيار وآيات القرآن تشير الى بطلان ذلك الاختيار الا بنص منه تعالى لقوله ﴿وَرَبُّكَ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [سورة القصص: ٦٨].

مادامت الاية تشير الى العموم دون الخصوص وان الله تعالى يختار في ما يامر



به من تشريع الاحكام والقوانين ما يشاء، فيكون مفاد الاية ان ليس للناس الاختيار في أي شيء يرجع حكمه وامره الى الله تعالى فهو الذي يختار تشريع ما تختص به النبوة وكذلك الامامة لكونها متفرعة عن النبوة.

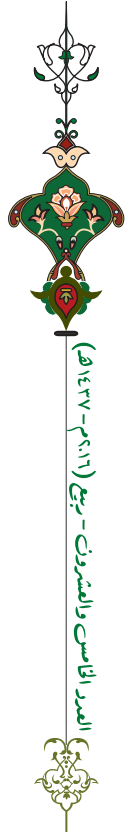
البعد الزمني لولاية الامة من خلال شخص المعصوم في القرآن:

انطلاقاً مما تقدم يمكن القول: ان الصورة التي يعرضها القرآن الكريم عن الولاية التشريعية لا يمكن اخضاعها لزمان معين وينتهي، وكأنها تعكس تشريعاً محدداً بحدود ولاية الحكم التي يتجسد فيها كل مظاهر الاقتدار على المناورة والغلبة، ومثل هذه الولاية ليس لها إلا أسم الولاية من غير مسمى لواقعها، وليست هي إلا مفترضة افتراضاً لا حقيقة له ووهماً لا واقع تشريعي له، وإنما حقيقة الولاية المشمولة بامره تعالى وكونها متهيئة بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها على الارض من اجل هداية الناس ودعوتهم الى الحق كان ذلك هو

المتبادر لوجودها لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٧] وعند نزول هذه الاية روي عن سعيد بن جبير (قتله الحجاج سنة ٩٥ هـ - ٧١٣م) عن ابن عباس قال: وضع رسول الله ﷺ يده على صدره وقال: انا المنذر، واوما بيده الى كتف علي عليه السلام وقال: انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي، كما روي عنه عليه السلام قال: في الاية: رسول الله المنذر وانا الهادي (٨).

إذن بموجب دلالة الاية والحديث يجب أن تكون اوامرهم واحكامهم موافقة تماماً لاحكام الله تعالى حتى تجب لهم هذه الولاية ولا يتسنى هذا الا بعصمتهم، فهم الذين يهديهم تهتدي الناس فيكون استمرار الولاية حاصلًا لم يتوقف لوجود الامام المعصوم لكل وقت وزمان وقد

(٨) الخبر ذكره القشيري واخرجه ابن جرير وابن مردويه والديلمي وابن عساکر عن ابن عباس، انظر الالوسي: روح المعاني، ج ٧، ص ١٠٣، والطبرسي ج ١٣ ص ٦٣.



اشارت بعض النصوص القرآنية الى هذا الاستمرار الولائي في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]

في ضوء هذه الاية الكريمة يمكن ان نستطلع الحقيقة الكامنة من بين فواصل النص لاعطاء لمحة قدسية لما قبل نزول آدم الى الارض بكل جوانبها واحداث وقاعها والمفاهيم الروحية التي ارتبطت بها وذلك تصديقا لما نقله رسول الله ﷺ في الحديث القدسي المروي عن علي بن ابي طالب عليه السلام في بيان سجود الملائكة لآدم عليه السلام ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ وما ظهر لآدم من نور ولم تظهر له الاشباح سأل ربه عن هذا النور الذي اضاء جوانبه فقال الله عز وجل ((انوار واشباح نقلتهم من اشرف بقاع العرش الى ظهرك ولذلك امرت الملائكة بالسجود لك اذ كنت

وعاءاً لتلك الاشباح))^(٩).

هنا السجود في هذا المقام مجرد سجود تحية وتعارف فلا دليل على المنع من ذلك، لكون الذوق الديني يقضي باختصاص هذا الفعل به تعالى، والمنع عن استعماله في غير موردته تعالى، وان لم يقصد به إلا التحية والتكريم فقط اذ الممنوع شرعا وعقلا ليس الا اعطاء الربوبية لغيره تعالى^(١٠).

ان مثل هذه الآية المتقدمة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والآيات التي بعدها تحكي قصة نزول الإنسان في الأرض وجعله خليفة فيها، وهذه الخلافة لها أبعادها الاجتماعية وتحمل خصائص وأثار جليلة وعظيمة والتي عنوانها القرآن الكريم بالاستخلاف ولدى تحليل هذا الاستخلاف نجد أنه ذو أربعة أطراف، الأول العلاقة المعنوية: التي سماها القرآن الكريم بالاستخلاف، والثاني المستخلف

(٩) الفيض الكاشاني: تفسير الصافي، ج ١، ص ١١٥.

(١٠) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٢٣.

هذه الخلافة، وليست علاقة سيادة أو ألوهية أو مالكية^(١١).

مثل هذا التصور العام للنص في الاستخلاف - ((إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)) لا بد من العمل على تفعيله بحسب موازين التأويل والتفسير بلا شطط كي نطلع على أبعاد قرآنية قد غفل عن قراءتها في العمق بعض المفسرين او لم تدركهم الهداية الايمانية التي هي محور الاهتداء في التأويل والتفسير القرآني، فمن المسوغ للعمل تفعيل النص القرآني ودلالته على الحدث المتضمن لمعناه، واطهاره للدراسات الموضوعية التي تبحث عن واقع الولاية بمفهومها السياسي المتمثل بالامامة، وهي اول نظرية سياسية اطلقها القرآن كمكون تشريعي لترتبط بأوثق الارتباط بالواقع الاجتماعي ومن الامثلة القرآنية على ذلك قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

(١١) السيد محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية/ ص ١٠٨.

وهو الله تعالى إذ لا استخلاف بدون مستخلف، والثالث: المستخلف وهو الإنسان وأخوه الأنسان، أي الإنسانية ككل الجماعة البشرية، والرابع المستخلف عليه: وهو الأرض وما عليها ومن عليها.

فالعلاقة الاجتماعية ضمن صيغة الأستخلاف - كما يراها الشهيد الصدر- تكون ذات طرق أربعة، وهذه الصيغة ترتبط بوجهة نظر معينة نحو الحياة، والكون بوجهة نظر قائلة بأنه لاسيد ولامالك ولا إله للكون والحياة إلا الله سبحانه وتعالى وأن دور الانسان في ممارسة حياته إنما هو دور الأستخلاف والأستئمان، وأى علاقة تنشأ بين الإنسان والطبيعة فهي في جوهرها ليست علاقة مالك بمملوك، وانما هي علاقة أمين على أمانة أستؤمن عليها، وأي علاقة تنشأ بين الإنسان واخيه الانسان -مهما كان المركز الاجتماعي لهذا أوذاك -فهي علاقة استخلاف وتفاعل بقدر ما يكون هذا الانسان أو ذاك مؤدياً لواجب

وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [سورة الانبياء: ٧٣].

وقوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة القصص: ٥].

وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

وقوله تعالى في الدعاء ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٤].

هذه الايات الكريمة الخمس كلها تشير الى ولاية الامامة المرتبطة بالفكر الديني اكثر من الافكار الاخرى ومن خصائصها انها تشير الى القيادة والمرجعية التي تقود الامة الى ما فيه الصواب والمرتبط بالله تعالى، وعندما نستطلع القرآن نجد ان حقيقة الامامة استكملت ادوارها في التشريع في هذه الايات الخمس حيث اقتضت حكمة الله تعالى ان يحمل الانسان مسؤولية الخلافة يوم اذ جعله الله خليفة في الارض لتتضح الغاية من وجوده عليها على

أن يرتبط بعلاقة تكاملية فيها، فتكون مهمته الاولى بحسب خلافته ان يقوم بعمارة الارض واصلاح ما فسد منها، وهي سنة جرت من بعده على كل نبي او امام او مصلح استخلف ان يقوم في عمارة الارض وسياسة الناس^(١٢).

اما المهمة الثانية: فتكتمل فيها العلاقة بين طرفي الاستخلاف، وهما الحكم، والعدل: الحكم هو سياسة الناس، والعدل، اعطاء النصفة بينهم وكل غرض من هذه الاغراض يكمل الاخر، وبذلك تظهر الحقيقة ويتم الاستخلاف في الارض ويسمى المستخلف خليفة لانه يخلف الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ ما يقتضيه عدله تعالى.

والمهمة الثالثة: دعاؤهم الذي تنظم به العلاقة مع الله تعالى بواسطة القيم الروحية التي يتمتعون بها فجاء قوله تعالى ﴿وَأَجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا﴾ مطابقا لسيرتهم قال ابن عباس اجعلنا ائمة هدى: والمعنى انهم سألوا الله ان

(١٢) الالوسي: روح المعاني، ج١ ص ٢٢٢.

وهو ما ظهر من احتجاج الملائكة. الى هنا لم تستكمل الاية (إني جاعل في الأرض خليفة) اغراضها الا عندما بدأ الله تعالى في اخبار الملائكة بهذا الاستخلاف غير المتوقع لهم، وهو اخبار مشورة وان كان بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن ابداء الرأي للمشورة، ولكن اقتضتها بلاغة الاسلوب الضمني، وهو فن من فنون السياقات اللفظية القرآنية لتعطي درسا في المشورة قبل الاقدام^(١٧) على اخذ القرار في مهمة تقتضيها الظواهر او التغيرات الحادثة.

وهنا احتجت الملائكة على هذا الاستخلاف ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ سُيِّحٌ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ارادوا بذلك

استكشاف ما خفي عليهم من وجه حكمته تعالى، كأنهم قالوا: ((الها - انت الحكيم - الذي لا يفعل السفه، فما وجه الحكمة في جعل المخلوق الارضي خليفة فيها، وهو مصحوب لقوة شهوية شأنها

(١٧) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج ٢، ص ١٦٨.

يلغهم في الطاعات المبلغ الذي يشار اليهم فيه ويقتدى بهم^(١٣) وفي رواية عن الامام الصادق عليه السلام هم اهل البيت عليه السلام وهناك عدة روايات تتضمن دعاءهم وقراءتهم عليه السلام وجعل لنا من المتقين اماما^(١٤) أي طلبوا العز بالتقوى لا بالدنيا^(١٥) فالامامة في المفهوم القرآني لا تكن الا لمن استجمعت فيه مراتب الاستعداد ولا يعلم هذه المراتب احد الا الله تعالى، وهي غير مقصورة على شخص آدم عليه السلام وانما يشاركه فيها بنوه، بعدما يدخل الانسان طور المعرفة بحيث لا تتم الحياة في الارض ويستمر البقاء لها الا بالاجتماع ومن طبيعة الاجتماع انه لا يخلو من فساد في الطبع وسفك الدماء^(١٦)

(١٣) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ج ٤، ص ٤٧٩، والبغوي علي الخازن، الصفحة نفسها.

(١٤) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٢٤٨ والفيض الكاشاني: تفسير الصافي، ج ٤، ص ٢٧.

(١٥) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٨١.

(١٦) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١٧.



الشرور والفساد ولقوة غضبية شأنها
الاهلاك وسفك الدماء فان النفس اذا
انقادت لاحدهما سلكت بها مسالك
الفساد والجور والظلم^(١٨).

كأن الثابت في علمهم انهم هم
المعصومون وحدهم، وكل مخلوق
سواهم ليسوا على صفتهم، فهم اذن
اولى بالاستخلاف في الارض من غيرهم
لكونهم في طاعته دائماً، فاجابهم الله
تعالى ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي
اعلم من المصالح في هذا الاستخلاف
ما خفي عليكم^(١٩).

اذن ما هو هذا الامر الذي لم تطلع
عليه الملائكة والذي قد خفي عنهم في
هذا المستخلف في الارض؟. ان الله
سبحانه علمه اسماء ولم يعلمهم ولو
علمهم اياها لكانوا مثل آدم او اشرف
منه^(٢٠) لقوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ
فَقَالَ أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ

(١٨) الزمخشري: الكاشف، ج ٢، ص ١٢٤.

(١٩) الزمخشري: الكاشف، ج ٢، ص ١٢٥.

(٢٠) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١،
ص ١١٧.

صَدِّقِينَ ﴿[سورة البقرة: ٣١] بأنكم
احقا بالخلافة من آدم وان جميعكم
تسبحون وتقدسون: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ
لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ﴾ [سورة البقرة: ٣٢].

وبناء على هذا العرض الحوارى في
الايات، لا شك في ان تعريفاً مثل هذا
يبدو عاماً او لايساعد على الاقتراب
من التساؤل في الايات حتى يفهم ما
المراد من هذه الاسماء التي اودعها الله
في آدم ولم يعلم بها احد الا هو تعالى؟.
الامر الذي عجزت عنه الملائكة لعدم
احاطتهم بمراتب الغيب؟^(٢١).

اذن ظاهر الامر كما يفيد منطوق
الاية ان الاسماء امور غائبة عن العالم
السمائي والارضي خارج محيط الكون،
وهي جزء من مبدأ ثبات السنن الالهية
التي يجري عليها نظام العالم، بل المراد
بالاسماء حقائق المخلوقات الكائنة
في عالم الجبروت المسماة عند طائفة،
بالكلمات وعند قوم بالاسماء وعند

(٢١) السبزواري: مواهب الرحمن في تفسير

القرآن، ج ١، ص ١٥٧.



على كثرتهم وتعدددهم لا يتعددون تعدد الافراد ولا يتفاوتون تفاوت الاشخاص، وانما يدور الامر هناك مدار المراتب والدرجات ونزول الاسم من عند هؤلاء انما هو بهذا القسم من النزول (٢٥).

وقد يؤكد هذا الطرح وهذه القراءة المتبصرة للنص القرآني وبما جاء في المعاني عن الامام الصادق عليه السلام ان الله تبارك وتعالى علّم آدم اسماء حججه

كلها ثم عرضهم وهم ارواح على الملائكة فقال ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ بانكم احق بالخلافة في الارض - لتسيحكم وتقديسكم - من آدم فقالوا ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى ﴿يَقَادِمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله - عز وجل - فعلموا انهم احق بان يكونوا خلفاء الله في ارضه وحججه على بريته، ثم غيبتهم عن

(٢٥) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١٨.

اخرين بالعقول (٢٢) ولكن هنا اسئلة متداخلة تفرضها معاني الايات تحتاج الى جواب، ما هي حقيقة تلك الاسماء، وما هي معرفة ذواتها وخواص صفاتها؟ وهل كان لهذه الاسماء وجود عيني، وهي مع ذلك مستورة تحت ستر غيب السماوات والارض؟ اذن لماذا اودعها الله في آدم عليه السلام هل لكونه في مقام الابوة والبنوة، من اسماء ذريته (٢٣) حتى يصيروا أصلا لها؟.

كل ذلك اختلف فيه المفسرون، ولكن بعضهم ألمح لها عن بعد في ضوء الاهتداء القرآني (٢٤) فتحصل عنده ان هؤلاء الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى، محجوبة بحجب الغيب، انزل الله سبحانه كل اسم في العالم بخيرها وبركاتها واشتق كل ما في السماوات والارض من نورها وبهائها، وانهم

(٢٢) الفيض الكاشاني: تفسير الصافي، ج ١، ص ١١١.

(٢٣) الجصاص: احكام القرآن، ج ١، ص ٣١.

(٢٤) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ١١٧.



ابصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبتهم
وقال لهم ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
كُنْتُمْ تَكْنُيُونَ﴾ (٢٦).

وقد يلاحظ من حديث الامام عليه السلام
تنقله في النص القرآني فيشعرك كأنه
ترجمة لكل مقطع من مقاطع النص
يوزع معاني التأويل بينها بأسلوب
حديثي حتى تكتمل الصورة ويتضح
الغرض من النص المشعر بالمجانسة بين
الحديث والقرآن لتكون مدعاة للتأمل
فتبرز الصلة الوثيقة بين تلك الاسماء
وخلافة آدم عليه السلام في الارض، وسبب ثان
يضاف الى فهم موقع الولاية من خلافة
آدم عليه السلام، كل ذلك يتضح من خلال
الحديث ومقاطع النص.

اذن ليس هذا هو الحديث الوحيد
الذي يؤدي هذا المعنى الغيبي وانما هناك
احاديث عديدة في المقام قول النبي صلى الله عليه وآله
((كنت نبيا وآدم بين الماء والطين)) (٢٧)

وقوله صلى الله عليه وآله ((ان الله خلقني من نور
وخلق ذلك النور قبل آدم بالفي الف
سنة)) (٢٨) والاحبار متضافرة في هذا
المعنى، وهكذا تتكشف للنظر الثاقب في
اعماق معاني القرآن الكريم والاحاديث
النبوية آفاق من الدلائل والاسرار
يتحقق بها الاعجاز قد تكون غائبة عن
الاذهان، وقد حذر الطباطبائي رحمه الله
من رمي امثال هذه الاحاديث الشريفة
المأثورة عن معادن العلم ومنابع
الحكمة بانها من اختلاق الغلاة واوهام
المتصوفة، فللخلقة اسرار، وكلما تقدم
العلم اتضحت بعض مجاهيل عالم
الطبيعة، فما ظنك بما وراءها؟ (٢٩).

فكرة التمكين في الاستخلاف الموعود:
في النص القرآني مواقف

واعتبارات دينية وعقائدية من الممكن
توضيحها في ضوء قوله تعالى ﴿وَعَدَ
اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَصْلَحْنَا

(٢٨) المجلسي: بحار الانوار، ج ٧، ص ١٩٢.
(٢٩) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،
ج ١، ص ١٢١ والبيان في الموافقة بين
الحديث والقرآن، ج ١، ص ١٠٦.

(٢٦) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١،
ص ١٢١.
(٢٧) المجلسي: بحار الانوار، ج ٧، ص ٥٩٢.



الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ
الَّذِي آَرَضُوا لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ
أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ
كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

[سورة النور: ٥٥].

ليس المهم في بحث هذا النص
التعرض الى تفاصيل مفرداته اللغوية
وحشيات المعنى او في سيرورة تكوين
الرؤى في الاختلاف المذهبي عند
المفسرين كل ذلك لم يكن رائدا في
البحث وأن كان من لوازمه وانما كي
تتضح رؤية واضحة لاي معالجة فكرية
ذات بعد عقائدي، لذا ينبغي بالضرورة
ان يتضمن البحث محددات في المنهج
منها.

اولا: ان البحث القرآني بصورة
عامة لا يقبل المواجهة ذات الطبيعة
المذهبية مع الاخر، كما نراها عند بعض
المفسرين، وانما يجب ان تتحدد بالبحث
في المواقف الايجابية من خلال مفردات
اللغة او منهجية الفكر الذي في ضوئه
تتحدد المفاهيم الظاهرة في المعاني التي
يراد بحثها في النص.

ثانيا: الاعتراف مبدئيا باختلاف
الرأي العلمي في بحث فكرة التمكين
وتقسيم الاراء الواردة فيها بحيث لا
تقبل أي تساهل للطعن، وانما المناقشة
في فضاءات نصوصها وابرار ما هو
بخلافها في معرض قصد الايضاح لا
التجريح.

ثالثا: ان مثل هذا البحث النظري
المتكامل في ابعاده المنهجية وصلته بما
يبحث ويتم من مستحدثات في التفسير
من عطاءات علمية تتم معالجتها على
رؤى محايده تنطلق من التسليم جدلا
بحقيقة البحث المنهجي وتقييمه اعتمادا
على النصوص الوارد فيه.

والذي يظهر من سياق الاية
المباركة-وكما يتضح من اقوال
المفسرين-ان الوعد لبعض الامة لا
لجميعها بالاستخلاف في الارض مع
التمكين المطلق الذي يقتضي وراثة
الارض والظهور على الامم جميعها
كان وعدا منه تعالى الى الذين امنوا
والذين اصطفاهم الله امتدادا لولايته
واستخلفهم في الارض كما استخلف

من قبلهم ليجعلهم ورثة الانبياء والصالحين من عباده، ويمكنهم من اقامة حكم الله العادل الذي ارتضاه لهم كدعاة ومبلغين لشريعته لتحقيق مقاصدها العليا. ومثل هذا المجتمع الطيب الطاهر على ما له من صفات الفضيلة والقدسية لم يتحقق ولم ينعقد منذ ان بُعث النبي ﷺ الى يومنا هذا، وان اريد له التطبيق بما له من ابعاد متماسكة غير متصارعة فليطبق على زمن ظهور المهدي عليه السلام على ما ورد من صفاته في الاخبار المتواترة عن النبي ﷺ وائمة أهل البيت عليه السلام (٣٠).

في هذا المناخ الغيبي الذي تركت اثره الاية في اقوال المفسرين الاوائل ورددت صدها كتب التفسير بشيء من الحداثة والرؤى المتوافقة مع متغيرات البحث العلمي الذي ينطلق من التسليم جدلا بحقيقة ذلك المجتمع الموعود، وقد وقع الخلاف بينهم في امرين:
الاول: في اصل فكرة الاستخلاف.

(٣٠) الطوسي: تلخيص الشافي، ج ٣، ص ١١٥.

الثاني: تمكين المستخلفين في الارض.
أصل فكرة الاستخلاف:
الخلافة: النيابة عن الغير اما لغيبة المنوب عنه واما لموته واما لعجزه، واما لشريف المستخلف، وعلى هذه الوجه الاخير استخلف الله اوليائه في الارض (٣١) قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ والمراد بهذا الاستخلاف في الارض اعطاء الخلافة الالهية كما ورد في القرآن ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم خلفاء الله وانبيائه واوليائه (٣٢) استخلفهم في الارض ليجعلهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم (٣٣) تارة بسبب البنوة واخرى بسبب الامامة والخلافة حاصلة في الصورتين (٣٤) وفي الاية - كما جاء في كتب التفسير - ثلاثة اراء في

(٣١) الراغب: المفردات، ص ١٥٦.

(٣٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٥١.

(٣٣) البيضاوي: انوار التنزيل واسرار التأويل، ص ٤٧٢.

(٣٤) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٢٥.



**أَسْتَضِعُّوهُ فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلُهُمْ أُيَمَةً
وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِّنَ لَهُمْ ﴿٦﴾**
[سورة القصص: ٦].

هذا المجتمع الاسرائيلي المنعقد بعد
نجاتهم من فرعون وجنوده لم يَصِفْ من
الكفر والنفاق والفسق فلا وجه للتشبيه
في استخلاف الذين امنوا وعملوا
الصالحات باستخلافهم، وفيهم الكافر
والمنافق والطالح والصالح (٣٧).

٣. ان الاستخلاف - هنا - ليس هو
الامارة والخلافة، بل المعنى هو
إبقاؤهم في اثر من مضى من القرون،
وجعلهم عوضا منهم وخلفاء،
كما قال ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ
فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر: ٣٩]
وقال ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي
الْأَرْضِ﴾ [سورة الاعراف: ١٢٩]
وقال ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ
مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة

(٣٧) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،
ج ١٥، ص ١٥٢.

اصل فكرة الاستخلاف هي:

١. المراد بالاستخلاف اعطاء الخلافة

الالهية كما ورد في القرآن ﴿الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم آدم عليه السلام في قوله
تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]
وداود عليه السلام في قوله تعالى ﴿يَدَاوُدُ
إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة
ص: ٢٦] وسليمان عليه السلام في قوله تعالى
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [سورة
النمل: ١٦] فهؤلاء هم المراد بقوله
تعالى ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ خلفاء
الله من انبيائه واوليائه، وهو لا يخلو
من بعد (٣٥).

٢. المراد بالذين استخلفوا من قبلهم:
هم بنو اسرائيل لما أهلك الله فرعون
وجنوده فاورثهم ارض مصر والشام
ومكنهم فيها بعد الجبابة (٣٦) كما
قال تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

(٣٥) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن،
ج ١٥، ص ١٥١.

(٣٦) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير البيان،
ج ٧، ص ١٥٢ وتفسير البيضاوي،
ص ٧٤٢.

الانعام: ١٣٣] أي جعل كل واحد منهما خلف صاحبه^(٣٨) يرث الارض بتسليط قوم عليها بعد قوم كما في قوله تعالى ﴿إِنِ الْاَرْضَ لِلّٰهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ وَعَآلَقِبَةٍٓ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الاعراف: ١٢٨] فالمراد بالذين من قبلهم المؤمنون من امم الانبياء الماضين الذين اهلك الله الكافرين والفاستقين منهم ونجى المخلص من مؤمنهم كقوم نوح وهود وصالح وشعيب، كما اخبر عن جمعهم في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ اَرْضِنَاۤ اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَاۤ اَوْ اَوْحَىٰ اِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِيْنَ﴾ ١٣ ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْاَرْضَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنۢ خَافَ مَقَامِيْ وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [سورة ابراهيم: ١٣ - ١٤] فهؤلاء الذين اخلصوا الله فنجاهم فعقدوا مجتمعاً صالحاً وعاشوا فيه حتى طال

(٣٨) الطوسي: تفسير التبيان، ج ٧، ص ٤٥٦.

عليهم الامد ففست قلوبهم^(٣٩). وبموجب هذا الوصف القرآني لتلك الاقوام الصالحة والتي ورثت الارض انه ليس ثمة بأس من تشبيه المجتمع الصالح الموعود لما فيه من صفات الهية خاصة ببعض الامة من دون ان يختص به اشخاص منهم كما كان ذلك في الذين من قبلهم.

تمكين المستخلفين في الارض:

قد تكون فكرة التمكين في الاستخلاف عند بعض الفسرين من الدلائل الغيبية، اذا ما جاء عن طريق الوحي محمولاً على قرينة ((الوعد)) لانجاز وعده تعالى في استخلاف طائفة معينة ليتمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام وتبديل خوفهم امناً يعبدون الله عبادة خالصة لا يداخلها شرك جلي او خفي حتى يتمكن الدين من الظهور في مجتمع ليس فيه نفاق، ولا استهانة بما يامر به من عدل ولم تحل فيه الاغراءات محل الواقع حتى يصبح قادراً

(٣٩) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٥١.

وهو المراد بقوله: ليستخلفنهم في الارض، ومعلوم ان المراد بهذا الوعد بعد الرسول، والمراد بهذا الاستخلاف الامامة فكان كل منهم خليفة حقا باستخلاف الله تعالى اياه حسبما وعد -جل وعلا -، ويلزم عموم الاستخلاف لجميع الحاضرين المخاطبين^(٤١).

٣. جاءت الاية عامة لامامة محمد ﷺ والمراد باستخلافهم وتمكين دينهم وتبديل خوفهم امنا تورثهم الارض كما اورثها الله الامم الذين كانوا قبلهم او استخلاف الخلفاء بعد النبي ﷺ على اختلاف التقدير- وتمكين الاسلام وانهازم اعداء الدين وقد انجز الله وعده بما نصر الاسلام والمسلمين بعد الرحلة ففتحوا الامصار وسخروا الاقطار^(٤٢).

٤. انها في المهدي الموعود عليه السلام الذي

(٤١) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ٢٥، والالوسي: روح المعاني، ج ٩، ص ٣٩٥.

(٤٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ١٥، ص ١٥٤.

على تطبيق الشريعة راضيا بالاحتكام اليها.

وقد كثر الخلاف بين المفسرين في الاية قوله تعالى ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وكان اوضح ما جاء عنهم هو:

١. انها واردة في اصحاب النبي ﷺ حيث هو واصحابه مكثوا في مكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون ويمسون في السلاح حتى انجز الله تعالى وعده فظهرهم على كل بلاد الشرق^(٤٠).

٢. استدلل البعض على صحة خلافة الاربعة وذلك لانه تعالى وعد الذين امنوا وعملوا الصالحات من الحاضرين في زمان النبي ﷺ

(٤٠) البيضاوي: انوار التنزيل واسرار التأويل ص ٤٧٣.

تواترت الاخبار على انه سيظهر
فيماً الارض قسطاً وعدلاً كما
ملئت ظلماً وجوراً فعلى هذا
يكون المراد بالذين امنوا وعملوا
الصالحات النبي واهل بيته عليهم
الصلاة والسلام، وتضمنت الاية
البشارة لهم بالاستخلاف والتمكين
في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند
قيام المهدي^(٤٣).

وقد يلزم هذه الاقوال مايلي:

اولاً: لم يخل مجتمع المسلمين بعد
الرسول من لوثة النفاق وعدم القدرة
على العدل والتنافس على النفوذ والتنازع
بين المسلمين انفسهم، اما استخلاف الله
لهم - كما في الرازي - لم يقع منه تعالى
للخلفاء الثلاثة لا في آية ولا رواية ولاية
تنص على الاستخلاف.

ثانياً: عدم تمكين الدين من الانتشار
في جميع اقطار الارض حتى الوقت
الحاضر لان الكثير من بلدان العالم لم
يسدها الاسلام في ايامهم ولا من بعدهم

ولم يتمكن الدين من الانتشار في جميع
اقطار الارض والاية تنص على التمكين
(ليمكن لهم دينهم)).

ثالثاً: بناء على هذه الاراء تصح
امامة وولاية امراء الدولتين: الاموية
والعباسية ومن اتبعهما^(٤٤) وهذا لم يصح
لان الاية مشروطة بالايان^(٤٥) ((وعد الله
الذين امنوا)).

وحيث دلالة الاية ظاهرة في صفة
المؤمنين الذين يعملون الصالحات فلا
قرينة لفظية او عقلية تدل على كونهم
هم الصحابة او النبي ﷺ او ائمة اهل
البيت ﷺ ولا على ان المراد بالذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات جميع الامة،
وانما صرف الوعد الى طائفة خاصة
منهم تشريفاً لهم او لمزيد العناية بهم
وهو ما اكدته رواية العياشي باسناده
عن علي بن الحسين عليه السلام انه قرأ الاية
وقال: هم - والله - شيعةنا اهل البيت
يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا
وهو مهدي هذه الامة، وهو الذي قال

(٤٤) الطوسي: تفسير التبيان، ج ٧، ص ٤٥٧.

(٤٥) الطوسي: تخلص الشافي، ج ٣، ص ١١٢.

(٤٣) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن،
ج ٧، ص ١٥٢.

الذين امنوا منهم وعملوا الصالحات ان سيجعل لهم مجتمعاً صالحاً خالصاً من وصمة الكفر والنفاق والفسق يرث الارض لا يحكم في عقائد افراده عامة ولا اعمالهم الا الدين الحق يعيشون امنين من غير خوف من عدو داخل او خارج احرارا من كيد الكائدين وظلم الظالمين وتحكم المتحكمين.

وهذا المجتمع الطيب الطاهر - على ما له من صفات الفضيلة والقداسة - لم يتحقق ولم ينعقد منذ بعث النبي ﷺ الى يومنا هذا، وان انطبق فليطبق على زمن ظهور المهدي عليه السلام على ما ورد من صفته في الاخبار المتواترة عن النبي ﷺ وائمة اهل البيت عليه السلام على ان يكون الخطاب للمجتمع الصالح لا له عليه السلام وحده (٤٨).

والسؤال الذي يعترض هذا الطرح، اذاً ما معنى الوعد في الآية ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وليس المهدي عليه السلام احد المخاطبين حين النزول، ولا واحد من اهل زمان

(٤٨) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٥٦.

فيه رسول الله ﷺ: ((لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي يملأ الارض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً)) (٤٦).

ولكن الاستخلاف - هنا - في نظر الشيخ الطوسي - ليس هو الامارة والخلافة - بل المعنى هو بقاءهم في اثر من مضى من القرون وجعلهم عوضاً منهم وخلفاء كما مر (٤٧) لقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة فاطر: ٣٩] وقال تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الاعراف: ١٢٩] وقال ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ﴾ [سورة الانعام: ١٣٣].

وهذا الرأي ذهب اليه - صاحب الميزان - وهو من بين المفسرين المعاصرين الذين اشبعوا الآية بحثاً واستدلالاتاً مميزاً قال: ان الله سبحانه يعد

(٤٦) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٧، ص ١٥٢.
(٤٧) الطوسي: تفسير التبيان، ج ٧، ص ٤٥٦.



ظهوره بينهم؟.

لذا نجد -صاحب الميزان -وجه تأويل الآية توجيهها حسنا قال: هناك خلط بين الخطابات الفردية والاجتماعية، أي الخطاب المتوجه الى اشخاص القوم بما هم اشخاص باعيانهم، والخطاب المتوجه اليهم بما هم قوم على نعت كذا، فالاول لا يتعدى الى غير اشخاصهم ولا ما تضمنه من وعد او وعيد او غير ذلك يسري الى غيرهم، والثاني يتعدى الى كل من اتصف بما ذكر فيه من الوصف، ويسري اليه ما تضمنه من حكم، وخطاب الآية من قبيل الثاني على ما تقدم ثم اورد على هذا امثلة من القرآن الكريم قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِسُئُلُوا وَجُوهَكُمْ﴾

[سورة الاسراء: ٧] فان الموعودين لم يعيشوا الى زمن انجاز هذا الوعد، فوعد الصالحين من المؤمنين بعنوان انهم مؤمنين صالحين بوعد لا يدركه اشخاص زمان النزول باعيانهم ولما يوجد اشخاص المجتمع الذي يدرك

انجاز الوعد مما لا ضير فيه البتة (٤٩).

والذي يعطيه سياق الآية من الوعد باستخلاف، الذين امنوا منهم وعملوا الصالحات يرثون الارض، كما ورث الذين من قبلهم من الامم الماضية وانبساط الامن والسلام على مجتمعهم بحيث لا يخافون فيه عدوا لا في داخل مجتمعهم ولا في خارجه ومعنى الآية لا ينطبق الا على المجتمع الموعود الذي سينعقد بظهور المهدي عليه السلام بحكم كونه امتدادا لولاية الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله في الدين والدعوة الى الاسلام، ليس على مستوى الامة وانما على مستوى العالم، لانه يملأ الارض قسطا وعدلا، وبهذا العدل تتحرر جميع شعوب العالم وينبسط الاسلام فيها عقيدة وشريعة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله ((لا يبقى على الارض بيت مدر ولا بر الا ادخله الله تعالى كلمة الاسلام يعز عزيز او ذل ذليل اما ان يعزهم الله فيجعلهم من اهلها واما ان يذلهم فيدينون لها)) وهو

(٤٩) الطبائبي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ١٥٦.

الحديث من الدلالات الغيبية التي تحدث في زمان الظهور.

وهناك احاديث مروية في هذا المقام جاءت عن النبي ﷺ وائمة اهل البيت  من النبؤات التي ستقع في عصر ظهور المهدي، وهي من علاماته ومؤشراتنا في عصرنا الحاضر، ومثل هذه المعطيات الحديثة تساعد على ترسيخ الايمان القائم على دعائم الحق والعدل.

روي المجلسي المتوفي سنة ١١١٠هـ- ١٦٩٨م بسنده عن ابن مسكان قال: سمعت ابا عبد الله الصادق  يقول: ((ان المؤمنين في زمان القائم وهو بالشرق ليرى اخاه الذي في الغرب، وكذا الذي في المغرب يرى اخاه الذي في المشرق)) (٥٢).

وبسند ايضا عن المفضل بن عمر انه سال الصادق  -في رواية طويلة- قال : لا تراه عين في وقت ظهوره الا رأته كل عين، فمن قال لكم غير هذا

مصادق قوله  زويت لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي منها (٥٠).

ولغة مفردات الحديث اوردها ((ابن سلام))، سيبلغ ملك امتي مشارق الارض ومغاربها، قال ابو عبيد: سمعت ابا عبيدة ((معمر بن المثنى التيمي)) يقول ((زويت جمعت، ويقال: انزوى القوم بعضهم الى بعض، اذا تدانوا وتضاموا، ونزوت الجلدة من النار اذا انقبضت واجتمعت (٥١).

فيكون معنى الحديث -بما فيه من لغة -سيبلغ ملك امتي مشارق الارض ومغاربها، أي جميع مساحات الارض متداخلة متدانية ينضم بعضها لبعض ولم يبق منها شيء.

وهذا لم يحدث لا في الماضي ولا الحاضر، وانما امتلاك الامة لجميع دول العالم وتوحيدها تحت راية الاسلام الا في ظل ولاية الامام المهدي  وهذا

(٥٢) المجلسي: بحار الانوار، ج ٢، ص ٣٩١، وعبد الله شبر حق اليقين، ج ١، ص ٣١٤، والصابي: منتخب الاثر، ص ٤٨٣.

(٥٠) ابن سلام: غريب الحديث، ج ١، ص ٣-٤. (٥١) ابن سلام: غريب الحديث، ج ١، ص ٣-٤.

فكذبوه^(٥٣).

وروي الكليني (المتوفي سنة ٣٢٨هـ-٩٣٩م) بسنده الى ابي ربيع الشامي سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: ((ان قائمنا اذا قام مد الله لشيعتنا في اسماعهم وابصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون اليه وهو في مكانه^(٥٤))).

ولاية الامامة الروحية في القرآن:

من المعلوم ان الدعوة النبوية استمدت تشريعها على الصعيد الديني او الاخلاقي من القرآن الكريم، و قد اندرج مفهومها الروحي ضمن السيرة الابراهيمية التوحيدية، فكانت المثل الاعلى للمسلمين في التوحيد لقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ (١٣٠) اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِربِّ الْعَالَمِيْنَ ﴿[سورة النساء: ١٣٠-١٣١].

وقد سمي الله تعالى الرغبة عن ملة ابراهيم -وهو الظلم- سفها وقابلها بالاصطفاء، وفسر الاصطفاء بالاسلام، كما يظهر بالتدبر في قوله ﴿اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ﴾ ثم جعل الاسلام والتقوى واحدا او في مجرى واحد^(٥٥) في قوله ﴿اَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

ومن المعلوم ايضا ان الاسلام بعد تكامل عقيدة التوحيد القائمة على ملة ابراهيم اهتم بالشؤون العملية والتنظيمية ذات الطابع السياسي، فكانت الامامة هي النسيج القرآني في سياق نبوة ابراهيم عليه السلام فهي الصورة الروحية المقدسة التي يطرحها القرآن الكريم مثالا يحتذى به لوجود القواسم المشتركة بين الديانتين الابراهيمية والمحمدية فهما نتاج وحي واحد قال تعالى ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ اِبْرَاهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَاَتَمَّهُنَّ قَالَ اِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

(٥٣) المجلسي: بحار الانوار، م٥٣، ص٦.

(٥٤) الكليني: روضة الكافي، ص٢٠١.

والمجلسي: بحار الانوار، ج٢٥، ص٣٣٦.

(٥٥) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١،

ص٢٧٨.

في قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٨٢) ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة يس: ٨٢-٨٣].

اذن الامام، بحسب نصوص القرآن، هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه في مسيرته الاصلاحية، فالامامة بحسب الباطن نحو ولاية الناس في اعمالهم، وهدايتها ايصالها اياهم الى المطلوب بامر الله دون مجرد ارائه الطريق الذي هو شأن النبي والرسول وكل مؤمن يهدي الى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة^(٥٦) لقوله تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة ابراهيم: ٤].

اذن الامام في المعنى القرآني يجب ان يكون ذا يقين، أي مكشوفاً له عالم الملكوت، متحققاً بكلمات من الله سبحانه^(٥٧) وهذه الكشوفات خصائص^(٥٦) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٧٢. (٥٧) الطباطبائي: تفسير البيان في الموافقة الحديث والقران، ج ١، ص ١٩٠.

ليس ما تحتويه آيات القرآن مضمون تشريعي لا بوصفها مجرد قرار تشريعي بقدر ما يتجلى في قدرتها على النفاذ الى نظام تأسيسي يكفل للامة رؤية قائمة على الهداية الايصلية المتمثلة في ((ولاية الامامة)) التي يشكل تشريعها امتدادا لامامة ابراهيم عليه السلام التي جاء معناها من خلال توظيف القرآن لها بمعنى الهداية الايصلية ليتحقق فيها العدل وتستقيم معها الحياة الكريمة.

لذا نجد القرآن الكريم انه كلما تعرض لمعنى الامامة تعرض معها للهداية قوله تعالى في قصص ابراهيم عليه السلام ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (٧٣) ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [سورة الانبياء: ٧٢-٧٣].

[٧٣] وقال سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا نِيَّاتِينَ يُوَفُّونَ ﴾ [سورة السجدة: ٢٤].

فوصفها بالهداية وصفاً تعريفاً، ثم قيدها بالامر، فبين ان الامامة ليست مطلق الهداية، بل هي الهداية التي تقع بامر الله، هذا الامر هو الذي بين حقيقته



ذاتية في شخص الامام لا يناها الا من كان سعيد الذات في نفسه، اذ الذي غيره ربما تلبس ذاته بالظلم والشقاء فانما سعاده بهداية من غيره وقد قال تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى ﴾ [سورة يونس: ٣٥].

وقد قوبل في الاية بين الهادي الى الحق وبين غير المهتدي الا بغيره - أعني المهتدي بغيره - وهذه المقابلة تقتضي ان يكون الهادي الى الحق مهتديا بنفسه، وان المهتدي بغيره لا يكون هاديا الى الحق البته^(٥٨) ومثل هذه الهداية المشروطة لا تخرج عن سيرة الانبياء، ومن تابعهم على هذه السيرة من أئمة الهدى لقوله تعالى لنبيه ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [سورة الرعد: ٧].

ودلالة الاية على ان الارض لا تخلو من هاد يهدي الناس الى الحق اما نبي منذر، واما هاد غيره يهدي بامر الله، والهادي الداعي الى الحق وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليه السلام ان الهادي هو امام

(٥٨) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٧٤.

كل عصر، معصوم يؤمن عليه الغلط وتعمد الباطل^(٥٩).

وروى الطبري عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال: نزلت الاية ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ وضع رسول الله يده على صدره، وقال: انا المنذر ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ وأوماً بيده الى منكب علي عليه السلام فقال: انت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي^(٦٠).

فالامامة بموجب هذه النصوص القرآنية والنبوية تماثل النبوة بالهداية الى الحق، فاذا كانت هداية النبي لا تتم الا بوحي من غير ان يكون مكتسبا من الغير بتعاليم او ارشادات ونحوها، فموهبة النبوة تستلزم موهبة الامامة والارتباط بين الموهبتين ليس ارتباطا عارضا وانما مرتين بمفهوم قدسي يهدي بأمره تعالى فهي ليست مجرد نظرية واستدلال فحسب وانما هي عقيدة وایمان لانها ركن من اركان الدين.

(٥٩) الطوسي: تفسير التبيان، ج ٦، ص ٢٢٣.
(٦٠) الالوسي: روح المعاني، ج ٧، ص ١٠٣ والطبري، ج ١٣، ص ٦٣ والطوسي، ج ٦، ص ٢٢٣.

مشروعية ولاية الامامة:

ولاية الامامة نظرية قرآنية تفترض منهجا في الحكم اشار اليه اكثر المفسرين لآيات الولاية التشريعية فكانت كل ابحاثهم بمعزل عن التجربة التي مرت بها الامة في الحكم، وانواع الفعاليات غير المسؤولة والمتعدية على شروط ولاية الامامة والتي غير المستحقة لها ولا متصفة بها لذا كان من بين المباحث القرآنية نموذج قابل للتطبيق ونهج يساعد على معالجة مشكلة الحكم التي تعاني منه المجتمعات الاسلامية فكان الاهتمام متفاعلا من قبل اصحاب النظريات السياسية فقط وترك النظرية القرآنية التي تفترض نظاما سليما في الحكم مبني على صحة العقيدة في ولاية الامامة حفصاً على سلامة الدين من الانحراف والتطرف، فمن النصوص القرآنية التي اوجدت اسس مشروعة الولاية قوله تعالى ﴿ هَٰذَاكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ [سورة الكهف: ٤٤].

فالولاية الثابتة لله تعالى بحكم العقل والنقل هي الولاية بمعنى مالكية

التدبير وهو المعنى الساري في جميع اشتقاقاتها (٦١) كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [سورة المائدة: ٥٥] فالولاية لله تعالى وحده دون غيره وهي ولاية تكوينية وتشريعية معا لانه تعالى الخالق لكل شيء المدبر لكل امر وليس لغيره من في السماء والارض ولاية على احد غيره، ولا يمكن الخروج على هذا الاصل الولائي الا بدليل من القرآن الكريم لان كل ولاية من دون الله لا بد ان يدل عليها دليل قطعي من الكتاب.

وقد ثبت بالدليل القطعي ولاية النبي ﷺ حيث نص القرآن الكريم على ان الله تعالى جعل النبي وليا على المؤمنين بقوله تعالى ﴿ أَلَيْسَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورة الاحزاب: ٦].

وفي فصل سابق تحدثنا عن ولايته ﷺ وتوصلنا الى ان ولايته التشريعية فرض من فروض الدين كما هي ضرورة عقلية يقتضيها الدين

(٦١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٢.



اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ
أَمْرِهِمْ ﴿[سورة الاحزاب: ٣٦].

وقد جاءت الولاية في النص
موحدة تعطي حكما شموليا فتكون
ولاية الرسول والذين امنوا جزءا
تابعا لولاية الله التشريعية كما اختص
مضمون النص أيضاً بمنصب الامامة
تبعا للنبوة لان الاتجاه العام لتشريع
الاية بعد ما كان قائما على منصب
النبوة في شخص النبي ﷺ اتجه نحو
الامامة لاحتياج الشريعة الى امام
ينفذ احكامها ويجري حدودها ويأول
ما كان غامضاً من مضامين احكامها،
فكان سياق الاية يدل على وحدة ما في
معنى الولاية المذكورة فيه حيث تضمن
العد في قوله ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾
واسند الجميع الى قوله ((وليكم))
وظاهره كون الولاية في الجميع بمعنى
واحد ويؤيد ذلك ايضا قوله في الاية
التالية ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ حيث
يشعر او يدل على كون المتولين جميعا
حزب الله لكونهم تحت ولايته، فولاية
الرسول والذين امنوا انها هو من سنخ

مثلا هي ضرورة سياسية تتطلبها
مصلحة المسلمين فلا بد لها ان تشرع
في القرآن لانه ﷺ هو المكمل لشرع
الله - تعالى - والمنفذ لاحكام شريعته
لذا اقترنت ولايته بولاية الله التشريعية
لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا﴾ [سورة المائدة: ٥٥] ومعنى
ذلك ان يتولى الله ورسوله مصالح
العباد التي بها يتحقق تدبيرهم (٦٢)
فيكون المعنى المراد من ولايته هو
القرب المعنوي الذي يوجب نوعاً من
التصرف والتدبر، لامور عامة اقتضتها
مصلحة الدين وسياسة الدولة التي
هي اختيار - لا يحق لاحد مخالفته - ما
اختاره الله ورسوله من تشريع لكونه
فوق كل اختيار، حيث لم يكن لاي
اتجاه اخر غير هذا الاتجاه المشرع بدلا
لولايته التي اوجبت الشريعة طاعتها،
وامرت الامة المسلمة باتباعها لان
حكمها العدل وقولها الفصل لقوله
تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ

(٦٢) الطبرسي: مجمع لبيان في تفسير القرآن،
ج ٣، ص ٢١١.



ولاية الله (٦٣).

فأولو الامر الواجب طاعتهم في النص يجب ان تكون اوامرهم واحكامهم موافقة تماما لاحكام الله تعالى حتى تجب هذه الطاعة ولا يتسنى هذا الا بعصمتهم اذ لو وقع الخطأ منهم لوجب الانكار عليهم وذلك يضاد امر الله بالطاعة لهم (٦٥) فلا بد ان يكون الاختيار له تعالى هو الذي يختار من يريد من عباده ويجعلهم ائمة لانه سبحانه وتعالى وحده القادر على معرفة الصفوة المختارة من الناس معرفة قائمة على الجزم كما هو الحاصل في امامة ابراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

ثنائية ولاية الإمامة في القرآن:

تندرج مباحث ولاية الإمامة عادة ضمن الدراسات الكلامية في العقائد الإسلامية ومجال البحث فيها أيضاً في الفقه السياسي لما لها من تداخل موضوعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفروع

(٦٥) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص.

وعلى هذا الاعتبار التشريعي تكون ولاية الرسول وولاية الذين امنوا بدلالة الآية المقيدة للاصل الاولى القائل: لا ولاية لاحد غيرهما على احد الا اذا ثبت له بالدليل القاطع ولاية كلية او جزئية (٦٤) فوجبت طاعة الولي على المولى عليه وأمثال أمر ونهيه، وإذا تصرف في شيء كان تصرفه نافذاً وقد نص القرآن على ان الله جعل النبي ﷺ ولياً على المؤمنين في قوله تعالى ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة الاحزاب: ٦] وهو ما يرتبط بولاية الحكم مباشرة لقوله تعالى ﴿لَتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [سورة النساء: ١٠٥].

وقد اوجب الله الولاية بعد رسوله الى اولي الامر وهم الأئمة الذي تنالهم العصمة في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

(٦٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن ج ٦، ص ١٢.

(٦٤) محمد مهدي شمس الدين: نظام الحكم والادارة في الاسلام، ص ٤٣١.



والأصول، عند أغلب فقهاء المسلمين ومتكلميهم فضلاً عن وجودها الحاضر في القرآن والمؤثر في مثل هذه الدراسات الإسلامية.

والذي نريد توضيحه في هذا البحث أصل وجودها القرآني، المتحدث عن نوع الإمامة الشرعية وغير الشرعية وإثرهما في الواقع الاجتماعي.

وقد أوضح القرآن الكريم الصراع القائم في المجتمعات التي سبقت الإسلام وكان غرضه أظهر النماذج الإنسانية الحاكمة آنذاك، فمثل لها بمثاليين أطلق على الأول: إمامة ضلال وعرفها بإمامة «فرعون» وعلى المثل الثاني إمامة هدى وعرفها بأمة «إبراهيم» عليه السلام.

هذا التقسيم للإمامة الحاكمة بعامة أراد القرآن من وراءه إشعار المسلمين بخصائص ومقومات لكل من تلك الإمامتين، ومن أظهر تلك الخصائص «إرادة الحق» الذي يتمثل دائماً في «الإمامة الشرعية» السائرة في نهج القرآن الذي هو أعدل وأكثر إفضاءً إلى

الحق أما الباطل الذي يتمثل في «الإمامة غير الشرعية» السائرة في ركاب الأهواء تعمل على خلاف الحق، وهو الضلال. ومن هنا يجب أن نتذكر دائماً أن

القرآن كتاب دعوة و تشريع غرضه الوصول إلى الأصلاح والتميز بين المنهجين حتى لا يلتبس الأمر على السالكون دعوته إلى سبيل الحق، فالحق أحق أن يتبع، والباطل - في المصطلح القرآني - كان زهوفاً، على أن تكون حرية الإرادة والاختيار المدووعة في النفس الإنسانية حاضرة بلحاظ المصالح والمفاسد ملزمة شرعاً حتى لا يقع المكلف في الجبر لمن أراد اختيار أحدهما فيصح بذلك الجزاء بنوعية إتماماً للحجة ليهلك منهلك على بينة

ويحي من حي عن بينة. ولذلك أوضح هذا الموقف الأمام الصادق عليه السلام قال: إن الأئمة في كتاب الله عز وجل إمامان قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣] لا بأمر الناس ويقدمون أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم،





وقال: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْتُمُونَ﴾

[إلى النكار] [سورة القصص: ٤١]

يقدمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله عز وجل (٦٦).

هذه الصور التي كونها حديث الإمام (عليه السلام) عن الإمامتين، مع الصورة التي صاغها القرآن عنهما مثلتا طبيعة العلاقة المتناقضة في معنى الأمامتين ثم ترك طريق الاختيار المؤدي للأخذ بأحدهما، فهم مسئولون عما صار إليه اختيارهم.

لذا نجد الإمامة السياسية التي المح لها القرآن لا تمثل مجرد امتداداً لإمامة «إبراهيم» (عليه السلام) فقط على رغم من وحدة الوحي والنبوة، وإنما تمثل إمامة الأمر الواقع المعاصر لكل الأزمنة ولم يختص في زمن معين، لأن الأمام هو الحجة على الخلق بعد الرسل لقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) «اللهم لا تخلوا الأرض من حجة لك على خلقك ظاهر أو خاف مغمور

لئلا تبطل حججك وبيناتك» (٦٧).

وبذلك يتواصل القرآن مع الحقيقة التي يحكمها الأمر الواقع فكان على المسلمين الاحتكام إليه والالتزام بأحكامه لأن القرآن آضمن الطرق لإحقاق الحق الذي تطمئن به القلوب وترتفع به الشكوك، ومن لا يخضع لقوة دليل القرآن - في قوله ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾ [سورة يونس: ٣٥] خضع لمنطق القوة، وهو ما اندرجت عليه إمامة "التغلب" واستحلال حكم المسلمين بغير ما انزله الله وإلغاء كل مزاحم وإن كان هو صاحب الشرعية، التي مصدرها الله تعالى لقوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

هذه الإمامة السياسية أظهرها القرآن بمطهر القيادة والمرجعية الفعلية، وقد أعطاها بعداً اجتماعياً وسياسياً تندرج فيه شمولية النص فيحصل التقابل بين صورتين متحدتين في اللفظ

(٦٧) الصدوق: علل الشرائع/ باب ١٥٣ - ص ١٤٥.

(٦٦) الكليني: أصول الكافي/ ج ١/ باب ٨٢ - ص ٢٧٣.

ومفترقتين في المعنى، فتظهر الإمامة في إحدى هاتين الصورتين أما أن تكون إمامة شرعية ووجوب شرعيتها بمقتضى دليل الآية «إطاعة أولي الأمر».

أم تكون غير شرعية كإمامة «التغلب» ومن وجود هذه الثنائية يتضح المقصود من شمولية النص القرآني بهذين الصفتين وأثرهما الديني والسياسي في مسيرة الأمة وهما:

١. الإمامة الشرعية: التي مثل لها القرآن الكريم بإمامة إبراهيم عليه السلام المرتبطة بالحنفية وهي -دين إبراهيم- والحنف عند الراغب: هو الميل عن الضلا إلى الاستقامة، وضدها «الحنف» وهو ميل عن الاستقامة إلى الضلال (٦٨).

والحنف في لغة القرآن الميل إلى الحق، وهو من معانيه الإسلام في قوله تعالى: ﴿حَنِيفًا مَّسْلَمًا﴾ فالإسلام يرتبط ارتباطاً وثيقاً في دين إبراهيم ارتباط الفرع بأصله، فإمامة إبراهيم هي أصل إمامة الذين جاء وأمن

(٦٨) الراغب: المفردات/ ص ١٣٣.

عقبه، وهم «أئمة أهل البيت عليه السلام»، ومعنى المفردتين «الحنف» و «الحنف» أستعملهما القرآن في مورد «الإمامة» التي هي مرتبطة بالله تعالى، وكونها مرتبطة بالله تتميز بالهداية الأصيلية فهم يهدون بأوسع باب الهداية لأنهم أئمة يهدون بأمر الله لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣] ومن فعل الخيرات الميل إلى الاستقامة في الأفعال والأقوال، وبعكسها المعنى الثاني للإمامة وهو الميل عن الاستقامة إلى الضلال.

أوجد القرآن الكريم تصورات غنية بمعطياتها الإيجابية التي تسمح بما يقتضيه النظر العلمي الموضوعي للنص بأكثر من تأويل مادام الأمر متعلقاً بمفردة الهداية التي يتم التعبير عنها بصيغ مختلفة ضمن ارتباطها بالآية، وقد عرّف الطباطبائي هذه الهداية من شؤون الإمامة ليست هي بمعنى اراء الطريق لان الله سبحانه جعل إبراهيم عليه السلام إماما بعد ما جعله نبياً ولا تنفك النبوة عن



الهداية بمعنى اراءة الطريق فلا يبقى للإمامة ألا الهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب، وهو نوع تصرف تكويني في النفوس بتسييرها في سير الكمال ونقلها من موقع معنوي ال موقع آخر.

ثم يخصص دورها قائلاً: إذ كانت تصرفاً تكوينياً وعملاً باطنياً فالمراد بالأمر الذي تكون به الهداية ليس من الأمر التشريعي الاعتباري بل مايفسره في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسَبَّحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة يس:

٨٢ - ٨٣] فهو الفيوضات المعنوية والمقامات الباطنية التي يهتدي إليها المؤمنون بإعماهم الصالحة، ويتلبسون بها رحمة من ربهم (٦٩) فمنهم من صلح للإمامة ليكون قدوة في دين الله يهدي للخير والعمل بالشرائع (٧٠) فالهداية محتومة عليه، مأمور هو بها من جهة الله، ليس له أن يخل بها ويتناقل عنها،

(٦٩) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن/ ج١٤/ ص٣٠٤.
(٧٠) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل/ ج٤/ ص٣٠٢.

وأول ذلك أن يهتد بنفسه، لأن الانتفاع بهداه أعم، والنفوس إلى الاقتداء بالهدي أميل (٧١) إلى طريق الحق فيقتدي به في أفعاله (٧٢) فضلاً عن أقواله.

إذن إذا كان الإمام يهدي بالأمر- الباء للسببية أو إلالة -فهو متلبس به أولاً ومنه ينتشر في الناس على اختلاف مقاماتهم فالإمام هو الرابط بين الناس وبين ربهم في إعطاء الفيوضات الباطنية وأخذها، كما إن النبي رابط بين الناس وبين ربهم في اخذ الفيوضات الظاهرية وهي الشرائع الإلهية تنزل بالوحي على النبي وتنتشر منه بتوسطه إلى الناس وفيهم، والإمام دليل هاد للنفوس إلى مقاماتها كما ان النبي دليل يهدي الناس الى الاعتقادات الحقة والأعمال الصالحة (٧٣) وكذلك الأئمة يقتدى بهم في أفعالهم واقوالهم فهم يهدون الناس

(٧١) الزمخشري: الكشاف/ ج٣/ ص١٢٧.
(٧٢) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن/ ج١٤/ ص٣٠٤.
(٧٣) الطوسي: تفسير التبيان/ ج٧/ ص٢٦٥.
والالوسي: روح المعاني/ ج٩/ ص٦٨.



الى طريق الحق والى الدين المستقيم بأمر منه تعالى فمن أهدى بهم فالنعمة لله (٧٤) على هدايته.

ويستتج من هذا امران: احدهما ان الامام يجب ان يكون معصوماً عن الضلال والمعصية، وإلا كان غير مهتد بنفسه، كما تدل عليه الآية المتقدمة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٧٣) فأفعال الأمام

خيرات يهدي إليها لا بهداية من غيره بل باهتداء من نفسه بتأييد إلهي وتسديد رباني والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ فهو يدل على أن ما فعلوه من الخيرات، إنما هو بوحى باطني وتأييد سماوي والثاني: عكس الأمر الأول، وهو أن من ليس بمعصوم فلا يكون أماماً هادياً الى الحق ألته (٧٥) حتى وان كان على استقامة دينية أو مرجعية اجتماعية.

(٧٤) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن/

ج ٧/ ص ٥٦.

(٧٥) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن/

ج ١ ص ٢٧٤.

٢. الإمامة غير الشرعية: ساق القرآن وصفاً لها وخصص ذلك الوصف بالدعوة الى النار، ونقل لنا صورة لها وسماها بإمامة الكفر والنفاق، وهي دعوة لاخير أن مصيرها النار لقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْتَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ (٤١) وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [سورة القصص: ٤١-٤٢].

إن هؤلاء أصحاب الإمامة غير الشرعية يصورهم النص القرآن نموذجاً واضحاً في الدعوة الى النار، بوصفه تعبيراً مجازياً وهي الدعوة الى ما يستوجب النار من الكفر والنفاق لكون أعمالهم هي التي تتصور لهم يوم القيامة ناراً يعذبون فيها، والمراد بالنار- في الآية- هو ما يستوجبها مجازاً من باب إطلاق السبب وإرادة سببه، وهو التعبير الذي يتناسب مع الحالة التي يراد وصفها.

هنا في هذا النص تكرست الصورة





السلبية التي يراد وصفها عن قيادة الضلال من خلال النظرة التي كونها النص حيث جعلهم (أئمة يدعون الى النار) تصيرهم سابقين في الضلال لكونهم أئمة كفر يقتدى بهم الاحقون ولاخير فيه، لكونه بعنوان المجازة على سبقهم في الكفر والجحود وليس من الاضلال الابتدائي في شيء^(٧٦).

وفي سياق النص القدرة على التأثير في أظهار موقفهم يوم القيامة يتخيل لهم أنهم يتناصرون ينصر بعضهم البعض كما لو كانوا في الدنيا، ولكن الأمر ليس كذلك، وإنما يرقى إلى مستوى النقيض مما يتصورون فهم يومئذ لا يتعارفون فضلا عن التناصر تتابعهم اللعنات لعنة بأثر لعنة، وهو الطرد ولا بعاد عن رحمة الله^(٧٧).

وقد عمل الخطاب القرآني على تحديد هوية هذه الإمامة غير الشرعية حين أطلق عليها صفة أخرى وهي صفة «أئمة الكفر» وأمر بقتالهم لأنهم لا ايمان لهم بقوله تعالى: ﴿وَأِنْ تَكُونُوا

أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَبِلُوا آيَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا

أَنْ هَذَا الْمَنْحَى الْقُرْآنِي لِهَذَا الاستمرار المترادف من اللعن يقتضي أيضاً إلزام الملائكة وكذلك المؤمنين

(٧٨) الالوسي: روح المعاني/ ج ١٠/ ص ٢٩١.

(٧٩) الفخر الرازي: التفسير الكبير/ ج ٢٤/ ص ٢٥٥.

(٧٦) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن/ ج ١٦/ ص ٣٨.

(٧٧) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن/ ج ٨/ ص ٢٥٥.

أَيَّمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿ [سورة التوبة ١٢].

أستهدف القرآن في هذه الآية أمرين:

الأول: نكث الإيمان، وهو نقض العهد الذي جعل لتوثيق الأمر لأنهم لا وفاء لهم بالعهود^(٨٠) لكونهم غير مؤمنين بعد ما نكثوا العهد، وكيف يكون لهم عهد وهم يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون^(٨١).

الثاني: القتال الذي أمر الله به - في قوله ﴿ وَإِنْ تَكْثَرُوا أَيَمْنُهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴾ [سورة التوبة ١٢] وهو سبب نقضهم للعهد فأنهم لا ينتهون من الكفر والنفاق بدون القتال، فيكون الغرض من مقاتلتهم بعدما وجدوا منهم تقض عهودهم من بعد ما عقدوها، فتكون المقاتلة سبباً في

لا ينتهون من الكفر والنفاق بدون القتال، فيكون الغرض من مقاتلتهم بعدما وجدوا منهم تقض عهودهم من بعد ما عقدوها، فتكون المقاتلة سبباً في

(٨٠) الطوسي: تفسير التبيان/ ج ٥/ ص ١٨٢.

(٨١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن/ ج ٩/ ص ١٥٨.

انتهاهم عما هم عليه من الكفر^(٨٢).

وقد اختلف المفسرون في دلالة الآية، فذهب البعض إنها نزلت في قادة قریش وذهب البعض الاخبارائها في فارس والروم، وبعضهم يرى إنها في الفئة الناكثة والباغية والمارقة^(٨٣) وقد اعتمد هؤلاء على نصوص من الروايات تقرب لهم الغرض من نزولها، كما في قول حذيفة بن اليمان: هو ما أخرجها بن أبي شبة وغيره ونقلها معظم المفسرين قال: (ما قاتل أهل هذه الآية بعد)^(٨٤) ولم يأت أهلها^(٨٥) وما يؤكد هذه الرواية ما روي ايضاً عن ابي جعفر - الباقر^(عليه السلام) - انها نزلت في اهل الجمل، كما روي ذلك عن علي^(عليه السلام) وعمار وغيرهما^(٨٦) وفي تفسير العياشي

(٨٢) الفخر الرازي: التفسير الكبير/ ج ١٥/ ص ٢٣٤.

(٨٣) الطبرسي: البيان في تفسير القرآن - ج ٥ - ص ٣.

(٨٤) الالوسي: روح المعاني/ ج ٥ - ص ٢٥٣.

(٨٥) الخازن: الباب التاويل فيمعاني التنزيل - ج ٣ - ص ٨٤.

(٨٦) الطوسي: تفسير التبيان/ ج ٥/ ص ١٨٣.



فهولاء قوم آخرون لهم مع ولي الأمر من المسلمين عهود وأيمان ينكثون أيمانهم من بعد عهدهم أي ينقضون عهودهم من بعد عقدتها فامر الله سبحانه بقتالهم والغى أيمانهم، يقاتلون جميعاً لعلهم ينتهون عن نكث الإيـان ونقض العهود^(٨٨) التي بينهم وبين ولي الأمر الإمام علي عليه السلام الذي كان يؤمن أن الوحدة بين الدين وسياسة المسلمين لانفصام لها، وماحدث في خلافته يمكن إن يفسر خلاف سياسي يضر في مصالح المسلمين، وان بعض الذين حاربوا باسم دم عثمان ليسوا من ذوي قرباه وكانوا الى وقت قريب من أشد الناقمين عليه، ثم كيف يكون دم عثمان سبباً للنزاع ثم تتم المساومة على الدم المسفوك، يريد احدهما ولاية البصرة والآخر ولاية الكوفة والثالث أن يسكت له الإمام علي عليه السلام عن ولاية الشام، فهو يرى في حرب هؤلاء الناكثين والقاسطين والمارقين-مع أنهم

(٨٨) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن-ج٩- ص١٥٩.

عن علي عليه السلام عذربي الله من طلحة والزبير بايعاني طائعين غير مكرهين، ثم نكثا بيعتي من غير حدث أحدثته، والله ما قوتل أهل هذه الآية منذ نزلت حتى قاتلتهم وقرأ قوله تعالى ﴿وَإِنْ نَكْثُوكُمْ أَيَّمَنَهُمْ﴾^(٨٧).

المفسرون على كثرتهم قد تفوتهم الرؤية الصائبة فهم يستدلون بحسب قواعد متبعة عندهم، فمن أخطأ فله أجره، ومن أصاب فأجره مضاعف لمن أراد إن يخلص لله في عمله يجد فسحة في البصيرة فيتبع ما هو أقوم للحق.

يرى الطباطبائي سياق الآية يدل على أنهم غير المشركين الذين أمر الله سبحانه في الآية السابقة بنقض عهدهم وذكر أنهم هم المعتدون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة فأنهم ناكثون للإيمان ناقضون للعهد، فلا يستقيم فيهم الاشتراط الذي ذكره الله سبحانه بقوله ﴿وَإِنْ نَكْثُوكُمْ أَيَّمَنَهُمْ﴾.

(٨٧) تفسير العياشي: ج٢/ ص٧٩/ الحديث ٢٨، الامالي للمفيد/ ص٧٢/ الحديث ٧، شواهد التنزيل/ ج١/ ص٢٧٦، عن الطباطبائي تفسير البيان/ ح٥ ص٩٣.

جميعنا مسلمون - أنها لأتقل أهمية عن حربه مع رسول الله للمشركين، وكان يقول لو كشف عني الغطاء ما ازددت يقيناً، فكان يحارب مع رسول الله على تنزيل القرآن، وهو إثناء خلافته يحارب على تأويله (٨٩).

وفي تفسير العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: دخل علي أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير فقلت لهم كانا من أئمة الكفر إن علياً يوم البصرة لما صف الخيول قال لأصحابه لا تعجلوا على القوم حتى اعذر فيا بيني وبين الله تعالى وبينهم فقام إليهم فقال يا أهل البصرة: هل تجدون علي جوراً في حكم؟ قالوا لا، قال: أفي حيفاً في قسمة؟ قالوا: لا، قال: فرغبة في دنيا أخذتها لي ولا هلي بيتي دونكم فنقمتم علي فنكثتم بيعتي؟ قالوا لا، قال: فأقمت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا، قال: فما بال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث، إني

(٨٩) احمد محمود صبحي: نظرية الإمامة - ص ٣٠١

ضربت الأمر انفه وعينه فلم أجد إلا الكفر أو السيف ثم أثنى إلى أصحابه فقال: إن الله تعالى يقول: في كتابه وإن نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم (٩٠) وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » ثم فقال امير المؤمنين عليه السلام: والذي فلق الحب وبراء النسمة واصطفى محمداً بالنبوة إنهم لأصحاب هذه الآية وما قوتلوا مذ نزلت (٩١).

ومن هنا نرى أن الامام عليه السلام بعدما أقام الحجة عليهم أستدل بالآية ثم خصهم على أنهم أصحاب هذه الآية، وإنهم ما قوتلوا منذ نزلت إذن هم البغاة وجريمتهم الجنائية خروجهم على الامام صاحب السلطة الشرعية.

أما سبب الخروج هو نقض البيعة، وهي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أنه يسلم له النظر في أمر نفسه لا ينازعه في شيء من ذلك

(٩٠) الفيض الكاشاني: تفسير الصافي - ج ٢ - ص ٣٢٤

(٩١) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن / ج ٩ / ص ١٨٢



﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا﴾
[سورة الاسراء: ٣٤].

وليس ذلك إلا لان العهد والوفاء به مما لا غنى للإنسان في حياته عنه أبداً والفرد والمجتمع في ذلك سيان^(٩٣) كل ذلك كان احتراماً للعهد ومراعاة لما تقتضيه مصلحة المسلمين، وليس للعائد أن ينقض العقد ما دامت البيعة شرعية لا اكراه فيها، فالناقض للعهد والخارج على الامام يعد باغياً.

والمعرف أن البغي في المصطلح الفقهي هو «خروج جماعة» مسلحة على الحكومة الشرعية «الامام» ومحاربتها أو بعبارة أخرى هو: تمرد وعصيان مسلح ضد الحكومة الشرعية، قد يكون هدفه قلب نظام الحكم بالقوة، وقد يكون هدفه اقتطاع جزء من البلاد، والاستقلال به من الدولة كما فعله معاوية.

وهذا الأخير كان منذ البداية يسعى جاهداً الى رد الاعتبار الجاهلي

(٩٣) الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن/ ج ٥/ ص ١٥٩.

ويطيعه في ما يكلفه به من الامر، وكانوا إذا بايعوا الامير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد، ومنه إيمان البيعة، وكان الخلفاء يستحلفون على العهد ويستوعبون الايمان كلها لذلك سمي هذا الاستيعاب "أيمان البيعة"، وكان لا اكراه فيها^(٩٢).

وما دامت البيعة شرعية لا اكراه فيها لم يكن مبرراً مطلقاً نقضها والخروج على ولاية الامام الشرعية، وأن الله تعالى يقول ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاوُفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [سورة المائدة: ١].

فالوفاء بالعهد وحفظ المواثيق هي من أولويات الشريعة ولما كان عقد البيعة من أهم العقود والمواثيق الدينية، وجب الوفاء به وقد أكد القرآن على ذلك في الوفاء بالعقد والعهد بجميع معانيه وفي جميع مصاديقه - ومنها عقد البيعة - وشدد فيه كل التشدد، وذم الناقضين للمواثيق ذمّاً بالغاً، وأوعدهم إيعاداً عنيماً ومدح الموفين بعهدهم أذا عاهدوا في آيات كثيرة منها قوله تعالى:

(٩٢) ابن خلدون: المقدمة/ ص ٢٠٩.

الذي أفقده الأمويون في الإسلام، فاستعمل وسائل غير مشروعة ومخالفة للأسلام، فكان أول من أستعمل الإرهاب في الاسلام لتصفية معارضيه في الأغتياالات مرة بالسيف، وفي السم مرة أخرى وقد أستخدم سياسة المكر والمراوغة وبذل المال وأستخدمه استخدماً ماهراً لاقامة حكمه المستبد، وكان من أبرز اهدافه الغاء نظام الخلافة، وابداله بنظام مستبد قائم على الغلبة والجبروت مماثلة لنظام الأكاسرة والقيصرية.

إن مثل هذا النظام الذي عرف عند المسلمين بنظام دولتي الاكاسرة في الشرق والقيصرية في الغرب كان معروفاً ومميزاً عندهم بالاستبداد، كما أن القرآن الكريم هو أول من وضع أساس هذه الفكرة، فقد أعطى صورة حية مجسمة للحكم الاستبدادي واوضح ما فيه من مثالب وبين ما انطوى عليهم مساوئ حتى وصف الحكم الفرعوني بأدق الوصف، وبين درجة ما وصل إليه من الظلم، وقد

أراد الطاغية أن يتحكم حتى في حياة الناس فاصبحت الفرعونية علماً على حكم الفرد المستبة او حكم الجور والطغيان، و مثلها صارت «الكسروية» و «الهرقلية» مثلاً عند المسلمين و اشار الله سبحانه أيضاً الى هذا النوع من الحكم^(٩٤) المتجبر الفاسد بقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النمل: ٣٤].

فالقران الكريم مهد للمسلمين معرفة الحاكم المستبد حتى لاينسلخوا عن حكم قرآنهم ويسقطوا دولتهم في براثن هؤلاء الجبابرة، وهو الذي قصده الامام علي عليه السلام حين خطب أهل الكوفة فأشار الى معاوية وانصاره قائلاً: والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بأعمال كسرى وهرقل^(٩٥) وقوله ايضاً عنهم، وهو يخاطب في أهل الكوفة حاثاً لهم على الجهاد سيروا الى القاسطين فهم

(٩٤) الرئيس: النظريات السياسية الاسلامية/

ص ١٠٠.

(٩٥) ابن الاثير: الكامل في التاريخ/ ج ٣/

ص ١٤٧.



المدينة ولم يتخذ الردع المناسب بحق معاوية، وهو أقل ما يمكن فعله عزله من ولاية الشام حذراً من التباس الباطل بالحق، واقتداء الناس به.

هذه العلاقة القائمة بين الخليفة و ولاية الامصار علاقة مباشرة في تنفيذ سياسة الدولة الدينية، وعدم تنفيذها أو الاخلال بها يجري عليه الإنكار في حالة ارتكاب المنكر، وهذا الواجب لا يسقط إلا بالعجز عنه وليس هناك منكرًا اكبر من سفه الحاكم وسياسة الامة بغير ما أنزل الله، لذا فمسؤولية الخليفة عمر مسؤولية شرعية مباشرة من أجل صيانة الخلافة وحفظ ولاية الامصار من الانحراف والوقوع في الباطل وهم يمثلون الخلافة المركزية، فكانت هذه احدى المؤخذة على عمر في خلافته حيث فسح المجال لتصرف معاوية ولم يردعه أو يخطئه حتى ذهب بعيداً في تجبره ومكره وخداعه، فكان سكوت عمكر عن سياسة معاوية هي التجربة الاولى التي شجعتة على قلب نظام الخلافة الى نظام كسروي وجرت

أهم علينا من الخوارج: سيروا الى قوم يقاتلونكم كما يكونوا جبارين يتخذهم الناس أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً، ومالهم دولا^(٩٦)، والخول العبيد.

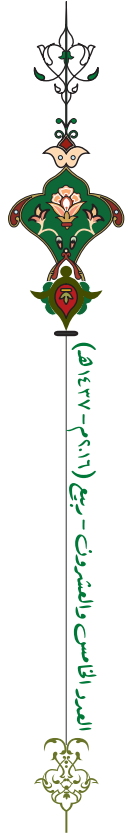
وقد أشار الخليفة عمر الى هذا المعنى مستنكراً ما رآه من معاوية عندما قدم عليه في أبهة الملك وزيه من العديد والعدة فقال له غاضباً: أكسروية يا معاوية^(٩٧)؟.

وقد أراد عمر بالكسروية، ما كان عليه أهل فارس أنداك في ملكهم من ارتكاب الباطل والظلم والبغي وسلوك سبله والغفلة عن الله، ولكن معاوية اراد أن يستغل عمر فاجاب بان القصد بذلك ليس كسوية فارس وباطلهم وانما قصده بهذه الكسروية وجه الله قال ابن خلدون: فسكت عمر^(٩٨) فكان سكوت عمر ليس من المصلحة وهو خليفة المسلمين وهو الذي يمثل سياسة الخلافة الدينية في

(٩٦) المسعودي: مروج الذهب/ ج ٢/ ص ٢٦.

(٩٧) ابن خلدون: المقدمة/ ص ٢٠٣.

(٩٨) ابن خلدون: المقدمة/ ص ٢٠٣.



طبيعة التغلب على الخلافة بدون الرجوع الى بيعة أهل الحل و العقد التي كانت عليها الخلافة الاسلامية، وأنها صارت البيعة المشهودة لهذا العهد الاموي هي تحية الملوك الكسروية من تقبيل الارض او اليد او الرجل او الذيل - المراد منها اذلال المسلمين - واطلق عليها اسم البيعة التي هي العهد على الطاعة مجازاً، حتى صارت حقيقة عرفية واستغنى بها عن مصافحة أيدي الناس التي هي الحقيقة في أصل البيعة (٩٩).

وقد ظل هذا الحكم الذي يوسس بحد السيف حكماً فرعونياً لا يمت الى الاسلام بصلة، فمن اللغو الزعم ان هذا الحكم الاموي هو حقبة إسلامية اقتضتها الضرورة أستناداً للامر الواقع، بل الصحيح هو أضر بالاسلام عقيدة وشريعة أبلغ الضرر وافدحه وجعل الاسلام مجرد دولة لادعوة، وهي كانت محاولة أستئصال روحية الاسلام واخلاقيته.

(٩٩) ابن خلدون: المقدمة/ ص ٢٠٩.

ولكن هذه المحاولة لم يتم لها النجاح وندثر قصدها وتلاشت قوتها بفضل ثورة الحسين (عليه السلام) التي قلبت الموازين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة الصف: ٩].

فالامامة بمقتضى الآية من عهد الله التي لا يتطرق اختيار الناس اليها مطلقاً اما انها من عهد الله فقلوه ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ واما انها من اختياره فقلوه تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ الامر الذي يثبت عدم جواز اختيار الناس للامام ولقد اختار الله ابراهيم للامامة بعد ان اختاره للنبوّة، ولما كان الاجماع قد انعقد على ان الاختيار للنبوّة من شأن الله فحسب، فوجب اذن ان يكون منصب الامامة من الله، وقد اشار الله تعالى الى ذلك في اكثر من موضع كقلوه ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [سورة الانبياء: ٧٣] فالله تعالى اوحى اليهم فعل الخيرات وجعلهم ائمة للناس





مصاديق الولاية للأمامة بعد النبوة في القرآن الكريم..... (المصباح)

القربات، ويستحق للمثوبات (١٠٢)
لذا ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ
وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةً ﴾.

ولاية الامامة بين الوجوب والجواز:

الواجب في اللغة: قال الجوهري:
وجب الشيء أي لزم، ويجب وجوباً
واوجهه الله واستوجهه أي استحقه (١٠٣)
وهو ضربان - عند الراغب -:

الاول: واجب من جهة العقل
كوجوب الوجدانية، ومعرفة النبوة -
وكذلك الامامة -.

الثاني: واجب من جهة الشرع
كوجوب العبادات الموظفة (١٠٤) في مجاهلها
التعبدية.

ان للامة مصالح كثيرة واهمها
تنظيم وجودها في محيطها كي تسعد في
حياتها ومن هذه المصالح وجود نظام
حكم يستند على سياسة حكيمة تلبى ما
تحتاج اليه الامة.

لهدايتهم (١٠٠) والاقداء في افعالهم
واقوالهم فهم الذين يهدون الى طريق
الحق والدين المستقيم، فمن اهتدى
بهم فالنعمة لله تعالى عليه (١٠١) وهذا
في غاية الاهمية في الدنيا والاخرة اذ
كان اختيار الدليل منه تعالى ليصح
الاقداء به وهكذا اذن يكون وقوع
المناصب الاتية من قبل الله تعالى
فكما ان النبي ﷺ نبي ولو لم تتفق
عليه امة، فكذلك الامام امام وان
لم يبايعه احد، والحكيم حكيم وان
لم يعرف قدره الجاهل، والعالم عالم
سواء سئل ام لا، ولكن العجب -
كما يرى صدر المتألهين - كله خفاء هذا
الامر الجلي على العقلاء الذين جعلوا
الخلافة والولاية - وهو امر باطني -
على ميل الطبايع، واتفاق الجماعة على
شخص، مع ان طبائعهم مجبولة على
طاعة الشهوات، راغبة عما به يحصل

(١٠٢) صدر المتألهين الشيرازي: تفسير

القرآن الكريم، ج ٥، ص ٢٠٦.

(١٠٣) الجوهري: الصحاح، ج ١، ص ٦٦٤

تحقيق مرعشي.

(١٠٤) الراغب: المفردات، ص ٥١٢.

(١٠٠) احمد محمود صبحي: نظرية الامامة،

ص ٨٢.

(١٠١) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن،

ج ٧، ص ٥٦.

فالحكم: اذن ضرورية اجتماعية تقضي بوجود نظام يرفع مصالح الناس وشؤون حياتهم، والا أصبحت الامة غير قادرة على النهوض وادامت حياتها فلا يمكن لاي مجتمع ان يستقيم له امر من دون وجود سلطة يلقي عليها مسؤولية تبعاته، وقد نص الأمام علي عليه السلام على وجوبها عندما تعرض له أحد الخوارج وهو يخطب فلما سمع قوله ((ولا حكم إلا لله قال: كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن ويستمنع فيها الكافر)) هذا النص صريح منه عليه السلام بأن الإمامة واجبة (١٠٥).

لذا ذهب معظم الفرق الاسلامية الى القول بوجوب الامامة ولكن السؤال يبقى هل الامامة فرض مطلقا ام هي امر جائز ليس بفرض؟. فاذا شاء المسلمون اقاموا اماما واذا لم يريدوا

(١٠٥) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغ، ج ٢ ص ٣٠٧.

ليس في الشريعة ما يلزمهم على ذلك؟. كل ذلك في امر الوجوب والجواز نجده في آراء الفرق الاسلامية التي خاضت معارك كلامية في مختلف فصول الامامة، فذهبت معظم هذه الفرق الى القول بوجوب الامامة منهم اهل السنة باجمعهم والمذهب الشيعي جميعا ومذهب الخوارج، وجميع المرجئة واكثر المعتزلة.

اما الجواز فقد ذهب اليه ابو بكر الاصم، والهاشمية المعتزلة اصحاب هشام بن عمرو الفوطي (*) فهم يقولون: بجواز عقد الامامة في حالة الاتفاق والسلامة، ولا تنعقد الا باجماع الامة عن بكرة ابيهم (١٠٦) والى مثل هذا ذهب احد المعتزلة ((عباد

(*) الهاشمية: اتباع هشام بن عمرو الفوطي (٢٢٦هـ - ٨٤٠م) وهشام هذا مسائل كثيرة اختص ببعضها منها الامامة لا تنعقد الا في حالة السلامة اما في حالة الفتنة فلا يجوز وفي هذا الرأي اراد الطعن في امامة علي عليه السلام اذ كانت البيعة بعد مقتل عثمان، الشهرستاني، ج ١، ص ٧٢.

(١٠٦) البغدادي: اصول الدين، ص ٢٧١.



الوجوب العقلي والسمعي:

اختلف القائلون بالوجوب من حيث الدليل على وجوب نصب الامام هل هو دليل العقل او دليل الشرع او هما معا؟.

وقد ذكر هذا الاختلاف الماوردي قائلا: اختلف في وجوبها -الامامة - هل وجبت بالعقل او بالشرع، فقالت طائفة وجبت بالعقل لما في طباع العقلاء من التسلم لزعيم يمنعهم من التظالم ويفصل في التنازع والتخاصم ولولا الولاية لكانوا فوضى مهملين همجا مضاعين.

وقالت طائفة اخرى بل وجبت بالشرع دون العقل لان الامام يقوم بامور شرعية قد كان مجوزا في العقل ان لا يراد التعبد بها، فلم يكن العقل موجبا لها. وانما اوجب العقل ان يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن النظام والتقاطع ويأخذ بمقتضى العدل في التناسف والتواصل فيتدبر بعقله لا بعقل غيره.

بن سليمان)) حيث قال: ان الامامة اذا اجتمعت واصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الى امام يسوسها ويديرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام (١٠٧) وكذلك نقل الشهرستاني رأي النجدات من الخوارج قال: ان الامامة غير واجبة في الشرع وجوبا لو امتنعت الامامة عن ذلك استحقوا اللوم والعقاب، بل هي مبنية على معاملات الناس، فان تعادلوها وتعاونوا وتناصروا على البر والتقوى واشتغل كل واحد من المكلفين بواجبه وتكليفه استغنوا عن الامام ومتابعته (١٠٨).

ان مثل هذا الاراء الشاذة لم تعالج نظرية الوجوب والجواز بصيغ علمية وانما تبرهن على ان الدوافع السياسية التي تتحكم في الاراء والمعتقدات هي ذاتها طبيعة متغيرة تبعا لتطور الاحداث.

(١٠٧) ابن حزم: الفصل في الملل والاهواء والنحل، ج ٤، ص ٢٠٤.
(١٠٨) الشهرستاني: نهاية الاقدام في علم الكلام، ص ٤٨٢.



الْكُلِّيَّاتُ الْقُرْآنِيَّةُ

بَيْنَ التَّأْسِيسِ الْقَوَاعِدِيِّ وَالْقَوَاعِدِ الْمُؤَسَّسَةِ

الشيخ ليث عبد الحسين العتابي
رئيس شعبة البحوث و الدراسات
في العتبة العلوية المقدسة

فحوى البحث

يشكل البحث قواعد ينطلق منها الباحث لتسهيل
استيعاب جملة من العلوم والمعارف القرآنية صاغها
الباحث ضمن جامع مشترك اطلق عليه اسم (الكليات
القرآنية). ويرى الباحث ان المراد من البحث: توضيح
الاسس المهمة في القرآن الكريم ضمن كليات جامعة.
و بذلك فقد حاول الباحث الوقوف على ايجاد جامع
مشترك لجملة من الموضوعات القرآنية ضمن صياغة
قواعدية كلية تسمى (القواعد القرآنية).

مقدمة تمهيدية:

و قواعد مفيدة و مهمة في مجال التشريع و السير و السلوك.

إن من أهم ميزات القواعد القرآنية؛ شموليتها و سعة معانيها. إذ انها - بشكل عام - ليست مختصة بموضوع محدد من حيث كونها قواعد، و إن مواضيعها ليست مختصة بموردٍ خاص من حيث التطبيق.

مع لزوم الالتفات إلى: (أن خصوص سبب النزول لا يخصص الحادثة) إذ تبقى للآيات القرآنية عموميتها و عدم محدوديتها.

إن هناك قواعد قرآنية تعالج القضايا الاجتماعية، و قواعد تصحح القضايا الاعتقادية، و قواعد مهمتها ترشيد السلوك، و قواعد أخرى مهمتها تشريعية.

إن الغرض التعليمي يعدّ من أهم الأغراض في القرآن الكريم. فبما ان للقرآن الكريم اغراضاً كثيرة، منها التربوي، و منها التشريعي -على سبيل المثال- إلا أن الجامع المشترك لها كونها قد جاءت بقصد التعليم.

إن القواعد من الأمور التي لا غنى للإنسان عنها، فقد اصبحت الدستور الذي يسير عليه، و المنهج الذي يتخذه سبيلاً في سيره نحو ما يريده و يبتغيه.

فسواء أكانت هذه القواعد صحيحة بأجمعها، أم انها تختمل الخطأ و الصواب، إلا أن المهم -في ذلك كله- بانها تعطي للإنسان نوعاً من الاطمئنان و نوعاً من التسليم ليوصله إلى حد من عدم المانع في مسيرته الحياتية.

إن الإنسان و على اختلاف لغته أو معتقده و منذ اقدم العصور يسعى إلى التقنين و التعقيد، فيسعى بما لديه من سطوة و حب هيمنة إلى ان يلزم الآخرين بما وضعه أو اكتشفه أو اخترعه من قوانين و قواعد. فيثيب و يعاقب و يحكم و يتصرف تبعاً لذلك.

و بما ان كل شيء لا يخرج عن قانون يحكمه أو عن قاعدة توضحه، فمن اليقين بأن مصدر التشريع الأول، و المعجزة المحمدية الكبرى، لن يخرج عن عرف العقلاء بما يمتلكه من عموميات و كليات



ف(الغرض التعليمي) من المراتد الجدية في كتاب الله تعالى، و الهدف الأساس من وراء ذلك هو هداية البشرية جمعاء.

فكيف لنا أن نحدد المراد الإلهي؟. نقول: لولا وجود الأنبياء و الرسل و الأوصياء عليهم السلام، و وجود الكتب السماوية لما استطعنا فهم المراد الإلهي لجملة من أسرار الوجود الكوني و الإنساني.

إن الإنسان أدرك بفطرته و بما آتاه الله تعالى من نعمة العقل أموراً مهمة في هذا الوجود، لكنه لم يستطع معرفة الحقائق و الأسرار المهمة لهذا الوجود.

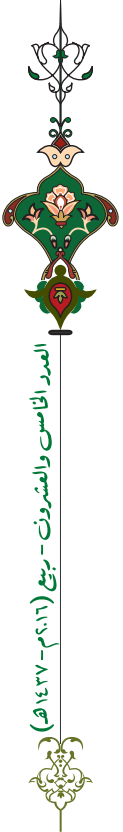
لقد كان إرسال الرسل و الكتب السماوية من اجل تعليم الإنسان أهمية و غاية وجوده في هذا الكون، و لكي يعرف ما الواجب عليه تجاه كل شيء، بدءاً من نفسه و انتهاءً بخالقه جل و علا.

في بحثنا هذا سنتناول الكليات القرآنية العامة ضمن منهج قواعدي و ذلك لإثارة الكتابات الجادة حول هذا الموضوع المهم و الحيوي، و الذي لم يكتب

عنه -بحسب تباعي- بشكل تخصصي. ففي هذا البحث القرآني لا أقول بأن ما وصلت إليه هو نهاية المطاف، أو انني اخترعت ما لم يخترعه غيري، هذا من جانب. و من جانب آخر فإن الذي سرت عليه ما هو إلا طريق بحث معرفي غير مخالف لمقتضى العقل و لا لثواب الشرع الحنيف.

إن هذا البحث يشكل قواعد انطلاق تسهل استيعاب جملة من العلوم و المعارف القرآنية صغناها ضمن جامع مشترك اطلقنا عليه اسم (الكليات القرآنية) فلا يعتقد معتقد باننا قد ابتكرنا ذلك من عن دياتنا لأن المراد هو توضيح الأسس المهمة في القرآن الكريم و ذلك ضمن كليات جامعة، فهذا هو منهج القرآن، الذي جاء لهداية البشرية جمعاء لا يحده زمان و لا مكان.

كان لا بد ان نقف -في بحثنا هذا- عند النصوص القرآنية المهمة و المؤيدة لذلك، معززين أقوالنا بالأحاديث المباركة للرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و أحاديث أئمة أهل البيت النبوي المبارك عليهم السلام، و



وبعضها متفرعا عن بعض. وكذلك يقال في الجزئيات، فمنها جزئيات كبرى تنطوي على غيرها، ومنها جزئيات صغرى تنطوي في غيرها. فالجزئيات الكبرى قد تكون بمثابة كليات لعدد كبير من الجزئيات الصغرى، المتفرعة عنها أو المتعلقة بها.

إن للقرآن أساليبه المتميزة في عرض مضامينه وأداء وظائفه، ذلك أنه يخاطب ويعالج الكيان البشري بكل مكوناته وبكل متطلباته دفعة واحدة، ولذلك تمتزج فيه -في الموضع الواحد- عناصر متعددة للخطاب، أو عناصر متعددة للمعالجة، فتجد أسس العقيدة مع جزئيات التشريع، وتجد القصص مع المواعظ، وتجد الحجاج المنطقي مع ذكر الجنة والنار، وتجد مشاهد الطبيعة مع تكاليف العبادة، وهكذا.

و الكليات القرآنية التي هي موضوعنا، يعرضها القرآن الكريم ضمن هذه الأساليب المتنوعة المندجة. فكثير من هذه الكليات جاء على لسان الرسل والأنبياء ﷺ، أو ضمن

مستشهدين على جملة من المطالب بأقوال العلماء من أهل الاختصاص.

في هذا البحث سوف نحاول الوقوف عند هذا الموضوع المهم ألا وهو إيجاد جامع مشترك لجملة من الموضوعات القرآنية لنضعها ضمن صياغة قواعدية كلية تسمى بـ(القواعد القرآنية).

الكليات القرآنية:

إن الكليات القرآنية قد تكفلت بإرساء الأساس المرجعي الذي ينبثق منه التشريع الإسلامي، وأن الشريعة الإسلامية قد تفصلت فروعها وجزئياتها، بعدما تأصلت أصولها وكلياتها^(١).

ومما يجدر التنبيه عليه، كون هذه الكليات ليست على درجة واحدة، لامن حيث كليتها وعمومها، ولا من حيث رتبته وأولويتها، بل بعضها أولى وأعلى، وبعضها دون ذلك، وبعضها أعم وأشمل، وبعضها دون ذلك. وقد يكون بعضها مندرجا في بعض،

(١) أي: أحكمت ثم فصلت.

صفاتهم ومواقفهم، أو جاء حكاية عما في كتبهم وشرائعهم. وجميع هذه الصيغ والأساليب مقتضاها: (التعليم والتوجيه والتشريع).

وكثير من الكليات القرآنية جاءت في صيغ وصفية لأحوال ونماذج من الناس. وهي إما تذكر صفاتهم المحمودة والممدوحة، لأجل الاتباع والافتداء، أو صفاتهم المذمومة والمستنكرة، لأجل الاجتناب والانتهاز.

قد تأتي الكليات القرآنية بصيغ خبرية تقريرية، على شكل مبادئ وقواعد كما في الآيات:

قال تعالى: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢].
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

و قد تأتي الكليات القرآنية أيضا بالصيغ الصريحة للأمر والنهي (أوامر كلية ونواه كلية).
فمن الأمر:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩].

و قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٤].
ومن النهي:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

و قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٨٣].

إن الكليات الأساسية يراد بها المعاني والمبادئ والقواعد العامة المجردة، التي تشكل أساساً لما ينبثق عنها من تشريعات تفصيلية وتكاليف عملية.

إن المراد بالكليات القرآنية: القواعد والأحكام العامة التي تنطبق على مجالات وأبواب متعددة و على جزئيات غير منحصرة.

لقد وردت ضمن هذه الكليات بعض الأحكام الأساسية في التشريع

فإن مصطلح (الكليات) هو المصطلح المقابل لمصطلح (الجزئيات).

لقد بدأ نزول القرآن الكريم بالآيات المحكمات الكليات التي كانت سابقة على آيات الأحكام التفصيلية؛ فالقرآن المكي اهتم بالدرجة الأولى بالكليات الأساسية و المبادئ العامة للشريعة الإسلامية، ثم نزل بعد في المدينة تفصيل أحكام الشريعة.

المقصود بـ(كليات القرآن) تلك التي تتحدث عن أمور كلية، تتعلق بجانب التصور و الاعتقاد و الأخلاق و السلوك. أو بعبارة أخرى: هي المعاني و المبادئ و القواعد العامة المجردة التي تشكل أساساً و منبعاً لما ينبثق عنها و يبنى عليها من تشريعات تفصيلية و تكاليف عملية و أحكام و ضوابط تطبيقية.

و قد جاءت (كليات القرآن) كي تحدد القيم و المثل، و تنشئ تصوراً عاماً للكون و الحياة، و تبين الغايات و المقاصد العامة التي يسعى التشريع لتحقيقها في حياة الناس، و في الوقت

الإسلامي، لكونها ممتزجة ببعض الكليات العامة، و أيضاً لأن بعض العلماء يسمونها أحكاماً كلية نظراً لأهميتها و سبقها في نزول التشريعات الإسلامية^(٢).

إن الأصل في الأحكام العامة بشكل أخص و الأحكام الشرعية بشكل خاص المذكورة في القرآن الكريم أنها جاءت للعموم، إذ ان التخصيص يحتاج إلى مؤنة زائدة.

إن صياغة (القواعد الكلية) هو فن يملك العقل من تجاوز الإغراق في الجزئيات و التفاصيل.

إن (القواعد الكلية للقرآن الكريم) مختصرة سهلة ميسرة، تلائم مقاصد القرآن التيسيرية، و لكنها ليست مبسطة و لا مختزلة و لا أيقونية.

إن مصطلح (الكليات) عموماً، بقصد به؛ المعاني و القواعد العامة المجردة، التي تشكل أساساً لما ينبثق منها، و يبنى عليها من الجزئيات، و عليه

(٢) مثل: الوصايا العشر في سورة الأنعام و أواخر سورة الفرقان.



نفسه وَضَحَتْ تلك الآيات أمهات
المفاسد، و أصول الانحرافات التي
تهدد حياة الإنسان، من عقدية و فكرية
و نفسية و سلوكية.

على العموم يمكن القول: إن
(الكليات القرآنية) قد تكفلت بإرساء
الأساس النظري و الإطار المرجعي،
الذي ينبثق منه التشريع الإسلامي،
و ان الشريعة الإسلامية قد تفصلت
فروعها بعد ما تأصلت كلياتها.

إن الكليات القرآنية منها ما جاء
منصوصاً عليها بعبارات جامعة في آية،
و منها ما جاء في جزء من آية و هذا
كثير، و منها ما جاء ضمن مجموعة من
الآيات المتضمنة لعدة معاني و أحكام
كلية.

و كثير من الكليات القرآنية جاء
في صيغ وصفية لأحوال و نماذج من
الناس؛ أما بذكر صفاتهم الممدوحة
لأجل الاتباع و الاقتداء.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا
يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [سورة الرعد: ٢٠].

و قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ①

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ② وَالَّذِينَ
هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ
لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ
حَافِظُونَ ⑤ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ⑥
فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ
⑦ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ
⑧ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
⑨ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑩ الَّذِينَ
يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [سورة
المؤمنون: ١ - ١١].

و أما بذكر صفاتهم المذمومة و
المستنكرة لأجل الاجتناب و الابتعاد
عنها.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا عَضُّوا هُمْ يَغْفُرُونَ﴾
[سورة الشورى: ٣٧].

و قد تأتي الكليات القرآنية بصيغ
خبرية تقريرية، على شكل مبادئ و
قواعد، و تأتي أحياناً بصيغتي الأمر و
النهي.

ثم ان مصطلح (الكليات) يقابل
مصطلح (الجزئيات)، حيث ان الجزئيات

لتحدد القيم و المثل، و لتنشئ تصوراً عاماً للكون و الحياة، و تبين الغايات و المقاصد العامة التي يسعى التشريع لتحقيقها في حياة الناس، في الوقت نفسه وضحت تلك الآيات أمهات المفاسد، و أصول الانحرافات التي تهدد حياة الإنسان، من عقائدية و فكرية و نفسية و سلوكية، و على العموم يمكن القول: إن (الكليات القرآنية) قد تكفلت بإرساء الأساس النظري و الإطار المرجعي، الذي ينبثق منه التشريع الإسلامي، و أن الشريعة الإسلامية قد فصلت فروعها بعدما تأصلت كلياتها.

ثم إن مصطلح (الكليات) هنا مقابل لمصطلح (الجزئيات) حيث إن الجزئيات هي: كل ما يأتي تفصيلاً و تطبيقاً للكليات.

إن الأخبار تؤكد على ان الله تعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه العباد إلا أنزله في الكتاب، أو جاء في السنة المباركة.

فعن حماد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ((ما من شيء إلا و فيه

هي: كل ما يأتي تفصيلاً و تطبيقاً للكليات، سواء أكان ذلك منصوباً عليه، أم مجتهداً فيه تنزيلاً و تطبيقاً.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

فهذه الآية الكريمة أصل كلي يأمر بالتزام العدل عموماً، و الإحسان إلى الغير، لكن قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

هو تفصيل لهذا الكلي، و كذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

ايضاً تطبيق لهذا الكلي. و (كليات القرآن) خير معين للمفسر على تفسير كتاب الله، و فهمه فهماً دقيقاً من حيث التقييد و التخصيص، كما أنها عون للفقهاء من أجل الاستمداد منها فيما لا نهاية له من القضايا و المستجدات التي تطرأ على حياة الناس، و هذا مما امتازت به شريعة الإسلام على غيرها من الشرائع.

لقد جاءت (كليات القرآن)



كتاب أو سنة)) (٣).

و عن مُرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الله تبارك و تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى و الله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد أن يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلا و قد أنزل الله فيه)) (٤).

و عن المعلى بن خنيس قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ((ما من أمر يختلف فيه اثنان، إلا و له أصل في كتاب الله و لكن لا تبلغه عقول الرجال)) (٥).

أنواع القواعد القرآنية:

إن للقواعد القرآنية ضمن بحث (الكليات القرآنية) أنواعاً موزعة بحسب طبيعة و موضوعات الآيات القرآنية المباركة و التي يمكننا تقسيمها بالشكل الآتي:

١. القواعد الفطرية:

فالفطرة الإنسانية - عموماً - واحدة. قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا

(٣) الكافي، ج ١، ص ٥٩، ح ٤.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٥٩، ح ١.

(٥) المصدر السابق، ج ١، ص ٦٠، ح ٦.

فَظَرَّتْ اللَّهُ الَّتِي فَظَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي يُبْذَرُ الْقَيْمُ وَلَنْ يَكُنْ أَكْثَرُ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿﴾ [سورة الروم: ٣٠].

إن في الإنسان حاجات فطرية عامة، كما و ان هناك حاجات خاصة، إلا انها جميعاً تعتبر حاجات فطرية إنسانية. كما و توجد ملامح عامة تبين طبيعة هذه الحاجات الفطرية أوردتها آيات القرآن الكريم منها:

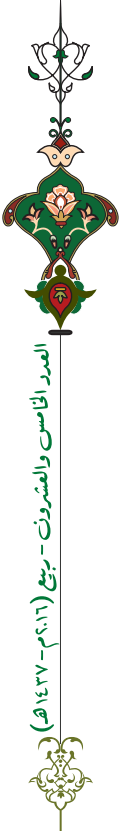
١. الهلع، و الجزع، و المنع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿﴾ [سورة المعارج: ١٩ - ٢١]. فالآلف و اللام الداخلة على الأوصاف، و أسماء الأجناس تفيد الاستغراق بحسب ما دخلت عليه.

و مثاله الآيات المتقدمة من سورة المعارج المباركة، إذ أن هذا عامٌ بجنس الإنسان، فكل إنسان هذا وصفه، إلا من استثنى الله تعالى بقوله: ﴿إِلَّا

الْمُصَلِّينَ ﴿﴾ [سورة المعارج: ٢٢].

٢. اليأس:



و قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَنِ
أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ۖ﴾
[سورة الإسراء: ٨٣].

(و دل قوله كان يئوسا على قوة
يأسه، إذ صيغ له مثال المبالغة، وأقحم
معه فعل «كان» الدال على رسوخ
الفعل، تعجيبا من حاله في وقت مس
الضر إياه، لأن حالة الضر أدعى إلى
الفكرة في وسائل دفعه، بخلاف حالة
الإعراض في وقت النعمة، فإنها حالة
لا يستغرب فيها الازدهاء لما هو فيه من
النعمة^(٦)).

٣. الجدل:

و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي
هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۖ﴾ [سورة
الكهف: ٥٤].

(المراد هنا مطلق الجدل، وبخاصة
ما كان منه بالباطل، أي أن كل إنسان
في طبعه الحرص على إقناع المخالف
بأحقية معتقده أو عمله، وسياق

الكلام يقتضي إرادة الجدل الباطل^(٧).
٤. القتر (البخل):

و قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ
خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۖ﴾ [سورة
الإسراء: ١٠٠].

(و جملة و كان الإنسان قتورا حالية
أو اعتراضية في آخر الكلام، وهي
تفيد تذييلاً؛ لأنها عامة الحكم، فالواو
فيها ليست عاطفة. والقتر: الشديد
البخل، مشتق من (القتر) وهو التضيق
في الإنفاق^(٨)).

٢. القواعد التشريعية:

إن المراد بالكليات التشريعية،
المبادئ والقواعد الكلية المتضمنة
والمنتجة للأحكام العملية، فهي
بالدرجة الأولى وضعت قواعد لضبط
السلوك والتعامل البشري وما يحتاجه
من تحليل وتحريم وإيجاب وإباحة.

و الكليات التشريعية: هي التي تتعلق
بأفعال العباد من حقوق و واجبات، و

(٧) التحرير و التنوير، ج ١٦، ص ٣٤٩.

(٨) التحرير و التنوير، ج ١٦، ص ٢٢٤.

(٦) التحرير و التنوير، الطاهر بن عاشور، ج

١٦، ص ١٩٣.



تقنينها بالدستور الإلهي العام و الشامل لكل بني البشر، ضمن مورد الطاعة العام، و هناك تقنين خاص بالأديان السماوية من خلال وضع الملامح العامة و الأساسية للعبادات و من ذلك الدين الإسلامي الذي وضع دستوراً في تقنين افعال العباد بما يختص بالصلاة و الصوم و الحج و الزكاة و باقي العبادات، و ما يتعلق بها من وجوب و حرمة و أحكام أخرى.

إن (التشريع الإسلامي في اتجاهاته العامة و خطوطه يتأثر و ينبثق و يتفاعل مع وجهة النظر القرآنية و الإسلامية إلى المجتمع و عناصره و أدوار هذه العناصر و العلاقات المتبادلة بين الخططين)^(٩). أي: خط علاقات الإنسان مع أخيه الإنسان، و خط علاقات الإنسان مع الطبيعة.

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة المائدة: ٩٢].

(٩) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ص ١٨٥.

و قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٧].

و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٠) إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [سورة المائدة: ٩٠-٩١].

و قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣) يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ

هذه العلوم في اللحظات الأولى للنزول
القرآني^(١٠).

فما يختص بالقضايا التشريعية
قد تناولته الكتب المختصة بآيات
الأحكام^(١١)، و استفيد منه في علمي
الأصول و الفقه الإسلامي تنظيراً و
تطبيقاً.

و المراد بآيات الأحكام: ما ورد
في القرآن الكريم من الآيات القرآنية
التي تتضمن الأوامر والنواهي وغير
ذلك من الآيات، و التي تتضمن حكماً
شرعياً بنصها، أو بدلالاتها، أو بسياقها.
و لقد تعارف عند العلماء إطلاق
أحكام القرآن؛ على أحكام القرآن
العملية، الفرعية، المعروفة بالفقهية.
فالمراد بآيات الأحكام -عند الإطلاق-
هي: (الآيات التي تُبين الأحكام الفقهية
وتدل عليها نصاً أو استنباطاً).

هذا هو المشهور والمعروف عند
التصنيف والدراسة والإطلاق، ولكن
(١٠) محاضرات في تفسير آيات الأحكام،
عبد الأمير كاظم زاهد، ص ٢٤.
(١١) للمزيد: تراجع الكتب المختصة بعلم
آيات الأحكام و ما يختص بها.

الطَّيِّبَتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ
تُعَلِّمُوهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ
وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٤﴾ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَتُ وَطَعَامُ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلَلٌ
لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَتُ مِنَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا
مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيْمَنِ فَقَدْ
حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٥﴾

[سورة المائدة: ٣ - ٥].

و (المضمون التشريعي الذي وضع
قواعد السلوك الفردي، و المجتمعي، و
الدولي تحت قاعدة الحلال و الحرام، و
التي نتج عنها علم آيات الأحكام، ثم
الفقه الإسلامي، ثم منهج ذلك الفقه
المسمّى بأصول الفقه، و قد ترادف معها
حشد من الأحاديث النبوية و الروايات
عن أئمة أهل البيت المعصومين سلام
الله عليهم أجمعين الشارحة و المبينة
لتلك الآيات التي اندرجت تحت
عنوان أحاديث الأحكام، و تهيكّل
العلم بالقواعد الاجتهادية، و مورست



هناك من العلماء من جعل أحكام القرآن - المستخرجة من الآيات القرآنية - غير مختصة بالجانب الفقهي - فقط - بل أدخل مع الأحكام الفقهية الأحكام الاعتقادية والسلوكية والأخلاقية.

أن تاريخ الفقه والتشريع الإسلامي يمتاز بميزة مهمة لا بد للباحث أن يلتفت إليها ألا وهي: (أن تاريخه يرتبط بتاريخ التفسير والحديث، فالفقه الإسلامي يستمد مادته من المصدرين الأساسيين: الكتاب والسنة، ولذا لا يمكن الفصل بينهما. وفي ضوء ذلك يلزم بمن يدون تاريخ الفقه الإسلامي، الإمام بتاريخ نزول القرآن وأسبابه، وتصنيف آياته موضوعياً؛ طائفة تستهدف بيان المعارف العقلية، وأخرى تستعرض قصص الأنبياء وسيرتهم وجهادهم المشركين، وثالثة تبين الأحكام الشرعية التي تدور عليها رعى الفقه.

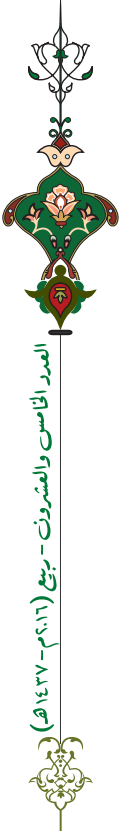
ثم إن مصادر التشريع والمنابع التي يستنبط منها الفقه ليست أمراً متفقاً عليه بين كلا الفريقين، فهناك منابع و

مصادر اتفقت عليها الكلمة، وهناك منابع تختص بطائفة دون أخرى، فالسنة تعتمد مثلاً القياس والاستحسان في عملية الاستنباط في حين تنكرهما الشيعة الإمامية، فصار هذا باعثاً للباحثين في تاريخ التشريع الإسلامي إلى تخصيص فصول في هذا المجال بغية بيان مصادر التشريع الأصلية والتبعية.. (١٢).

لا بد من فهم حقيقة النظام التشريعي الذي جاء لتقنين حياة الإنسان ومسيرته، وجاء لتنظيم علاقاته مع خالقه، ومع الآخرين، ومع كل ما حوله، وهذا التقنين والتشريع في بعض الأحيان - أن لم يكن الأكثر - يعتبره الإنسان تقييداً له وهداً لحريته، إلا أنه لو فهم أنه يضمن له حقوقه وإنسانيته ويكسبه مزيداً من الاحترام والاستقلالية التي قننت ضمن قواعد وقوانين هدفها خدمته وضمان كرامته.

(... فتشريع النظام وتنظيم الشريعة ضروري في حياة الإنسان، وحياة

(١٢) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره، جعفر السبحاني، ص ١١-١٢.



ذلك النظام و إلا لم يرضخ الرضوخ المطلوب، و لم يستجب لذلك النظام، و لم يتمسك بذلك التشريع.

ثالثها: اعتقاد المكلف بعدل النظام و اعتداله و أنه لا سرف فيه و لا تطفيف... (١٣).

لا شك في أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للشريعة الإسلامية المقدسة، و أن ما بين الدفتين و المتداول- إلى حال الحاضر- بين المسلمين منذ عهد النبي ﷺ لم يزد فيه و لم ينقص منه.

فمن خصائص هذا الكتاب الإلهي: ١. أنه نزل باللغة العربية.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة يوسف: ٢].

و قال تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة الزمر: ٢٨].

٢. فيه أخبار ما سبق و ما سيأتي.

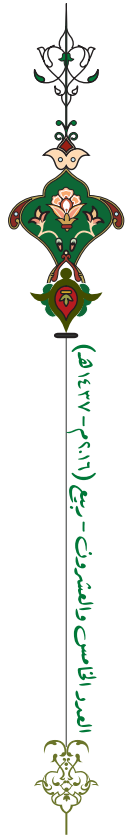
قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): ((كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، و نبأ ما بعدكم، و هو الفصل

(١٣) القرآن و العقيدة أو آيات العقائد، مسلم حمود الحسيني الحلي، ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

الإنسان الذي يريد أن يحيا حياة إنسانية بمعناها الحسن الجميل. ثم -يا ترى -أترى الإنسان -و الحال فيه هو ذلك الحال -يرضخ لتلك الشريعة الموقفة له عند حدود، و يخضع لذلك النظام المحدد لتلك الحرية المطلقة فيه المؤيدة بالعواطف و الأهواء؟. الجواب: لا. اللهم إلا أن يفهم فيفهم حاجته الماسة إلى ذلك النظام، و أن مشروع ذلك النظام ممن له أهلية ذلك التشريع فهو مشرع بحق و منظم باستحقاق، ثم هي الأخرى أن يفهم فيفهم أن ذلك النظام و ذلك التشريع نظام بعدل و اعتدال يرمي إلى العدل و الاعتدال لا سرف فيه و لا تطفيف. إذن فأتساق التشريع أو النظام و استوساقه بحاجة إلى أن يركز على دعائم ثلاث:

أحدها: قناعة المكلف قناعة نفسية بحاجة إلى تنظيم شرع و تشريع نظام و إلا دفعت به الحرية المطلقة إلى الهوة السحيقة و المهوى العميق.

ثانيها: الإيذان بأهلية المشروع لذلك التشريع، و الاعتقاد بأحقيقته في وضع



ليس بالهزل...)) (١٤).

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣].

و قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ ﴾ [سورة غافر: ٧٨].

٣. اشتمل القرآن الكريم على آيات تضمنت القواعد العامة في التشريع وبعض الأحكام الشرعية.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النحل: ٨٩].

و قال تعالى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨].

وهذا لا يعني أنه يحيط بكل جزئيات الوقائع و الحوادث و تفصيلاتها، بل هو تبيان من حيث احاطته بأصول و قواعد و كليات عامة، و التي تعتبر الأساس في كل قانون أو نظام.

(١٤) مصنف ابن ابي شيبة في الأحاديث و الآثار، ابن ابي شيبة، ج ٧، ص ١٦٤.

قال الأمام الصادق عليه السلام: ((إن الله تبارك و تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى - و الله - ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن، إلا و قد أنزل الله فيه)) (١٥).

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله (١٦) في تفسير قوله تعالى ﴿ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (أي بياناً لكل أمر مشكل و معناه لبيان كل شيء يحتاج إليه من أمور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج الخلق إليه في أمر من أمور دينهم إلا و هو مبين في الكتاب أما بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ و الحجج القائمين مقامه أو إجماع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفاداً من القرآن) (١٧).

٣. القواعد العقديّة:

(١٥) الكافي، الكليني، ج ١، ٥٩، ح ١.
(١٦) الشيخ الطبرسي، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس الهجري.

(١٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، ج ٦، ص ٥٨٦.



يسلب إنساناً حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداء... و مع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، و الأمن من الأذى و الفتنة... و إلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة^(١٨). و هناك جملة من الآيات القرآنية التي اوردت جملة من القضايا العقائدية المهمة في حياة الإنسان، و من جملة هذه الآيات المباركة:

١. في مسألة التوحيد:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾
 اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدُ
 ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿﴾
 [سورة الإخلاص: ١-٤].

٢. في مسألة أرسال الرسل:

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
 بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف: ٩].

٣. في مسألة الجزاء و الآخرة و المعاد:

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ
 نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ

(١٨) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج ١، ص ٢٩١.

إن المقصود بالكليات العقائدية أو الاعتقادية: المرتكزات الأولية للدين، اذ هي أولية في الفطرة وفي العقل والنقل.

و المقصود بالكليات العقائدية: هي التي تتعلق بذات الله تعالى المقدسة، و صفاته، و افعاله، و الإيمان به، و برسله، و ملائكته، و التي يجمعها علم (أصول الدين) و الذي تشكله -قرآنياً- آيات العقيدة التي نشأ عنها علم العقيدة، أو علم الكلام.

ف(قضية العقيدة -كما جاء بها القرآن- قضية اقتناع بعد السياق و الإدراك، و ليس قضية إكراه و غصب و إجبار، و لقد جاء القرآن يخاطب الإدراك البشري بكل قواه و طاقاته... في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدا إلهاء إلى الإذعان، و لكن وعيه لا يتدبرها و إدراكه لا يتعللها لأنها فوق الوعي و الإدراك... إن حرية الاعتقاد تعدُّ أول حقوق «الإنسان» التي يثبت له بها وصف «إنسان» فالذي

وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [سورة القصص: ٨٣].

و قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۖ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [سورة الزلزلة: ٦ - ٨].

اما في أهم المباحث العقائدية ألا و هو دليل وجود الله تعالى نقول:

إن الله سبحانه و تعالى في محكم كتابة الكريم قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ ۝١٥﴾ [سورة فاطر: ١٥-١٦].

لا ريب أن فقر الشيء دليل قاطع على احتياجه إلى (غني قوي) يزيل حاجته، من هنا لا بد أن يكون لهذا الكون بأسره من أفاض عليه نعمة الوجود.

إن الظواهر الكونية من الذرة إلى المجرة، أي السماوات والأرض وما فيها هي جمادات فقيرة في ذاتها، كانت لا شيء ثم وُجدت فهي مسبوقة بالعدم،

فلكي توجد لا بد من موجد لها لأنها لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، وهذا الموجد لها لا بد وأن يكون غنياً عنده القدرة على إيجادها ليخرجها من العدم إلى الوجود. و الإنسان يدخل ضمن هذه القاعدة، فإنه في ذاته فقير ليس غنياً أي لا يقدر أن يوجد نفسه بنفسه بل يحتاج إلى قوة أكبر منه توجده.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۗ﴾ [سورة فاطر: ١٥].

لقد ركّز القرآن الكريم في مواضع متعددة على صفة (الغني) في الذات الإلهية المقدسة بحيث يمكن اعتبار ذلك إشارة ضمنية أو صريحة إلى هذا البرهان، أي برهان الفقر، ومن هذه الآيات المباركة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [سورة محمد: ٣٨].

٤. القواعد الأخلاقية:

و هي التي تتعلق ببيان الفضائل والمحاسن التي يجب أن يكون عليها الإنسان، و بيان الرذائل التي يجب عليه الاجتناب عنها.



و لا أظن أننا نحتاج إلى أي استثناء أو استدراك إذا قلنا: كل ما هو خلق، أو صفة خلقية، فهو كلي، فالأخلاق بطبيعتها قضايا كلية. فكل خلق يمثل نمطا في السلوك ومنهجاً في الحياة، أي أن كل خلق هو قاعدة سلوكية كلية.

والأخلاق هي الخصال النفسية المعبر عنها بواسطة السلوك العملي المستمر. فلا بد في الأخلاق من تحقق هذين الجانبين: الجانب النفسي والجانب العملي.

فالجانب النفسي يتضمن الروسخ الباطني للخلق والافتناع بقيمته وفائده. والجانب العملي، هو الترجمة والثمرة الفعلية للإيمان بالخلق والرغبة فيه.

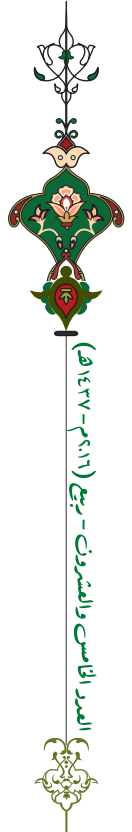
قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة طه: ١٣١].

و قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ

لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ [سورة النور: ٢٧-٣٠].

و قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْفَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٤]. نعم، فلقد ذهب جملة من العلماء إلى التفريق بين لفظ (الخلُق) بصيغة الأفراد، و لفظ (الأخلاق) بصيغة الجمع. فالخلق: طبيعة أولى ملازمة للنفس يفطر عليها الإنسان و يصدر عنها خلق كل فرد في أفعاله.

و المراد بالأخلاق: جملة قواعد السلوك المتعارف عليها في محيط إنساني معين و امتداد زماني محدود، و هذه القواعد تفترض أن يتكيف معها الجميع بقدر الوسع لضرورة انتظام أحوال



الاجتماع الإنساني و جريانها على نسق مقبول، و هذا النسق هو الأصل في القوانين و الأعراف و المواضعات الإنسانية.

لذا قيل: بأن النظام التربوي الأخلاقي القرآني يتأسس على خمسة عناصر هي: (الإلزام، و المسؤولية، و الجزاء، و النية، و الجهد، و تلکم هي العمد الرئيسة لكل نظرية أخلاقية واعية بمراميها)^(١٩).

إن مُسمّى (الأخلاق) يشمل حَسَنها و قبيحها معاً، فَحَسَنها أخلاق، و السيء منها أخلاق. إلا أن لفظ (الأخلاق) -أو الخُلُق- إذا أُطلق بلا وصف ولا تقييد، فغالبا ما يراد به الأخلاق الحميدة ونظراً للتلازم القائم بين كل خلق وما يخالفه، أو يضاده، فإن الحديث عن الأخلاق بمعناها الحميد الإيجابي، يكون متضمناً -تلقائياً- للوجه الآخر المضاد أو المنافي. فكل حديث -مثلاً- عن حسن الخلق،

(١٩) دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، ص ٦٨٥.

فهو-صراحة أو ضمناً- حديث عن سوء الخلق. وكل حديث عن الأمانة، فهو ضمناً حديث عن الخيانة. وكل ما يقال عن الصدق، يكون مستحضراً لصدقه ولما يمكن أن يقال في ضده، وهو الكذب. وكذلك لو عكسنا الأمر، فجرى الكلام ابتداءً عن سوء الخلق، أو عن الخيانة، أو عن الكذب، وهكذا. ومعلوم أن لدى الإنسان القابلية للتخلق بالأخلاق الإيجابية الحميدة وبأضدادها معاً. غير أن الأخلاق الحميدة هي بدون شك أسبق وأكثر رسوخاً وأصالة في النفوس البشرية من أضدادها.

٥. القواعد ذات الطابع العام:

و نريد بها القواعد التي ذكرت لتبيين الأمور الخاصة بالقدرة الإلهية و التي لا تدخل ضمن ما تقدم من القواعد إلا من باب الاستشهاد أو التأييد، و هي مقسمة بحسب تقسيات و تصنيفات كثيرة منها:

أولاً: العلمية:

قال تعالى: ﴿الْمُرْتَأْنَ اَللهُ يُزِجْ سَعَابًا﴾



يقول السيوطي: (اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن.. فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشرة معشاره فقال قوم: هو الإيجاز مع البلاغة، وقال آخرون: هو البيان والفصاحة، وقال آخرون: هو الرصف والنظم، وقال آخرون: هو كونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم، وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس آخر عن أجناس خطابهم حتى إن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه، ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته، فكان في ذلك أبلغ دلالة على إعجازه، وقال آخرون: هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه تلاوته، وقال آخرون: هو ما فيه من الإخبار عن الأمور الماضية، وقال آخرون: هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الأمور بالقطع، وقال

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلْقِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَاقِرُهُ يَضْحَكُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ [سورة النور: ٤٣ - ٤٥].

و قال تعالى: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ [سورة يس: ٣٨ - ٤٠].

لقد كثر القول بين العلماء في وجوه الإعجاز في القرآن وتنوع هذه الوجوه وتعددتها، وأيا كان ذلك القول فالقرآن معجز بكل ما يتحملة هذا اللفظ من معنى، فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه، ومعجز في بيانه ونظمه، ومعجز بعلومه ومعارفه، ومعجز في تشريعه وصيانيته لحقوق الإنسان.



آخرون: هو كونه جامعاً لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها^(٢٠).

و يقول الزركشي^(٢١) في كتابه (البرهان): (أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراده، فإنه جمع ذلك كله فلا معنى من نسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع)^(٢٢).

إن بحث الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يعتبر من أهمّ الأبحاث في علوم القرآن، وهو من الأبحاث التي تعرّض لها العلماء قديماً، ولا يستغني عنها أي باحث في علوم القرآن الكريم، وقد ذكر هذا البحث أيضاً في علم الكلام عند التعرّض للأنبياء^{عليه السلام}، وإن بعض الأنبياء^{عليه السلام} كان لديهم بعض المعجزات بما يتناسب مع عصرهم، فاضطر علماء الكلام للدخول في بحث المعجزة

(٢٠) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ج ١، ص ١٠٨.

(٢١) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي المصري (ت ٧٩٤ هـ).

(٢٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج ٢، ص ١٠٦.

من جهة اقتران هذا البحث بالنبوة وضرورتها وعلامتها، وأما في علوم القرآن فالتعرّض للإعجاز كان بما يتناسب مع القرآن الكريم وأنه معجزة النبي الأكرم^{عليه السلام}، وأنه النبي الخاتم، و أن رسالته خاتمة الرسالات، فمن الطبيعي جداً أن يأخذ بحث الإعجاز القرآني مكانة خاصة في هذا العلم، بل في كل الموارد القرآنية.

و يراد بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم: وجود آيات تشير إلى حقائق علمية تخرّض على التطلع و البحث و التنقيب.

كما و قد يقصد به كما يقال: (إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، و ثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول^{عليه السلام})^(٢٣).

لا بد من الإشارة - هنا - إلى أنّ المعجزة لا تلغي قانون العلية ولا

(٢٣) بحث: الإعجاز العلمي تأصيلاً و فهماً، عبد المجيد الزنداني، مجلة الإعجاز العلمي، عدد يوليو ١٩٩٥، ص ١٤٠.



يمكن القول بأن القرآن الكريم في كل واحدٍ من هذه الجوانب بلغ حد الإعجاز.

إن هناك جوانب إعجازية أخرى تتمثل في الاختبارات الغيبية والكشف عن الجوانب الخفية من قصص الأنبياء ﷺ والأمم السالفة، والإشارات العلمية، والحديث عن أسرار الكون بما لم يكن معروفاً عند علماء الطبيعة والفلك آنذاك فضلاً عن عامة الناس من السواد الأعظم.

ثانياً: التاريخية:

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٣].

و قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [سورة طه: ٩٩].

لقد أحتوى القرآن على تفصيل تأريخي لسيرة حياة الأنبياء والمرسلين السابقين ﷺ وهو التأريخ الذي لم يكن يعرف العرب عنه شيئاً سوى الأخبار

تخرج عنه، وإنّما هي تستند إلى علة غير العلل المعروفة والطبيعية عند البشر. ولو كانت إلغاء لقانون العلية لاستحالت عقلاً، وعندئذ يسقط عنصر مهم من عناصر المعجزة. فولادة إنسان من غير أب لا يستحيل فرضاً، لأن خالق الإنسان الذي أوجده وخلقه من طين ابتداءً إذ بإمكانه خلقه من غير أب بالأولوية، لكن المعتاد في الأسباب والقوانين الطبيعية أن يولد الإنسان من أبوين، فإذا ولد النبي عيسى ﷺ من غير أب كان خرقاً لنواميس الطبيعة المتعارفة والمعتادة، لكن علة الخلق وأسبابه محفوظة. وهكذا بالنسبة لكلامه ﷺ في المهد وإحيائه الموتى وأمثال ذلك.

إن حقيقة الإعجاز قائمة في كون المعجزة فوق قدرة البشر، وإعجاز القرآن الكريم من هذا القبيل، حيث إنه على مستوى البلاغة وغرابة النظم والأسلوب العجيب وما تضمّنه من معارف عالية واخبار بالأمور الغيبية و التي تشكّل في مجموعها معجزة، بل



والرهبان، وكانوا على خلاف فيما بينهم، أما أمة العرب فقد كانوا أميين^(٢٤) لا يعلمون شيئاً عنه، فلما جاءهم النبي محمد ﷺ بتاريخ الرسل والأنبياء مفصلاً، أعترف به بعض هؤلاء الرهبان والأخبار وصدقوه فيما روى عن ربه جل و علا. فخرجوا من دينهم و اتبعوا النبي محمد ﷺ إيماناً و تصديقاً و طاعة لله تعالى.

قال تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُنْقِيبِ ﴾ [سورة هود: ٤٩].

إن هناك قسماً كبيراً من الآيات القرآنية أختص بنقل قصص و وقائع الأمم السالفة، فلا شك أن عرض هذه القصص لم يكن للسرد فقط، بل لأجل اغراض اسمى و أكبر، فقد جاءت هذه القصص -بشكل عام- لأخذ العبرة و

(٢٤) اختلف في معنى أمة العرب، و هل المراد بذلك: انهم أمة لا تملك كتاباً سِوايها، أو انها أمة لا تقرأ و لا تكتب، أو غير ذلك من التفسيرات، و التي أوردها المفسرون و غيرهم.

للحصول على العلم و المعرفة و التجربة المفيدة من بين ثنايا هذه القصص لأجل الاستفادة منها في مسيرة الحياة الإنسانية.

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الروم: ٤٢]. فهذا أمر للنبي ﷺ أن يأمرهم أن يسيروا في الأرض فينظروا إلى آثار الذين كانوا من قبل، حيث خربت ديارهم، و عفت آثارهم، و بادوا عن آخرهم، و انقطع دابرهم، بأنواع من النوائب و البلايا، كان أكثرهم مشركين، فأذاقهم الله بعض ما عملوا ليعتبر به المعتبرون فيرجعوا إلى التوحيد^(٢٥).

و قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴾ [سورة غافر: ٢١].

الاستفهام في الآية إنكاري، و المقصود هو انه لماذا لا يسير هؤلاء

(٢٥) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج ١١، ص ١٩٧.

ذكر من أمر الفن القصصي، حق غير أن ذلك غير منطبق على حالة القرآن الكريم، فليس القرآن كتاب تاريخ و لا صحيفة من صحف القصص الخيالية، و إنما هو كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و قد نص على أنه كلام الله سبحانه، و أنه لا يقول إلا الحق، و أن ليس بعد الحق إلا الضلال، و أنه لا يستعين للحق بباطل، و لا يستمد للهدى بضلال، و أنه كتاب يهدي إلى الحق، و إلى صراط مستقيم، و أن ما فيه حجة لمن أخذ به، و على من تركه في آيات حجة لا حاجة إلى إيرادها، فكيف يسع لباحث يبحث عن مقاصد القرآن أن يجوز اشتماله على رأي باطل، أو قصة كاذبة باطلة، أو خرافة، أو تخيل... إنه كتاب يدعي لنفسه أنه كلام إلهي موضوع لهداية الناس إلى حقيقة سعادتهم، يهدي بالحق و يهدي إلى الحق و من الواجب على من يفسر كتاباً هذا شأنه و يستنطقه في مقاصده و مطالبه،

تفسير الميزان (١٩٠٤ - ١٩٨٢ م) عالم و مفسر و فيلسوف شيوعي كبير.

الناس الذين أرسلنا إليهم الرسول في الأرض فينظروا نظر التفكر و الاعتبار، كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم، و كيف أخذهم الله بسبب تكذيبهم الأنبياء (٢٦).

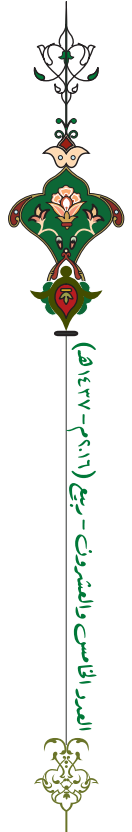
نعم، إن هناك تخرصات مشككة بالقصص القرآني صاغها جملة من المشككين من أمثال (أمين الخولي) و محمد أحمد خلف الله.

ف نجد أن أمين الخولي يقول: (و بهذا التفريق بين العرضين - الفني و التاريخي - للحادثة و الواقعة تبين في وضوح قريب أن عرض القرآن لأحداث الماضين، و وقائع حياتهم، و الحديث عن تلك الأحداث، و الأشخاص ليس إلا العرض الفني الأدبي.. لا العرض التاريخي التحقيقي) (٢٧).

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي (٢٨) رحمه الله: (هذا خطأ فإن ما

(٢٦) تفسير الميزان، ج ١٧، ص ٣٢٦ - ٣٢٧.
(٢٧) القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، عبد الخطيب عبد الكريم، ص ٧٦ - ٢٨٠.

(٢٨) السيد محمد حسين الطباطبائي، صاحب



أن يفترضه صادقاً في حديثه مقتصرّاً على ما هو الحق الصريح... (٢٩).

إن هناك من يقول: (إن القرآن يحمل هدفاً مقدساً، فهو يذكر قصصاً لأجل الدرس و العبرة، و ليس لمجرد عرض التاريخ، و لذا لا فرق لديه بين أن تكون تلك الوقائع التي ذكرها قد حدثت فعلاً أو لا، كما في الكثير من كلمات الحكماء عندما يذكرون الكثير من الحكمة و العبرة على لسان بعض الحيوانات، كقصص كيلة و دمنة، و عليه فلا ضرورة للعناء في تحليل أن قصص القرآن هي تاريخية أو تمثيلية لأجل العبرة) (٣٠).

و عن هذه المدعيات يرد الشيخ مرتضى المطهري (٣١) رحمه الله بقوله: (إن مثل هذا الكلام كلام وضيع جداً،

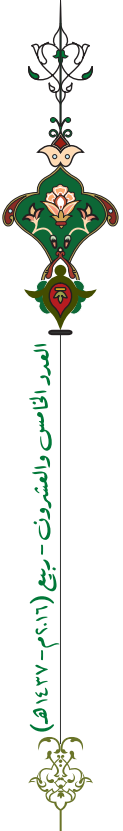
(٢٩) تفسير الميزان، الطباطبائي، ج ٧، ص ١٦٥-١٦٧.

(٣٠) تحليل لغة القرآن و اساليب فهمه، محمد باقر سعیدی روشن، ترجمة علي عباس الموسوي، ص ٣٧٦.

(٣١) الشيخ الشهيد مرتضى المطهري (١٩٢٠-١٩٧٩ م) عالم دين و فيلسوف اسلامي شيعي.

فمن المحال أن يقوم الأنبياء و الذين منطق نبوتهم هو الحقيقة، أن يقوموا ببيان الواقع و لو بنحو التمثيل. ففي اللغات الأدبية في هذا العالم تجد كثيراً مثل ذلك، سواء على لسان الحيوانات أو بالاعتماد على التمثيل. و أما القرآن، و النبي، و الأئمة و من تربى على هذا الدين، فمن المستحيل أن يتوسل بأمر غير مقدس لأجل الوصول إلى هذا الهدف المقدس، بأن يستخدم أمراً باطلاً لا حقيقة له، و لو بنحو التمثيل. و ينقل هو هذا الأصل-أي عدم إمكان استخدام وسيلة غير مقدسة لأجل الوصول إلى هدف مقدس-عن العلامة الطباطبائي في الميزان، و يصل إلى أننا لا شك لدينا في أن كافة القصص القرآني، كما ورد ذكره في القرآن، هو عين الواقع. و بعد أن يذكر القرآن قصة ما فلن نعود بحاجة إلى تأييد ذلك بأي تاريخ من تواريخ الدنيا) (٣٢).

(٣٢) المصدر السابق، ص ٣٧٦ نقلاً عن كتاب: سيرى در سيرة نبوي، مرتضى مطهري، ص ١٢٣-١٢٤.



خاصة، نابعة من حقيقة الحكمة الإلهية
و التي وضحتها آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ. وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ۖ (٣٢) وَسَخَّرَ
لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ
لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ (٣٣) وَءَاتَاكُمْ مِنْ
كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ
اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ۖ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

يقول السيد محمد باقر
الصدر (٣٤) رحمه الله: ((فهذه الفقرات
الكريمة تقرر بوضوح: أن الله تعالى قد
حشد للإنسان في هذا الكون الفسيح
كل مصالحه و منافعه، و وفر له الموارد
الكافية لإمداده بحياته و حاجاته
المادية، و لكن الإنسان هو الذي ضيع
على نفسه هذه الفرصة التي منحها الله

(٣٤) آية الله العظمى السيد محمد باقر
الصدر (١٩٣٥ - ١٩٨٠ م) مرجع و
مفكر شيعة كبير، أعدم على يد النظام
الصدائي العفلقى المقبور.

كما و يقول السيد الطباطبائي رحمه الله:
(فإن الآيات القرآنية و كذا ما نقل إلينا
من بيانات الأنبياء الماضين ظاهرة في
كونهم لم يريدوا بها المجاز و التمثيل،
بحيث لا يشك فيه إلا مكابر متعسف
و لا كلام لنا معه، و لو جاز حمل هذه
البيانات إلى أمثال هذه التجوزات جاز
تأويل جميع ما أخبروا به من الحقائق
الإلهية من غير استثناء إلى المادية المحضة
النافية لكل ما وراء المادة) (٣٣).

ثالثاً: الاقتصادية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبْدِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيْطَانِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۖ﴾
[سورة الإسراء: ٢٧].

و قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ
مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ
مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ. وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ
مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ مُتَشَكِّبٍ ۚ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ
إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا
تُسْرِفُوا ۚ إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْرِفِينَ ۖ﴾
[سورة الأنعام: ١٤١].

إن للقرآن الكريم نظرة اقتصادية
(٣٣) الميزان، ج ٢، ص ٣١٤.

له بظلمه و كفرانه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ

لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ فظلم الإنسان في

حياته العملية و كفرانه بالنعمة الإلهية

هما السببان الأساسيان للمشكلة

الاقتصادية في حياة الإنسان. و يتجسد

ظلم الإنسان على الصعيد الاقتصادي:

في سوء التوزيع. و يتجسد كفرانه

للنعمة: في إهماله لاستثمار الطبيعة و

موقفه السلبي منها^(٣٥).

و هذه حقيقة قرآنية؛ فالفساد و

الإفساد هو من الإنسان.

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ

وَالْبَحْرِ مِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [سورة

الروم: ٤١].

لقد بين القرآن الكريم كيفية

استهلاك الثروات وفق نظام اقتصادي

إنساني متكامل يخدم الجميع و يراعي

التنوع، و نذكر منه على سبيل المثال

بعض الأسس المهمة في كيفية الاستهلاك

الصحيح.

١. عدم الإسراف، و عدم التبذير:

(٣٥) اقتصادنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٨-

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا

سُرِفُوا﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

٢. هناك محرمات يجب الاجتناب عنها،

كما و أن هناك أشياء محللة كثيرة،

الهدف من وراء كل ذلك قياس مقدار

الطاعة.

قال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ [سورة

الأعراف: ١٥٧].

٣. وسط كل ذلك لابد على الإنسان

أن لا يطغى، و إلا فإن ذلك مدعاة

لنزول النعمة، و نزول العذاب.

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ [سورة

طه: ٨١].

٤. بالشكر من قبل الإنسان تدوم النعم

و تزداد بركاتها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ

إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

و الشكر هو: عرفان النعم من

المنعم، و حمده عليها.

عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال:

قال رسول الله ﷺ: ((ما فتح الله لعبد باب شكرٍ فحزن عنه باب الزيادة)) (٣٦).

رابعاً: الاجتماعية:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٣].

إن الذي يميز السنن والقوانين الاجتماعية القرآنية -التي تفسر النشاط الإنساني عموماً- أنها تقود متبعها إلى الحق واليقين لتمثل -بواقعها الحقيقي- علماً قاطعاً لا تشوبه الأهواء ولا تعتريه الظنون، فيصدق عندئذ التنبؤ من خلال الإيذان بهذه القوانين بأن المجتمعات سوف تسعد في حياتها الدنيا عند التزامها بها و تشقى بمخالفتها، إذ أن السنن القرآنية في طبيعة الكون والأصول الإنسانية الاجتماعية ثابتة ليس لها تغيير ولا تبديل ولا تحويل، بخلاف النظريات والقوانين الاجتماعية الوضعية ذات الأصول المتحيزة التي لم تسلم من الأهواء والظنون والوقوع في

(٣٦) الكافي، الكليني، ج ٢، ص ٩٤.

الأخطاء أو في الشطط والأفراط، وهذا الجانب الذي يثبت فاعلية القوانين والسنن القرآنية، كما و ان تميزها يشكّل جانباً من جوانب الإعجاز العميقة التي تتجلى في صدق المعاني والقوانين القرآنية عند انطباقها على الواقع الإنساني والاجتماعي بصورة عامة.

ولا شك في أن استخلاص السنن والقوانين الاجتماعية القرآنية ليس بالأمر اليسير الذي يستطيع أن يقول فيه كل من شاء ما شاء، بل لا بد من مختصين يحللون عوامل الربط والتسبب والاطراد والانتظام في الظواهر الاجتماعية فضلاً عن المعرفة بقوانين الاستنباط من الواقع من جهة ومن القرآن من جهة أخرى، وذلك يقتضي المعرفة الدقيقة بالمفاهيم الاجتماعية القرآنية الكلية وما يندرج تحتها من مفاهيم جزئية أو أقل كلية وما ينشأ من تفاعلات بين هذه المفاهيم التي ترتب بصورة منهجية فتشكل النظريات المفسرة للفعل الاجتماعي.

إن مفهوم الضبط الاجتماعي



وطبيعته وماهيته في القرآن الكريم يرتبط بالقيم والمقاصد الكبرى، ولهذا فإن النظم الاجتماعية والعلاقات الإنسانية والقواعد القانونية تقوم على المصالح الكلية التي يحددها القرآن الكريم، ولهذا فإن الضبط الاجتماعي بقواعده ووسائله المختلفة في القرآن يحكم المجتمع ولا يحتكم إليه، وهذا النموذج يقدم إطاراً شاملاً ويحدد معالم منهج متميز للضبط الاجتماعي يظهر تميز الأحكام القرآنية ويبرز إعجازها في هذه التشريعات.

قراءة في النماذج القرآنية:

إن النماذج القرآنية من المباحث المهمة في بحث (القواعد) و (الكليات القرآنية)، إذ لا يمكن أن نورد قاعدة ما ذات صبغة كلية من دون أن يمونها لها نموذج و لو واحد، فالقواعد و الكليات قائمة على النماذج التطبيقية، و يمكن حصر النماذج القرآنية في موردين عامين هما:-

١. نموذج إيجائي^(٣٧) و المراد به استعمال

(٣٧) إيجاء: اسم، الجمع إيجاءات، مصدر

كلمة أو وصف أو فعل معين لإعطاء معلومة معينة بشكل غير مباشر، و ذلك عن طريق المثال، و القصة الهادفة، و ما شاكل ذلك.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠].

و قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر: ٩].

و قال تعالى: ﴿يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَٰئِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٥٤].

ف(الصابرون) و (المفلحون)

أوحى، و هو في اللغة: الإشارة و الكلام الخفي، و كل ما ألقينه إلى غيرك. و الإيجاء: يدل على ما يحدث في ذهن من فكر أو تصور بتأثير عامل خارجي. و لكلمة إيجاء مفهومان مختلفان: الأول: ان الفكرة الموحى بها تتولد في ذهن بتأثير عامل خارجي (كلمة، إشارة، حركة) لا بتأثير عامل داخلي. و الثاني: ان هذه الفكرة الخارجية تطعم ذهن الموحى إليه فتحركه و تثير فيه فاعلية نفسية جديدة.



أوصاف عامة تعطي إيجاءات للاقتداء بها ممن يريد الدخول تحت قاعدة (الصابر) و (المفلح) لأن جزاءهم هو خير جزاء.

[سورة النحل: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [سورة مريم: ٥٤].

أما (الكافرون) فهو نموذج إيجائي لأجل الاجتناب عن هذا النموذج الذي سيكون جزاءه أسوء جزاء.

٢. نموذج حقيقي: وذلك بالإشارة إلى شخص موجود أو كان موجوداً، أو بالكلام عن نموذجا على السامعين أن يعتبروا به، و النموذج الحقيقي هذا ينقسم على قسمين هما:

أولاً: النموذج الحقيقي الصالح: هو النموذج القدوة في العمل، النموذج الأسمى في القول و الفعل و الجد و المثابرة و القرب من الله تعالى، هو نموذج إنساني بكل معنى الكلمة.

ثانياً: النموذج الحقيقي الغير صالح: و هو النموذج المضروب للتحذير، و لأخذ العبرة في الاجتناب عنه و عن ما يفعل، و عن كل ما يؤدي إلى الارتسام برسمه.

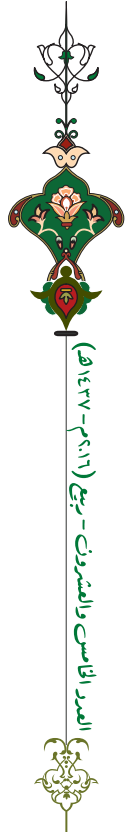
قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ

قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾



نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٧٥﴾ [سورة القصص: ٤].

و قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

و قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سورة الجمعة: ٥].

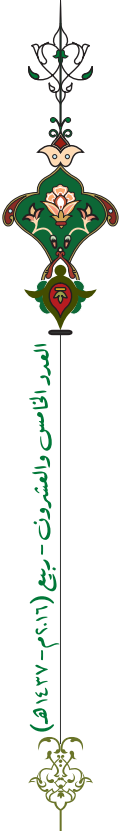
(إن القرآن يعرض أنماطاً من نماذج النفوس البشرية على نطاق واسع. يشمل كل أنماط النفوس البشرية في أصالتها الفطرية. و في حالاتها كذلك. في هداها و في ضلالها. في رشدها و في غيها. في استقامتها و في إعراضها. في ارتفاعها و في هبوطها. في قوتها و في

ضعفها. في سرها و في علانيتها. في فرديتها و في جماعيتها. في شتى صورها و أشكالها، و أوضاعها و أحوالها.. يعرض ذلك كله في حيز من التعبير يستحيل - لو لم يكن من عند الله - أن يسع هذا الحشد الكبير من الأنماط و النماذج، و الأحوال و الأطوار، و أن يصوره في دقة و عمق لا يبلغها الأسلوب البشري و لا في أضعاف هذا الحيز من التعبير! و يعرض الحقائق من خلال النماذج الفردية، كما أنه يعرض السنة الثابتة من خلال الحدث العارض... فأما المنهج القرآني فيعرض النفس الإنسانية كما هي في حقيقتها على النطاق الواسع الشامل، لأن العمود الأساسي في العرض هو حقيقة الإنسانية في شتى حالاتها، لا مذهب معين في النظر إليها... (٣٨).

مميزات النموذج القرآني

إن النموذج القرآني يعتبر النموذج الأسمى كونه قد جاء عن (حكمة

(٣٨) مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، ص ٣٦٧.



بالغة) من لدن أحكم الحاكمين، و لهذا النموذج ميزاته الخاصة به و التي يمكن ان نجمل منها بعض الميزات التي نعتقد بأنها الابرز و التي هي:

١. الواقعية: فالنموذج القرآني واقعي، و يتميز بصدقه الوجودي عند ايراده، فهو نموذج موجود- حقيقة-أما سابقاً أو حال نزول النص، فليس هناك أي نموذج قرآني غير واقعي أبداً، حتى ولو كان فرداً واحداً فقط.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٤٣].
و قال تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدِّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [سورة الأسراء: ٢٠].

٢. حكمويته: فإن للنموذج القرآني حكمة بالغة في ضربه فهو يتأطر بإطار (المثل) و (العبرة) و (الحجة).
قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٥].

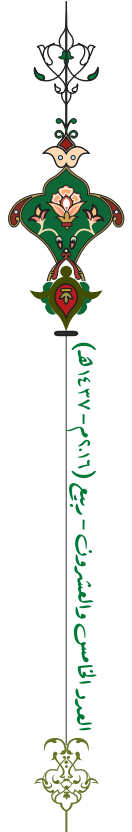
٣. رمزيته: إن النموذج القرآني يشكل رمزية كبرى في ضربه، و عند التعرض له، سواء أكان نموذجاً صالحاً، أم غير صالح.

٤. التقديس الذاتي: فالتقديس الذاتي للنموذج القرآني (الصالح) لا ينفك عنه سواء أكانت قدسيته (تشريعية) أو (احترامية).
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].

٥. الواقعية: فالنموذج القرآني واقعي، و يتميز بصدقه الوجودي عند ايراده، فهو نموذج موجود- حقيقة-أما سابقاً أو حال نزول النص، فليس هناك أي نموذج قرآني غير واقعي أبداً، حتى ولو كان فرداً واحداً فقط.

٦. حكمويته: فإن للنموذج القرآني حكمة بالغة في ضربه فهو يتأطر بإطار (المثل) و (العبرة) و (الحجة).
قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٥].

٧. التقديس الذاتي: فالتقديس الذاتي للنموذج القرآني (الصالح) لا ينفك عنه سواء أكانت قدسيته (تشريعية) أو (احترامية).
قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزَاؤُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٣].



و قال تعالى: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا إِسْوَاءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾
[سورة الأعراف: ٧٣].

المصادر والمراجع

١. الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي البغدادي ثقة الإسلام (ت ٣٢٩هـ).
٢. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٥هـ).
٣. محاضرات في تفسير آيات الأحكام، الدكتور عبد الأمير كاظم زاهد، العارف للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط ١، ٢٠٠٩ م.
٤. مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، دار الشروق، مصر- القاهرة.
٥. المدرسة القرآنية، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (ت ١٣٩٠هـ)، مركز الأبحاث و الدراسات التخصصية للشهيد الصدر (ت ١٣٩٠هـ)، ط ٢، ١٤٢٤هـ، قم- إيران.

٦. دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، تحقيق و تعريب: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

٧. القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، عبد الخطيب عبد الكريم، مطبعة السنة المحمدية، مصر- القاهرة، ١٩٦٤ م.

٨. تحليل لغة القرآن و اساليب فهمه، محمد باقر سعيدي روشن، ترجمة: علي عباس الموسوي، دار الولا، بيروت - لبنان، ٢٠١٤ م.

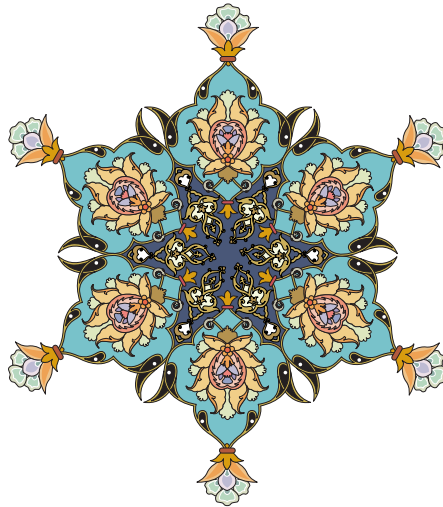
٩. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.

١٠. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ)، تحقيق: ابو الفضل الدمياطي، دار الحديث، مصر - القاهرة.

١١. مصنف ابن ابي شيبة في الأحاديث و الآثار، عبد الله ابن محمد بن ابي



- شبية (ت ٢٣٥ هـ)، ط١، لبنان، ١٣. مجمع البيان في تفسير القرآن،
دار الفكر، ١٩٨٩ م.
١٢. تفسير التحرير و التنوير، محمد
الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٢
م)، الدار التونسية للنشر، تونس،
١٩٨٤ م.
١٣. مجمع البيان في تفسير القرآن،
للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن
الطبرسي، من أكابر علماء الإمامية
في القرن السادس الهجري، دار
المعرفة للطباعة و النشر، بيروت-
لبنان، ط١، ١٩٨٦ م.



جَمَالِيَّاتُ الدُّعَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أ. م. د. عاظمي عبيات
جامعة أمير المؤمنين
الاهواز - جمهورية إيران الإسلامية

فحوى البحث

حفل القرآن الكريم بايات تضمنت معاني الدعاء للخالق - عز وجل - من قبل عباده الصالحين. وقد حاول السيد الباحث في هذه الدراسة، ان يبين جانباً من جمال نظم القرآن وروعة ابداعه حين يعبر عن معاني الدعاء اذ سبر الباحث اغوار اسلوب الدعاء فوجد ان سياقاته متعددة وادواته متباينة، و مجالاته متنوعة. وقد اعتمد الباحث خطة المنهج الوصفي - التحليلي في دراسة الجوانب الجمالية التي تتحلى بها ايات الدعاء ومنها:

- حسن الابتداء والختام.
 - حسن التنسيق المحفوف بالاطار الموسيقي الرائع.
 - اسلوب الایجاز.
- كما اجابت الدراسة عن جملة من الاسئلة التي تعرض في ذهن القارئ.. وانتهت بخاتمة واستنتاجات.

الملخص:

في هذه الدراسة حاولنا ان نبين جانباً من جمال نظم القرآن و روعة إبداعه، فبالرغم من زادنا المتواضع و بضاعة علمنا القليلة سبرنا أغوار اسلوب الدعاء في آيات القرآن الكريم، فوجدناه في آيات كثيرة، تعددت سياقاته، و تباينت أدواته، و تنوعت مجالاته و أنماطه. ففي هذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها المنهج الوصفي- التحليلي درسنا جوانب جمالية تتحلي بها آيات الدعاء منها حسن الابتداء والختام و حسن التنسيق المحفوف بالاطار الموسيقي الرائع ومنها اسلوب النداء والايجاز محاولين تبين مدى القدرة علي توظيف هذه المباني لتجلية المعاني ومدى تعانق صور الكلام مع المعاني والمضامين و الاغراض. و تحيب هذه الدراسة عن الأسئلة التالية: ما هي آداب الدعاء و أركانه و شروطه في القرآن الكريم؟ كيف يريد منا القرآن الكريم أن ندعو الله تعالى؟ ما مدى تأثير الجوانب البلاغية و الجمالية للدعاء على نفسية

المؤمن و ترسيخ المعنى؟.

الكلمات الدليله: القرآن الكريم، الدعاء، البلاغة، الايقاع، التناسق، الايجاز.

المقدمة:

الدعاء في اللغة «طلب الطالب للفعل من غيره»^(١) وقال الراغب الاصفهاني: «و يستعمل استعمال التسمية نحو: دعوت ابني زيدا أي سميته، ودعوته اذا سألته واذا استغثته»^(٢) أمّا فى الاصطلاح فقد عُرِفَ بأنّه «الابتهال الى الله تعالى بالسؤال و الرغبة عنده من الخير، و التضرع اليه فى تحقيق المطلوب و إدراك المأمول»، أو هو «استدعاء العبد ربّه العناية، و استمداده إيّاه المعونة»^(٣).

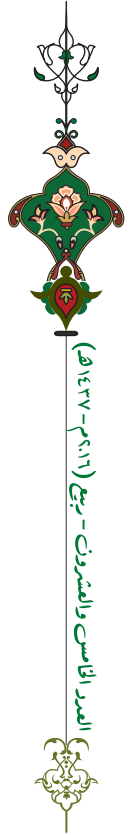
وقد وردت مادة «دع و» مع مشتقاتها في القرآن الكريم اكثر من ٨٠ مرة تدل على معان متعددة، منها:

١. العبادة، نحو ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ [سورة الاعراف: ٥٥] الطلب و

(١) ابن سيده، ١٣١٦.

(٢) الاصفهاني، ١٤١٨: ١٧٦.

(٣) ناصيف، ١٤١٥: ٧.



السؤال، نحو: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نُّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾
[سورة البقرة: ٦١].

٢. والاستغاثة والاستعانة، نحو:

﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٣].

٣. النداء، نحو: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ

فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الاسراء: ٥٢].

٤. الحث على الشيء والحث عليه،

نحو: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ

وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[سورة يونس: ٢٥] وقوله ﴿قَالَ

رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾

[سورة يوسف: ٣٣].

الدعاء علاقة روحية و مثالية بين

المخلوق و الخالق، فهو مخ العبادة

والصلة الموصولة بين العبد و ربه، و من

هذه الناحية صار ركناً اساسياً في عبادتنا

العلمية و النظرية معاً و من الطبيعي ان

الدعاء ليس كلمات تلفظ فحسب و انها

النية وحدها نوع من الدعاء ايضاً و

لكنه اذا ظهر في ثوب الالفاظ اكتسب

رونقه و مظهره الخارجي الذي يتجاوز

خصوصية المكان و الزمان^(٤) فالدعاء

ترنيمة المؤمن و طعامه الروحي و غذاؤه

الوجداني و هو الفريضة الممزوجة بكل

ألوان الطاعات و العبادات فالصلاة

من بعد التوحيد مفروضة و بدايتها

قراءة ام الكتاب (الفاتحة) بآياتها السبع

قوامها الدعاء، تبتديء بالدعاء و تنتهي

بالدعاء^(٥). و الدعاء قد يسهه الله لنا

و دليل التيسير ما جاء في القرآن من

تعريف للدعاء و أركانه و شروط و

امكان طلبه و الأسماء و الألفاظ التي

ندعو بها. مضامين الدعاء القرآني غنية

بآداب الحديث مع الله، كيف نحمده

و نثنى عليه، و نستغفره بالانابة الى

جنابه، ثم كيف نبدؤه بطلب افضل

الحاجات، من دون ان ننسى الشؤون

الثانوية، و كيف نتذكر الوالدين و

الاقربين و الأخوة المؤمنين عند الدعاء

و عشرات من الآداب الأخرى^(٦).

(٤) كريمي فرد، ٢٠٠٥: ٧٤.

(٥) علي رضا، ١٤٠٤: ١٧٣.

(٦) المدرسي، ١٤٠٥: ٤.



البحث في عوالم اللغة و أسرارها إلا على استيحاء، كما رأينا ذلك في رسالة كتبها عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي وسماها «الدعاء و منزلته من العقيدة الإسلامية» و تقدّم بها إلى شعبة العقيدة بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، و هي بحث في العقيدة، و كتاب الدكتور محمود الشريف «الدعاء في القرآن الكريم» و هو كتاب خواطر اكثر من أي شيء آخر.

علماء الشريعة هم أكثر من اهتمّ بالدعاء و كتبوا عن أحكامه و آدابه في كتب جمّة و تأليف مفردة ككتاب «الدعاء» لأبي عبدالرحمن الضبي، و «الدعاء» لأبي القاسم الطبراني، و «شأن الدعاء» لأبي سليمان الخطابي، و «الدعوات» للبيهقي، و «أروع ما قيل في الأدعية» لإميل ناصيف، و «الدعاء معراج الروح و منهاج الحياة» لمحمد تقي المدرسي و «الدعاء و الاجابة» لفؤاد علي رضا و «الدعاء المستجاب» لعبدالكريم الخطيب. و هذه كلّها كتب اهتمّت بالدعاء من منظور علم الرواية

إنّ الدعاء الجامع الشامل أنّما هو القرآن. والقرآن هو الصورة المثلى للدعاء، فمن رجاحة العقل أن نتوسل الى الله بكلمات الله و قرآنه و كتابه. فالآيات الكريمة بالرغم من أنّها متناثرة في مناسبات مختلفة في القرآن إلا أنّها تعطينا في المجموع فكرة متكاملة عن الدعاء.

المصنفون المسلمون الأوائل درسوا خصائص العلوم و سموها بأسمائها و صنفوها و ميزوها علماً، و أدبا، بحكمة و دقة كما رأيناهم في دراساتهم القرآنية، و النحوية، و البلاغية، و الأدبية، إلّا أنّهم مع تحرّيم أهملوا فنّاً أدبياً رائعاً هو الدعاء الذي تميّز في الخطاب و المحتوى، و اكتملت فيه البنية، و تبعهم في ذلك الأمر المحدثون من علماء اللغة فلم يلتفتوا إليه وصفاً و دراسةً، و لعل سبب ذلك البعد الديني التعبدى للدعاء.

خلفية البحث:

غالب الدراسات التي أُجريت في هذا الصدد كانت دينية لا تتعدى إلى



و الدراية، و علم العقيدة، و لم يكن للبحث اللغوي و البلاغي نصيب من مدادها الذي كُتِبَ به.

هذا ما دفعنا الى دراسة الدعاء علنا بذلك أن نساهم في استكشاف جماليات الدعاء في آي القرآن الكريم.

صيغ الدعاء:

١. دعاء الفرد لنفسه.
٢. دعاء الفرد لغيره.
٣. دعاء الجميع للجميع.

و فيما يلي نستعرض هذه الطوائف الثلاثة من الدعاء، لتتعرف على أساليب القرآن في الدعاء للمؤمنين.

١. دعاء الفرد لنفسه:

و هو اسلوب معروف من الدعاء، و نجد في القرآن نماذج من هذا الدعاء على لسان الانبياء و الصالحين، أو من تعليم الله تعالى لعباده و من ذلك قوله تعالى:

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْوَارِثِينَ ﴾ [سورة الانبياء: ٨٩].

﴿ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْمُنْزِلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٢٩].

• ﴿ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ

﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾

[سورة المؤمنون: ٩٧].

٢. دعاء الفرد لغيره:

و هو نحو آخر من الدعاء له نماذج و شواهد في القرآن و من ذلك قوله:

• ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الأسراء: ٢٤].

• و منه دعاء حملة العرش للمؤمنين:

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً

وَعِلْمًا فَاعْفُ رِلْدَيْنَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ

وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ

مِنْ آبَائِهِمْ وَازْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾

وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ

يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴾ [سورة غافر: ٧ - ٩].

٣. دعاء الجميع للجميع:

أشهر أساليب الدعاء في القرآن من هذا القبيل و من ذلك قوله تعالى:

• ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ



بالعبودية، المستعان، الهادي، المنعم، ثم كانت بعد ذلك سؤالاً و تضرعاً من المؤمنين لله حتى يمنحهم الهداية و الرشد و السداد و التوفيق.

الفاتحة دعاء بدىء بعد البسملة بحمد الله و حمدالله دعاء فيه طمأنينة نفسية تُعفى على ما ترسب في الأعماق من اهتزاز عواطف أو جموح أحاسيس، و تدفع الى الصفاء الداخلي و الراحة الوجدانية و الهدوء القلبي^(٧) و المنهج الدعائي تخطيطه لنا سورة الفاتحة، فهو يبدأ بذكر و يصدر بتوسل، توسل الى الله بأسمائه و صفاته ثم يأتي عقيب ذلك السؤال و الطلب «اهدنا الصراط المستقيم». و هذا هو أول طلب و دعاء في القرآن الكريم علّمنا الله تعالى اياه لأن حاجتنا اليه أشدّ من حاجتنا الى كل شيء سواه^(٨). ولا يخفي علي البليغ جمال الالتفات في هذه السورة فقد جري الأسلوب في مطلع السورة على طريقة الغيبة «الحمد لله رب العالمين الرحمن

(٧) ابن الشريف، ١٩٨٧: ١٢.

(٨) المصدر السابق: ٤٠.

أَنقَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٦﴾ [سورة الفاتحة: ٦-٧].

• ﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧].

• ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٦].

• ﴿رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٥].

حسن الابتداء و حسن الختام:

اذا التفت الى فاتحة الكتاب و خاتمته بدا لك من أسرار التنزيل عجب، فإن الله سبحانه افتتح كتابه الكريم بالدعاء في «سورة الفاتحة»، واختتم -سبحانه- كتابه العظيم بالدعاء في «سورتي المعوذتين». سورة الفاتحة بآياتها دفقة من دعاء محض و ابتهاج خالص الى الله سبحانه، تبدأ بدعاء و تنتهي بدعاء. و كما كانت خاتمة الكتاب دعاء و استعاذة بالله من شرّ النفس و الدنس و من شرّ الوسواس الخناس، كانت الفاتحة دعاء بدىء بحمد الله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك الملك و الملكوت، المتفرد



الرحيم مالك يوم الدين» فكان مقتضي الظاهر أن يقال «اياه نعبد و اياه نستعين» لكن مقتضى مقام الدعاء العدول أو الالتفات من الغيبة الى الخطاب فقال: «اياك نعبد و اياك نستعين»، وفي هذا الالتفات ما فيه من تعظيم شأن المعبود جلّ وعلا. فالكلام من أوّل السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة أولي. ويقول ابن القيم: «ان الدعاء الذي يتقدّمه الذكر والثناء أفضل وأقرب الى الاجابة من الدعاء المجرد...»^(٩).

مفاهيم و قواعد، كليات و اصول، تواريخ و أحداث، صور و مشاهد كل ذلك تضمنته فاتحة الكتاب، فكانت دفقة من دعاء و شحنة من ابتهاج يكمن فيها قوى عدة يتزود بها الداعي و يتسلح بها الذاكر يشحن بها طاقته و يشحذ بها ايمانه و يدجج بها معرفته و يقينه.

فحسن الابتداء أمرٌ مهم مؤثر جداً في كل حديث نثراً كان و شعراً ذلك لأنه مطلع الحديث و أول ما يصل

(٩) عطيف، ١٤٢٤: ٧١٨.

الى أذن السامع و اذا لم يكن مرغوباً و لطيفاً و واضحاً و قريباً للقلب و مناسباً للمقام و مقتضى الحال فهو يبعث السامع أو القاري على النفور و الاشتمزاز و يصرفه عن سماع أو قراءة باقي الحديث.

هذا فضلاً عن «حسن الختام» الذي نشاهده في آخر سورة من القرآن الكريم-سورة الناس -التي جاءت بشكل ملائم جذاب و بليغ في التأنق و النظام أعلى مستوى يمكن ان يصل اليه حديث و لاسيما اذا لاحظنا أن الجزء الأخير من الكلام يبقى في أذن السامع اكثر مما يبقى رنين الاجزاء الأخرى.

بدأت هذه السورة بفعل أمر «قل» حتى تلزم الانسان بترسيم هذه الآيات التي تقيه من شرّ الوسواس الخناس و لأجل تعلّق هذه السورة بالأذهان و تأخذ موقعها من القلب جاءت الفاصلة مكررة -الناس -الآ في الآية الرابعة التي جاءت فاصلتها «الخناس». و هذا يجعل السورة اكثر ايقاعاً و أشدّ وقعاً على القلوب كما أن تكرار حرف السين





جماليات الدعاء في القرآن الكريم المصباح

يساعد على ايقاع الآيات بصورة ملفتة للنظر.

هذا بالنسبة للكتاب - القرآن الكريم - بما فيه من سور و آيات، لكننا اذا أمعنا النظر في آيات القرآن الكريم

التي تتضمن الدعاء سنجد «حسن الابتداء» و «حسن الختام» في كل آية

بصورة جليّة تقتضيها آداب الدعاء، فمثلاً هذه الآية: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [سورة

الأعراف: ٨٩]. فالعبارة الأخيرة «و انت خير الفاتحين» تنسجم تماماً مع

ما جاء في بداية الآية، كما نرى في هذه الآية ضرباً من ضروب البديع يقال له

«رد العجز على الصدر». و اذا دققنا في الآيتين التاليتين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحشر: ١٠] و

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الممتحنة: ٥].

تبيّن لنا العلاقة الوطيدة بين الخاتمة ﴿إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ و ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ و بين البداية في الآيتين، حيث الآية الأولى تتكلّم عن الرحمة و

الغفران و الآية الثانية تتكلّم عن الفتنة التي لا مردّ لها الاّ قدرة الله المصحوبة

بحكمته.

حسن التنسيق:

لقد وردت عدّة آيات متتابعة في القرآن تنصّ على الدعاء ففي جميع هذه

الآيات جاءت الكلمات و العبارة يتلو بعضها بعضاً، في انتظام و نسق متين

جميل و بانسجام سليم و حسن دون أن يردّ فيها اصطلاح ناشز معيب لا ينسجم

مع المقصود و المضمون. فقد ورد في سورة طه على لسان موسى: ﴿رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ (٢٩) هَذُوْنَ أَخِي (٣٠) [سورة طه: ٢٥-٣٠].

كما يتبيّن لنا فالجمل متناسبة في تركيبها و تتابعها و عطف بعضها على بعض فكانت العبارة السابقة مختصرة و

مجالاً للعبارة اللاحقة، و العبارة اللاحقة توضيح و كمال للعبارة السابقة.

و كيف بنا لو تصوّرنا جماعة من

الصّديقين الصالحين يشتركون ذكوراً و
واناثاً، شيباً و شباناً، بأصوات رخيّة
متناسقة، تصعد معاً، و تهبط معاً و
هي تتوسل الى الله منشدة هذا النشيد
الفخم الجليل: ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (١١١) رَبَّنَا
إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿ ١١٢ ﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا
مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ
فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿ ١١٣ ﴾ رَبَّنَا
وَأِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ
الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [سورة آل
عمران: ١٩١-١٩٤].

فالربط و العلاقة بين العبارات
محكم و منسجم إحكاماً لفظياً و معنوياً
عميقاً بحيث نلاحظ بوضوح أنّ كلّ
عبارة تستوجب عبارتها التالية بصورة
عفوية و طبيعية.

فالدعاء في هذه الآيات كالماء الجاري
الذي يسيل في مجرى لين مستمر
بألفاظ بديعة جميلة مفعمة بالمعاني، و
تراكيب صحيحة فصيحة.

و نجد حسن التنسيق متجسداً في
الآيات التالية: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ
إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ ﴾ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ
لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾
[سورة آل عمران: ٨-٩].

انهم يدعون الله و يتضرعون اليه
ألاّ يزيغ قلوبهم المنافقين كأولئك
الذين تقدّم ذكرهم في الآية السابقة:
﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة
آل عمران: ٧] فكما نرى تعبير «ربنا
لا تزغ قلوبنا» هو تعبير في غاية الایجاز
اذ لا داعي لذكر التفاصيل المشار اليها
في الآية السابقة، فلا داعي ان يقول
مثلاً: ربنا لا تجعلنا كالذين فى قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
و ابتغاء تأويله. و تعبير «وهب لنا من
لدنك رحمة انك انت الوهاب» فيه
تطلع الى كرم الله السابغ أن يهب لهم
هذه الرحمة و أن تكون واسعة شاملة
تناسب مع كرم المنعم الوهاب. ﴿ رَبَّنَا
إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ انهم

بين مزايا النثر و الشعر جميعاً^(١١) فقد أَعفَى التعبير من قيود القافية الموحدة و التفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، و أخذ في الوقت نفسه من الشعر الموسيقى الداخلة، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تُغني عن التفاعيل، و التقفية التي تُغني عن القوافي، و ضم ذلك الى الخصائص التي ذكرناها فَسَبَقَ النثر و النظم جميعاً.

إنّ هذا الايقاع الصوتي، لينعِث في القرآن المجيد حتى من اللفظة المفردة، في كل آية من آياته، فتكاد تستقلّ بجرسها و موسيقاها. على هذا الأساس يحقّ لنا الآن أن ننتخب من سور قرآنية متنوعة بعض مواقف الدعاء. و نحن نعرف أن الدعاء بطبيعته نَمَط من النشيد الصاعد الى السماء، و لا يخلو وقعه في نفس المتضرّع المبتهل إلاّ أن تكون الفاظه منتقاة و ايقاعه منتظم. القرآن الكريم لم ينطق على لسان النبيّ و الصّديقين و الصالحين إلاّ بأحلى الدعاء نَغْماً و

يعلنون إيمانهم الراسخ بهذا اليوم الذي يجمع فيه الناس، و كأنما يقدمون هذه الإقرار مؤهلاً لطلب رحمة الله بهم في اليوم، و الانعام عليهم بنعيم الجنة التي وعدهم بها «ان الله لا يخلف الميعاد»^(١٠).

كما نلاحظ في هذه الآيات جاءت العبارات على نسق واحد و كل عبارة تسعى لاكمال معنى العبارات الأخرى و أخرجها بأحسن صورة بحيث ارتسمت من التثام هذه العبارات صورة منسقة لا تستغني عن أية عبارة من هذه العبارات.

الايقاع الصوتي و التناسق الفني:

إن هذا القرآن العظيم يمتاز بأسلوب ايقاعي جميل، غني بالموسيقى، مملوء نغماً و سحراً، ففي كلّ سورة منه و آية، و في كل مقطع منه و فقرة، و في كلّ مَشَدّ منه و قصة، و في كل مطلع منه و ختام نجد هذه الخصيصة البارزة الواضحة.

و لعلنا لا نتجاوز الحقية إن رَدَدْنَا سَحَرَ القرآن الى نسقه الذي يجمع



أروعه إيقاعاً، و سحر بيان فإذا عرفنا أن ابتهاج الصالحين كما جاء في الكتاب المبين، أكثره رغباً أو رهباً، طمعاً أو خوفاً، استعجالاً لخير أو دفعاً لشرٍّ، أدركنا سرّاً من أسرار الإيقاع و التغميم ينبعث من كل مقطع من مقاطع الذكر الحكيم.

فلنتصور معاً - ونحن نُرتِّل معاً دعاء زكرياء - شيخاً جليلاً مَهِيْباً على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة، و شعاع من نور... و لتمثل معاً - هذا الشيخ الجليل على و قاره - متأجج العاطفه، متهدّج الصوت، طويل النفس، ما تبرح أصدااء كلماته تتجاوب في أعماق قلوبنا شديدة التأثير: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٤) ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِكَ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ (٥) ﴿يَرْثِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم: ٤ - ٦].

إنّ البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي ينتهي إليها «الايقاع»

في فاصلة كل آية ب «يائها المشدّدة» و تنوينها المحول عند الوقف «ألفاً لينة» كأنها أَلَفَ الاطلاق في الشعر، فهذه الألف اللينة الرخوة المناسبة تناسقت بها «شقيّاً - وليّاً - رضيّاً» مع عبد الله - زكريا - ينادي ربّه نداءً خفياً (١٢) فلنستمع الى هدير نوح عليه السلام بعد أن دأب ليلاً و نهاراً على دعوة قومه الى الحق، و هم يلجّون في عنادهم و كفرهم، و يفرون من الهدى فراراً، و لايزدادون إلّا ضلّالاً و استكباراً، فما كان من نوح - وقد يئس من صلاحهم - إلّا أن يتملكه الغيظُ، و يمتلئ فؤهُ بكلمات الدعاء الهادرة الغضبي، تنطلق في الوجود مجلجلة مدوية، بهديرها الرهيب، و ايقاعها العنيف و ما أظننا نتخيّل الجبال إلامدكوكة و السماء إلّا متجهّمة عابسة، و الأرض إلا مهتزة مُزَلْزلة، و البحار إلّا هائجة ثائرة حين وقف نوح داعياً على قومه بالهلاك التبار: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (١٣) ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْنَاهُمْ يَصْلُحُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا

و إن شئت فقل: هو طلب إقبال المدعو بحرف نائب مناب «أدعو» سواء كان ذلك الحرف ملفوظاً، نحو: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة

ص: ٢٦] أو مقدراً، نحو: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٠].

إذا كان النداء و الطلب من الأدنى الى الأعلى، و من الصغير الى الكبير، و من الضعيف الى القوى، و من المخلوق الى الخالق، يقال له «دعاء»، فلو قال امرؤ:

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾

[سورة آل عمران: ١٩٣]، فإنه لا يأمر ربه أن يغفر له، و يكفر عنه سيئاته، و يتوفاه مع الأبرار، و ليس من المعقول أن يكون هذا طلباً على وجه الاستعلاء و الإلزام، و لكنه طلب فيه ضراعة و خوف، و فيه تذلل و استعطاف، و فيه انقلب معنى الأمر الى معنى الدعاء^(١٥).

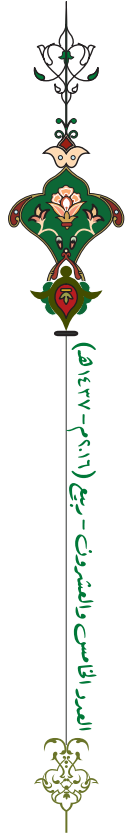
للنداء ادوات مختلفة أشهرها، حرف «يا» الذي يستعمل لكل مناد قريباً كان

كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [سورة نوح: ٢٦-٢٨].

ان الایقاع الصوتي و التناسق الفني في القرآن آية عظمى من آيات الرحمن، فليس الایقاع فيه كفاية من الشعر يُقاس بالتفعيلات و الأوزان، و يضبط بالحركات و السکنات، و لا النظم فيه يعتمد على الحشو و التطويل، أو الزيادة و التكرير، أو الحذف و النقصان، و لا الألفاظ تُحشد حشداً، و تلتصق إصاقاً، و يلتبس فيها الإبهام و الإغراب، بل الایقاع طليق من كل قيد، و النظم بنجوة من كل صنعة. و الألفاظ بمعزل عن كل تعقيد و هذا هو سر الإعجاز^(١٣).

اسلوب النداء:

من أهم الأساليب التي تُستخدم في آيات الدعاء هو اسلوب النداء^(١٤). و النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب



أو بعيداً أو متوسطاً، و أحياناً يصاغ النداء بغير أداة، على الأخص إذا كان المنادى هو الله - سبحانه وتعالى - يقول الدكتور محمد بدري عبد الجليل في هذا المجال، إذا أرادَ الله أن ينادي الانسان أو الاشياء، يستخدم ادوات النداء، مثلاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾

[سورة البقرة: ٢١] و ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ [سورة هود: ٤٤]. لكننا إذا أردنا ان ننادي الله فلا يجدر بنا ان نستخدم حرفَ النداء، إذ لانجد في القرآن آية واحدة استعمل البشر فيها أداة النداء بصراحة في خطاب الله، بل جاءت الأداة في مثل هذه الحالة بصورة مقدرة^(١٦)؛ مثلاً ابراهيم عليه السلام يخاطب ربه بهذه الصورة التالية: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [سورة البقرة: ١٢٦].

من المَلاحِظِ البلاغية العامة في آيات الدعاء ايثار لفظ الجلالة في دعاء العبادة و الثناء، و ايثار لفظ «الرب» في دعاء الطلب و المسالة؛ لأن العبادة متعلقة بالألوهية، و اجابة الدعاء من

(١٦) عبد الجليل، ١٩٧٥: ٢٣.

مقتضي الربوبية. فقد استهل موسى عليه السلام دعاءه بنداء الرب «قال رب اشرح لي صدري» بحذف حرف النداء الدال على شعوره بقربه من ربه؛ وحذف ياء المتكلم المضاف اليه من «ربه» للتخفيف، واختيار لفظ «الرب» هنا لأن اجابة الدعاء من مقتضي الربوبية^(١٧).

الايجاز:

و لما كانت «لغة الدعاء» تبتعد أصلاً عن الاطناب فإننا نرى أن آيات الدعاء جاءت موجزة و قصيرة و يتلو بعضها بعضاً أو يعلو و يتجاوز بعضها البعض الآخر. فهذه الآيات قد ابتعدت عن الاسهاب و الإطالة حتى تبلغ بالحاجات الى عتبة الله في أقصر مدة من الوقت إلاّ عندما يكون المقصود منها التأكيد أو غير ذلك من المقاصد المعنوية الأخرى كالشعور و اللذة من الجلوس مجلس المتحدث مع المعبود الأسمى و الربّ الأحد الذي لا كفاء و لانظير له. فمثلاً في هذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ

(١٧) عطيف، ١٤٢٤: ٧٣٥.





الْفَرِيزُ الْحَكِيمُ ﴿نشاهد تكرار «ربنا»، و
الايقان بضمير «انت» المنفضل تأكيداً
لضمير الكاف المتصل. و كل هذا
تعمداً في اطالة الكلام للتلذذ بالحديث
مع الحق تعالى واستدراكاً لشفقة ورحمة
وعطف المعبود. أمّا من ضروب الایجاز
في آيات الدعاء هو عدم التصريح
بالحاجة و التعبير عنها بلغة غير مباشرة،
فمثلاً النبي موسى يدعو ربّه اذ يقول:
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾
[سورة القصص: ٢٤] فلم يطلب الخير
من الله بأسلوب صريح، بل أنّه يقول:
الهي انزلت عليّ خيراً كثيراً و اشكرك
علي ذلك، لكنني الآن اصبحت فقيراً
الى ذلك الخير، فهو يطلب الخير من
الله بلغة غير مباشرة. ويقول ربنا عن
ايوب: **﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** [سورة
الانبياء: ٨٣] و من هذه الآية نستوحي
اسلوب الدعاء، فطريقة ايوب في الدعاء
تستدعي ان يكون الانسان مؤدباً في
دعائه لله، اذ نري ان ايوب لم يطلب من
الله شيئاً بصراحة، وانّما نادي ربّه أنّي

مسنّي الضرّ، فكيف ترك عبدك هكذا
﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فيطلب
ايوب رحمة ربّه بكنية هي ابلاغ من
التصريح.

والمندوق لبلاغة النصّ القرآني
يروقه الایجاز بالحذف في قوله **﴿رَبَّنَا
مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا﴾** أي يقولون
ذلك بمعني يتفكرون قائلين. وفي هذا
الحذف ايجاء بأن تفكير أولي الالباب
«قد أسلمهم مباشرة الي التصديق بأن
هذا الخلق لم يكن باطلاً، وانّما حكمة
اقحام هذا الفعل المحذوف يقلل من
الایحاء بهذه السرعة في ادراك الحقيقة
والاعتراف بها» (١٨).

النتيجة:

تضمّنت آيات الدعاء في القرآن
الكريم معاني سامية و مطالب عالية
تجمع بين خيري الدنيا و الآخرة. هذه
الآيات الكريمة بالرغم من أنّها متناثرة
في مناسبات مختلفة في القرآن الا أنّها
تعطينا في المجموع فكرة متكاملة عن

الدعاء فمضامين الدعاء القرآني غنية
بآداب الحديث مع الله و ان الدعاء
الجامع الشامل انما هو القرآن فيبتدأ
بدعاء -سورة الحمد -وينتهي بدعاء -
سورة الناس.

لقد جاءت آيات الدعاء في اسلوب
بلاغي معجز، يتسم بالوضوح والقوة
و الجمال؛ وهي تمثل السمات العامة
لأسلوب القرآن الكريم. فمن أبرز
المظاهر البلاغية التي تحقق تلك
السمات في اسلوب الدعاء هي الدقة
في اختيار الالفاظ وحسن الابتداء
والانتهاء والايقاع الصوتي والتناسق
الفني واساليب الخروج عن الاصل
كالتقديم والتأخير، والايجاز و الحذف
و الالتفات.

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

١. ابن سيده، ابو الحسن علي بن
اسماعيل: المخصّص، المجلد ٣
القاهرة، المطبعة الاميرية.
٢. ابن شريف، محمود (١٣١٦ هـ):
الدعاء في القرآن، ط ٥، بيروت، دار

مكتبة الهلال -١٩٨٧ م.

٣. الأصفهاني، الراغب المفردات في
غريب القرآن، ط ١، بيروت، دار
المعرفة (١٤١٨ م).

٤. ديباجي، سيد ابراهيم، بداية
البلاغة، تهران، انتشارات سمت
(١٣٧٦ هـ).

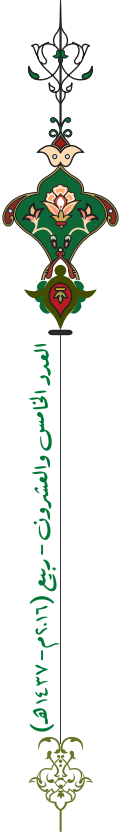
٥. شرّاد، شلتاغ عبود، تأثير قرآن بر
شعر عربي معاصر، ترجمه مهدي
خرمى، ج ١، سبزوار، اميد مهر
(١٣٨٥ م).

٦. عبد الجليل، محمد بدوي المجاز
واثره في الدرس اللغوي، ط ١،
الاسكندرية، دارالجامعة المصرية
(١٩٧٥ م).

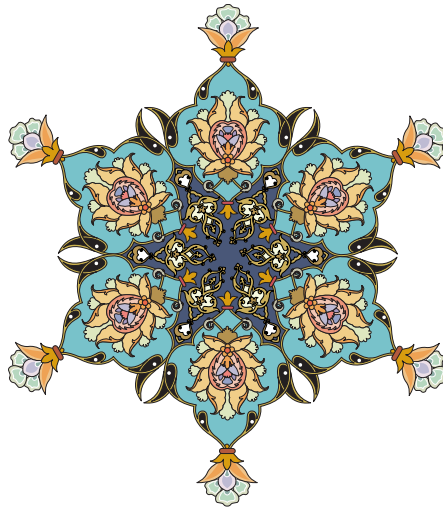
٧. عطيف، يحيى بن محمد «من بلاغة
بعض الادعية في القرآن الكريم»،
السعودية، مجلة جامعة ام القري
للعلم الشريعة واللغة العربية و
آدابها، عدد ٢٦ (١٥) (١٤٢٤ هـ).

٨. علي رضا، فؤاد: من علوم القرآن، ط،
بيروت، دار إقرأ (١٤٠٤ هـ).

٩. العمري، احمد جمال: دراسات



- في القرآن و السنة، ط ١، القاهرة، بيروت، دارالمشرق (١٤٠٣هـ).
- دارالمعارف (١٩٨٢م).
١٠. كريمى فرد، غلام رضا: «الجمالية في الصحفية السجادية»، تهران، مجلة العلوم الانسانية، العدد ١٢ (٤) (٢٠٠٥م).
١١. قطب، محمد: دراسات قرآنية، ط ٤، بيروت، دار الجيل (١٤١٥هـ).
١٢. المدرسي، محمد تقي: الدعاء معراج الروح و منهاج الحياي، ط ١، المركز الثقافي الاسلامي (١٤٠٥هـ).
١٣. ناصيف، إميل: أروع ما قيل من الأدعية، ط ١، بيروت، دار الجيل (١٤١٥هـ).



دلالة الاستقامة في النصوص القرآنية وتوظيفها في الحياة العامة

أ.م.د. الشيخ عدنان فرحان خميس القاسم

كلية التربية - الجامعة المستنصرية

فحوى البحث

يعرض البحث معاني (الاستقامة) والتي وردت بصيغة الامر في القرآن الكريم وفي مواضع منها سورة هود ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [سورة هود: ١١٢] وباسناد الى المفرد والى الجماعة. او بصيغة اسم الفاعل (مستقيم) كما في سورة الفاتحة التي وقف عندها الباحث طويلاً. ثم يستطرد الباحث الى الحديث عن اثر الاستقامة في ترصين عرى الفرد والمجتمع، وفوائد الاستقامة التي يجنيها المؤمن في الدنيا والاخرة مدعماً حديثه بشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والمأثور عن الائمة الميامين صلوات الله عليهم.

المقدمة:

أُمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ

إِذَا اَعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمٌ^(١)

والمستقيم اسم فاعل استقام؛ مطاوع قومته فاستقام. والمستقيم الذي لا عوج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيماً وهو الجادة لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره فلا يضل فيه سالكه ولا يتردد ولا يتحير^(٢).

قال الراغب الإصفهاني: «الاستقامة تقال في الطريق الذي يكون على خط مستو، وبه شبه طريق الحق نحو «اهدنا الصراط المستقيم». قال: واستقامة الإنسان لزومه المنهج المستقيم نحو قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ قَالُوا...﴾ الآية»^(٣).

(١) الطبرسي - علي بن الفضل، مجمع البيان في تفسير القرآن: ١ / ٦٥ طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

(٢) ابن عاشور - محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير: ١ / ١٨٨ طبعة مؤسسة التاريخ - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

(٣) الراغب الإصفهاني، المفردات: ٦٩٢ مادة قوم.

تعدّ الاستقامة من المصطلحات القرآنية التي تناولتها آيات كثيرة وبصيغ مختلفة في القرآن الكريم، وأكدت عشرات الروايات التفسيرية المروية عن النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام وبعض من صحبه المنتجبين.

كما نجد من بين هذه الآيات القرآنية والروايات تأكيداً على دور الاستقامة في حياة الإنسان المؤمن وفي سيره التكاملي إلى الله سبحانه، وما يترتب على الاستقامة والثبات عليها من آثار وثمرات في الدنيا وفي الآخرة.

فما هي الاستقامة؟ وما هو حكمها التشريعي؟ وما هو دورها في حياة الإنسان المؤمن؟ وما هي آثارها وثمراتها في حياتنا الدنيوية والأخروية؟

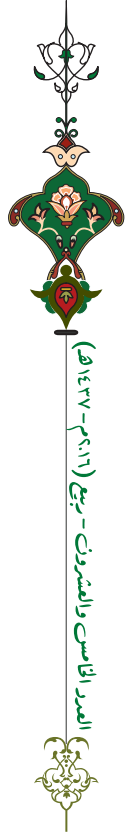
المبحث الأول:

الاستقامة لغة واصطلاحاً:

أ. الاستقامة لغة:

الاستقامة والمستقيم هو: المستوي الذي لا اعوجاج فيه.

قال جرير:



والاستقامة: الاعتدال، وهو ضد الانحراف إلى اليمين أو الشمال^(٤).

وفي صحاح اللغة للجوهري: «الاستقامة الاعتدال، يقال: استقام له الأمر»^(٥).

قال ابن منظور في اللسان:

والاستقامة: الاعتدال، يقال: استقام له الأمر... ، وقام الشيء واستقام اعتدل واستوى، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ معنى قوله: استقاموا: عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه، وقال الأسود بن مالك ثم استقاموا لم يشركوا به شيئا، وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله^(٦).

ب. الاستقامة اصطلاحاً:

(٤) الخوئي - أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن: ٤٨٥ طبعة دار الزهراء - بيروت، بلا - ت.

(٥) الجوهري - إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٠١٧ / ٥ طبعة دار العلم للملايين، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٦) ابن منظور، لسان العرب: ١١ / ٣٥٦ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

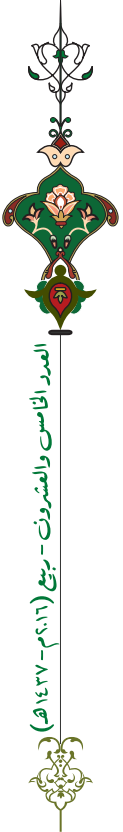
والاستقامة والمستقيم في اصطلاح علماء التفسير تعني: الحق البين الذي لا تخلطه شبهة باطل فهو كالطريق الذي لا تتخلله بُنيات^(٧).

الاستقامة حقيقتها: عدم الاعوجاج والميل، والسين والتاء فيها للمبالغة في التقييم، فحقيقة استقام: استقل غير مائل ولا منح. وتطلق الاستقامة بوجه الاستعارة على ما يجمع معنى حسن العمل والسيرة على الحق والصدق ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [سورة فصلت: ٦].. ويقال: استقامت البلاد للملك، أي أطاعت^(٨).

قال الفخر الرازي في تفسيره الكبير وضمن فوائده في تفسير سورة الفاتحة، قال: الفائدة الثالثة: اعلم أن أهل الهندسة قالوا: الخط المستقيم هو أقصر خط يصل بين نقطتين، فالحاصل ان الخط المستقيم أقصر من جميع الخطوط المعوجة، فكان العبد يقول: اهدنا

(٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١ / ١٨٨ و ٢٥ / ٥٠.

(٨) المرجع نفسه: ٢٥ / ٥٠.



الصراط المستقيم لوجه: الصراط معنى لغوي وآخر اصطلاحى.

الأول: انه اقرب الخطوط واقصرها، وأنا عاجز فلا يليق بضعفى إلا الطريق المستقيم.

الثاني: ان المستقيم واحد وما عداه معوجة وبعضها يشبه بعضا في الاعوجاج فيشبهه الطريق عليّ، أما المستقيم فلا يشابهه غيره فكان أبعد عن الخوف والآفات وأقرب إلى الأمان.

الثالث: الطريق المستقيم يوصل إلى المقصود، والمعوج لا يوصل إليه.

الرابع: المستقيم لا يتغير، والمعوج يتغير.

فلهذه الأسباب سأل الصراط المستقيم، والله العالم^(٩).

العلاقة بين مصطلح الصراط، ومصطلح الاستقامة، ومصطلح السبيل:

لقد اقترن مصطلح الاستقامة بمصطلح قرآني آخر لا يقل أهمية عنه وهو مصطلح «الصراط» حتى أصبحا كالمترادفين يفسر أحدهما الآخر ولمصطلح

(٩) الفخري الرازي، التفسير الكبير: ١/ ٢٥٨ أُنست الطبعة الثالثة، بلا - ت.

وأما معناه في اللغة: قال الراغب: الصَّراطُ: الطريقُ المستقيمُ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣] ويقال له: سراط.

وقال في معنى السراط: السَّراطُ: الطريقُ المُستسهلُ^(١٠).

وقال ابن فارس في المعجم:

صرط: الصاد والراء والطاء، وهو من باب الابدال، وقد ذكر في السين وهو الطَّرِيقُ، قال:

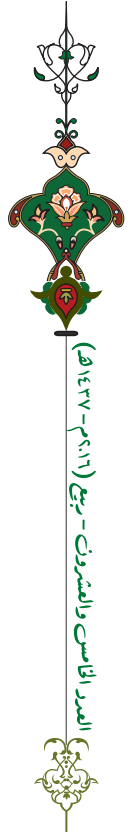
أُكْرَّ عَلَى الْحُرُورِيِّنْ مُهْرِي

واحملهم على وَضَحِ الصَّراطِ^(١١) وجاء في لسان العرب:

صرط: الأزهري: قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائي:

(١٠) الراغب الإصفهاني - الحسين بن محمد، مفردات الفاظ القرآن: ٤٠٦ و ٤٨٣ تحقيق: صفوان عدنان داودي، أُنست ذو القربى - قم.

(١١) ابن فارس - أحمد، معجم مقاييس اللغة: ٤٤٧ و ٥٢٥ ترتيب وتنقيح علي العسكري وزميله، طبعة مركز دراسات الحوزة والجامعة بلا - ت.



اهدنا الصراط المستقيم، بالصاد، وقرأ يعقوب بالسين، قال: وأصل صاده سين قلبت مع الطاء صاداً لقرب مخارجهما، الجوهري: الصراطُ والسرّاط والزّراط: الطريق^(١٢).

١. قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[سورة الفاتحة: ٦].

٢. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ، مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة

الشورى: ٥٢ - ٥٣].

٣. وقال تعالى: ﴿وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ

مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٦].

٤. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة

آل عمران: ٥١].

٥. وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة يس: ٦١].

٦. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة

الأنعام: ١٥٣].

والذي نلاحظه في الآية (١٥٣)

من سورة الأنعام استعمال مصطلح

ولا يتعد المعنى الاصطلاحي لمصطلح (الصراط) عن معناه اللغوي، فهو مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله، لأن ذلك الفوز هو الذي جاء الإسلام بطلبه^(١٣).

وبعبارة أخرى عندما تطلب من الله أن يهدينا إلى «الصراط المستقيم» فال مقصود هو الصراط الذي يصل بسالكه إلى النعيم الأبدي، وإلى رضوان الله، وهو أن يطيع المخلوق خالقه ولا يعصيه في شيء من أوامره ونواهيه، وأن لا يعبد غيره، وهو الصراط الذي لا عوج فيه^(١٤).

موارد اقتران مصطلحي (الصراط) و (الاستقامة):

(١٢) ابن منظور، لسان العرب: ٧ / ٣٢٦.

(١٣) ابن عاشور، التنوير والتحرير: ١ / ١٨٨.

(١٤) الخوئي - أبو القاسم، البيان: ٤٨٥.



(السُّبُل) ويراد به: الطريق الذي فيه سهولة ومفرده سبيل^(١٥).

ومصطلح «السبيل» استعمل أيضاً في مجموعة من الآيات القرآنية المباركة وأضيف إلى ذاته المقدسة فقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالنَّارِ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

فكل من «الصراط» و «السبل» بمعنى واحد وهو «الطريق». إلا أن موارد الاستعمال قد تختلف فيعبر عنها تارة باللفظ المفرد، وأخرى بلفظ الجمع. يقول السيّد الخوئي في البيان:

«بما أن عبادة الله لا تنحصر في نوع معين، بل تعم أفعال الجانحة وأفعال الجارحة على كثرتها فقد يلاحظ المعنى العام الشامل لهذه الأفعال كلها، فيعبر عنه باللفظ المفرد كالصراط المستقيم، والصراط السوي، وقد تلاحظ الأنواع (١٥) الراغب الإصفهاني، المفردات: ٣٩٥.

على كثرتها من الايمان بالله وبرسوله وبالمعاد، ومن الصلاة والصيام والحج وما سوى ذلك فيعبر عنها بالجمع^(١٦). قال سبحانه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^(١٧) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ [سورة المائدة: ١٥-١٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نُنْوَكَلُّ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدانا سُبُلَنَا﴾ [سورة ابراهيم: ١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [سورة العنكبوت: ٦٩].

المبحث الثاني:

الحكم التشريعي للاستقامة:

وردت لفظة الاستقامة في كثير من الآيات القرآنية المباركة بصيغة الأمر، الظاهرة في الوجوب كما هو مقرر في محله في علم أصول الفقه^(١٧).

(١٦) الخوئي - أبو القاسم، البيان: ٤٨٦.
(١٧) أنظر، الشيخ المظفر - محمد رضا، أصول الفقه: ١ / ٦٥ طبعة دار النعمان - النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.

ففي الخطاب القرآني للأنبياء السابقين ﷺ نجد خطاب نداء الله سبحانه وبصيغة الأمر يتوجه إلى نبي الله موسى ﷺ وأخاه هارون كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يونس: ٨٩].

كما نجد الخطاب القرآني يتوجه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد المصطفى ﷺ وبنفس صيغة الأمر التي توجه بها الخطاب لنبي الله موسى وأخاه ﷺ، إلا خطاب النبي ﷺ شمل أصحابه أيضاً.

كما في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة هود: ١١٢].

كذلك في قوله سبحانه: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [سورة الشورى: ١٥].

كذلك نجد الخطاب القرآني والأمر بالاستقامة يتوجه إلى عموم المؤمنين في كثير من الآيات المباركة.

كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا اسْتَقْنُمُوا ﴾

لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٧].

وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

فالذي يتحصل اجمالاً من سياق وظواهر الآيات الكريمة والتي جاءت بصيغة الأمر الدال على وجوب متعلقة هو وجوب الانقياد لأوامر الله سبحانه وعدم الانحراف عن (الصراط المستقيم) الذي أراد الله سبحانه لأنبياءه ورسله والصالحين من عباده أن يتبعوه ويسيروا عليه في مسيرتهم الإيمانية التكاملية.

كما نجد في الذكر الحكيم إن المؤمنين أنفسهم يتضرعون إلى الله سبحانه أن يهديهم إلى الصراط المستقيم، كما في قوله تعالى من سورة الفاتحة والتي نكررها في صلاتنا اليومية ونوافلها يومياً ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة: ٦].

فما هو الصراط المستقيم الذي نطلبه من بارئنا، ونكرر فيه الطلب مرات ومرات في صلواتنا ودعواتنا وتضرعنا



إليه؟ بل حتى الأنبياء والمرسلون والأوصياء والأئمة جميعاً يتضرعون إلى الله سبحانه ليهديهم (الصراط المستقيم). اختلفت كلمات المفسرين في تفسير المراد من (الصراط المستقيم). يقول الشيخ الطوسي في التبيان: وقيل في معنى قوله: «الصراط المستقيم» وجوه:

أحدها: إنه كتاب الله، روي ذلك عن النبي ﷺ وعن علي عليه السلام وابن مسعود. والثاني: إنه الإسلام، حكى ذلك عن جابر، وابن عباس.

والثالث: إنه دين الله عز وجل الذي لا يقبل من العباد غيره.

والرابع: إنه النبي ﷺ والأئمة القائمون مقامه صلوات الله عليهم، وهو المروي في أخبارنا.

ويعقب الشيخ الطوسي على هذه الوجوه بقوله: والأولى حمل الآية على عمومها، لأننا إذا حملناها على العموم دخل جميع ذلك فيه، فالتخصيص لا معنى له (١٨).

ويكرر الطبرسي في المجمع الوجوه نفسها التي يذكرها الشيخ الطوسي في التبيان ويختار ما اختاره الشيخ من التمسك بعموم اللفظ ثم يعلل ذلك بقوله:

«لأن الصراط المستقيم هو الدين الذي أمر الله به من التوحيد والعدل وولاية من أوجب الله طاعته» (١٩).

ويذهب الشيخ الطاهر بن عاشور إلى الرأي نفسه الذي اختاره الطوسي والطبرسي فيقول: «ملك ظهر عندي أن المراد بالصراط المستقيم المعارف الصالحات كلها من المتقاد وعمل بأن يوفقهم إلى الحق والتمييز بينه وبين الضلال على مقادير استعداد النفوس وسعة مجال العقول النيرة والأفعال الصالحة بحيث لا يعترهم زيغ وشبهات في دينهم، وهذا أولى ليكون الدعاء طلب تحصيل ما ليس بحاصل وقت الطلب، وأن الرد بحاجة إلى هذه الهداية في جميع



شؤونه كلها حتى في الدوام على ماهو متلبس به من الخبر للوقاية من التقصير فيه او الزيف عنه^(٢٠).

وقد اوجز الشيخ محمد عبده في تفسيره معنى الصراط المستقيم بقوله ((وقد قالوا إن المراد بالصراط المستقيم الدين الحق أو العدل أو الحدود، ونحن نقول إنه جملة ما يوصلنا الى سعادة الدنيا والآخرة من عقائد وأحكام وتعاليم))^(٢١).

ويقتبس هذا المعنى المراغي في تفسيره فيقول: والصراط المستقيم هو جملة ما يوصل الى السعادة في الدنيا والآخرة من عقائد واحكام وآداب وتشريع ديني كالعلم الصحيح بالله والنبوة واحوال الكون واحوال الاجتماع، وقد سمي هذا صراطا مستقيما تشبيها له بالطريق الحسي، إذ كل منهما موصل الى غاية، فهذا

(٢٠) ابن عاشور طاهر: التحرير والتنوير: ١ / ١٨٨-١٨٩.

(٢١) عبده -محمد، تفسير المنار بقلم محمد رشيد رضا: ١ / ٦٥، طبعة دار الفكر- بيروت، الطبعة الثانية، بلا - ت.

سير معنوي يوصل الى غاية يقصدها الانسان، وذاك سير حسي يصل به الى غاية اخرى^(٢٢).

ومن خلال التأمل في آيات القرآن الكريم والروايات التفسيرية يتضح لنا معنى الصراط المستقيم، ومعنى الاستقامة ومصاديقها في حياتنا اليمانية اذ القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا، بالاضافة الى الروايات التي تنص على بعض المصاديق.

واجمالاً يمكن ان نقول إن ((الصراط المستقيم)) هو الالتزام بدين الله سبحانه بما يحمل هذا الدين في وعاءه من قيم وتعاليم وعبادات وشعائر وعصم وضوابط... إذ أنها تنظيم حياة الانسان وشؤونه من مختلف جوانبها.

وهذا هو التفسير المعقول لمصطلح ((الصراط المستقيم)) وهو ما نص عليه القرآن الكريم بصيغ متعددة وتعابير شتى: يقول الشاعر:

(٢٢) المراغي -أحمد مصطفى، تفسير المراغي: ١ / ٣٦ طبعة دار احياء التراث العربي -بيروت، بلا - ت.



عبارتنا شتى وحسبك واحد
وكل إلى ذاك الجمال يشير
يقول سبحانه عن لسان نبينا ﷺ:
﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦١].

وقال عز وجل: ﴿الَّذِينَ أَعَاهَدُوا إِلَيْكُمْ
يَذَّبْنِي عَنْكُمْ أَن لَّا تُعْبَدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَن لَّا تَتَّبِعُوا هَذَا صِرَاطٌ
مُّسْتَقِيمٌ﴾ [سورة يس: ٦٠-٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ
فَقَدْ هَدَىٰ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة آل
عمران: ١٠١].

وقوله تعالى: ﴿وَلِئَن لَّلهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة
مريم: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة
الزخرف: ٤٣].

ويقول عز من قائل: ﴿أَتَمَّا إِلَهُكُمْ
إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾
[سورة فصلت: ٦].

فهذه الآيات المباركة تعبر عن

الصراط المستقيم تارة بالتوحيد الخالص
وأخرى بالعبادة لله وحده، وثالثة
بالاعتصام بتعاليمه.. وهذه جميعا هي
المعنى الواسع للدين الإسلامي الذي
ختم الله به أديانه السماوية بقوله: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [سورة آل
عمران: ١٩].

فكل ما ذكره علماء التفسير من معاني
مختلفة للصراط المستقيم تعود كلها إلى
الدين الإلهي نفسه في جوانبه الاعتقادية
والعملية (٢٣).

وأضافت الروايات التفسيرية بنص
المصاديق الأخرى «للسراط المستقيم» من
باب الجري والتطبيق.

ومن هذه الروايات:

١. ما روي عن الإمام جعفر بن محمد
الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى:
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال:
«الطريق هو معرفة الإمام» (٢٤).

(٢٣) أنظر الشيرازي -ناصر مكارم، تفسير
الأمثل: ١ / ٤٨ - ٤٩ الطبعة الثانية،
١٤٢٩ هـ.

(٢٤) الحويزي، تفسير نور الثقلين: ١ / ٢٠ رقم
الحديث ٨٦.



ما يقبل أن ينطبق عليه من الموارد،
وان كان خارجا عن مورد النزول،
ومن الواضح أن النبي ﷺ وعليه عليه السلام
وأئمة أهل البيت عليه السلام دعوا جميعا إلى دين
التوحيد الإلهي، والالتزام به عقائديا
وعمليا (٢٨).

المبحث الثالث:

مع الأنبياء عليه السلام في خط الاستقامة:

روي عن رسول الله ﷺ: «إهدنا
الصراط المستقيم، صراط الأنبياء، وهم
الذين أنعم الله عليهم» (٢٩).

للأنبياء والمرسلين عليه السلام في حياة الناس
دوران أساسيان أرشدنا الله سبحانه
وتعالى في كتابه العزيز إليهما وأمرنا
باتباعهم والانقياد لهم وهذان الدوران
هما:

أولاً: دور القيادة.

وثانياً: دور القدوة.

وأما الدور الأول فقد نص القرآن

(٢٨) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن:

١ / ٤١ - ٤٢، ومكارم شيرازي، تفسير

الأمثل: ١ / ٤٩.

(٢٩) الحويزي، تفسير نور الثقلين: ١ / ٢٠

الحديث رقم ٨٦.

٢. وعنه أيضاً: «والله نحنُ الصراطُ
المستقيم» (٢٥).

٣. وعنه أيضاً: «الصراطُ المستقيمُ أميرُ
المؤمنين» (٢٦).

٤. وروى الشيخ الصدوق في معاني
الأخبار باب معنى الصراط بسنده
عن الفضل بن عمر قال: سألت أبا
عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال: هو
الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما
صراطان: صراط في الدنيا، وصراط
في الآخرة.

وأما الصراط الذي هو في الدنيا
فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه
في الدنيا واقتدى بهداه مرَّ على الصراط
الذي هو جسر جهنم في الآخرة. ومن لم
يعرفه في الدنيا زلَّت قدمه عن الصراط في
الآخرة فتردى في نار جهنم (٢٧).

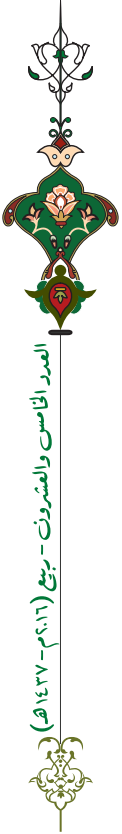
وهناك روايات كثيرة في مصادرنا
الروائية، وهي كما قلنا من باب المصدق
للآية، حيث تطبق الآية من القرآن على

(٢٥) المصدر نفسه: ١ / ٢١ رقم الحديث ٨٨.

(٢٦) المصدر نفسه: ١ / ٢١ رقم الحديث ٩٠.

(٢٧) الصدوق - محمد بن علي، معاني الأخبار:

٣٢ باب معنى الصراط، حديث رقم ١.



الكريم وفي عشرات الآيات القرآنية إلى هذا الدور الخطير والأساسي في حياة الأمم التي يبعث الله سبحانه إليهم أنبياءه، وما يجب على الأمة من وجوب الاتباع والانقياد والطاعة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ الرُّسُولَ فَخُذْهُ وَمَا نَهَكْنَا عَنْهُ فَأَنْهَهُوا﴾ [سورة الحشر: ٧].

وقال عزّ من قائل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩].

وغيرها من الآيات التي تحدث عن هذا الدور القيادي للأنبياء والمرسلين ﷺ وليس هذا داخل في اطار موضوع بحثنا.

وأما الدور الثاني وهو دور القدوة والأسوة؛ فهو دور مهم وضروري في حياة الفرد والأئمة، ولا يقل أهمية عن دور الأول الذي يقوم به الأنبياء ﷺ.

وما يجب على الأمة في الدور الأول من وجوب الطاعة والانقياد والتسليم، يجب هنا من وجوب الاقتداء والتأسي. ففي سورة الأنعام يتحدث القرآن الكريم عن بعض انبيائه ورسله ﷺ ثم يطلب من نبينا ﷺ أن يقتفي أثرهم وأن يقتدي بهديهم فيقول عزّ من قائل: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الممتحنة: ٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

وفي أنبياء الله ﷺ تتجسد القدوة الصالحة حيث تتحول القيم والأخلاق والضوابط الالمانية من مفاهيم مجردة إلى سلوك عملي متحرك ومتجسد



إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿﴾ [سورة الشورى: ٥٢-٥٣].

وقال سبحانه مخاطبا النبي ﷺ: ﴿وَأَنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿﴾ [سورة المؤمنون: ٧٣-٧٤].

ومما لا شك فيه أن أنبياء الله ﷺ هم الصراط المستقيم إلى الله في كل مفاصل حياتهم الايمانية، وفي معاناتهم مع قومهم، وما تعرضوا له من أذى في جنب الله، ومن هنا دعا الله سبحانه إلى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم والتأسي بهم، في الحياة الدنيا لنجتاز الصراط المستقيم في الآخرة.

وفي اشارة رائعة لأحد المفسرين يقول فيها: «الصراط المستقيم هو أن يكون الإنسان معرضا عما سوى الله، مقبلاً بكلية قلبه وفكره وذكره على الله، فقوله (اهدنا الصراط المستقيم) المراد أن يهديه الله إلى الصراط المستقيم الموصوف بالصفة المذكورة، مثاله أن يصير بحيث لو أمر بذبح ولده لأطاع كما فعله إبراهيم عليه السلام، ولو أمر بأن ينقاد ليزبحه

في حياة وسيرة أولئك الصفوة من عباده المخلصين ﷺ، «وعندها تكتسب هذه القيم والأحكام والحدود قيمتها الحقيقية في وسط هذه العوامل المتصارعة على ساحة الحياة.. فنجد في القدوة الصالحة -النبي أو الإمام عليه السلام- مرآة لأنفسنا ولفطرتنا في الوقت الذي نجد فيه الصراط الإلهي المستقيم، وهذا هو سر جاذبية القدوة في حياة الناس» (٣٠).

وقد تجسدت «الاستقامة» بأجلى وأوضح صورها في حياة أنبياء الله عامة وحياة خاتم الأنبياء محمد ﷺ خاصة. ولهذا كانوا هم الهداة إلى الله وإلى صراطه المستقيم.

يقول سبحانه مخاطبا نبينا الأكرم ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٥١﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا

(٣٠) الآصفي - محمد مهدي، سلسلة في رحاب القرآن: ١١٨-١١٩، رقم ٦.

كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿[سورة هود: ١١٢].

ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله ﷺ قال: شيبني هود والواقعة (٣٢).

وجاء في الدر المنثور للسيوطي عن الحسن قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾ قال النبي ﷺ: شمروا، شمروا!!! فما رُؤئيَ ضاحكا» (٣٣).

وكان رسول الله ﷺ يبحث أصحابه على الاستقامة ويعتبرها من أهم عرى الإيمان، وأفضل ما يتمسك به المؤمن بعد الإيمان بالله تعالى.

روي في صحيح مسلم عن سفيان الثقيفي قال: قلت: يا رسول الله ﷺ قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» (٣٤).

(٣٢) الطبرسي، مجمع البيان: ٥ / ١٩٩.

(٣٣) السيوطي - جلال الدين، الدر المنثور: ٤٢٧ / ٤ طبعة دار احياء التراث العربي - بيروت، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

(٣٤) صحيح مسلم: ٩٩٩.

غيره لأطاع كما فعله إسماعيل عليه السلام، ولو أمر بأن يرمي نفسه في البحر لأطاع كما فعله يونس عليه السلام، ولو أمر بأن يتلمذ لمن هو أعلم منه بعد بلوغه في المنصب إلى أعلى الغايات لأطاع كما فعله موسى عليه السلام، ولو أمر بأن يصبر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القتل والتفريق نصفين لأطاع كما فعله يحيى وزكريا عليه السلام. فالمراد بقوله: «اهدنا الصراط المستقيم» هو الاقتداء بأنبياء الله في الصبر على الشدائد والثبات عند نزول البلاء..» (٣١).

ولم يذكر هذا المفسر ضمن أمثلته عن أنبياء الله سبحانه، مثلاً لنبينا الأكرم ﷺ الذي جسد «الاستقامة» بكل صورها ومعانيها، وحرص كل الحرص على أن ترقى أُمته إلى مستوى الاستقامة في معارج كما لها وسلوكها إلى الله.

فقد روي عن ابن عباس أنه قال: ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية: ﴿فَاسْتَقِمَّ

(٣١) الفخر الرازي، التفسير الكبير: ١ / ٢٥٥ - ٢٥٦.



وروي عنه عليه السلام قوله لأصحابه: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصُمتُم حتى تكونوا كالأوتار ثم كان الاثنان أحبَّ إليكم من الواحد لم تَبْلُغُوا الاستقامة» (٣٥).

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش في وسط الأمة، ويواكب مسيرتها، ويحرص على سلامة مسيرتها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

وكانت المسؤولية الملقاة على عاتقه مسؤولية كبيرة، وهي مسؤولية ثبات الأمة واستقامتها؛ ولهذا جاءت الرواية عنه صلى الله عليه وسلم إنه قال: «شيبني سورة هود» وكان مراده آية الاستقامة من هذه السورة لأن أُمته أُمرت بالاستقامة وهو غير واثق من استجابتها واستقامتها.

بل أن آية الاستقامة من سورة هود قد تضمنت أربعة أوامر مهمة يلقي كل واحد منها بثقله على كاهل النبي صلى الله عليه وسلم

(٣٥) المرجع نفسه: ٨ / ٣٥٠١.

وهذه الأوامر الأربعة هي:

أولها: الأمر بالاستقامة «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ»: قد قام رسول الله بالأمر فلا بد أن يستمر ولا يدع لنفسه طريقاً للضعف إلى نفسه بل يبقى على خط الاستقامة لأنه القدوة والأسوة ومن استقامته يستمد الآخرون استقامتهم.

ثانيها: «وَمَنْ تَابَ مَعَكَ»: وهذه أشد وطأً من الأولى، إذ المحافظة على ما حصل أصعب من حصوله، فكيف يضمن استقامة الأمة، وبقيائها على خط الاستقامة وهو يسعى إلى بناء مجتمع وحضارة انسانية زاهرة، فالاستقامة في الطريق، طريق ذات الشوكة ليس بالأمر الهين.

ثالثها: «وَلَا تَطْغَوْا»: والطغيان هو الخروج عن الحد، ومن شأن الإنسان أن يطغى «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِكَبَّارٍ» فلا بد من صد كل أنواع التجاوز والطغيان فكثيراً ما يبدي بعض الناس منتهى الاستقامة في سبيل الوصول للهدف لكنهم لا يستطيعون أن يراعوا مسألة العدالة، وغالباً ما يتلون بالطغيان



والتجاوز عن الحد.

رابعها: ان هذه الاستقامة بأمر الله،
ولله سبحانه وهي هدف الهي رباني،
فينبغي أن تكتسب هذه الاستقامة أكبر
القدرات السياسية والاجتماعية من
أجل الله.

فهذه الأمور بمجموعها وبثقلها
توالت على النبي ﷺ وحملته مسؤولية
كبرى، حتى أنه ﷺ ما رُؤي ضاحكا..
وشيبته هذه الآية من سورة هود.

ولهذا أعقبت هذه الآية الكريمة
آية أخرى تأمر النبي ﷺ بالصبر إذ
ثقل الأمر وصعوبته يحتاج إلى الصبر
فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة هود:
١١٥].

ومن قبلها قد أوصي أيضا بذلك في
قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ
مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [سورة
الأحقاف: ٣٥].

وهكذا تتوالى على النبي ﷺ آيات
الصبر والصبر الجميل، فما صبرك يا
رسول الله ﷺ إلا لله وبالله وفي سبيل الله،

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [سورة
النحل: ١٢٧].

لقد قام رسول الله ﷺ بالأمر،
وارتحل إلى ربه وهو على خط الاستقامة،
وبقيت الأمة وقادتها؛ وهي: ﴿حَيْرَ أُمَّةٍ
أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:
١١٠]، فهل انتهت مسؤوليتها برحيل
رسول الله ﷺ؟.

يجيب أحد كبار المفسرين على هذا
التسائل بقوله: «واليوم مسؤوليتنا
المهمة-نحن المسلمين أيضا، وبالخصوص
قادة الإسلام-تتلخص في هذه الكلمات
الأربعة وهي: الاستقامة، والاخلاص،
وقيادة المؤمنين، وعدم الطغيان والتجاوز،
ودون ربط هذه الأمور بعضها إلى بعض
فإن النصر على الأعداء الذين احاطونا
من كل جانب من الداخل والخارج،
واستفادوا من جميع الأساليب الثقافية
والسياسية والاقتصادية والاجتماعية
والعسكرية، هذا النصر لا يكون سوى
أوهام في مخيلة المسلمين» (٣٦).

(٣٦) الشيرازي -ناصر مكارم، تفسير الأمثل:
١٨٤ / ٦.



المبحث الرابع:

من ثمرات الاستقامة:

للاستقامة أهمية كبيرة في حياة الإنسان الدنيوية والأخروية، إذ بالاستقامة تحرز سعادة الدنيا ونعيم

الآخرة، وهي الطريق إلى الجنة.

والإنسان المستقيم هو ذلك الإنسان المنضبط الإرادة أمام شهواته ورغباته وأهواءه، والمتقاد إلى الله ورسوله بالعبودية والطاعة، والسائر إلى الله في حركته التكاملية حتى يلقاه.

ومن الطبيعي أن يأتي الجزاء من الله الذي لا تنفذ خزائنه، فيقطع ثمار استقامته في هذه الدنيا، ويجتاز باستقامته الصراط إلى الجنة يوم يلقاه سبحانه.

وثمار الاستقامة كثيرة في الدارين، أشارت إليها آيات القرآن الكريم، والروايات المروية عن النبي ﷺ وأهل بيته .

منها آيات سورة فصلت في قوله

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي

كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [سورة فصلت: ٣٠ - ٣٢].

فكلمة التوحيد تعصم الإنسان وتدخله في صفوف المؤمنين، وهي كلمة خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان، وهي الحصن الحصين كما ورد في الحديث المروي عن الإمام الرضا عليه السلام: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» (٣٧).
إلا أن هذا الايمان ينبغي أن يهيمن على كل حركات الإنسان وسكناته، وأهواءه وخلجات نفسه، عندها يكون من الذين ساروا على خط الاستقامة.

روي عن رسول الله ﷺ بعد تلاوته للآية قال: «قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم، فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها» (٣٨).

وفي نهج البلاغة يفسر الإمام علي عليه السلام

(٣٧) الصدوق - عيون أخبار الرضا: ٢ / ١٣٣.

(٣٨) الطبرسي، مجمع البيان: ٩ / ١٧.



هذه الآية فيقول: «وقد قلتم «ربنا الله» فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا ترقوا منها ولا تبدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها» (٣٩).

وقد مر بنا سابقا وصية رسول الله ﷺ لذلك الرجل الذي طلب منه رسول الله ﷺ أن يعلمه كلمة يعتصم بها فقال له ﷺ: «قل ربي الله ثم استقم».

وأما ما بشرت به الآيات الكريمة التي جاءت بعد هذين الأصلين، فهي مواهب إلهية تبشرهم الملائكة بسبع منها عندما تهبط عليهم وهي في ظل الإيمان والاستقامة.

البشارة الأولى: عدم الخوف.

البشارة الثانية: عدم الحزن.

البشارة الثالثة: ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

البشارة الرابعة: ﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوْكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

البشارة الخامسة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا

نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ﴾.

البشارة السادسة: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا

تَدْعُونَ﴾.

البشارة السابعة: ﴿تُرْزَلُ مَنْ عَفُورٍ

رَحِيمٍ﴾ (٤٠).

وللمفسرين في هذه البشارات السبعة كلام مفصل يراجع في محله من كتب التفسير (٤١).

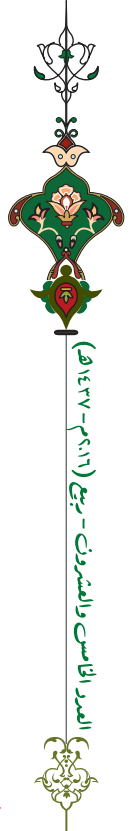
ومن الآيات التي وردت بنفس مضمون آيات سورة فصلت قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٣) ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ١٣-١٤].

ومن الآيات المباركة والتي تحمل البشارة بالخير والبركات المادية لأهل الإيمان والاستقامة قوله تعالى في سورة الجن: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذْقًا﴾ [سورة الجن: ١٦].

(٤٠) الشيرازي - ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ١٨٤-١٨٥ بتلخيص.

(٤١) للتوسع انظر، الفخر الرازي، التفسير الكبير، والسيّد الطباطبائي في تفسير الميزان.

(٣٩) نهج البلاغة: ٢٥٣، الخطبة ١٧٦ ترتيب صبحي الصالح.



٥. وعنه عليه السلام: «لا مَسَلَكَ اسْلَمٌ من الاستقامة، لا سبيل أشرف من الاستقامة»^(٤٦).

وفي ختام هذه الجولة في مفهوم الاستقامة ودورها في حياتنا الإيمانية وآثارها وثمراتها في الدنيا والآخرة. ينبغي أن نشير إلى نقطة مهمة نبه إليها أحد أعلام المفسرين وهي: «إن الاستقامة مثلها مثل «العمل الصالح» هي ثمرة لشجرة الايمان، إذ الايمان يدعو الانسان إلى الاستقامة متى ما نفذ إلى عمق الإنسان وتأسست قواعد وجوده النفسي على التقوى، كما أن الاستقامة تقوي في الإنسان ملكة التقوى والسير في طريق الحق والايمان، وهكذا يكون لهذين العاملين أثران متبادلان متقابلان»^(٤٧).

وبالاستقامة والتقوى يكدح المؤمن في سيره إلى الله حتى يلقاه، فيجزاه الجزاء الأوفى.

وفي آية مشابهة لآية سورة الجن والتي تبشر المؤمنين المتقين، والتقوى شعبة من شعب الاستقامة - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفُتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦].

وأما الروايات الواردة في ثمرات الاستقامة والدوام عليها، فهي كثيرة تضمنتها مجاميع كتب الحديث، وفيها بشارات كثيرة منها:

١. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن تستقيموا تُفْلِحُوا»^(٤٢).
٢. عن الإمام علي عليه السلام: «مَنْ اسْتَقَامَ فَلِى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَلِى النَّارِ»^(٤٣).
٣. وعنه عليه السلام: «الاستقامةُ سلامةٌ»^(٤٤).
٤. وعنه عليه السلام: «عليك بمنهج الاستقامة، فَإِنَّهُ يَكْسِبُكَ الْكَرَامَةَ وَيَكْفِيكَ الْمَلَامَةَ»^(٤٥).

(٤٢) المتقي الهندي، كنز العمال حديث رقم ٥٤٧٩.

(٤٣) نهج البلاغة، خطبة رقم ١١٩: ١٧٦ بترتيب صبحي الصالح.

(٤٤) غرر الحكم: ٢٤٥.

(٤٥) المصدر نفسه: ٦١٢٧.

(٤٦) المصدر نفسه: ١٠٦٣٦.

(٤٧) الشيرازي - ناصر مكارم، تفسير الأمثل: ١٨٧ / ١٢.



الوحي والإلهام بين الرؤية اللغوية والرؤية القرآنية

السيد خالد سيساوي
تبسة - جمهورية الجزائر

فحوى البحث

خاض السيد الباحث دلالات مفردتي (الوحي) و (الإلهام) بين المدلول اللغوي والقصد القرآني، وتوصل الى ان فهم القرآن الكريم منوط بتجديد العلاقة المتينة بين البنية اللغوية للنص القرآني ومعارفه، وهذا لا يتسنى للمحقق في مجال الدراسات القرآنية الا من خلال كشف العلاقة بين (البعد الوجودي) أي حقيقة وجود الكلمة اصلاً، و (البعد اللساني) أي كون الكلمات القرآنية تنهض بوظيفة وجودية خاصة. وقد اتخذ السيد الباحث من كلمتي (الوحي) و (الإلهام) انموذجين لاثبات هذه الحقيقة معتمداً اهم واشهر كتب اللغة وكتب التفسير والمأثور من الروايات.

تمهيد:

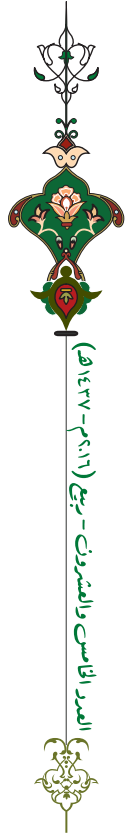
تلك الكلمات المفتاحية؛ رأيت أن دراسة جملة حول مفردتي الوحي والإلهام بين اللغة والقرآن من شأنها توضيح مدعانا هذا، أملين من القارئ الكريم بأن لا ييخل علينا بنقوده البناءة.

الرؤية اللغوية:

لا شك في أن الخوض في المباحث اللغوية لمفردات أي مبحث علمي صار ديدن كل مفكر أو باحث، إذ من شأنه كشف المعاني المستترة خلف لباس الألفاظ. لذا يحسن بنا أولا تسليط الضوء على الرؤية اللغوية لمفردتي الوحي والإلهام حتى يتسنى لنا الاشراف على مجال تداولاتها الدينية. أملين أن نلامس حقائقها التي طالما عدت وسائل للمعرفة الدينية خاصة. ويجدر بنا التنبيه على أن التداخل بين معاني هذه المفردات قد يبدو للوهلة الأولى في قوة المشترك اللفظي؛ لكن سرعان ما سيتبدد ذلك؛ لأنّ التمايز الذي سنيته في محله من شأنه أن يرفع هذا اللبس ويضع الأمور في مواضعها. إذ يمكننا رفع تعارض المفردات اللغوية

تري نظريات التحليل اللساني أن النظام اللغوي ليس نظاما اعتباطيا؛ بل هو نظام مترابط ينبىء عن ما في ضمير المتكلم، حيث ينشأ على غرار ذلك أفعالا كلامية ضمن كلمات مفتاحية خاصة. كلمات لها من الخصوصية ما ليس لنظيراتها وهو ذلك المعنى الأنطولوجي للكلام. ولعلّ المحقق في الدراسات القرآنية يلامس هذه الحقيقة في ألفاظ النص القرآني من خلال تطبيق أصل الظاهر والباطن؛ لهذا نجد أرباب اللغة يرجعون إلى نصية القرآن الكريم في تحديد معاني المفردات اللغوية.

إن التركيز على تعالي الفهم القرآني واتساع دائرة نفوذه لكل مجالات العلوم الأخرى من شأنه أن ينهض بالدراسات القرآنية ويوئها المكانة المرموقة. فهم من شأنه أن يرقى باللغة من مرحلة البيان اللغوي إلى مجال الدور الوظيفي والعملي، وبعبارة أدق فهم يقرأ من خلاله الفعل الكلامي قراءة أنطولوجية. وحتى نقف على أنموذج حي من



من صلب معانيها؛ خصوصاً أنها وردت بخصوصيات مصاديقها المختلفة في الاستعمالات القرآنية والروائية التي سنجد لها مطوية طي السجل في ثنايا هذه المفردات.

الوحي في اللغة:

يمكننا القول بعد استقصاء المعاجم اللغوية المعتبرة أنّ «و ح ي» بكافة اشتقاقاتها تطلق على الإشارة والإيحاء، الكتابة والرسالة، كما تطلق أيضاً على الكلام الخفي. وحتى نتمكن من حصر تلك المعاني التي جادت بها قريحة أساطين اللغة ومحققينا، رأيت أن أخصها من خلال حيثيتين وهما:

لحظ حيثية الخفاء:

وحي: يقال وحي يحي وحيًا، أي: كتب يكتب كتبًا. وأوحى الله إليه، أي: بعثه. وأوحى إليه: ألهمه. وكذا الإشارة لقوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾؛ وقيل: معنى أوحى إليهم: أوماً ورمز، وقيل كتب لهم بيده في الأرض... وأصله في لغة العرب إعلام في خفاء ولذلك صار الإلهام

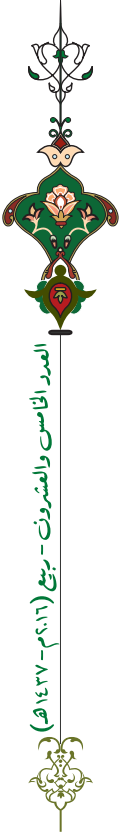
يسمى وحيًا^(١).

وجاء في لسان العرب؛ الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقته إلى غيرك. يقال: وحيْتُ إليه الكلام وأوحيتُ. و وحي وحيًا وأوحى أيضاً أي كتب؛ والوحي: المكتوب والكتاب أيضاً، وقال الكسائي: وحيْتُ إليه بالكلام أحي به وأوحيتُ إليه، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره؛ وقال ابن الأنباري في قولهم: أنا مؤمنٌ بوحي الله، قال: سمي وحيًا لأنَّ الملك أَسَرَّه على الخلق وخَصَّ به النبي ﷺ، المبعوثُ إليه^(٢)؛ وقال الفيروزآبادي: الوحي: الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقته إلى غيرك، وأوحى إليه: بعثه وألهمه^(٣)؛ وكذا ابن فارس بقوله: «الوحي أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك. فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتابة والرسالة وكل ما ألقته إلى غيرك

(١) العين، ج ٣، ص: ٣٢٠.

(٢) لسان العرب؛ ج ١٥؛ ٣٧٩.

(٣) القاموس المحيط، باب الياء فصل الواو ٤ / ٤١٠.



حتى علمه، فهو وحي كيف كان^(٤).

ومن المتكلمين والمفسرين من رأى المعنى نفسه؛ فهذا الشيخ المفيد^{رحمته} يقول: «أصل الوحي هو الكلام الخفي، ثم قد يطلق على كل شيء قصد به إلى إفهام المخاطب على السر له عن غيره، والتخصيص له به دون من سواه، وإذا أضيفت إلى الله تعالى كان فيما يخص به الرسل^{عليهم السلام} خاصة؛ دون من سواهم على عرف الإسلام وشريعة النبي...»^(٥)؛ ولا يُشكل بأن الشيخ المفيد^{رحمته} بصدد بيان المعنى الاصطلاحي إذ من الواضح أنه بصدد ذكر المعنى اللغوي وميزه عن المعنى الاصطلاحي.

وقد عرّف المفسر الطبرسي^{رحمته} أيضا الوحي بقوله: الإيحاء؛ هو إلقاء المعنى إلى الغير على وجه يخفى... قال العجاج: وحي إليها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت^(٦)، وكذا صاحب تفسير

(٤) معجم مقاييس اللغة، ج ٦، ص ٩٣.

(٥) تصحيح الاعتقاد المطبوع مع أوائل المقالات: ص ٢٣١.

(٦) الطبرسي، مجمع البيان. [سورة آل عمران: ٤٤].

الميزان^{رحمته} في قوله: «والمحصل من موارد استعماله (الوحي) أنّه إلقاء المعنى بنحو يخفى على غير من قصد إفهامه»^(٧).

لحاظ حيثية السرعة:

وقد أشار الراغب في مفرداته إلى هذه الحيثية فقال: «أصل الوحي الإشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، ويكون بصوت مجرّد عن التركيب، وبإشارة بعض الجوارح بالكتابة وغير ذلك، ويقال للكلمة الإلهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي، وذلك إمّا برسولٍ مُشاهد ترى ذاته ويُسمع كلامه كتبليغ جبريل في صورة مُعيّنة، وإمّا بسماع كلام من غير مُعينة كسماع موسى كلامه تعالى، وإمّا بإلقاء في الرّوع كحديث: «إنّ جبريل نفث في روعي»^(٨). والملاحظ هنا أن الراغب؛ قد جعل حيثية السرعة ركنا من أركان المعنى اللغوي لمفردة الوحي بدلا من حيثية الخفاء، وقد تبعه بعض اللغويين

(٧) تفسير الميزان؛ محمد حسين الطباطبائي،

ج ١٢ ص ٢٩٢.

(٨) مفردات ألفاظ القرآن، ج ٢، ص ٤٩٦.



في ذلك حينما تعرّضوا لمشتقات مفردة "الوحي" فعدّوا حيثية السرعة شرطا" الفرج الوحيّ بتشديد الياء: السريع، ومثله: موت وحيّ؛ أي سريع، ومنه ذكاة وحيّة؛ أي سريعة، و "الوَحَا الوَحَا" بالمدّ والقصر أي السرعة السرعة...^(٩).

وكذا صاحب لسان العرب فقال: والوَحْيُ، على فاعل: السَّرِيعُ. يقال: مَوْتُ وَحْيٍ... يقال: تَوَحَّيْتُ تَوْحِيًّا إِذَا أَسْرَعْتُ، وَتَوَحَّيْتُ بِالشَّيْءِ: أَسْرَعْتُ. وَشَيْءٌ وَحْيِيٌّ: عَجَلٌ مُسْرِعٌ^(١٠).

تحقيق لغوي:

بعد هذا الاستقراء لأراء بعض المحققين اللغويين؛ يظهر أن لمفردة الوحي أكثر من أصل. وقد بقال أن إرجاع هذه المعاني المتفاوتة إلى معنى واحد غير صحيح؛ لأن إرجاع المعاني المختلفة التي ليس بينها جامع مشترك إلى الأصل الواحد مستهجن في عرف اللغة؛ فكيف يمكننا إذن رفع هذا التعارض البدوي؟.

وللجواب عن هذا السؤال علينا القول: لعلّ الخفاء في مفهوم الوحي جاء من قبل اعتبار السرعة فيه، فالإيحاء السريعة تخفى طبعاً على غير المومى إليه. يقال: موت وحيّ أي سريع. قال الزمخشري^(١١): «وحيث إليه وأوحيت إذا كَلَّمْتَهُ بِمَا تَخْفِيهِ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَتَوَحَّيْتُ أَيَّ أَسْرَعَ. كما أَنَّ الاستعمالات اللغوية لهذه المفردة تشير إلى معانٍ متعددة بينها قدر جامع ترجع إليه يمكن جمعها بلحاظ صيغها كالأتي:

- بمعنى الكتابة إذا استخدم كثلاثي مجرد ودون حرف إضافة.
- بمعنى الإلقاء -الجامع للمعاني الأخرى من قبيل الإشارة، والإيحاء، والإنباء، والإلهام -وله نحويين:
- إذا استخدم كثلاثي مجرد وبحرف إضافة؛ وله أنحاء متعددة.
- إذا استعمل كثلاثي مزيد من باب إفعال متبوعاً بحرف إضافة؛ أي أوحى إليه و أوحى له؛ وله أنحاء متعددة أيضاً.

(٩) مجمع البحرين، ج ١، ص: ٤٣٢.

(١٠) لسان العرب، ج ١٥، ص: ٣٨٠.

(١١) أساس البلاغة، ج ٢، ص ٢.

و هو أشبه بوجدان الجوع و العطش و الحزن و السرور»^(١٢).

كما يعدّ الوحي ملاكا للميّز بين الأديان الوحيانية وغير الوحيانية. إلا أننا نجد أن هذه المفردة المقدّسة مع ما تمثله من مفهوم أساسي في الأديان الوحيانية؛ تفتقد عند تحليلها لمعنى جامع تتلاقى عنده رؤى تلك الأديان، فالمستقرأ لتاريخانية الدين المسيحي مثلا يمكنه الظفر بمعنيين لهذه الظاهرة السماوية وهما:

١. إلقاء الحقائق من الله تعالى؛ بمعنى أنّه نحو تنزل لجملة من الحقائق الإلهية في شكل قضايا على قلب المسيح ﷺ، و قد كان الدين المسيحي لروح من الزمن يركز على هذا المعنى قبل تبلور المعنى الثاني.

٢. تجلي الله تعالى؛ أي ظهور الله تعالى في عبده المسيح ﷺ وتجسده بكيفية ما. وفي المقابل نجد الرؤية الإسلامية تنطوي على تفسير خاص لظاهرة الوحي؛ تلك الظاهرة التي يُجهل كونها

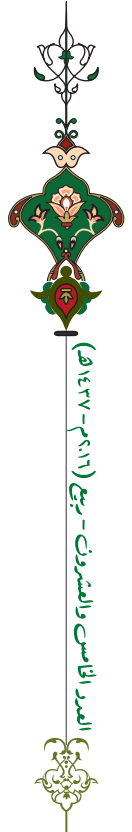
(١٢) رسالة التوحيد ص ٨١.

الوحي {Revelation}

في الاصطلاح:

يُعرّف الوحي في المجال التداولي الديني بعنوانه منبعاً معرفياً خاصاً وقناة تربط عالم الغيب بعالم الشهادة، فهو نحو إلقاء خفي من الله تعالى إلى من اصطفى من عباده لحمل رسالته. وبقياس هذا المعنى إلى المعنى اللغوي يمكننا أن نلمس وجود علاقة متينة بينهما؛ لأن مفاد كليهما هو الإلقاء الخفي، أما حيثية السرعة فهي نحو ذلك الإلقاء يدركها المتلقي بالوجدان.

قال محمد عبده: «وقيل الوحي: إعلام في خفاء، ويطلق ويراد به الموحى. وقد عرفوه شرعاً أنّه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه، أما نحن فنعرفه على شرطنا بأنّه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنّه من قبل الله بوساطة أو بغير وساطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت، ويُفرّق بينه وبين الإلهام، بأن الإلهام وجدان تستيقنه النفس و تنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى،



وتُعرف بأثرها؛ وهذا ما قرّره العلامة الطباطبائي بوصف رائع حينما رأى أن الوحي «شعور مرموز» من سنخ العلوم الغيبية المتعالية على العقل والفكر والنبوغ

لذا كان وهبياً لاكسبياً^(١٣)، ويعلق الشيخ جواد آمل على ذلك بقوله: «إن وصف هذا الشعور بالرمزية في محله لأنه يشير إلى أن هذه الحقيقة حوت من الأسرار ما يجعلها مفاتيح لزمرة خاصة من الناس وهم المصطفون»^(١٤). وعليه

بدل أن يتجلى الحق في عبد من عباده كما رآه التقرير المسيحي، تجلى في كلامه وهو القرآن الكريم الذي نزل على قلب الرسول محمد ﷺ، قال الامام علي عليه السلام:

«فَبَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ وَ لِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا

(١٣) الوحي أو الشعور المرموز، محمد حسين الطباطبائي، ص ١٠٤.

(١٤) أنظر الوحي والنبوة في القرآن، الشيخ جواد آمل، ص ٥٥.

رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ وَ خَوْفَهُمْ مِنْ سَطَوْتِهِ وَ كَيْفَ مُحَقِّقٍ مِّنْ مُحَقِّقٍ بِالْمَثَلَاتِ وَ اخْتَصَدَ مِّنْ اخْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ»^(١٥).

الإلهام لغة:

أجمع أهل اللغة على أن مفردة «الإلهام» تعني إلقاء المعنى في النفس أو الذهن؛ والحال أن ما يستظهر من كتبهم أن معناها يرجع إلى أصل واحد وهو «الابتلاع» الذي يقتصر فيه على ابتلاع الطعام؛ لكن توسّع استعمال هذا اللفظ جعله يشمل ما ليس بهادي أيضاً.

قال الراغب في مفرداته: «الإلهام: إلقاء الشيء في الرّوع، و يختصّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى، وجهة الملا الأعلى؛ قال تعالى: ﴿ فَالْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ [سورة الشمس: ٨]؛ وذلك

نحو ما عبّر عنه بِلَمَّةِ الْمَلِكِ، وبِالْتَفْتِ فِي الرّوْعِ كقوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ لِلْمَلِكِ لَمَّةً وَلِلشَّيْطَانِ لَمَّةً»، وكقوله أيضاً: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفْثٌ فِي رُوعِي»، وأصله من التهام الشيء: وهو

(١٥) نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، صفحة ٢٠٥.



ابتلاعه^(١٦).

للآراء المتقدمة يُستظهر أن الإلهام لغة يصدق على الإلقاءات الإلهية - بواسطة أو بدون واسطة - فحسب. ولعل منشأ ذلك راجع إلى الخلط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لهذه المفردة فأصل الإلهام لغة يرجع إلى الإلقاء لا غير؛ أمّا اصطلاحاً فهو المعنى الرائج في المجال التداولي الديني^(١٩). نعم اشتركت معان عديدة في هذا الأصل الكلي نذكر جملة من استعمالاتها اللغوية:

• أَلْهَمَهُ اللهُ خيراً: لَقَّنه إياه؛ واستلهمه إياه: سألَه أن يُلهِمَه إياه، واللَّهُمُّ: الكَثِيرُ الخَيْرِ^(٢٠).

• أَوْزَعَهُ الشَّيْءَ: أَلْهَمَهُ إياه. قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾؛ و معنى أَوْزِعْنِي؛ أَلْهَمْنِي وَأَوْلِعْنِي بِهِ^(٢١).

• النَّفْثُ: الإلهام و الإلقاء، كما في المصباح، و هو مجاز، و في الحديث،

وابن منظور في لسان العرب: «الإلهام: ما يُلقَى في الرُّوعِ، وَيَسْتَلْهِمُ اللهُ الرَّشَادَ، وَأَلْهَمَ اللهُ فلاناً. وفي الحديث: «أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي»، الإلهامُ أَنْ يُلْقِيَ اللهُ فِي النَفْسِ أَمْرًا يَبْعَثُهُ عَلَى الْفِعْلِ أَوْ التَّرْكِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْوَحْيِ، يُخَصُّ اللهُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ^(١٧)».

و جاء في تاج العروس: «الإلهام: ما يُلْقَى فِي الرُّوعِ بِطَرِيقِ الْفَيْضِ، وَ يَخْتَصُّ بِمَا مِنْ جِهَةِ اللهِ وَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى. وَ يَقَالُ: إِيقَاعُ شَيْءٍ فِي الْقَلْبِ يَطْمِئِنُّ لَهُ الصَّدْرُ يُخَصُّ اللهُ بِهِ بَعْضَ أَصْفِيَائِهِ. وَاسْتَلْهَمَهُ إِيَّاهُ: سَأَلَهُ أَنْ يُلْهِمَهُ. وَالتَّهَمَ الْفَصِيلُ مَا فِي الضَّرْعِ: اسْتَوْفَاهُ^(١٨)».

والسؤال المطروح هنا هو: هل الإلهام يختص بالإلقاءات الربانية فحسب أم يشمل الشيطانية أيضاً؟ طبقاً

(١٦) أنظر مادة «لهم» من مفردات الراغب ج ١؛ ص ٧٤٨.

(١٧) لسان العرب، ج ١٢، ص: ٥٥٤ - ٥٥٥.

(١٨) تاج العروس من جواهر القاموس، ج ١٧، ص: ٦٧١.

(١٩) سنستعرض ذلك في تناولنا للرؤية القرآنية.

(٢٠) انظر: مادة «لهم» في لسان العرب، وتاج العروس.

(٢١) انظر: مادة «وزع» في لسان العرب.



«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي» أَيَّ أَوْحَى وَ أَلْقَى، كَذَا فِي النِّهَايَةِ (٢٢).

- القول: ﴿قُلْنَا يَذَّالْقُرْآنِ إِنَّمَا أَنْتَ مُعَذِّبٌ﴾ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بِخَطَابٍ وَرَدَ عَلَيْهِ فِي مَا رَوَى وَذَكَرَ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ إلهاماً فسماه قولاً (٢٣).
- استوفقتُ اللهَ جَلَّ وَعَزَّ: سَأَلْتُهُ التَّوْفِيقَ؛ أَيَّ الإلهَامَ لِلْخَيْرِ. وَيُقَالُ: وَفَّقَهُ اللهُ تَوْفِيقًا: أَهْمَمَهُ لِلْخَيْرِ، أَوْ جَعَلَهُ رَشِيدًا (٢٤).

الإلهام {inspiration} اصطلاحاً:

لقد أشرنا آنفاً إلى أن المراد من المعنى الاصطلاحي للإلهام هو إلقاء في الروح؛ أي القلب من جهة الله تعالى، ولهذا جامع الوحي في معناه. فهو نحو إدراك خاص تتم فيه مواجهة بين الملقى والمتلقي، جاء في التعاريف «ما يلقي في الروح بطريق الفيض و قيل الإلهام ما وقع في القلب

(٢٢) انظر: مادة «نفث» تاج العروس من جواهر القاموس.

(٢٣) مفردات الراغب ص ٦٧٧.

(٢٤) انظر: مادة «وفق» تاج العروس من جواهر القاموس.

من علم و هو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية و لا نظر في حجة و هو ليس بحجة عند العلماء الا عند الصوفيين و الفرق بينه و بين الاعلام أن الإلهام أخص من الاعلام لأنه قد يكون بطريق الكسب و قد يكون بطريق التنبيه» (٢٥). وقد عرفه صاحب الميزان بقوله: «الإلهام إلقاء في الروح و هو إفاضته تعالى الصور العملية من تصور أو تصديق على النفس» (٢٦). ويمكننا القول أنه إدراك خاص يَمُنُّ به الله (عزَّ وجلَّ) على أوليائه، فالإلهام ضرب من الإدراك يكون من سنخ الوحي إلا أنه أضعف منه.

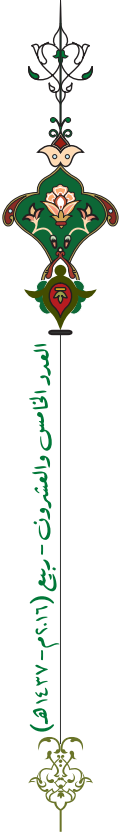
أنواع الإلهام:

يختلف الإلهام باختلاف الملهم والمُلهَم، وسنكتفي هنا بالحديث عن أنواع الإلهام باعتبار الملهَم ومرتبته؛ وهي:

الإلهام العام: وهو ذلك الإلهام الذي لوحظ فيه معنى الإلقاء من قبل الله

(٢٥) التعريفات؛ الجرجاني، ص ١٥.

(٢٦) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ج ٢٠، ص ٢٩٧.



تعالى فقط، وعلى هذا فهو جامع لجميع الإلهامات الإلهية ولا بشرط من هوية الملهمين؛ فجميع الموجودات بهذا الاعتبار لها نصيب من هذا الإلهام. وهذا ما أشارت إليه آيات الذكر الحكيم التي سنأتي على ذكرها في الصفحات القادمة.

الإلهام الخاص: وهو ذلك الميل الموهوب المختص بالنفوس الانسانية دون سواها، ويقع على طرفي الصلاح و الطلاح، طرفي الخير والشر؛ حتى يصحح عنصر الاختيار. وقد وقع ذكر هذا النوع في القرآن الكريم بعد أن أقسم المولى (عز وجل) أحد عشر قسمًا متوالية ثم قال: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٨]؛ أي ألهمها اختيار سبيل الفجور أو التقوى. ففي مقام الثبوت لا حجاب بين الملهم والملمم؛ لأن الأول تام الفاعلية والثاني تام القابلية؛ وهذا ما يصحح وجوب تحقق ما به الامتياز بين حدّي التسوية وهما «التقوى» و «الفجور».

إلهام خاص الخاص: يقع هذا النوع من الإلهام في مقابل الإلهام

الخاص؛ فهو فيض إلهي مضاعف يتكبد في حصوله على حسن التعرض للإلهام الخاص. فمن روض نفسه على العمل الصالح يجد سبل تلقي هذا النوع من الإلهام مسرعة أمامه. والمتلقون لهذا النوع هم أهل الله؛ الذين تهفوا أنفسهم إلى فعل الخيرات حتى كأنّ مُناديا يكلّمهم في ذات عقولهم «أن افعل هذا العمل ودع الآخر» ولا شك أن النبي وأهل بيته الأطهار عليهم السلام هم أتم الناهلين من هذا النوع من الإلهام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا...﴾ [سورة الأنفال: ٢٩]، وقد أشار مولى الموحدين إلى ذلك بقوله: "إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ وَتَقْدَأُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ وَمَا بَرَحَ اللَّهُ (عَزَّتْ آلاؤُهُ) فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَ فِي أَرْمَانِ الْفَرَاتِ عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ وَكَلَمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورٍ يَقْطَعُ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ يُذَكِّرُونَ



بِأَيَّامِ اللَّهِ وَيَخُوفُونَ مَقَامَهُ... " (٢٧).

الرؤية القرآنية:

لا شك في أن جمهرة من محققي اللغة يرجعون في تحديد معاني المفردات إلى القرآن الكريم الذي فتن الكثيرين منهم ببلاغته وفصاحته، ومفرداته المعرفية والتحقيقية التي تندرج تحتها مفردة الوحي والالهام.

لقد ورد لفظ الوحي ومشتقاته في القرآن (٧٨) مرة؛ ولكي نعطي البحث حقه فقد اقتفى الباحث هذه الموارد؛ فوجد أن معاني هذه المفردة المقدسة لم تُغايِر المعنى اللغوي في شيء. ولم يُقتصر في استعمالها على ذلك الإلقاء الخاص الاصطلاحي الشرعي؛ بل تعداه ليشمل طرق الإلقاء لجميع الموجودات. وحتى يلتزم الباحث بأصول البحث العلمي، فإنه رأى حصرها ضمن عناوين مشيرة ليسهل استقراءها؛ وإن اجتمعت الاعتبارات بعضها أو كلها في مورد واحد.

(٢٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ١٧٦.

موارد استعمال الوحي في القرآن والروايات:

١. الوحي باعتبار الملقى:

لا شك في أن الملقى حقيقة وبالذات هو الحق تبارك وتعالى، إذ الوحي إلقاء منه إلى الموجودات. وأما ما ذكر من آيات ينسب فيها الوحي لغير الله فهو من قبيل الإسناد بالعرض أو الوساطة؛ أو من قبيل سنخية الوحي والمُوحى، وهي بالتالي تعود إلى الحق سبحانه وجودا.

قال تعالى: ﴿... وَإِنْ أَهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة سبأ: ٥٠]؛ وقال أيضا: ﴿وَأَتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢].

أما إسناد الوحي إلى غيره تعالى فقد جاء تارة المسند إليه مصرحا به كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ أَوَّلِيَّائِهِمْ لِيُجْنِدُوا لَكُمْ وَإِنَّ أَطْعَمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢١]؛ فالمُوحى هنا هو الشيطان ولا يُشكل



المفسرين قد أجمعوا أن الآية بصد
بيان طرق تكليم الله تعالى لأنبائه
وإن اندرجت مصاديق أخرى تحت
عنوان التكليم. قال صاحب تفسير
الميزان: «لا موجب لعد الاستثناء
في قوله: ﴿إِلَّا وَحِيًّا﴾ منقطعاً بل
الوحي والقسمان المذكوران بعده
من تكليمه تعالى للبشر سواء كان
إطلاق التكليم عليها إطلاقاً حقيقياً
أو مجازياً فكل واحد من الوحي؛ و
ما كان من وراء حجاب و ما كان
بإرسال رسول نوع من تكليمه
للبشر..^(٢٨) والمعنى: ما كان لبشر
أن يكلمه الله نوعاً من أنواع التكليم
إلا هذه الأنواع الثلاثة أن يوحي
وحياً أو يكون من وراء حجاب
أو أن يرسل رسولا فيوحي بإذنه
ما يشاء مع أنه يحتمل أن تكون
القسمة بنحو التريد؛ لهذا قال
العلامة: «ثم إن ظاهر التريد في
الآية بأو هو التقسيم على مغايرة بين

(٢٨) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص: ٧٣-

لأنه من مصاديق الوحي بالمعنى الأعم
الشامل لجميع صور الإلقاء. وتارة
أخرى عنواناً كلياً وهو "الرسول"؛ أي
واسطة الوحي كقوله أيضاً: ﴿أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ
حَكِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥١].

٢. الوحي باعتبار المتلقي:

٢-١. النوع الإنساني؛ وفيه الخاص
والعام:

• الخاص بالأنبياء: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا
يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ [سورة
الشورى: ٥١]، فهو حصر تصريح
لأنحاء تكليمه سبحانه وتعالى
 لعباده المصطفين ﴿وَأَنَا أَخْتَرُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣]؛
وليس الوحي في هذه الآية قسم من
أقسام التكليم بل جميعها ضرب
من ضروبه المتفاوتة بتبع الحالات
الباطنية للموحي إليه. كما أن النظر
البدوي يقضي بعنوانة هذا النحو
من الإلقاء بالعام لا بالخاص؛ لكن



الأقسام و قد قيد القسمان الأخيران بقيد كالحجاب، و الرسول الذي يوحى إلى النبي و لم يقيد القسم الأول بشيء فظاهر المقابلة يفيد أن المراد به التكليم الخفي من دون أن يتوسط واسطة بينه تعالى و بين النبي أصلاً، و أما القسمان الآخران ففيهما قيد زائد و هو الحجاب أو الرسول الموحى وكل منهما واسطة غير أن الفارق أن الواسطة الذي هو الرسول يوحى إلى النبي بنفسه و الحجاب واسطة ليس بموح و إنما الوحي منورائه (٢٩)».

• وكخلاصة لكلامه قال: «و لما كان للوحي في جميع هذه الأقسام نسبة إليه تعالى على اختلافها صح إسناد مطلق الوحي إليه بأي قسم من الأقسام تحقق و بهذه العناية أسند جميع الوحي إليه في كلامه (٣٠)».

وجاء في خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام يخبر عن بدء هذا الإلقاء النبوي

(٢٩) المصدر السابق.

(٣٠) نفسه، ج ١٨، ص: ٧٤.

قائلاً: «ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت اتبعه إتباع الفصيل اثر أمه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، واشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، انك تسمع ما اسمع وترى ما أرى إلا انك لست بنبي، ولكنك وزير وانك على خير (٣١)».

• العام للأولياء: قد يجامع الوحي العام الوحي الخاص في الجملة لا بالجملة؛ أي للنبي ما للولي من

(٣١) نهج البلاغة.

رُسُلًا... [سورة الحج: ٧٥]؛ وهنا تصريح بالتفاوت الملحوظ فمن جملة الملائكة هناك زمرة فقط موكلّة بأمر الوحي.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ (١) **فَالزَّجَرَتِ زَجْرًا** (٢) **فَاللَّيْلِ ذِكْرًا...** [سورة الصافات: ١ - ٣]؛ فهو يشير إلى تفاوت التفاوت، فالملائكة الموكلون بالوحي أيضا بينها تفاوت. ويؤيده ما ذكره العلامة فقال: «ويحتمل - والله العالم - أن يكون المراد بالطوائف الثلاث المذكورة في الآيات طوائف الملائكة

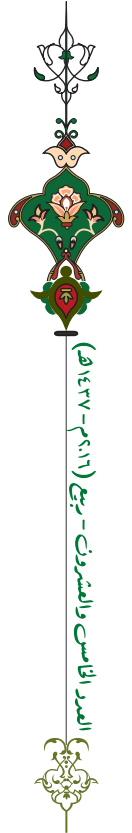
النازلة بالوحي المأمورين بتأمين الطريق ودفع الشياطين عنا لمداخلة فيه وإيصاله إلى النبي مطلقا أو خصوص محمد ﷺ كما يستفاد من قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٣) **إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ...**، وعليه فالمعنى أقسم بالملائكة الذين يصفون في طريق الوحي صفا و الذين يزجرون الشياطين ويمنعونهم عن المداخلة في الوحي والذين يتلون على النبي الذكر وهو مطلق الوحي؛ أو خصوص القرآن كما

مصاديق التلقي والعكس ليس بصحيح، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [سورة المائدة: ١١١]؛ ونظير هذه الآية ما ألقى الى أم موسى، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَمْرَ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [سورة القصص: ٧]. ويؤيدهما عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الصَّنْعَائِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ (عليه السلام) عَنْ إِذْ أَوْحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ فَقَالَ: أَهْمُوا (٣٢)».

١-٢. باقي الموجودات:

• الملائكة: تارة نلاحظ الملائكة من حيث جامعها التكويني «ما به الوجود» وهو التجرد عن الجسمانية. وتارة أخرى من حيث غاية التكوين «ما لأجله الوجود» فنجدها متفاوتة فيما بينها. وكمقابلة للآيات التي دلّت عن اصطفائه تعالى لأنبيائه ورسله وأوليائه، جاءت آيات أخر تدل على اصطفائه تعالى لملائكته. قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ

(٣٢) بحار الأنوار: ج ١٧، ص ٢٧٤.



يؤيده التعبير عنه بتلاوة الذكر. و يؤيد
ما ذكرنا وقوع حديث رمي الشياطين
بالشهب بعد هذه الآيات، وكذا قوله
بعد: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ
خَلَقْنَا ﴾. و لا ينافي ذلك إسناد النزول
بالقرآن إلى جبرائيل وحده في قوله: ﴿ مَنْ
كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾
[سورة البقرة: ٩٧]؛ لأن الملائكة
المذكورين أعوان جبرائيل فنزولهم به
هو نزوله به. ولعل العلامة قد
استوحى ذلك من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)
حيث يقول: «ثُمَّ فَتَقَّ مَابَيْنَ السَّمَوَاتِ
الْعُلَا فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ مِنْهُمْ
سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ
وَ صَافُونَ لَا يَتَزَايِلُونَ وَ مُسَبِّحُونَ لَا
يَسْأَمُونَ لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ وَلَا
سَهْوُ الْعُقُولِ وَلَا فِتْرَةُ الْأَبْدَانِ وَلَا غَفْلَةُ
النَّسْيَانِ وَ مِنْهُمْ أَمْنَاءٌ عَلَى وَحْيِهِ وَ أَلْسِنَةٌ
إِلَى رُسُلِهِ وَ مُحْتَافُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرُهُ
وَمِنْهُمْ الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَ السَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ
جَنَانِهِ...» (٣٣). نعم؛ حمل معظم المفسرين
معنى هذه الآية على ما يفيد المعنى

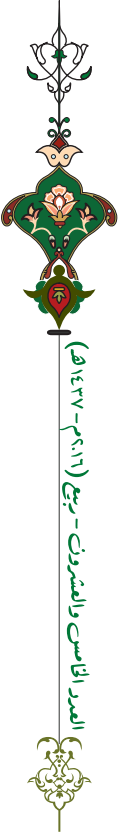
(٣٣) نهج البلاغة، ص: ٤٢.

اللغوي للاصطفاف والزجر والتلاوة؛
وما تؤيده بعض الروايات. وإن رأى
جُلُهم أن «التاليات ذكرا» ظاهرة في
الملائكة التاليين للوحي على الأنبياء (٣٤).

• السماء والأرض: إن الآيات التي
سنعرضها تمثل نزرا قليلا من
الإعجاز القرآني؛ فيها هو يخاطب غير
ذوي العقول بلسان ذوي العقول
فيقول: ﴿ فَقَضَيْنَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾
[سورة فصّل: ١٢]؛ و ﴿ يَوْمَئِذٍ
تُخَذُّ أَخْبَارُهَا ۖ ﴾ ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى
لَهَا ﴾ [سورة الزلزلة: ٤ - ٥].
والمصّحح لإسناد الوحي في هذه
الآيات هو انطواء هذه الموجودات
على نحو من الإدراك - وإن خالف
نحو إدراكنا - يسانخسريانظما
لوجود في جميع مراتبه؛ وعليه تكون
السموات والأرض قد تلقت الأمر
الإلهي الخفي واستجابت له.

(٣٤) أنظر مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٨/
٦٨٥؛ مجمع البحرين ج ١/ ٦٩؛ لطائف
الإشارات ج ٣/ ٢٢٧.





• الحيوانات: قال سبحانه: ﴿وَأَوْحَىٰ

رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّجَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا ۖ

[سورة النحل: ٦٨ - ٦٩]. هاهي

حيرة أخرى تضاف إلى حيرتنا المطلقة تجاه هذا النظام البديع المحكم. فالحق تبارك وتعالى يوحى لهذا الموجود فيتلقى خطابه بدقة متناهية ويستجيب له عمليا بإتقان طار له لب علماء الأحياء؛ ويسجل بذلك دليلا آخر على القدرة الإلهية المطلقة. ويؤيده ما جاء عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ﴾؛ قَالَ: إلهام^(٣٥)».

ولا بأس أن نذكر في البين كلاما للعارف الشيخ ابن عربي رحمه الله، مؤولا رمزية غسل النحل: «... إن الغسل لما أنتجه صنف من الحيوان ممن له نصيب في الوحي صحت المناسبة

بينه و بين رسول الله ﷺ فإنه ممن يوحى إليه و النحل ممن يوحى إليه فالغسل من النحل بمنزلة العلوم التي جاء بها النبي ﷺ من قرآن و أخبار^(٣٦)».

٣. الوحي باعتبار المتلقى: لقد ذكرنا من قبل أن هذه الاعتبارات متداخلة، بل إن إعتبار المتلقى جامع لها حسب ما سنورده إذ المتلقى على نحوين قدسي وغير قدسي، أما القدسي: فهو ما يلقي للأنبياء خاصة عبر قنوات الوحي الثلاث المذكورة في الاعتبار الأول؛ غير قدسي: وهو الجامع لباقي معاني الوحي من إلهام خاص وعام، وإشارة، وتسديد و... وسنشير فيما يأتي إلى ذلك:

• الهداية التكوينية: ما من موجود إلا وقد سَطَّرت مناهل هدايته من لدن حكيم عليم بما فيها مصلحة المهتدي وما من شأنه من استعدادات خَلْقِيَّة. فقد قال عَزَّ من قائل: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ

(٣٥) تفسير العياشي، محمد ابن مسعود العياشي، ج ٢، ص ٢٦٣.

(٣٦) الفتوحات المكيَّة، ابن عربي، ج ١، ص: ٧٣٩.

كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿[سورة طه: ٥٠]﴾. وقد أشار أصحاب التفاسير^(٣٧) إلى أن نحو الهداية يختلف باختلاف ماهية الموجودات من جماد ونبات وحيوان وإنسان وملك و... ومن جملة ما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [سورة النحل: ٦٨] والمراد هو التسخير والإلهام؛ قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: «أطلق الوحي هنا على التكوين الخفي الذي أودعه الله في طبيعة النحل، بحيث تنساق إلى عمل منظم مرتب بعضه على بعض لا يختلف فيه أحادها، تشبيهاً للإلهام بكلام خفي..»^(٣٨).

• الروح: ورد لفظ الروح في القرآن الكريم بمعان شتى؛ إحداها ما

(٣٧) أنظر كتاب أسرار الآيات، متن، ص ١٥٦.

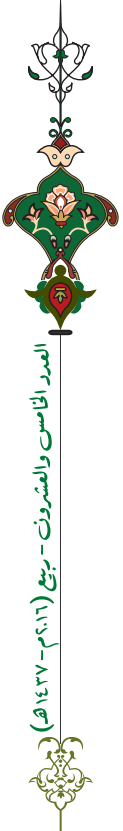
(٣٨) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور،

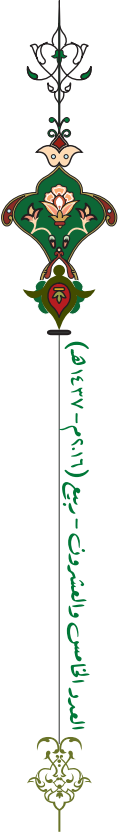
ج ١٤، ص ٢٠٥.

يلقيه الله إلى أنبيائه؛ وقد ذكر وتبعه قيد توضيحي كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [سورة الشورى: ٥٢]؛ والمراد هو التسديد من عالم الأمر بذلك الروح لا صرف الإنباء، بقرينة ذكر كل من الكتاب والإيمان، فالإيمان من سنخ الأفعال التسديدية نظير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣]، ويتضح من مفاد الآية الشريفة أن متعلق الوحي هو فعل الخيرات المقارن لصدور الفعل نفسها. وعنوان الإمامة المذكور في الآية مجعول من قبل الله تعالى، وعليه يكون الموصوف به فردا مؤيدا ومسددا بحقيقة أمرية.

• أمر: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [سورة فصلت: ١٢]؛ والمراد

هنا التقدير.





ما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:
«إِنَّ الشَّيَاطِينَ يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فَيُلْقِي إِلَيْهِ مَا يُغْوِي بِهِ الْخَلْقَ حَتَّى
يَتَعَلَّمَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» (٤١).

• الهمام: وقد عرّف هذا النوع من
الوحي بأنه تعليمه تعالى من
اصطفاه من عباده كلّما أراد اطلاعه
على ألوان الهداية وأشكال العلم،
ولكن بطريقة خفية غير معتادة
للشعر وسيأتي بيانه في باب الالهام -
إنشاء الله -.

• إشارة: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنْ
الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا
بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم: ١١]؛
إن المصحح لعدّ الإشارة وحيا
هو اعتماد زكريا عليه السلام ذلك للتفهيم
وإلقاء المعنى وهو نحو من أنحاء
الكلام الخفي. ويجمع هذا الاعتبار
ما جاء في قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
حِينَ سَأَلُوهُ عَنْ مَعْنَى الْوَحْيِ فَقَالَ:
مِنْهُ وَحْيُ النَّبُوَّةِ وَمِنْهُ وَحْيُ الْإِلْهَامِ
وَمِنْهُ وَحْيُ الْإِشَارَةِ وَ سَاقَهُ إِلَى أَنْ

• وسوسة: الوسوسة «وحي
الكذب»: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيِّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾
[سورة الأنعام: ١١٢]؛ والمراد هنا
هو ما يشمل إلقاء الوسوسة في
النفس بنحو الإلقاء الخفي. ووصف
هذا القول بالزخرف؛ أي المزخرف
إشارة إلى تلوين الكلام الملقى
مما من شأنه تلوين خاطر وقلب
الموحي له. قال عليه السلام: «لِلْقَلْبِ لَمَتَانِ
لَمَةٌ مِنَ الْمَلِكِ إِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَ تَصْدِيقٌ
بِالْحَقِّ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ
مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَ لَمَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ
إِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَ تَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ وَ نَهْيٌ
عَنِ الْخَيْرِ فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَتَعَوَّذْ
مِنَ الشَّيْطَانِ ثُمَّ تَلَا الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ
الْفَقْرَ» (٣٩)، و لتجاذب القلب بين
هاتين اللمتين قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله:
«قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ
أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» (٤٠)؛ و نظير ذلك

(٣٩) بحار الأنوار، المجلسي، ج ٦٧، ص ٣٩.

(٤٠) المصدر السابق، ص: ٤٠.

(٤١) المصدر السابق، ج ٦٠، ص ١٥٠.

قَالَ: وَ أَمَّا وَحْيُ الْإِشَارَةِ فَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾؛ أَيُّ أَشَارَ إِلَيْهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ (٤٢).

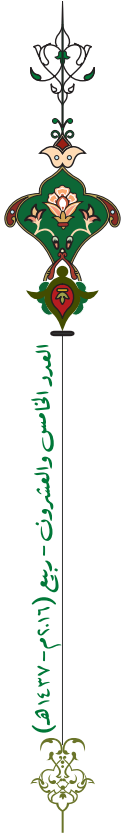
• الرؤيا: لا شك أن الرؤيا بالمعنى الأخص؛ أي رؤية الأنبياء من الوحي؛ لما في ذلك من الأخبار المستفيضة عند المسلمين من الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [سورة الاسراء: ٦٠]؛ وقال أيضا: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ [سورة الفتح: ٢٧]. وعليه تكون الرؤيا الصادقة ضرباً من ضروب الوحي النبوي؛ فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «رؤيا الأنبياء وحي» (٤٣). يبقى الإشارة إلى استعمالات أخرى تفيد معنى الالتقاء

(٤٢) بحار الأنوار، المجلسي، ج: ١٤ ص: ١٨.

(٤٣) الأملي، الشيخ الطوسي، ص: ٣٣٨.

الخفي بألفاظ مغايرة للفظ «الوحي»، مثل لفظ «قول» الذي استخدم في القرآن بمعنى الالتقاء الخفي سواء أكان المخاطب من ذوي العقول كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٤]؛ وقوله أيضا: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]؛ أم غير ذوي العقل بقوله: ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [سورة فصلت: ١١].

يقول صاحب الميزان: «و أما اختصاص بعض الموارد ببعض هذه الألفاظ مع كون المعنى المشترك المذكور موجودا في الجميع كتسمية بعضها كلاما و بعضها قولاً و بعضها وحيا مثلا لا غير فهو يدور مدار ظهور انطباق العناية اللفظية على المورد، فالقول يسمى كلاما نظرا إلى السبب الذي يفيد وقوع المعنى في الذهن و



نعوت خلقتها كما قال تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ
وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ
الَّذِي الْقَيُّمُ ﴾ [سورة الروم: ٣٠].

و إضافة الفجور و التقوى إلى ضمير
النفس للإشارة إلى أن المراد بالفجور
و التقوى الملهمين الفجور و التقوى
المختصين بهذه النفس المذكورة و هي
النفس الإنسانية و نفوس الجن على
ما يظهر من الكتاب العزيز من كونهم
مكلفين بالإيمان و العمل الصالح^(٤٦).
ويمكننا تقسيم الإلهام في القرآن إلى
قسمين هما:

إلهام علم: وهو نحو من الإدراك
يفاض فيه المدرك من قبل الحق تبارك
تعالى فيعلم به المدرك ما جهله؛ إما
حصولاً أو حضوراً.

إلهام عمل: ايزاع^(٤٧) باطني وميل
لفعل الصالحات؛ كما في قوله تعالى:
﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [سورة

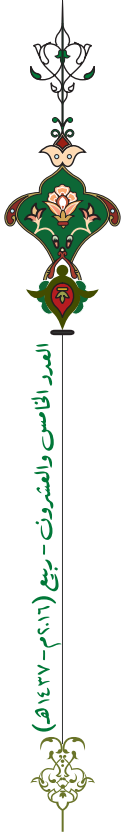
النمل: ١٩]؛ وقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ
فَعَلِ الْخَيْرَاتِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣].

يقول العلامة: «... الإلهام يكون
تارة من سنخ الإدراكات؛ بمعنى أن
الله يُفهم الإنسان أمراً ما، وتارة أخرى
من سنخ الميل؛ أي إنَّ الله يُلهم المرء
ميلاً نحو أمر معين. وكذا هو الحال
بخصوص الوحي، إذ يقول القرآن
الكريم في هذا الصدد: ﴿ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِمْ فَعَلِ الْخَيْرَاتِ ﴾؛ فالله يوحي
لأوليائه فعل ذلك، فهنا لم يقل: «العلم
بالخيرات»، بل قال: «فعل الخيرات»،
فالظاهر أن عين الفعل هو الذي
يوحى؛ بمعنى أن الميل والنزوع إلى
فعل الخير يوجد في أولياء الله بعناية من
الله تعالى^(٤٨) «وإنَّ في كتاب الله من هذا
القبيل كثير من الآيات كقوله تعالى:
﴿ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ
إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ [سورة
الحجرات: ٧]؛ فهذا هو فعل الله تبارك
وتعالى».

أما «التحديث» فهو ضرب من
(٤٨) الميزان في تفسير القرآن؛ ج ٢٠ / ٢٩٧.

(٤٦) نفسه، ج ٢٠، ص: ٢٩٨.

(٤٧) ارجع إلى المعنى اللغوي للايزاع فقد
ذكرناه في الصفحة.

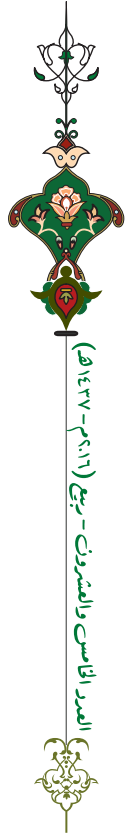


خاتمة:

مما مر يتضح أن فهم النص القرآني منوط بتحديد تلك العلاقة المتينة بين البنية اللغوية للنص القرآني ومعارفه؛ وهذا لن يتسنى للمحقق في مجالات الدراسات القرآنية إلا من خلال كشف العلاقة بين البعد الوجودي والبعد اللساني؛ أي كون الكلمات القرآنية تنهض بوظيفة وجودية خاصة. وهذا ما يسوغ لنا القول بأن المرتبة اللفظية للقرآن الكريم كاشفة عن مرتبته التي أنزل عنها.

فإذا رמنا التعالي بالفهم القرآني إلى حقائق كلماته ومفرداته؛ ما علينا إلا أن ندعن بأن لكل مفردة فيه حقيقة في مرتبة من مراتب تنزلاته من الحق تعالى، وأقول حقيقة لا مجازا كما رآه الكثير من المحققين... وربما سيكون لنا -بحول الله -محاولات أخرى في هذا المجال من شأنها بسط البحث في هذا الموضوع...

الالهام؛ بل أرقى درجاته. وهو سمع القلب لسماع كلام الله بصوت الملك، لا سمع الحس. وفي الصحيح عن الأحوال قال: سمعت زرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الرسول و النبي و المحدث فقال: «الرَّسُولُ الَّذِي يَأْتِيهِ جَبْرَيْلُ قُبْلًا فِيرَاهُ وَ يُكَلِّمُهُ فَهَذَا الرَّسُولُ وَ أَمَّا النَّبِيُّ فَهُوَ الَّذِي يَرَى فِي مَنَامِهِ نَحْوَ رُؤْيَا إِبْرَاهِيمَ وَ نَحْوَ مَا كَانَ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ص مِنْ أَسْبَابِ النُّبُوَّةِ قَبْلَ الْوَحْيِ حَتَّى أَتَاهُ جَبْرَيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِالرَّسَالَةِ وَ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ جُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَ جَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بِحَيْثُهَا جَبْرَيْلُ وَ يُكَلِّمُهُ بِهَا قُبْلًا وَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَنْ جُمِعَ لَهُ النُّبُوَّةُ وَ يَرَى فِي مَنَامِهِ وَ يَأْتِيهِ الرُّوحُ وَ يُكَلِّمُهُ وَ يُحَدِّثُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ يَرَى فِي الْيَقَظَةِ وَ أَمَّا الْمُحَدِّثُ فَهُوَ الَّذِي يُحَدِّثُ فَيَسْمَعُ وَ لَا يُعَايِنُ وَ لَا يَرَى فِي مَنَامِهِ (٤٩)».



تَفْسِيرُ (الْجَهْلِ وَالْجَاهِلِيَّةِ) مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ (الْعَلَامَةِ الطَّبَّاطِبَائِيِّ) و (ايجناس جولد زيهر) و (توشييهيكوايزونسو)

الاستاذ المشارك الدكتور محمد جواد اسكندرلو
جامعة المصطفى العالمية - قم المقدسة
جمهورية ايران الاسلامية
تعريب: رائد علي

فحوى البحث

يصب البحث (المكتوب باللغة الفارسية وترجمة السيد رائد علي) في مجرى البحوث المقارنة. اذ بسط اراء ثلاثة من العلماء المعنيين بشؤون القرآن الكريم، اولهما سماحة السيد محمد حسين الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان المعروف. والاخران مستشرقان هما: المجري (ايجناس جولد زيهر) والياباني البروفسور (توشي هيكوايزونسو).

وقد اثبت الباحث حقائق لا يمكن الحياد عنها في وصف العصر الذي سبق بعثة الرسول الاكرم ﷺ بعصر الجاهلية، ثم عرج على اكبر مصداق للجاهلية في عصرنا الراهن فلفت الانتظار الى ما يجري اليوم من مظالم على صعيد الافراد والحكومات مما لا يحيد في معناه عن الجاهلية التي سعى الاسلام الحنيف الى القضاء عليها.

الخلاصة:

ذكرت في القرآن هي جاهلية شبه الجزيرة العربية قبل بعثة النبي ﷺ والتي أثرت في جميع أبعاد حياة عرب الجزيرة العربية.

يهدف هذا التحقيق إلى معرفة الجاهلية ومعالمها، وذلك لوضع معايير نقيس على غرارها أفكارنا وأعمالنا في كل مقطع زمني للحيلولة دون الانحراف والتورط في الجاهلية.

الكلمات الرئيسية: القرآن، الجهل، الجاهلية، الطباطبائي، جولد زيهر، ايزوتسو.

المسألة الاساسية المقدمة: في هذا البحث هي؛ كيف وصف القرآن معالم عصر الجاهلية؟. فكانت هذه المسألة محل بحث وتحليل من قبل علماء امثال: جواد علي في كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)، وفيليب خليل في (تاريخ العرب) وسالم عبد العزيز في (تاريخ العرب في عصر الجاهلية)، وضيف شوقي في (العصر الجاهلي)، وفروخ عمر في (تاريخ الجاهلية) ومحمد قطب في (جاهلية القرن العشرين)،

لعل أول ما طرح مصطلح (الجاهلية) بعنوانه اصطلاحاً كان قد طرح في لغة القرآن ومن بعد ذلك وجد مكانه في التفسير، والروايات، وفي كتب التاريخ واللغة، وبكونه اصطلاحاً فقد تناوله مختلف العلماء بالنقد والتحقيق والتحليل المفهومي لذا اختلفت الآراء الكثيرة حول معناه وحدوده الزمانية والمكانية فاعتبر هذا الاصطلاح انه صفة روحية خاصة، وبعض آخر يعتبره اسم لفترة زمنية خاصة، واعتبر قسم آخر أن له تاريخ بامتداد تاريخ البشرية.

تتطرق هذه المقالة بأسلوب تحليلي للمقارنة بين آراء تفسيرية لثلاثة علماء (العلامة الطباطبائي، جولد زيهر، ايزوتسو) وذلك بالاستناد إلى الآيات التي تضمنت مفردة الجهل والجهالة واستخدام مشتقاتها، وشخصت أن: (الجاهلية) تكون قبال (الإسلام). بناء على آيات القرآن الكريم فإن الجاهلية هي موضوع أوسع من الزمان والمكان. المقصود من (الجاهلية الأولى) التي



وجعفر السبحاني في (فروع الدين)،
ويوسف الغروي في (موسوعة التاريخ
الإسلامي)، ويحيى نوري في (اسلام،
عقائد وآراء بشري يا جاهليت واسلام)
و... ومن الكتاب المستشرقين أيضاً
تطرقوا إلى هذا الموضوع منهم جولد
زهر وايزوتسو فيما يتعلق بضرورة
واهمية البحث، لا بد من التعرف الوضع
العقائدي للمجتمعات ما قبل البعثة
وبالأخص في الجزيرة العربية؛ لأنه دون
التعرف على عقائد المجتمع في تلك الحقبة
لا يتسنى لنا تقييم ما حققه الإسلام كما
وكيفاً في تغيير أساس لعقائد المجتمعات
البشرية، وما لم نتعرف على معتقدات،
وثقافات، وحضارة، وآداب وسنن
المجتمعات القديمة لا يتبين لنا مدى تأثير
الشريعة الجديدة في تلك المجتمعات.

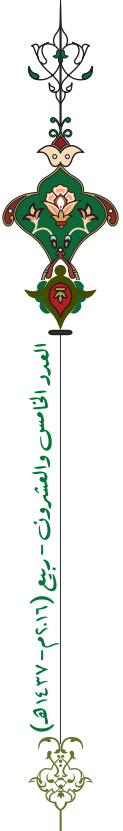
إن معرفة الجاهلية ما قبل الإسلام
وتحليل ماهيتها ومعالمها، مؤثرة جداً في
معرفة الجاهلية ما بعد الإسلام بالأخص
العلاقات الجاهلية في عالمنا المعاصر.

نوع تحقيقنا هذا توصيفي - تحليلي
وباسلوب مقارنة لآراء علماء كالعلامة

الطباطبائي ايجناس جولدزهر وتوشيهيكو
ايزوتسو.

المفاهيم والاصطلاحات القرآنية
الاساسية التي طرحت في هذه المقالة،
وشرحت مفاهيمها هي: الجهل،
الجاهلية، الجاهل، الجهول، مجهلون،
تجهلون و... ومن خلال البحث في
مشتقات مفردة (الجهل) في القرآن الكريم
نرى بأن الجهل لم يعرف في القرآن، لكن
من خلال الموارد التي استخدم فيها
الجهل نفهم بأن معنى الجهل ليس خلاف
العلم، وأن جهل الإنسان بنفسه، وبالله،
وبالنبى هي أهم الاسباب للمعضلات في
العالم، والمعاد، ومنشأ مختلف الاعتقادات
الباطلة والأعمال والسلوك المنحرف
والصفات الروحية القبيحة التي ذكر
القرآن الكريم مصاديقها. يعتقد اغلب

الباحثين أن الجاهلية مشتقة من الجهل
الذي هو خلاف الحلم. وخلاصة يمكن
القول بأن القرآن جاء بالإسلام بدلاً من
الجاهلية، واعتبر الجاهلية حالة روحية
متمردة عن أتباع الهداية الإلهية، ولا
تدعن لحكومة الله سبحانه في شؤون



وجاء في كتاب التحقيق في كلمات القرآن الكريم: إن في مادة الجهل أهل واحد، وهي مخالف للعلم، وفقدان العلم إما في المعارف الإلهية والعلوم الظاهرية، أو في الواجبات الشخصية، وكل من هذه المعاني إما في موضوع كلي أو جزئي، كما أن الجهل ملازم للاضطراب والحركة كذلك العلم واليقين ملازم للطمأنينة والسكون، إذاً تفسير الجهل بالحركة والاضطراب تفسير باللازم والاثار^(٧).

المعنى اللغوي للجهل الذي ذكره التحقيق، صحيح لكن الجدير بالذكر أن هذه المفردة لم ترد في القرآن دائماً في هذا المعنى، وكما قال مؤلف قاموس القرآن: في كتب اللغة فسرت مفردة الجهل بمعنى (الجهل)، لكن في اغلب آيات القرآن استعملت بمعنى السفاهة والاستخفاف، لان عدم العلم في أكثر المواقع يعد عذراً، لكننا نرى أكثر استعمال هذه الكلمة في مقام عدم العذر والعقوبة، لكن في آية

(٧) حسن مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٣٢.

الحياة، وبالطبع هكذا حالة هي أوسع من الزمان والمكان لذا يمكن أن تتكرر في مقطع من التاريخ وفي كل أمة.

مفهوم الجهل والجاهلية.

معنى الجهل لغة: أكثر كتب اللغة حينما تذكر مفردة الجهل لوحده تذكره بمعنى: خلاف^(١)، ضد^(٢)، ونقيض^(٣) العلم، وكلما تذكره مع حرف (على) يأتي بمعنى سفه^(٤) لكن كتاب العين ذكر الجهل بمعنى (نقيض العلم) سواء جاء لمفرده أو مع حروف على^(٥) وفي القاموس المحيط قال جهل عليه يعني اظهر الجهل^(٦).

- (١) احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير في غريب شرح الكبير الرافعي، تصحيح محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١، ص ١٣٩.
- (٢) مجد الدين محمد بن يعقوب فيروز آبادي، القاموس المحيط، اشراف محمد نعيم عرقسوسي، ص ١٢٦٧.
- (٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٤٨٠.
- (٤) جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ص ١٠٧.
- (٥) الخليل ابن احمد الفراهيدي، كتاب العين، ج ١، ص ٣٢٧.
- (٦) الفيروز آبادي، بيشين.



﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣] يراد بها هنا عدم العلم^(٨).

معنى الجاهلية:

عرّفت كتب اللغة مفردة الجاهلية على ثلاثة أنحاء وكما يلي:

أ. بيان الحدود الزمنية للجاهلية، يعني حقبة كانت في ماضي الزمان وانقضت.

ب. ذكر مصاديق الجاهلية في الأزمنة الماضية.

ج. التعريف اللغوي، وهنا نشير إلى بعض هذه التعاريف:

١. الجاهلية هي الحالة التي كان عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله وبرسوله (وبشرائع الدين، ومن المفارقة بالآباء والأنساب^(٩) و...

٢. لجاهلية الجهلاء، فترة ما قبل الإسلام^(١٠).

٣. الجاهلية، حالة الجهل وعبادة الأصنام قبل نبي الإسلام^(١١).

٤. الجاهلية، زمن الفترة ولا إسلام^(١٢).

٥. الجاهلية مصدر أو اسم مصدر بمعنى حالة الجهل^(١٣).

الجدير بالذكر أن الجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم، بل من الجهل الذي بمعنى السفاهة وضد الحلم، فهذه المفردة هي في الأصل صفة، ويمكن أن تبرز في كل فرد، وقوم، وبلد، ومكان وزمان، لكن فيما بعد وبسبب كثرة استعمالها بخصوص عرب شبه الجزيرة العربية من قبل بعثة النبي ﷺ اتخذت معنى لاسم اختص في تلك الفترة الزمنية، وفي الاستعمال القرآني والروائي استعملت أيضاً بالمعنى الثاني.

(١١) سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد، ١: ١٤٧.

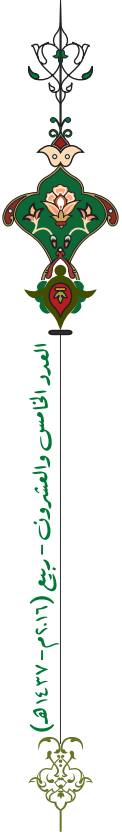
(١٢) ابن منظور، لسان العرب، ١: ٤٨٠ (مادة جهل).

(١٣) علي أكبر دهخدا، لغت نامه، مدخل جاهليت.

(٨) سيد علي أكبر قرشي، قاموس قرآن، ج ١- ٢، ص ٨٠- ٨١.

(٩) الطريحي فخر الدين، مجمع البحرين ١: ٣٣٣.

(١٠) الفراهيدي خليل بن احمد، العين، ١: ٣٢٧.



الجهل والجاهلية في القرآن

القرآن الكريم اعظم معجز نبي الإسلام ﷺ واهم مصدر الهي لدى المسلمين وأفضل مصدر للبحث حول المفاهيم التي كان عرب شبه الجزيرة العربية يستعملونها في زمن بعثة النبي ﷺ لكن هل استعملت مفردات الجهل والجاهلية في القرآن؟. حينما نقرأ كتاب المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم يتبين أنها من الجذر الثلاثي جهل، ذكر تسع منها اسماً، وعشر اسم فاعل، وخمس فعلاً مضارعاً وكلها ذكرت ٢٤ مرة في ١٧ سورة وفي ٢٤ آية من القرآن الكريم، ولم يرد في القرآن تعريف لهاتين المفردتين، لكن بمراجعة تفاسير هذه الآيات نفهم اين استعملت مشتقات هذه المفردات، وبتعبير آخر ما هي مصاديق الجهل في القرآن. وهنا سنبحث بعض أهم موارد استعمالها.

اصطلاح تجهلون:

ذكر هذا الاصطلاح في سورة هود في الآية ٢٩ قال تعالى: ﴿وَيَقُولُوا لَا آسَأُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنَّا أَجْرَىٰ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾

وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾

وقد ذكرت تفاسير مختلفة لعبارة

﴿وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾.

يقول العلامة الطباطبائي: لقد

نفى نوح عليه السلام في جوابه أن يطرح

المؤمنين، وعلل ذلك بقوله ﴿إِنَّهُمْ

مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ وبهذا التعليل أعلم بأن

الكافرين أيضاً لهم يوم الذي يرجعون

فيه إلى ربهم فيحاسبون على أعمالهم

وينالون جزاءهم طبقاً لسلوكهم، إذاً

حساب المؤمنين على ربهم. لكن قوم

نوح وبسبب جهلهم كانوا يتوقعون أن

يُطرد الفقراء والمساكين والضعفاء من

المجتمع الديني، وان يجرموا من نعمة

الدين التي هي في الواقع شرف وكرامة

الإنسان. ويقول العلامة، مراد نوح عليه السلام

من الجهل الذي نسبته إلى الكفار جهلهم

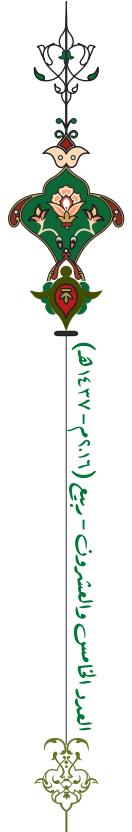
بأمر المعاد، وان الحساب والجزاء إلى الله

لا إلى غيره.

وفي رده لكلام سائر المفسرين

يقول: أما ما ذكره بعضهم من أن المراد

به الجهالة: المضادة للعقل والحلم،



وان نوح عليه السلام أراد أن يقول ايها الكفار انكم تسفهون عملنا، ولا تستفيدون من عقولكم، أو أراد بتجهلون، انكم تجهلون أن حقيقة الامتياز بين إنسان وانسان بإتباع الحق وعمل البر والتحلي بالفضائل لا بالمال والجاه كما تظنون فهو معنى بعيد عن السياق^(١٤).

اصطلاح يجهلون:

ورد في هذا الاصطلاح في آية واحدة فقط وهي: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَنَّا إِلَىٰ آلِهَتِهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [سورة الانعام: ١١١].

فقد ذكر العلامة الطباطبائي؛ أن هذه الآية بيان آخر لعبارة (إنما الآيات عند الله) وان ادعاء المشركين الذي قالوا فيه: لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، هو ادعاء ووعد كاذب، لان الجهل بعظمة الله ساقهم إلى هذا الكذب، أن المشركين جاهلون بمقام ربهم، ويعتقدون بأن جميع العلل والاسباب

(١٤) الميزان ١٠: ٣١٠ - ٣١١.

مستقلة في التأثير، ويتخيلون لو أننا أجنبناهم في مسألتهم وآتيناهم اعاجيب الآيات والمعجزة التي تكون سبباً في إيمانهم، ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله إيمانهم^(١٥).

اصطلاح الجاهل:

ذكر هذا الاصطلاح في هذه الآية فقط: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٣]. حيث فسر العلامة الطباطبائي الجاهل بالشخص الجاهل بحال الاغنياء فهو لشدة تعففهم يتصور بأنهم اغنياء^(١٦).

اصطلاح جاهلون:

جاء هذا الاصطلاح ثلاث مرات في ثلاث سور مكية في القرآن؛ في (سورة يوسف الآية: ٨٩، سورة الزمر في الآية: ٦٤، سورة الفرقان في الآية: ٦٣).

ففي الآية (٦٣) من سورة الفرقان يقول تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ

(١٥) الميزان ٧: ٤٤١ - ٤٤٢.

(١٦) الميزان: ٦١٣.



يقول العلامة: لو طلب نوح عليه السلام في كلامه نجاة ابنه لكان من الجاهلين لكن العناية الإلهية حالت دون ذلك (١٨).

إذاً نفهم من الآية أن الجاهلين يطلبون من الله أشياء لا يعلمون حقيقتها.

اصطلاح جهولا:

وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن وذلك في سورة الأحزاب قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

فنفقراً في تفسير هذه الآية: وحملها الإنسان؛ أي إن الإنسان بحجمه الصغير كان له استعداد وصلاحية تقبل ذلك فقبلها. ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

أي لأنه كان ظالماً لنفسه وجاهلاً بالعواقب الوخيمة لهذه الامانة، فهو لا يعلم أن لو خان هذه الامانة لها لكانت لها عاقبة وخيمة فيها هلاكه الابدي... والكلمتان ظلوم وجهول، وصفان

يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونًَا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ۖ

وفي تفسير ذيل هذه الآية يقول العلامة الطباطبائي: الصفة الثانية التي ذكرت للمؤمنين وهي؛ إذا رأوا فعلاً قبيحاً من الجاهلين أو كلاماً ناشئاً عن جهل، اجابوهم بما هو سالم من القول وخالٍ عن اللغو والإثم... إذاً حاصل معنى هذه الآية يرجع إلى عدم مقابلتهم الجاهل بالجهل (١٧).

فقد عرفت هذه الآية الذين يتعاملون مع الآخرين بسلوك وكلام قبيح بأنهم جاهلون.

اصطلاح الجاهلين:

ورد هذا الاصطلاح في أربع سور مكية وسورتين مدنيتين (البقرة: ٦٧، الانعام: ٣٥، الاعراف: ١٩٩، هود: ٤٦).

ففي سورة هود: ﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِينَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّيْ أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾.



للظلم والجهل، يقال لشخص ظلوم و جهول أي إن الظلم والجهل يجتمعان فيه (١٩).

إذا علة حمل الامانة من قبل الإنسان هي الظلم والجهل.

اصطلاح بجهالة

ذكرت هذه الكلمة في اربع سور من القرآن:

الأولى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بَٰجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٧].

قال العلامة؛ المراد بالجهل هنا، نفس المعنى اللغوي لكلمة والجهل لغة مقابل العلم... إذاً الذي يرتكب الذنب، في العرف وفي اصطلاح الناس يسمى جاهلاً (٢٠).

الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ

(١٩) الميزان ١٦: ٥٢٧.

(٢٠) الميزان ٤: ٣٧٨.

مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الانعام: ٥٤].

حول هذه المفردة قال العلامة: الجهالة قبال العناد، والتعمد (٢١).

الثالثة: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النحل: ١١٩].

فقد ورد في التفسير: أن كلمة الجهالة والجهل في معنى واحد، وهي في الأصل في قبال العلم، لكن الجهالة في كثير من الموارد استعملت بمعنى عدم انكشاف تام للواقع، وان كان الشخص بشكل عام خالياً من العلم (٢٢).

الرابعة: قوله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَذِيرٌ ﴾

[سورة الحجرات: ٦] في ذيل هذه الآية يقول العلامة الطباطبائي، امرت الآية بالفحص والتحقيق في خبر الفاسق،

(٢١) الميزان ٧: ١٤٩.

(٢٢) الميزان ١٢: ٥٢٨.



الله أن ينصره من غير قيد وشرط فكان ذلك خطئهم وهذا هو ظن الجاهلية (٢٤).

الثانية: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

التفسير: إن الدين الذي عرضوا عنه هو دين نازل من عند الله وهو دين الحق والذي علموا انه حق إذا لم يعرضون عن هذا الدين لأجل سنن الجاهلية؟.

ويمكن أن يكون معنى الآية هكذا: إذا كانت هذه الأحكام والشرائع حقة نازلة من عند الله ولم يكن وراءها حكم حق إلا حكم الجاهلية الناشئة عن إتباع الهوى فهؤلاء الذين يتولون عن الحكم الحق ماذا يريدون بتوليهم وليس هناك إلا حكم الجاهلية (٢٥).

إذا العلامة الطباطبائي يعتبر حكم الجاهلية، الحكم الذي لا يستند إلى الله سبحانه وذلك بدليل المقارنة بين

(٢٤) الميزان ٤: ٧٢.

(٢٥) الميزان ٥: ٥٨٣.

والتعليل (أن تصيوا قوماً بجهالة) يفيد أن المأمور به هو رفع الجهالة، وإن الإنسان إذا أراد العمل بخبر الفاسق وترتيب الاثر عليه، يجب أن يكون لديه علم بمضمون خبره (٢٣).

إذاً عدم التحقق من خبر الفاسق وعدم الاطلاع على الحقيقة، سمي في هذه الآية جهالة، وعُرف بعنوانه عامل لسقوط الأفراد في الخطر.

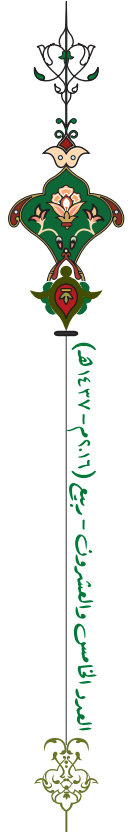
مصطلح الجاهلية:

ذكر هذا الاصطلاح أربع مرات في سور مدنية في القرآن.

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَهْلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

التفسير: ظنوا بالله أمراً ليس بحق بل هو من ظنون الجاهلية فهم يصفونه بوصف ليس بحق بل من الاوصاف التي كان يصفه بها أهل الجاهلية... ومن المعلوم أنهم كانوا يظنون أن الدين الحق لا يغلب ولا يغلب المتدين به لأن على

(٢٣) الميزان ١٨: ٤٦٥.



الحكمين التي في الآية المباركة (٢٦).

الثالثة: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

يقول العلامة الطباطبائي: التبرج الظهور للناس كظهور البروج لناظرها والجاهلية الأولى الجاهلية قبل البعثة فالمراد الجاهلية القديمة (٢٧).

وبناء على ذلك فإن من علامات الجاهلية، أن تظهر النساء زينتهن علناً أمام الناس، كما كان حال المجتمع قبل بعثة النبي ﷺ.

الرابعة: ﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [سورة الفتح: ٢٦].

اجمالي البحث المتقدم:

اعتبرت آيات القرآن الكريم جهل الإنسان بنفسه، وبالله، وبالانبياء

وبالعلل الاساسية لحوادث العالم وبالمعاد وعالم ما وراء الطبيعة، منشأ عبادة الأصنام، الانحراف الجنسي، اصرار الكفار على نزول العذاب وتركهم دعوة الأنبياء، الحسد، عدم معرفة معيار فضيلة الأفراد، الاستهزاء بالغير، عدم الاستقرار والاضطراب، طلب في جهل من الله، اضلال الآخرين، الميل إلى الزنا والشهوات وهوى النفس والسقوط في الهلكة، اللغو، وحمل الامانة الإلهية.

وأن للجاهلية علامات قد بينها الآيات القرآنية وهي:

أ. الاعتقاد بالله بما يخالف الواقع، وبالعالم وبالانسان.

ب. الحكم في الجاهلية هو الحكم غير العادل والذي يستند إلى الله.

ج. في الجاهلية تظهر النساء زينتهن علناً أمام الناس.

د. شيوع الحمية والتعصب الخاطئ بين الناس في المجتمع الجاهلي.

رأي ايجناس جولد زيهر (٢٨):

(٢٨) مستشرق مجري وباحث في الإسلام، ولد من عائلة يهودية في ٢٢ حزيران عام

(٢٦) الميزان ٥: ٦٠٠.

(٢٧) الميزان ١٦: ٤٦٢.

يواجه البربرية^(٣٠).

ومن ثم يبحث جولد زيهر مفهوم
الجهل في اللغة فيقول:

إن محمداً ﷺ استعمل مفردة
الجاهلية بنفس المعنى الذي ورد في
الادب المنظوم (الشعر) من قبله، والذي
استعملت في كلمات جهل وجاهل، من
مادة جهل.

صحيح أن مفهوم العلم في اللغة
العربية القديمة يستعمل مقابل الجهل،
لكن هذا التقابل والتضاد مبني على
المعنى الثانوي للجهل إذ إن المعنى
الأساسي للجهل هو ما يقابل مادة
الحلم في كلمة حلم وحليم - وهذا ما
كان شائع الاستعمال في اللغة العربية
القديمة - بناء على علم جذر هذه
الكلمات، فهي تعطي معنى: الحزم،
القدرة، الاتحاد وسلامة البدن، الوحدة
الاخلاقية، ؟؟؟؟. وقار.

ثم عرّف الحليم، ووضع مقابله
الجاهل فقال: الحليم الإنسان المتحضر

(٣٠) - Goldziher ignaz muslim stu

ies what is meant by aljahiliy

تطرق جولد زيهر في كتابه
(دراسات إسلامية) إلى موضوع
الجاهلية فاستعرض أولاً آراء عامة
المسلمين حول الجاهلية، ثم نقد
هذه الآراء وطرح رأيه قائلاً: يعتقد
المسلمون أن الجاهلية في تضاد مع
الإسلام، أو بمعنى الجهل وعدم
الاطلاع.

وهذا المعنى للجاهلية غير
صحيح؛ لأن محمداً ﷺ حينما أراد
تغيير اوضاع الزمن الذي سبق وذلك
من خلال إعلامه، لم يحاول أن يصف
زمن الجاهلية بأنه زمان عدم الاطلاع
والجهل، لأنه في هذه الحالة يتوجب
عليه مواجهة الجهل بالعلم، لكنه كان
يروج الايمان بالله وحب الله سبحانه.

ونحن في هذا الكتاب استعملنا
كلمة الجاهلية عنواناً لزمن البربرية^(٢٩).

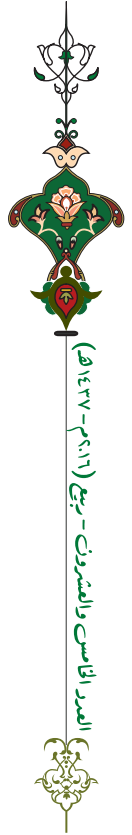
لأن محمداً ﷺ أراد بترويج الإسلام أن

١٨٥٠م في المجر، (راجع: محمد رضا

ظفري، ايناس جولد زيهر، غرب در آينه

فرهنگ، ش ١٢: ٧٣).

Barbarizm (٢٩)



التي اصلحها الإسلام عبارة عن:
التكبر (حمة الجاهلية)، التنافر
القبلي، العداء الدائم، روح الانتقام
وعدم العفو (٣٢).

ويقول أيضاً:

إن السنة الإسلامية تبين بوضوح
أنه في اوائل التاريخ الإسلامي كان
الجهل يفهم بنفس المعنى المستعمل في
الاشعار العربية القديمة.

ففي قول جعفر بن ابي طالب لملك
الحبشة: (أنا كنا قوماً أهل جاهلية نعبد
الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش،
ونقطع الارحام، ونسيء الجوار ويأكل
القوي منا الضعيف، حتى بعث
الله رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه
وأمانته وعفافه، فدعانا إلى عبادة الله
وحده...) (٣٣).

إن دعوة عباد الأصنام بتغيير
عقيدتهم إلى الإسلام، كانت منحصرة
في السلوك الاخلاقي وليس العبادي،
فعلى سبيل المثال، فإن الأشخاص

(المثقف والمؤدب) ويقابله ويتضاد معه
الجاهل، الجاهل هو الإنسان الخشن
المتوحش، وقليل الصبر الذي يتبع
شهوته الغضبية التي لا يسيطر عليها،
وهو ظالم بسبب إتباعه لغرائزه الحيوانية،
وفي كلمة واحدة، الإنسان البربري هو
(غير مثقف وغير متمدن) (٣١).

وفي توضيح معنى الجاهل استشهد
ببيت شعر عربي:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا
فمن بعد ايضاحه يعرف الجاهلية
بهذا التعريف:

الجاهلية هو الزمن الذي كان يسوده
الجهل، يعني البربرية والظلم. فحينما
يقول مبلغو الإسلام، إن الإسلام انهى
سنن وعادات الجاهلية؛ يقصدون بذلك
العادات البربرية وروح الخشونة التي
تميز العرب عبدة الأصنام عن الإسلام
وان محمداً ﷺ يريد اصلاح اخلاق قومه
بازالة هذه السنن.

إن اخلاق مجتمع عبدة الأصنام

Goldziher, Ibid (٣١)

Goldziher, Ibid (٣٢)

(٣٣) فروغ ابدیت ١: ٢٥٥.

الاثنى عشر الذين بايعوا النبي في العقبة بايعوا بهذه الشروط: ألا يشركوا بالله أحداً، ألا يسرقوا، ولا يزنون، ولا يؤذوا، ولا يتكبروا، ففي أوائل الإسلام كانت هذه المفاهيم عنواناً للجاهلية قبل الإسلام. فضلاً عما دعا إليه الإسلام من الالتزام بالفضائل الاخلاقية، فقد أكد أيضاً على القوانين العبادية، لكن المحور الأساس في حياة البشرية والذي يتضاد مع الجاهلية؛ اجتناب عبادة موجودات لا حياة فيها بالأخص استهداف افعال لا اخلاقية وظلمة، التي اعتبرها النبي وحلفاؤه أهم خصوصيات الجاهلية. وهذه الجاهلية هي في تضاد مع كل شيء اسمه دين (٣٤).

ويضيف أيضاً:

بما أن الاخلاق الإسلامية تريد للإنسان أن يكون مؤمناً زاهداً، ومتصفاً بالحلم، لنا أن نستخلص بأن المؤمن-هو الذي له حلم وتحمل-ويقابله الجاهل-

الشخص الحشن (٣٥).

رأي ايزوتسو (٣٦):

يتابع توشي هيكو ايزوتسو في كتابه المفاهيم الاخلاقية -الدينية في القرآن المجيد آراء جولد زيهر حول مفهوم الجهل والجاهلية فيقول: بناء على ما استنتجه جولد زيهر من أن الجهل في معناه الاصلي هو ليس متضاد وقبال العلم، بل ما يقابل الحلم والذي يدل على (المعقولة الاخلاقية للإنسان المثقف) (نيكلسون)، وله خصوصيات مثل: التحمل، الصبر، الاعتدال، والتخلص من هوى النفس فإذا أضفنا لهذه العناصر عنصر (القدرة) أي الشعور بعدم النقص بافضليته وقدرته يكتمل تصويرنا.

في الاستعمالات التي شاعت في

Ibid، p. 208 (٣٥)

(٣٦) بروسفور توشي هيكو ايزوتسو، استاذ الفلسفة في جامعة مك كيل في كندا، واستاذ جامعة كيو في اليابان ولد عام ١٩١٤م في طوكيو، توفي عام ١٩٩٣م. راجع: مفاهيم اخلاقية -دينية في القرآن المجيد.



الفترات اللاحقة وأحياناً في الشعر ما قبل الإسلام نرى أن مفردة الجهل استعملت بالمعنى المضاد للعلم، لكن بالمعنى الاشتقاقي والثانوي فقط واما المعنى الاصلي، فهو نفسه الذي يدل على الحالة من حب الانتقام وعدم العفو والحد التي كانت عند مشركي عرب الجزيرة^(٣٧).

وينقل قصة المشرك شاس بن قيس وهو رجل طاعن في السن، الذي يكنُّ الحقد للإسلام وقد اختار شاباً يهودياً، فأمره ليقراً شعراً من شعراء قبيلتي الأوس والخزرج في المدينة، وليذكرهم بعدائهم القديم في زمن الجاهلية، وليحدث تفرقة وقتالاً بين قبائل الانصار، وقد نجح في عمله هذا^(٣٨).

ثم يضيف: لما وصل خبر هذه الحادثة إلى النبي ﷺ هب مسرعاً نحو مكان الاقتتال فقال لهم: ((يا معشر الانصار الله الله، أبدوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله للإسلام،

(٣٧) المصدر السابق: ٥٥-٥٦.

(٣٨) المصدر السابق: ٥٦.

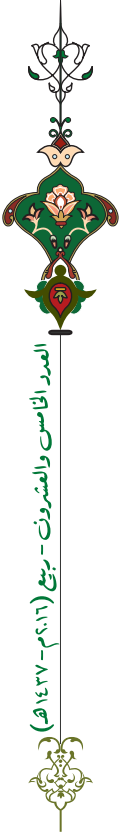
وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضاً^(٣٩).

ويستخلص ايزوتسو من هذه القصة نقطتين حول الجاهلية:

الأولى: إن الجاهلية في رأي النبي محمد ﷺ واصحابه لم تكن فترة تاريخية مرت وانقضت بل هي وضع قائم وحالة نفسانية وروحية خاصة وبمجيء الإسلام وقدرته اختفت من الساحة الاجتماعية ظاهرياً، لكنها موجودة مختبئة في الأذهان حتى في اذهان المؤمنين، ويمكن أن تعود إلى نشاطها في المجتمع في أي فرصة تتوفر، لذا فقد احس بها محمد ﷺ كخطرٍ دائم يهدد الدين الجديد.

الثانية: لا علاقة للجاهلية بالجهل بل معناها الحقيقي، الاحساس القوي بالافتخار القبلي وروح العناد والمكابرة، وكل تلك الأعمال والسلوك الفض

(٣٩) المصدر السابق: ٥٧.



ناشئ من خشونة الخلق و العناد.

ومن هنا يجب البحث حول واقع نهضة الإسلام بعنوانها الرامي الى عمل اصلاح اخلاقي، وبكلمة واحدة حول الإسلام في جانبه الاخلاقي، يمكن اعتباره حركة شاملة جسورة في حرب ضد روح الجاهلية، ويهدف إزالة تلك الحضارة بشكل كامل، واحلال روح الحلم كبديل دائم لروح الجاهلية^(٤٠).

واشار ايزوتسو إلى قصة أخرى في السنة الثامنة للهجرة كمؤيد لرأيه، وبحث حول مفردة (الحلم) في كتب اللغة، و اشار إلى آيات من القرآن الكريم التي استعملت فيها مفردة (الجهل والجاهلية).

وعلى سبيل المثال بخصوص آخر الآية ٥٥ من سورة النمل: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ يقول: نرى في هذه الآية أن قوم لوط، أهل سدوم بسبب عملهم الذي له خصوصية جاهلية، وصفوا بها، وهو إشباع غريزتهم وشهوتهم عن

طريق الرجال دون النساء وهو عمل قبيح وفحش.

وما يفهم من مفردة (الجاهل) للوهلة الأولى؛ أن الجاهل ذلك الإنسان الذي يسلم نفسه بسهولة لاهوائها، ويسلك جانب الافراط والتفريط، لكن ذلك ليس عن عدم علم؛ لأنهم يرون ويعلمون: ((وأنتم تبصرون)) فمن المعلوم إذا ارتكبوا عمل وسلوك كهذا، يكونون قد ارتكبوا إثماً فاحشاً^(٤١).

تقييم الآراء الثلاثة:

يرى العلامة الطباطبائي أن خصائص الإنسان الجاهل التي هي علامات الجهل والجهالة هي:

١. الجهل بمسألة المعاد وان الحساب والجزاء بيد الله وحده.
٢. الجهل بمقام وعظمة الله ومن آثار هذا الجهل هو الكذب.
٣. استخدام الكلام القبيح عند التعامل مع الآخرين.
٤. طلب الشيء من الله دون العلم بحقيقة الأمر.



٥. الإفراط في العناد في العمل القبيح وعدم التوبة.
٦. عدم التحقق من خبر الفاسق وعدم الاطلاع على حقيقة الموضوع.
٧. عدم إتباع حكم الله، وإتباع احكام ناشئة عن اهواء الجاهلية.
٨. إظهار نسائهم وزيتتهن أمام الملاء.
٩. التعصب في غير محله.
١٠. الاضطراب وعدم الاستقرار وعدم وجود روح (الحلم) والتحمل لمشاكل الحياة.
- أما الخصائص التي يذكرها جولد زهير فهي:
١. الوحشية والغلظة في الاخلاق.
٢. عدم الحلم والتحمل.
٣. عدم امتلاك تربية وثقافة وحضارة.
٤. إتباع الغرائز الحيوانية.
٥. التكبر الجاهلي.
٦. الغرور القبلي.
٧. روح الانتقام وعدم العفو أو التسامح.
- الخصائص التي يذكرها ايزوتسو:
١. الخلق الفض والوقاحة والحق.
٢. إلقاء التفرقة بين الآخرين بسبب عدم تحمل آرائهم وعقائدهم.
٣. لهم حالات نفسانية غير سوية لكنها خفية.
٤. الشعور الشديد بالفخر القبلي.
٥. روح العناد والاستكبار.

النتائج

- يعتقد أكثر العلماء بأن مفردة (الجاهلية) لم تؤخذ من (الجهل) الذي هو ضد العلم، بل الجهل هو ما يضاد الحلم.
- المستشرقون امثال جولد زهير وايزوتسو فسروا الجاهلية: بأنها الفترة الزمنية التي تسودها القسوة والظلم والوحشية وان محمداً ﷺ ومن خلال تعاليم الإسلام كافح القسوة والغلظة والوحشية.
- يبدو أن جاهلية عرب شبه الجزيرة قبل بعثة النبي الأكرم ﷺ كانت مصداقاً بارزاً للجاهلية في جميع ابعاد الحياة الاجتماعية إبان تلك الفترة.
- من اجل إزالة الاثار السيئة



واعتبر كلام من يقول بأن المراد من (الجاهلية الأولى) هي فترة ثمانمائة عام بين آدم عليه السلام ونوح عليه السلام أو الفترة ما بين ادريس عليه السلام ونوح عليه السلام أو زمان داود عليه السلام وسليمان عليه السلام أو زمان ابراهيم عليه السلام أو الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمد عليه السلام، بأنه كلام بلا دليل.

وهذا الكلام يشير إلى أن هناك جاهلية أخرى كجاهلية شبه الجزيرة العربية، والتي نرى آثارها اليوم في عصرنا الحاضر وهذا ما تنبأ به القرآن في عالم الحضارة المادية.

ويظهر من ذلك أن الجاهلية الأولى قبل الإسلام هي التي ذكرت في سورة آل عمران والآية ٥ من سورة المائدة والآية ٢٦ من سورة الفتح، والجاهلية الثانية هي الجاهلية التي ستأتي بعدها (كما هو الحال في عصرنا) (٤٢).

إضافة إلى الآيات المتقدمة، هناك آيات حذرت مسلمي زمن النبي ﷺ من العودة إلى ماضيهم، وهذا يدل على إمكان العودة إلى الجاهلية في أي زمن (٤٢) تفسير الأمثل (نمونه) ١٧: ٢٩١.

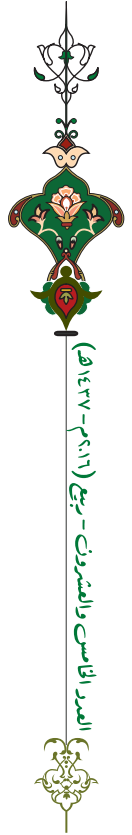
للجاهلية من الحياة الاجتماعية، فإن الإسلام بوصفه ديناً لجميع جوانب الحياة وبنفس المستوى الذي طرح برنامجه العبادي، كذلك عالج الاخلاق من خلال برنامجه الاخلاقي للمجتمع. وبناء على ذلك، لا يمكن حصر معنى مفردة (الجاهلية) بوجود صفات اخلاقية رذيلة ورواج بعض العبادات والاعتقادات الخرافية بين الناس.

حديث الختام

ليس في القرآن الكريم آية تدل على حدود معينة زمانية ومكانية للجاهلية، لكن الآية ٣٣ من سورة الأحزاب اشارت إلى هذه الحقيقة وهي: أن الجاهلية فترة زمنية غير محدودة، ويمكن أن تظهر في ازمة مختلفة.

إن الله سبحانه خاطب في هذه الآية نساء النبي ﷺ فقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾.

فقال العلامة الطباطبائي: (إن الجاهلية الأولى هي الجاهلية قبل البعثة، إذا المراد منها الجاهلية القديمة.



كان، وهذه الآيات هي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤]، و ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٥].

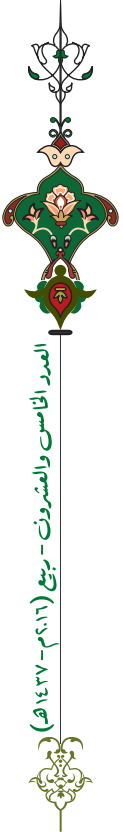
فتبين من ذلك بأن الإنسان كلما اقترب من تعاليم الأنبياء، وطبقها في مختلف زوايا افكاره وسلوكه واعماله، وفي أبعاد حياته واخلاقه، تنمو لديه قوى العقل، وعلى العكس من ذلك كلما ابتعد عن تعاليم السماء، تجذرت فيه قوى الجهل. إن نمو العقل ونضجه يقرب الفرد من الإسلام والتسليم لله وتجذّر قوى الجهل فيه تسوقه نحو الجاهلية.

فهاتان الظاهرتان يمكن أن تتكررا في أي مكان وزمان، وتترك آثارهما في حياة الفرد والمجتمع، وهذه الآثار تختلف باختلاف عنصر الزمان والمكان، فإذا كانت الجاهلية قبل زمن النبي ﷺ، فلها معالمها الخاصة، فإن

جاهلية الأزمنة التي بعدها بما فيها عصرنا الراهن تضمنت أشكالا متنوعة من معالم الجاهلية، فمن صور هذه الجاهلية المعاصرة، كان اعتبار الانحراف الجنسي قانونياً في دول مثل بريطانيا وفرنسا، وارسال النساء الباغيات إلى سوريا للزنا مع الارهابيين بعنوان (جهاد النكاح) والقتل العام لمسلمي ميانمار (بتهمة الاعتقاد بالإسلام) والتفرقة العنصرية في امريكا واهمال حقوق السود. والحصار الاقتصادي على إيران (بحجة الطاقة النووية) فهذه نماذج من الجاهلية المعاصرة، لذا فمن اجل الحيلولة دون الوقوع في دائرة الجاهلية في كل زمان علينا مطابقة سلوكنا وافكارنا، ومعتقداتنا واخلاقنا وفق تعاليم القرآن وسنة المعصومين عليه السلام.

فهرس المصادر

١. القرآن الكريم، ترجمة محمد مهدي فولادوند، ط ٢، قم: دفتر مطالعات تاريخ ومعارف إسلامي، ١٣٧٧.
٢. ابن منظور، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ١٩٩٧ م.



٣. ايزوتسو، توشيهيكو، مفاهيم اخلاقي - ديني در قرآن مجيد (ویراسته جدید باضافات واصلاحات)، ترجمه فریدون بدره آي، طهران: نشر و تحقيق روزفرزان، ١٣٧٨.
٤. الخوري الشرتوني اللبناني، اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، قم مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٠٣ هـ. ق.
٥. دهخدا، علي اكبر، لغت نامه دهخدا، روايت دوم، طهران: مؤسسه لغت نامه دهخدا، انتشارات دانشكاه طهران.
٦. الزمخشري، جار الله، ابي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، بيروت: دار صادر، ١٣٨٥ هـ. ق، ١٩٦٥ م.
٧. سبحاني، جعفر، فروغ ابدیت، قم: حكمت، ١٣٥١.
٨. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن ط ٢، بيروت: مؤسسه مطبوعات اسماعيليان
- مطبعة سعارلو، ١٣٩٣ هـ. ق/ ١٩٧٣ م.
٩. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين ومطلع النيرين، قم: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، ١٤١٤ هـ. ق.
١٠. الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين، قم: انتشارات اسوه، ١٤١٤ هـ. ق.
١١. الفيروز آبادي، مجد الدين، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، اشراف محمد نعيم العرقوسي، ط ٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٦ ق/ ١٩٩٦ م.
١٢. قرشي، سيد علي اكبر، قاموس قرآن، تهران: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٨.
١٣. مصطفىوي، سيد حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، طهران: وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي، مؤسسة الطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ. ق.



الاستعمال القرآني لمادة (فسق)

- دراسة في التركيب والسياق والدلالة -

أ. د. أحمد جواد العتابي
كلية التربية - الجامعة المستنصرية

فحوى البحث

يعرض البحث لمادة (فَسَقَ) في الاستعمال القرآني من حيث المواضع التي وردت فيها مكيها ومدنيها، فضلاً عن السياقات التي جاءت فيها. ودراستها من حيث التركيب والدلالة والمصاحبات التي اقترنت بها، وقد فرّق الاستعمال القرآني بين المصدرين (فَسَقَ) و (فُسُوقَ) من حيث السياق والتركيب والدلالة. وحرص البحث على كشف بعض دقائق الإعجاز القرآني من خلال استعمال مادة (فسق) بمختلف اشتقاقاتها واثبت ان لكل دلالة وسياقه وان القرآن قد فرق بينها.

المقدمة

يعرض البحث لمادة (فَسَقَ) في الاستعمال القرآني من حيث المواضع التي وردت فيها مكّيها ومدنيها، فضلاً عن السياقات التي جاءت فيها.

ودراستها من حيث التركيب والدلالة والمصاحبات التي اقترنت بها، وقد فرّق الاستعمال القرآني بين المصدرين (فَسَقَ) و (فُسُوقَ) من حيث السياق والتركيب والدلالة. وقد عرضنا لذلك بالدراسة والتحليل.

مادة (فَسَقَ) في الاستعمال القرآني

وردت مادة (فَسَقَ) في الاستعمال القرآني على صيغ متنوعة وعلى النحو الآتي:

- ورد فعلاً ماضياً مسنداً إلى إبليس مرة واحدة. [سورة الكهف: ٥٠]
- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾

- ورد فعلاً ماضياً مسنداً إلى واو الجماعة في ثلاثة مواضع هي:

١. [سورة يونس: ٣٣] ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ لِمَنِتُّ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ

٢. [سورة الإسراء: ١٦] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن

نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا

٣. [سورة السجدة: ٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ

فَسَقُوا فَمَاؤُنْهُمْ النَّارُ

- ورد فعلاً مضارعاً مسنداً إلى واو الجماعة في ستة مواضع، هي:

١. [سورة الأحقاف: ٢٠] ﴿وَمَا كُنْمْ

نَفْسُقُونَ

٢. [سورة البقرة: ٥٩] ﴿بِمَا كَانُوا

يَفْسُقُونَ

في [سورة الأنعام: ٤٩]، وفي [سورة

الأعراف: ١٦٣، ١٦٥] وفي [سورة

العنكبوت: ٣٤].

- ورد مصدرًا على وزن (فَعَلَ) (فَسَقَ) في ثلاثة مواضع، هي:

١. [سورة المائدة: ٣] ﴿ذَلِكُمْ فِسْقٌ

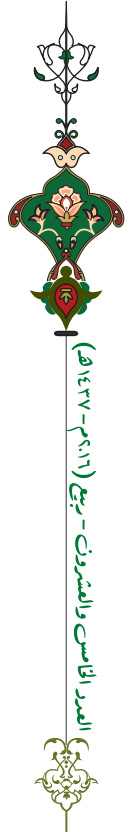
٢. [سورة الأنعام: ١٢١] ﴿وَأِنَّهُ

لَفِسْقٌ

٣. [سورة الأنعام: ١٤٥] ﴿أَوْفِسَقًا أَهْلًا

لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ

- ورد على صيغة اسم فاعل (فاسق) مفردًا في موضعين:



١. [سورة الحجرات: ٦] ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنِيٍّ﴾
 فاسقٌ بِنِيٍّ

٢. [سورة السجدة: ١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾

• ورد على صيغة اسم فاعل جمعاً
 مذكراً سالماً (فاسقون) في خمسة
 وثلاثين موضعاً.

• ورد على صيغة المصدر (فُعول)
 (فُسوق) في أربعة مواضع، هي:

١. [سورة البقرة: ١٩٧] ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾

٢. [سورة البقرة: ٢٨٢] ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾

٣. [سورة الحجرات: ٧] ﴿وَكُرْهُ الْيَتَمَ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾

٤. [سورة الحجرات: ١١] ﴿يَنْتَسِ الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾

تحليل استعمال مادة (فَسَقَ)

التركيب:

١. الفعل الماضي ورد ثلاث مرات وعلى النحو الآتي:

أ. مسنداً إلى ضمير يعود إلى إبليس

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ

أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾، وهذا

هو الموضع الوحيد الذي ينسب فيه الفعل (فسق) إلى إبليس، والفعل (فَسَقَ) معناه في المعجم ((وأصله من قولهم: انفسقت الرطبة إذا خَرَجَتْ من قشرها... وكذلك: فَسَقَ كل شيء إذا خرج عن قشره...، وَفَسَقَتِ الركابُ عن قصد السبيل: جارت))^(١).

يتضح مما تقدم أن أصل الفسق أو الفسوق هو خروج كل ذي قشر عن قشره، أي: إن الفسق أو الفسوق يعد مرحلة من مراحل نمو النبات ذي القشر، إذ لابد للثمرة أن تخرج من قشرها لتكتمل مرحلة نموها، وبهذه الدلالة يكون قوله تعالى في وصف إبليس: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ أي: إن إبليس في بنائه التكويني يصل إلى مرحلة من مراحل نموه لابد أن يفسق فيها عن أمر ربه،

(١) ينظر: جهرة اللغة: ٨٧٤، وديوان الأدب: ٢ / ١٢٥، ومعجم مقاييس اللغة: ٤ / ٥٠٢، وكتاب الأفعال: ٤ / ٤٣.

تضم مجموعات أخرى. وتدخل في علاقة تقابل مع (الذين آمنوا).

يقول الزمخشري: (على الذين فسقوا) أي: تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه^(٢)، ويُفهم من كلام الزمخشري أنّ دلالة الفعل فسقوا تدل على الكفر وزيادة.

أما دلالة الفعل (فسقوا) في سورة الإسراء فإنه مرتبط بدلالة الفعل (أمرنا) والقراءات التي جاءت فيه، إذ قرئ (أمرنا وأمرنا بالمد وأمرنا بالتضعيف) فقراءة (أمرنا) بفتح الهمزة مع التخفيف بمعنى أمرنا جبايرتها ورؤساءها بالطاعة. وقراءة أمرنا بفتح الالف ممدودًا بمعنى كثرنا رؤساءها وأغنياءها^(٣).

والفعل (فَسَقَ) يأتي مصاحبًا لحرف الجر (عن) في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [سورة الكهف: ٥٠]، ويأتي مصاحبًا لحرف الجر (في) في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا

وبذلك تتبين الدقة التعبيرية للاستعمال القرآني في اختيار لفظة (فسق) بدلًا من (خرج).

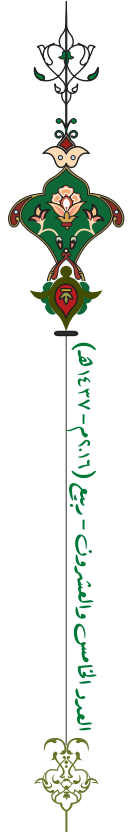
ب. أما إسناده إلى واو الجماعة فقد جاء على النحو الآتي:

١. في [سورة يونس: ٣٣] ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ لِمَنِكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٢. في [سورة الإسراء: ١٦] ﴿وَإِذْ أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾.

٣. [سورة السجدة: ٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ﴾.

يُلاحظ في هذه المواضع أن الفعل (فسقوا) جاء مقيدًا بحرف الجر (في) في موضع واحد، أما الموضعان الآخران فلم يأت مقيدًا بحرف الجر (في) وتقييده بالحرف جاء بسبب السياق؛ لأن مدار الحديث عن إهلاك القرية والربط بالإحالة جاء بالضمير (الهاء) في (فيها)، أما (الذين فسقوا) فلم يرد هذا التركيب إلا في هذين الموضعين، إذ يدل هذا التركيب على أن هذه المجموعة



(٢) الكشف: ٤٦٢.

(٣) معاني القرآن للفراء: ١ / ٣٧٣. ومعاني الزجاج: ٣ / ٢٣١.

فَفَسَقُوا فِيهَا ﴿ [سورة الاسراء: ١٦]، ويأتي

بغير مصاحبة وغير مقيد بحرف الجر في سائر المواضع الأخرى سواء كان ماضياً أو مضارعاً.

وحرف الجر هو الذي يعين اتجاه المعنى، فحرف الجر (عن) معناه المجاوزة، وحرف الجر (في) معناه الظرفية، أما عدم التقييد معناه الحدّث، أي: الفسق أو الفسوق؛ ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ أي: الذين كان منهم عمل فسقٍ وفسوق، وكذلك في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ الذي تكرر في ستة مواضع، أي: بما كان منهم من عمل الفسق والفسوق.

ج. جاء المصدر على وزن (فعل) و(فُعول) (فُسق) و(فُسوق).

١. على وزن (فعل) ورد في ثلاثة مواضع وعلى النحو الآتي:

أ. في [سورة المائدة: ٣] في قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْنَيْتُهُ وَأَلْدُمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّبْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى

النُّصْبِ وَأَنْ تَسْنَقِسُوا بِأَلْزَلِمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴿.

ب. وفي [سورة الأنعام: ١٢١] في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾.

ج. وفي السورة نفسها / ١٤٥ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنَازِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ﴾.

يلاحظ في هذه المواضع الثلاثة التي ورد فيها المصدر (فسق) أنها جاءت في سياق واحد هو سياق ما حرّم الله من الطعام وما حلل، وفي النهي عن الأكل أو جوازه وغير ذلك مما يتصل بأحكام الطعام والأكل.

٢. أما المصدر على صيغة (فُعول) (فُسوق) فقد خصه الاستعمال القرآني بسياقات تختلف عن سياقات المصدر (فسق) وعلى النحو الآتي:

أ. في [سورة البقرة: ١٩٧] ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.



[سورة البقرة: ١٩٧]، عن الرفث والفسوق في أداء فريضة الحج، يقول الزمخشري: (ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل: هو السباب والتنازع بالألقاب)^(٤)، أما الآية / ٢٨٢ من السورة نفسها فهي تتناول أحكام الدين إلى أجل مسمى وضرورة المكاتبه وطبيعة الشهادة والإملاء وأصول البيع والشراء في التجارة.

يقول الزمخشري: (ولا يضار: نهي الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب منها... (وإن فعلوا) وإن تضاروا (فإنه)؛ فإن الضرر (فسوق بكم) وقيل: وإن فعلوا شيئاً مما نهيتهم عنه)^(٥).

أما في [سورة الحجرات: ٧] ﴿وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ فهذه الآية متصلة بالآية التي قبلها بناءً ودلالة في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ إذ:

(٤) الكشف: ١٢٠، ومعاني القرآن للفراء: ١ / ١٢٠.

(٥) الكشف: ١٥٦.

ب. وفي السورة نفسها / ٢٨٢ ﴿أَن تَكُونَ تَجَرَةً حَازِرَةً تُدْيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكُنْجُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

ج. وفي [سورة الحجرات: ٧] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾.

د. وفي السورة نفسها / ١١ ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغَابِ بِسَاسٍ لِئَنتُمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

إذ يلاحظ في هذه المواضع أن القرآن الكريم قد خصّها بالمصدر (فُسوق) ليتلاءم مع السياقات التي جاءت مختلفة عن السياقات التي خصّها بالمصدر (فُسوق)؛ فدلالة (فُسوق) أعم وأشمل من دلالة (فُسوق)؛ فقد جاء النهي في



إن الآيتين نزلتا في قصة صدقات بني المصطلق حين أرسل النبي ﷺ الوليد بن عقبة لجباية الصدقات؛ فرجع إلى النبي ﷺ بخبر غير دقيق قد يؤدي إلى الفتنة والقتال لو أخذ به.

يقول الزجاج: وهذا دليل أنه لا يجوز أن يقبل خبر من فاسق وإن تبين^(٦).

فجاءت لفظة (الفسوق) إشارة إلى الفاسق الذي مرّ ذكره ثم لمقابلة الإيثار في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ أَلَا يَمُنَ﴾ ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾.

يقول الزمخشري: الكفر تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود، و (الفسوق) الخروج عن قصد الإيثار ومحجته بركوب الكبائر. و (العصيان) ترك الانقياد والمضي لما أمر به الشارع^(٧).

أما في الآية ١١ من السورة نفسها؛ فقد جاءت في سياق العلاقات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي بين المسلمين، وطبيعة هذه العلاقات وذلك السلوك،

إذ جاء النهي عن السخرية والنهي عن التداعي بالألقاب القبيحة التي تشيع الكراهية والعداء ثم جاء الذم العام بلفظة (بئس) والمخصوص بالذم (الفسوق).

يقول الزجاج: ويحتمل في كل لقب يكرهه الإنسان؛ لأنه يجب أن يخاطب المؤمن أخاه المؤمن بأحبّ الأسماء^(٨).

ويقول الزمخشري: في بئس الاسم ((الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم: طار اسمه في الناس... (بعد الإيثار) ثلاثة أوجه: أحدها: استقباح الجمع بين الإيثار وبين الفسق... والثاني: إنه كان من شتائمهم لمن أسلم من اليهود: يا يهودي يا فاسق؛ فنهوا عنه... والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة: بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة))^(٩).

إنّ الاستعمال القرآني فرق بين استعمال (الفسق) و (الفسوق)، إذ خصّ كل واحد منهما بسياقات ودلالات معينة. ٣. ورد اسم فاعل (فاسق) في موضعين:

(٨) معاني القرآن: ٥ / ٣٦.

(٩) الكشف: ١٠٣٩.

(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٥ / ٣٤.

(٧) الكشف: ١٠٣٦.

(أكثرهم فاسقون) في عشرة مواضع.
أما مع لفظة القوم (القوم الفاسقون)
فقد تكرر خمس عشرة مرة، كما جاء
مصاحباً اسم الإشارة (أولئك) في خمسة
مواضع (أولئك هم الفاسقون)، ويلاحظ
أن هذه التراكيب تدخل في علاقة تقابل
مع (الذين آمنوا) أو (منهم المؤمنون) أو
(فمنهم مهتدٍ)، وسأعرض لبعض هذه
المصاحبات وعلى النحو الآتي:

١. أما التركيب (أكثرهم فاسقون) فقد
ورد في سورة آل عمران في قوله
تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ
ءَامَنَ أَهْلُ الْأَكْتَابِ لَكَانَ خَيْرًا
لَّهُمْ مِنْهُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتُ
أَلْفَيْ سَقُونٍ﴾ والتركيب (أكثرهم
فاسقون) جاء في سياق مخاطبة (أهل
الكتاب) فقد أخبر القرآن أنهم على
قسمين بعضهم مؤمنون وأكثرهم
فاسقون؛ فمنهم المؤمنون كعبد
الله بن سلام وأصحابه (وأكثرهم
الفاسقون) أي: المتمردون في

• في [سورة الحجرات: ٦] ﴿إِنْ جَاءَكَ
فَاسِقٌ﴾ وقد مر ذكرها.

• في [سورة السجدة: ١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ
مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾.

ويلاحظ في سورة السجدة أن هناك
تقابلاً بين (مؤمنًا) و(فاسقًا)، يقول
الجرجاني: (أفمن كان مؤمنًا) ظاهرها
عامة، ولذلك قال: (لا يستوون) وقيل:
إن الوليد بن عقبة قال لعلي: أنا أفصح
منك لساناً وأحد سناناً وأردّ للكيتية
منك، فقال له علي: اسكت فإنك
فاسق) (١٠).

ويفهم من قول الجرجاني أن الإمام
عليه السلام أراد بقوله: (إنه فاسق) الإشارة
إلى الآية السادسة من سورة الحجرات في
قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ﴾ وقد مرّ
ذكر الحادثة.

٤. ورد على صيغة جمع المذكر السالم
(فاسقون) في خمسة وثلاثين موضعاً،
وقد جاء مصاحباً الكلمات (أكثر،
كثير، قوم) فقد تكرر التركيب

(١٠) درج الدرر في تفسير الآي والسور: ٣/



الكفر^(١١).

كما ورد في [سورة المائدة: ٤٩]

﴿وَأَن أٰحْكَمَ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾.

وفي الآية ٥٩ من السورة نفسها أيضا:

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْتُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنۢ أَمَنَّا بِٱللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَإِنۢ أَكْثَرُكُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

يلاحظ أن سياق الآية ٤٩ كان في موقف أحبار اليهود وتوليهم عن الحكم بما أنزل الله، وجاء التركيب (وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) على الاستئناف، إذ تألف من (إِنَّ) المكسورة الهمزة المشددة + اسمها (كثيرًا) + الخبر المقترن باللام (لفاسقون)؛ فالتأكيد واضح في (إِنَّ) المكسورة المشددة والخبر المقترن باللام، ثم يأتي التنكير (كثيرًا) ليدل على العموم الذي يوضح به (من الناس) حيث دلالة

(من) على التبيين، أما التعريف في (الناس) ففيه معنى الإشارة إلى الذين سبق ذكرهم والإحالة عليهم بالضمير (هم) في (بينهم) (أهواءهم) (احذرهم) (يصيبهم) (ذنوبهم) وكذلك الإحالة بالضمير واو الجماعة في (أن يفتنوك) (فإن تولوا) وهي تشمل الكافرين والظالمين وأهل الكتاب.

إذ أن دلالة (الفاسقون) عند الزمخشري ((المتوردون في الكفر المعتدون فيه))^(١٢). أما الآية ٥٩ فهي في خطاب أهل الكتاب من اليهود وبأسلوب الحصر المصدر بـ (هل) التي بمعنى (ما) النافية مع أداة الحصر (إلا)، وهذا الأسلوب يرد في الأمور التي ينكرها المخاطب ويشك فيها أو ينزل هذه المنزلة^(١٣)، ولذلك قدره الزجاج بـ ((هل تكرهون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأتم تعلمون أننا على حق لأنكم فسقتم))^(١٤).

أما الزمخشري فقدره بـ ((ما تنقمون

(١٢) الكشف: ٢٩٤.

(١٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢١٨.

(١٤) معاني القرآن وأعرابه: ٢ / ١٨٦.

(١١) ينظر: درج الدرر: ٢ / ٥١٦، والكشاف:

١٨٩.

أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَا ضُحَىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾
 أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ
 إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ فهذا كله حدث،
 لذلك جاءت (إن) المخففة لتوكيد هذا
 الحدث.

ف (إن) المخففة تمكننا من إيقاع الجملة
 الفعلية في حيز التوكيد... فإن كنت ترمي
 إلى توكيد الحدث الفعلي جئت بـ (إن)،
 وتأتي لدلالة (الفاستقن) على التمرد في
 الكفر والخروج عن الإيمان وقد وصفوا
 بالكثرة^(١٦).

وفي [سورة التوبة: ٨] في قوله تعالى:
 ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا
 فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ
 قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ والآية في
 خطاب المشركين وما اتصفوا به من عدم
 الثبات في العهد وما جُبلوا عليه من غدر
 ونفاق.

إذ يأتي التركيب (وأكثرهم فاسقون)
 بمثابة التعليل لسلوكهم الذي وصفته
 الآية الكريمة في عدم مراعاة العهد
 والذمة وما وقر في قلوبهم من صدِّ

منا الا الجمع بين إيماننا وبين تمردكم
 وخروجكم عن الإيمان.. كأنه قيل: وما
 تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في
 دين الإسلام وأنتم خارجون منه^(١٥).

وفي [سورة الأعراف: ١٠٢] ﴿وَمَا
 وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا
 أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ في الآية تكرار
 لافِت للنظر؛ فقد تكرر الفعل (وجد)
 المقترن بالضمير (نا) كما تكرر اسم
 التفضيل (أكثر) المضاف إلى الضمير
 (هم) الذي يحيل إلى الأمم السابقة أو إلى
 (تلك القرى) ويأتي التركيب (وإن وجدنا
 أكثرهم لفاستقون) الذي يتألف من (إن)
 المخففة المهملة + الفعل (وجدنا) مع
 فاعله + (أكثرهم) المفعول الأول +
 (لفاستقن) المفعول الثاني المقترن باللام
 الفارقة، وأسلوب التوكيد واضح بأدواته
 (إن) المخففة لتوكيد الحدث الفعلي الذي

وليها، إذ إن الآيات التي قبلها تتحدث
 عن أخبار أهل القرى وعدم إيمانهم
 وغفلتهم عما يحل بهم ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَسْنَا
 يَكْتَبُوا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ



عن سبيل الله والإيمان. فجاء الوصف بالكثرة ثم الفسوق، إذ إنهم ((متمردون خلعاء لا مروءة تزعمهم ولا شمائل مرضية تردعهم))^(١٧).

٢. أما مصاحبة اسم الإشارة (أولئك) فقد ورد في خمسة مواضع، إذ يتألف التركيب من اسم الإشارة + الضمير (هم) + الجمع (فاسقون)؛ فيكون التركيب (أولئك هم الفاسقون) وسأعرض لبعض هذه المواضع وعلى النحو الآتي:

في [سورة آل عمران: ٨٢]، إذ يلاحظ في الآية أنها مبنية على الشرط وعلى الإحالة باسمي الإشارة (ذلك) و (أولئك) وإحالتها قبلية، إذ إن دلالة (ذلك) تشير إلى الميثاق والعهد الذي ورد في الآية التي قبلها في قوله تعالى، وكذلك الإحالة في (أولئك) إلى الذين (قالوا أقررنا) في الآية التي سبقتها. وأسلوب الشرط المتكون من اسم الشرط (من) وفعل الشرط (تولى) وجوابه (فأولئك هم الفاسقون) المقترن بالفاء جاء على (١٧) الكشف: ٤٢٤.

درجة عالية من السبك، إذ ضم أكثر من أداة من أدوات الربط والإحالة. وفي دلالة (أولئك) أكثر من معنى؛ فهي تفيد الحصر وتظهر هذه الدلالة بوضوح عند الرازي^(١٨)، وتفيد معنى دلالة الكمال عند الزمخشري والنيسابوري، أي: الكاملون في الفسق^(١٩).

إن دلالة ضمير الفصل (هم) حاضرة في التركيب، إذ يصاحب اسم الإشارة (أولئك) في كل المواضع التي وردت؛ فيزيد في قوة معنى الحصر أو كمال الصفة. ٣. مصاحبة (الفاسقين) للفظ (القوم) إذ جاء ملازمًا للفظ (القوم) نعتًا لها في كل الأحوال، وجاء على وفق التراكيب الآتية:

مع لفظ الجلالة (الله) + الفعل المنفي ب (لا) لا يهدي + (القوم) مفعولاً به + (الفاسقين) نعتًا. فيكون التركيب (والله

(١٨) ينظر: التفسير الكبير: ٨ / ٢١٠، ١٥ / ٢١٨، ٢٥ / ٥١، وأسماء الإشارة في التعبير القرآني: ٢٣١.

(١٩) ينظر: الكشف: ٧٣٥، وغرائب القرآن: ٦ / ١٠٠، ١٤ / ١٢٥، وأسماء الإشارة في

التعبير القرآني: ٢٣٣.

لا يهدي القوم الفاسقين) إذ ورد خمس مرات.

مع (إن) + اسمها الضمير المتصل + كان + اسمها الضمير المتصل + خبرها (قوما) + (فاسقين) نعتاً لـ (قوما) فيكون التركيب (إنهم كانوا قوماً فاسقين) إذ وردت ست مرات.

ويلاحظ إن كلمة (القوم) تأتي في حالة النصب وحالة الجر، فتتبعها كلمة (الفاسقين) نصباً وجرّاً، أما النصب فيكون في موقع المفعول به للفعل (يهدي) أو في موقع خبر (كان) وأما الجر فقد جاء مجروراً بالإضافة (بيننا وبين القوم الفاسقين) أو مجروراً بحرف الجر (عن) (عن القوم الفاسقين) أو مجروراً بحرف الجر (على) (على القوم الفاسقين) أما السياقات التي وردت فيها؛ فهي:

أ. سياقات موسى ﷺ وقومه في سورة

المائدة في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ

إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا

هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا

أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا

وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ إذ أن لفظة

(الفاسقين) تحيل إلى هؤلاء القوم

الذين لم يستجيبوا إلى دعوة نبيهم في

مقاتلة القوم (الجبارين)، إذ وضعوا

شروطاً لدخول الأرض المقدسة، منها

أن يخرج منها (القوم الجبارون) وأنهم

لن يدخلوها ما داموا فيها، ومنها

أنهم تخلوا عن موسى ﷺ ورضوا

بالقعود، فدلالة (القوم الفاسقين)

تحمل كل هذه المعاني في المعاندة وعدم

الاستجابة لدعوة نبيهم والتخلي عنه

وخذلانه بالقعود.

ويتكرر لفظ (الفاسقين) في الآية/

٢٦ من السورة نفسها، إذ إن القصة

متصلة في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ

عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ

فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ إذ جاء

تكرار (القوم الفاسقين) لتأكيد هذه الصفة

المتأصلة فيهم.

وفي سياق قصة موسى ﷺ في معرض

الآيات التسع والبراهين والحجج الخارقة

وفي تحدي فرعون وملئه ومجادلتهم، إذ

إن التركيب في سورتي النمل والقصص



يكاد يكون متفقاً، ففي سورة النمل جاء التركيب في قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَلَاثِ رَمَلَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾، وفي سورة القصص في قوله تعالى: ﴿أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنَبَكَ بَرَهَنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ إذ جاء التركيب (إنهم كانوا قوماً فاسقين) في الآيتين لتأكيد صفة الفسوق، أي: تجاوزهم في عنادهم ومجادلتهم الحد المعتاد، والضمير في (إنهم) و(كانوا) يحيل إلى فرعون وملئه، ويلاحظ أن آية النمل صدرت بالفعل (أدخل) وآية القصص صدرت بالفعل (اسلك) ودلالة الإدخال غير دلالة السلوك، جاء في مقاييس اللغة: ((السين واللام والكاف: أصل يدل على نفوذ شيء في شيء)) (٢٠)، وجاء في معجم مفردات ألفاظ القرآن ((السلوك: النفاذ في الطريق)). أي: إن الفعل (سلك) فيه معنى الدخول وزيادة، أي: دخل ونفذ.

(٢٠) مقاييس اللغة: ٣ / ٩٧.

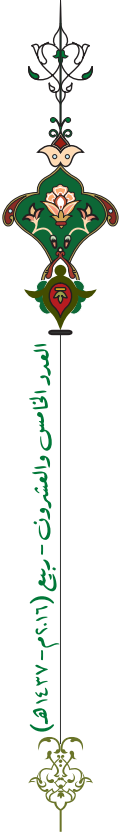
أما في سورة الزخرف فقد جاء السياق في معرض المجادلة بين موسى عليه السلام وفرعون وسلوكه مع قومه واستخفافه بهم، إذ بلغوا في طاعته حد الفسوق، قال تعالى: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والآية متصلة بما قبلها فيما قام به فرعون من الموازنة بينه وبين موسى عليه السلام ﴿أَمَأَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ وقد صدرت الآية بالفعل (استخف) الذي ورد مرة واحدة في هذا الموضع فقط (٢١).

والاستخفاف في اللغة: هو ((إذا استجهله فحملة على اتباعه في غيّه)) (٢٢). وقد استخف فرعون قومه فما كان منهم إلا أن أطاعوه واتبعوه في غيّه؛ فاستحقوا صفة (الفسوق)، جاء في الكشف: (استخف قومه) ((فاستفزهم، وحقيقته: حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم)) (٢٣)، أي: إنهم تجاوزوا وأفرطوا في معاصيهم واتباعه

(٢١) ينظر: المعجم الوصفى لما ورد في القرآن مرة واحدة: ٢٥٤.

(٢٢) التهذيب: مادة (خف).

(٢٣) الكشف: ٩٩٣.



في نهاية كل آية، إذ ورد في قوله

تعالى: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ﴾ وسياق الآية متصل

بما قبلها فيما يخص سلوك المنافقين

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ

فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾، واللمز في اللغة: ((كالغمز

في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي،

وقيل: اللمز العيب، وأصله:

الإشارة بالعين ونحوها والرأس

والشفة مع كلام خفي)) (٢٥).

٤. ورد التركيب (والله لا يهدي القوم

الفاسيقين) في سياقات متنوعة أخرى،

منها:

أ. في سياق الوصية في [سورة المائدة:

١٠٨] في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ

يُؤْتَىٰ بِهِمْ مِنْهُنَّ أَشْهُنَّ حَتَّىٰ يُغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ

وَأَن يَتُوبَ إِلَيْهِمْ﴾ (٢٥) ينظر: العين: ٧ / ٣٧٢، الصحاح: ٣ /

٨٩٥.

حتى بلغوا حد الفسوق.

أما في [سورة الصف: ٥]، فقد جاء

في سياق المجادلة والحوار بين موسى عليه السلام

وقومه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ

لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ

أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ

قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ وهي

في سياق الحوار والمجادلة بين موسى عليه السلام

وقومه، وقد تجاوزوا في إيذائه كل حد،

فقد آذوه في:

١. انتقاصه وعييه في نفسه.

٢. جحود آياته.

٣. عصيانهم فيما تعود إليهم منافعهم.

٤. عبادتهم البقر.

٥. طلبهم رؤية الله جهرة.

٦. تكذيبه

٧. زيغهم عن الحق.

ولذلك استحقوا صفة الفسوق،

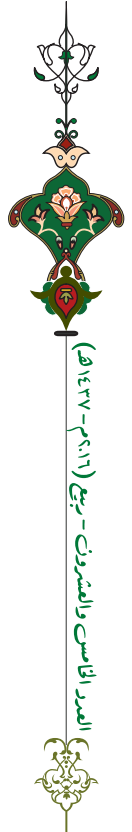
الذي هو تجاوز الحد في التمرد في الكفر

والخروج عن الإيمان (٢٤).

ب. في سياقات المنافقين يتكرر التركيب

(والله لا يهدي القوم الفاسقين)

(٢٤) ينظر: الكشف: ١١٠٢.



يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ
أَيْمَنُهُمْ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَأَسْمِعُوا ۚ وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ إذ جاء التركيب
(والله لا يهدي القوم الفاسقين) جملة
مستأنفة لتقرر أن عدم الحفاظ على
الشهادة في تحريف وخيانة أو يمين
كاذبة، يُعد تجاوزاً على الحدود وتمرداً
بلغ حد الفسوق الذي فيه خروج من
الطاعة إلى المعصية.

ب. في خطاب المهاجرين في قوله تعالى:
﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ
وِإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
أَقْرَبْتُمْوهَا وَبَنَاتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَمَسْكَنُكُمْ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ
مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ
فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

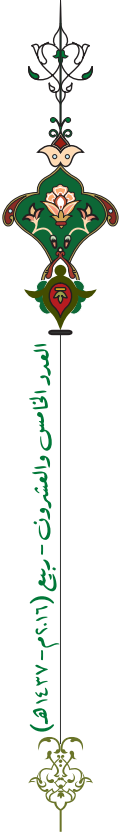
والآية تعرض لموضوع دنيوي
مقابل موضوع أخروي، فحب
الآباء والأبناء والإخوان والأزواج
والعشيرة وحب الأموال والتجارة
والمساكن هذه كلها أمور دنيوية ليس
لها امتداد أخروي، بمقابل حب الله

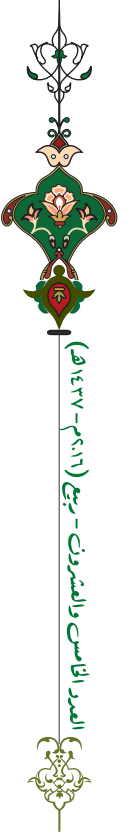
ورسوله والجهاد في سبيل الله؛ فهذه
كلها لها امتداد أخروي يتوج بالفوز
بالعاقبة الحسنة.

واللفظة المهيمنة في الآية هي لفظة
اسم التفضيل (أحب) إذ فيها تحدٍ
للمخاطبين من خلال مبدأ الاختيار
والمفاضلة، يقول الزخشري: ((وهذه
آية شديدة لا ترى أشد منها، كأنها تنعي
على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد
الدين... فلينصف أروع الناس وأنقاهم
من نفسه. هل عنده من التصلب في ذات
الله، والثبات على دين الله ما يستحب
له دينه على الأب والأبناء والإخوان
والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ
الدنيا ويتجرد منها لأجله))^(٢٦)، ثم يأتي
التركيب في آخر الآية لينفي الهداية عن
الذين تجاوزوا الحد وبلغوا مبلغ الفسوق
في الخروج والتمرد.

ج. في سياق قصة لوط عليه السلام مع قومه في
قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ طَآءَ أَيْمَنُهُ حُكْمًا
وَعِلْمًا وَبَجْنَتُهُ مِنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
تَعْمَلُ الْفَبْتِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ

(٢٦) الكشف: ٤٢٨.





فَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ أما الخبائث فقد ورد في الاستعمال القرآني مرتين، مرة في [سورة الأعراف: ١٥٧] في قوله تعالى: **﴿وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾**، والموضع الثاني في الآية موضوع البحث، وقد جاءت كلمة (الخبائث) في تقابل مع (الطيبات)، والآية تتحدث عن النبي محمد ﷺ في أنه جاء رحمة لأهل الكتاب الذين آمنوا به، ولفظة (الخبائث) اسم جامع لكل (ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، أو ما أخبث في الحكم كالربا والرشوة) (٢٧).

أما لفظه (السوء) بفتح السين فقد وردت تسع مرات وفي حالة مضاف إليه فقط، بخلاف لفظه (السوء) بضم السين؛ فقد وردت خمسين مرة وبأحوال مختلفة مفردة معرفة بـ (ال) ونكرة، ومركبة بالإضافة، مضافاً ومضافاً إليه.

والفرق بين (السوء) بفتح السين

و(السوء) بضم السين، أن الأول مصدر والثاني اسم، ((سَاءَهُ سَوَاءً أَوْ سَوَاءً: فعل به ما يكره فاستاء هو، (السوء) بالضم كل ما يغم به الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية... و(السوء) بالفتح لا يكون إلا من يعلم المقصود به)) (٢٨)؛ فالخبائث والسوء والفسوق كلها اجتمعت في قوم لوط عليه السلام وبذلك استحقوا العقاب في الدنيا، وفي الآخرة النار مثوى لهم.

٥. وكذلك ورد التركيب (إنهم كانوا قومًا فاسقين) في سياق ذكر الأمم السابقة وأخبارهم مع الأنبياء في قوله تعالى: **﴿وَقَوْمٌ نُّوحٌ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾** والآية متصلة بما قبلها بعد ذكر قوم لوط وعاد وشمود، إذ يأتي التركيب ليقرر صفة الفسوق لهذه الأقسام التي تجاوزت الحد في العصيان والتمرد.

(٢٨) القاموس المحيط: ٧١، والفروق اللغوية:

الخاتمة:

علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع كل العرب بالقاهرة.

حرص البحث على كشف دقيقة من دقائق الإعجاز القرآني، وذلك من خلال استعمال مادة (فسق) بأحوالها المتنوعة فعلاً واسماً ومصدرًا، وقد تبين في أثناء البحث أنَّ الفعل (فسق) له مصدران؛ الأول على وزن (فَعَلَ) فسَّق، والثاني: على وزن فُعُول فُسِّق، وكان لكل وزن دلالة وسياقته ومصاحباته، وقد فرَّق الاستعمال القرآني بينهما.

جريدة المصادر والمراجع

- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ط ١، طبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية، وأعيد طبعه في مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م.
- درج الدرر: عبد القاهر الرجاجني، ليدن، ٢٠٠٨.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، حققه وقدم له: د. رضوان الداية، ود. فايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، الطبعة الثانية ١٩٨٧ م.
- ديوان الأدب: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابي (ت ٣٥٠ هـ)، تحقيق: د. أحمد مختار عمر ود. إبراهيم أنيس، مطبعة الأمانة، مصر ١٩٧٦ م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣ هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر.

- القرآن الكريم.
- أسماء الإشارة في التعبير القرآني، د. أحمد جواد العتابي، مركز علوم القرآن، ديوان الوقف الشيعي، ط ١، ٢٠١٠.
- التفسير الكبير، للفخر الرازي، مكتبة الهلال، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥.
- التفسير الموهوب بما فسرہ يعقوب، د. هادي عطية مطر، د. ت. د. ط.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: يعقوب بن عبد النبي، مراجعة محمد



- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١م.
- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٣.
- القاموس المحيط والقابوس الوسيط في اللغة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار العلم للجميع، بيروت، لبنان، د.ت.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان د.ت.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبدو شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٨م.
- معاني النحو: د. فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ط ١، ١٩٨٨.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المشهور بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي.
- المعجم الوصفي لما ورد في القرآن الكريم مرة واحدة: د. أحمد جواد العتاي، دار البشائر، دمشق، ط ١، ٢٠١٣.
- مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٦٦هـ.



نظريّة الاصطفاء في القرآن الكريم

الشيخ الدكتور علي حمود العبادي
النجف الاشرف - العراق

فحوى البحث

يدور هذا البحث حول حقيقة الاصطفاء في القرآن الكريم و التي عضدتها النصوص القرآنية باروع بيان ووافقت العقل المؤمن، كاشفة عن شرائطها وغاياتها بروح برهانية وعناصر استدلالية. وفي ضوء ما سلف، فقد انطلقت منهجية البحث، من خلال حقيقة وماهية هذه النظرية، ومن ثم الاستدلال عليها في النصوص القرآنية والروائية التي تبلغ حد الاستفاضة والتواتر بما يغني عن دخول غمار البحث السندي، مشفوعة باستشهادات روايات علماء المسلمين كافة في المواضع التي تتطلب ذلك والاستئناس باقوالهم. وقد جاء البحث ضمن اربعة مباحث احاطت بالموضوع من كل جوانبه.

يدور هذا البحث ضمن الهيكلية التالية:

المبحث الأول: الإصطفاء في اللغة والاصطلاح القرآني والروائي.

المبحث الثاني: الإصطفاء في روايات الفريقين.

المبحث الثالث: أسباب ومناشئ الإصطفاء في القرآن وروايات الفريقين.

المبحث الرابع: أسباب ومناشئ الإصطفاء عند العقل.

المبحث الخامس: أسباب ومناشئ الإصطفاء عند العقلاء.

المبحث الأول:

الإصطفاء في اللغة والاصطلاح

القرآني والروائي

الإصطفاء في اصطلاح أهل اللغة:

قال الفراهيدي: ((الصفو نقيض الكدر، وصفوة كل شيء خالصة وخيره.

والاصطفاء: الاختيار، افتعال من

الصفوة، ومنه النبي المصطفى، والأنبياء المصطفون))^(١).

(١) الخليل الفراهيدي، أحمد، كتاب العين: ج ٧ ص ١٦٢.

وقال الراغب في المفردات: ((الاصطفاء: تناول صفو الشيء، كما أن

الاختيار: تناول خيره.. واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه

صافياً عن الشوب الموجود في غيره... قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ

رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [سورة الحج: ٧٥]، والصفى والصفية: ما يصطفيه

الرئيس لنفسه))^(٢).

وقال الزبيدي في تاج العروس: ((الصفو نقيض الكدر كالصفاء... والصفو كعلو والصفوة مثله وصفوة

الشيء مثلثة ما صفا منه وخلص ومنه محمد ﷺ صفوة الله من خلقه أي

خالصة))^(٣).

ومن مجموع ما تقدم يتضح أن المعنى اللغوي للإصطفاء يتضمن المعاني

التالية:

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن: ص ٤٨٧-٤٨٨.

(٣) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٠ ص ٢١٠. الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ج ٤ ص ٣٥٢.

الأول: خلوص وصفاء المصطفين من كل شائبة وكدر، فيكون المصطفى في أعلى رتبة من النزاهة والكمال ذهنياً وسلوكياً.

الثاني: إن الاصطفاء قريب من معنى الاختيار، والفرق بينهما هو أن الاختيار أخذ الشيء من بين الأشياء بما أن ذلك الشيء هو خيرها، أما الاصطفاء فهو أخذ الشيء من بين الأشياء بما أنه صفوتها وخالصها.

الثالث: إن الاصطفاء ملازم لمعنى الامتياز والتقدم على الآخرين، ليكون المصطفى نموذجاً وقدوة يقتفى به في طريق الخير والصلاح.

قال الشيخ الطوسي في تفسيره: ((اصطفى: اختار واجتبي وأصله من الصفوة، وهذا من حسن البيان الذي يمثل فيه المعلوم بالمرئي وذلك أن الصافي هو النقي من شائب الكدر فيما يشاهد فمثل به خلوص هؤلاء القوم من الفساد لما علم الله ذلك من حالهم لأنهم كخلوص الصافي من شائب الأدناس))^(٤).

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان: ج ٢، ص ٤٤٠.

الاصطفاء في القرآن الكريم

حظي مفهوم الاصطفاء بعناية فائقة في النصوص القرآنية في موارد عديدة؛ لتسجل حقيقة قرآنية مهمة، وهي أن الله تعالى قد اصطفى أفراداً من خلقه وعباده، وهذه الحقيقة القرآنية يعكس مضمونها عدة من الآيات القرآنية منها:

١. قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) ذُرِّيَّةً بَعْضُهُا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ [سورة آل عمران: ٣٣-٣٤].

والآية المباركة واضحة الدلالة على أن البعض من ذرية إبراهيم عليه السلام هم من المصطفين لا جميع ذرية إبراهيم، ولا جميع ذرية بني إسرائيل كذلك، وإن كان الله عز وجل قد فضل بني إسرائيل على العالمين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الجاثية: ١٦]، لكن تفضيلهم على العالمين من جهة لا ينافي تفضيل غيرهم عليهم من جهات أخرى.

اليه في كل مواقع المسؤولية في الحياة إن في النبوة وإن في الإمامة، وهذا ما يمكن استيحائه من قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ **عَادَمَ وَنُوحًا** ۖ ﴾.

٢. قوله تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ **عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ** ﴾ [سورة النمل: ٥٩]، فالآية فيها حمد وثناء لأولئك العباد المصطفين، وهو يكشف عن توفريهم على الهداية الإلهية على ما يقتضيه معنى السلام؛ لأن في الأمر بالسلام أمراً ضمناً بالتهنيء لقبول ما عندهم من الهدى وآثاره الجميلة فهو على غرار قوله تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدْنِهِمْ أَقْتَدَ** ﴾ [سورة الانعام: ٩٠].

٣. ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكَ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [سورة آل عمران: ٤٢]. معنى على العالمين أن الإصطفاء هو تقدمها على نساء العالمين، أي على نساء عالمها كما ورد في الروايات المباركة^(٧).

(٧) انظر الامالي للشيخ الصدوق: ص ١٨٧.

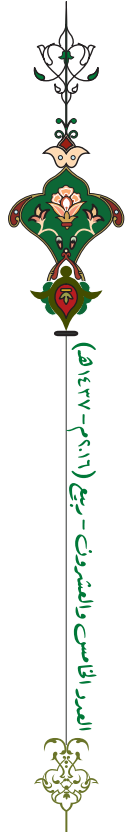
قال الشيخ الطوسي: (الآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزهون، لأنه لا يختار ولا يصطفي إلا من كان كذلك، ويكون ظاهره وباطنه واحداً، فإذا يجب أن يختص الإصطفاء بآل إبراهيم وآل عمران من كان مرضياً معصوماً سواء كان نبياً أو إماماً)^(٥).

ويشير إلى هذا المعنى العلامة الطباطبائي حيث يقول في ذيل الآية المباركة: ((الإصطفاء: أخذ صفوة الشيء وتخليصه مما يكدره فهو قريب من معنى الاختيار وينطبق من مقامات الولاية على مقام الإسلام وهو جرى العبد في مجرى التسليم المحض لأمر ربه فيما يرتضيه له... فالإصطفاء على العالمين نوع اختيار وتقديم لهم عليهم في أمر أو أمور لا يشاركهم فيه أو فيها غيرهم))^(٦).

وبعبارة أخرى أن الله تعالى يصطفي أنبياء وأوليائه ويوفر لهم ما يحتاجون

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان: ج ٢، ص ٤٤٠.

(٦) الطباطبائي، محمد حسين، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ٣، ص ١٦٤-١٦٩.



٤. قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ

إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ

مَلِكًا قَالُوا أَأَتَى بِكَ آيَاتٍ لِّهٖ الْمَلِكُ

عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمَلِكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ

سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة

البقرة: ٢٤٧]. وهي واضحة

الدلالة على اختيار واصطفاء

طالوت عليه السلام دون غيره لتوفره على

مزاي وخصائص الإمامة والقيادة.

وهذا ما يشير إليه الفيض الكاشاني

في تفسير الآية، حيث يقول: ((فضيلة

وسعة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه

من يشاء والله واسع، واسع الفضل

يوسع على الفقير ويغنيه، عليم بمن

يليق بالملك لما استبعدوا تملكه لفقره

رد عليهم بأن العمدية فيه اصطفاء الله،

وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح،

وبأن الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به

من معرفة الأمور السياسية، وجسامة

البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب،

وأقوى على مقاومة العدو، ومكابدة

الحروب لا ما ذكرتم، وقد زاده الله

فيهما... وبأنه واسع الفضل يغنيه، عليم

به إذ يصطفيه))^(٨).

وهذا ما يؤكد أحد أعلام المفسرين

وهو القرطبي، حيث يقول في ذيل الآية

المباركة: ((لما استبعدوا تملكه بسقوط

نسبه وبفقره رد عليهم ذلك، أولاً: ملاك

الأمر هو اصطفاء الله تعالى، وقد اختاره

عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم، وثانياً:

بأن العمدية فيه وفور العلم؛ ليتمكن

به من معرفة أمور السياسة، وجسامة

البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر

على مقاومة الأعداء ومكابدة الحروب،

وقد خصّه الله تعالى منهما بحظ وافر،

وذلك قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ

وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:

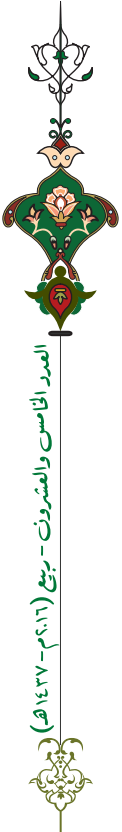
٢٤٧]]^(٩).

(٨) الفيض الكاشاني، محمد بن المرتضى،

التفسير الصافي: ج ١، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٩) القرطبي، محمد بن أحمد، أحمد بن محمد،

تفسير القرطبي: ج ٧ ص ٢٤.



٥. قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَمُوسَىٰ إِنِّي

أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي

وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ

الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف:

١٤٤]. وهي دالة على اختيار

واصطفاء موسى عليه السلام واستخلاصه لما

له من الفضائل والمؤهلات العالية.

قال صدر المتألهين في تفسيره:

((يختار الله عز وجل أنبياءه ورسله،

لما يجده فيهم من مقومات عظيمة و

ومؤهلات عالية، و لما يراه مناسبا

لقومهم، و يلاءم عصرهم و زمانهم.

و هذا منهج يتبعه القادة و الحكام،

فإنهم يبعثون الرسل و السفراء إلى

أمراء العالم و حكامهم، و يختارونهم

اختياراً موفقاً يؤدون فيه مهامهم أداء

حسناً. غير أنه مع الأسف الشديد

يرفض بعض الجهلاء هذا المبدأ العقلي

السليم...)) (١٠).

٦. قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ

(١٠) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب

(التفسير الكبير): ج ٣ ص ٢٠٠.

إِنِّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [سورة

الحج: ٧٥].

٧. قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ

مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفِهَةِ نَفْسِهِ وَلَقَدْ

أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ

لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ

أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾

وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ

إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ

إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة:

١٣٠ - ١٣٢].

فعلى ضوء هذه الإضامة القليلة

من النصوص القرآنية وما يشاركها في

المضمون، التي ذكرت الاصطفاء وأثبتته

لبعض من عباد الله يتضح أن مقام

الاصطفاء في القرآن الكريم هو تناول

صفوة الخلق من أنبياء و رسل، وأوصياء

لما فيهم من استعدادات ومؤهلات

عالية، على أداء وحمل مسؤولية الرسالة.

وهناك نصوص أخرى ذكرت

الاصطفاء في موضع النفي، لكن تتضمن

وتستبطن معنى اختيار الأفضل كقوله

تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكَهِمْ يَقُولُونَ



﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَلِيَهُمْ لَكَذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى

الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾

[سورة الصافات: ١٥١ - ١٥٤].

فالباري جلّ وعلا يسفه دعواهم بأسلوب الاستفهام الاستنكاري ليدل على أنه لا تمييز بين الذكر والأنثى، فلم تكن الإناث صفوة الخلق حتى يخصّ تعالى بهن نفسه لكي يجعل الملائكة إناثاً كما يفترون، وأما قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [سورة الزمر: ٤]، بمعنى أن الخلق كلهم لله تعالى، فلو أراد الله أن يتخذ ولداً، لاختار لنفسه صفوتهم وأمثلهم ممن يشاء، فهذه النصوص الثلاثة هي في مورد نفي الاصطفاء، إلا أنها تستبطن اختيار الأفضل.

أما بقية النصوص الأخرى التي ذكرت الاصطفاء، فكلها جاءت في مورد انتقاء الأمثل وتمييزه على جميع من عداه، مضافاً إلى استبطانها لبيان وظيفة المصطفين، وبهذا يلتقي المعنى اللغوي والاستعمال القرآني لمعنى الاصطفاء في

معنى الأفضل والأمثل.

وانطلاقاً من هذه الآيات القرآنية يتضح أن الاصطفاء الإلهي ليس غاية في ذاته، بل ينبئ عن إرادة ربانية في اختيار الأمثل من البشر لأجل حمل مسؤولية الرسالات الإلهية، كما سيتضح.

المبحث الثاني:

الاصطفاء في روايات الفريقين

بعد الانتهاء من استعراض بعض النصوص القرآنية الدالة التي أغنت بروحها البرهانية وعناصرها الاستدلالية عن إقامة أي دليل آخر، إلا أن ثمة نصوص روائية من الفريقين تكشف النقاب عن هذه الحقيقة المهمة، وإليك إضمامة من هذه الروايات:

١. الاصطفاء في روايات الشيعة:

هنالك عدد وافر من روايات أهل البيت (عليهم السلام) ظلت مفهوم الاصطفاء بشكل واضح، وفيما يلي سوف نتعرض لجملة من هذه الروايات:

- عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء

أربعة: اختار من الملائكة جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليه السلام، واختار من الأنبياء أربعة للسيف إبراهيم وداود وموسى وأنا، واختار من البيوتات أربعة، فقال: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾** [سورة آل عمران: ٣٣] ^(١١).

• عن علي بن يقطين عمن رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يا موسى أتدري لما اصطفتك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا رب ولم ذاك؟ قال فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا موسى إني قلبت عبادي ظهراً لبطن فلم أجد فيهم أحداً أذل لي نفساً منك، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب)) ^(١٢).

• عن ابن ثعلبة الكعبي، قال: لما

قدم أبو ذر الغفاري مكة دخل المسجد وأخذ بحلقة باب الكعبة ثم استقبل الناس بوجهه، فقال: أيها الناس ((إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم، ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((الأسرة من نوح والآل من إبراهيم والصفوة والسلالة من إسماعيل والعتره الهادية من محمد صلى الله عليه وآله، شرف شرفهم وبه أخذوا الفضل من فوقهم. فهم فينا كالسما المرفوعة، والجبال المنصوبة... ومن الأوصياء وصي آدم في علمه ومعدن العلم بتأويله وإمام المرحومين وقائد الغر المحجلين والصدیق الأكبر علی بن أبي طالب عليه السلام)) ^(١٣) وغير ذلك من الروایات الكثيرة الدالة على الدالة على أن الاصطفاء هو اختيار الصفوة من الخلق.

(١٣) الحسنی، ابن طاووس، التحصين: ص ٦٠٧.

(١١) الصدوق، محمد بن الحسين، أبو جعفر محمد بن علي، الخصال: ص ٢٢٥-٢٢٦.
(١٢) المصدر السابق: ص ١٢٦.



٢. الاصطفاء في روايات السنة:

ورد الاصطفاء عند أهل السنة في موارد متعددة على مستوى الرواية والتفسير تتعرض لبعض منها:

- أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣]، قال: ((هم المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ [سورة آل عمران: ٦٨]. وهم المؤمنون)) فقال:

((أي المراد بآل عمران المصطفين المؤمنون منهم وكذلك المؤمنون من آل إبراهيم والمؤمنون من آل ياسين والمؤمنون من آل محمد صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، فهو من العام الذي أريد به الخاص)) (١٤).

- أخرج الطبري في تفسيره: ((عن

(١٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٣، ص ١٢٦٣.

قتادة في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال: ((ذكر الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين فكان محمد من آل إبراهيم)) (١٥).

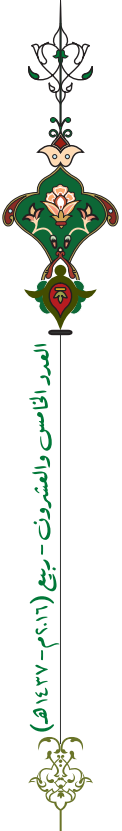
- أخرج الطبري أيضاً في تفسيره عن عباد عن الحسن في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ قال: ((فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الأنبياء الأتقياء المصطفين لرهم)) (١٦).

- أخرج البخاري عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰكَ وَطَهَّرَكَ﴾ إن الله اصطفاك وطهرك قال: ((جعلك طيبة إيماناً {اصْطَفَاكَ} اختارك وخصك بفضل لم يكن لغيرك، {وَطَهَّرَكَ} من الأدناس المادية

(١٥) الطبري، محمد بن جرير، تفسير

الطبري: ج ٣، ص ٢٣٣.

(١٦) المصدر السابق.



وهذا أمر لا يمكن أن يطلع عليه أحد إلا الله تعالى، لذلك كان أمر الاختيار لهذه المناصب بيده تعالى فقط.

فالله تعالى لما علم فيهم هذه الاستعدادات والمؤهلات في حمل الرسالة والنبوة استخلصهم تعالى لنفسه للقيام والنهوض بحمل الرسالة وأعبائها.

فهو تعالى الذي يختار ويختبي صفوة من خلقه، فيستخلصهم لنفسه ويولي عنايته الخاصة بهم وينقيهم من كل شوب ودنس وكدورة؛ كل ذلك لأجل النهوض بأعباء ومسؤوليات النبوة والإمامة.

المبحث الثالث:

أسباب ومناشئ الإصطفاء في القرآن

وروايات الفريقين:

على ضوء هذه الخلفية لمعنى الإصطفاء على مستوى القرآن والسنة، يطرح هذا السؤال وهو ما هي الأسباب والمناشئ التي على أساسها يصطفي الباري تعالى بعض العباد دون البعض الآخر؟.

لكي تتضح أسباب اصطفاء الباري

والمعنوية. ﴿أَصْطَفَيْكَ﴾ فضلك على غيرك من النساء)) (١٧).

وحاصل ما تقدم: أن فلسفة الإصطفاء والاختيار الإلهي، قائمة على أساس الحكمة والعدالة الإلهية وغير خاضعة للمقاييس البشرية، التي يعجز البشر عن الاطلاع على بواطن الأمور وخفايا النفوس، فلا مدخلية للبشر في الاختيار والإصطفاء الإلهي، فهؤلاء المصطفون من الأنبياء والأوصياء قد بلغوا شأنًا عاليًا ودرجات رفيعة، بحيث يتعذر على كثير الناس من بلوغ هذه المراتب؛ لأن بعض الناس قد يبلغ شأنًا عاليًا من العلم، وبعضهم في التقوى، وبعضهم في الصبر أو نكران الذات، ونحوها من الصفات الكريمة، بينما الصفوة المختارة من الله تعالى، فهم لا يضاهيهم أحد في الأمثلة في كل بعد من الأبعاد الضرورية لحمل الرسالة ومسؤولياتها تبعاً لما تمليه عليهم مسؤوليات النبوة والإمامة والوصاية،

(١٧) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ١، ص ١٢٦٥.

تعالى لبعض عبادہ يتطلب منا الخوض في النصوص القرآنية والروائية الدالة على ذلك:

١. أسباب ومناشئ الاصطفاء في النصوص القرآنية:

هناك عدد من النصوص القرآنية تكشف بوضوح أسباب ومناشئ الاصطفاء، منها:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا... ﴾ [سورة الرعد: ١٧]، حيث يشير الباري تعالى إلى أن كل فرد من الإنسان يأخذ من الفيض والعطاء الإلهي بحسب إرادته وقدر ما استعد له، كما أن الأودية الكبيرة والأنهار الصغيرة تأخذ قدرها من المياه بحسب ما استعدت له.

فالله تعالى فياض للعطاء لكل إنسان سواء الذي يريد العاجلة أن الآخرة، والإناء هو الذي يلون العطاء الإلهي.

ففي الرواية عن أبي الجارود عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله: ﴿ أَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ قال: ((الكبير على قدر كبره، والصغير على قدر صغره - إلى أن قال: - أنزل الحق من السماء، فاحتملته القلوب بأهوائها، ذو اليقين على قدر يقينه، وذو الشك على قدر شكّه، فاحتمل الهوى باطلاً كثيراً وجفاءً، فالماء هو الحق، والأودية هي القلوب، والسيل هو الهوى، والزبد هو الباطل)) (١٨).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ كَلَّا نُمَدِّدْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَظَائِكَ وَمَا كَانَ عَظَاءُكَ رَبِّكَ مُحْظُورًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٠]، والآية المباركة تكشف بصراحة عن أن الباري تعالى هو المنان والفياض للخير على أساس الحكمة الإلهية التي تقتضي أن يكون العطاء على وفق إرادة واستعداد الإنسان، وإن إرادته هي التي تحدد ماهية وكمية العطاء الإلهي.

الآية الثالثة: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا شَاءَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ (١٨) وَمَنْ

(١٨) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٢ - ٣٦٤.

أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا
ثُمَّ هُوَ لَآتٍ وَهُوَ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ وَكَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾

قال العلامة الطباطبائي في ذيل
الآية المباركة ((الله سبحانه يمدّ كل
نفس من عطائه بما يستحقه، فإن أراد
الخير أوتيته، وإن أراد الشر أوتيته،
أي منع من الخير، ولو شاء الله لكل
نفس صالحة أو طالحة أن تشاء الخير
وتنكب على الإيمان والتقوى من طريق
الاختيار، كان في ذلك إبطال النظام
العام وإفساد أمر الأسباب)) (١٩).

فالناس هم الذين يقسمون أنفسهم
لا أن الله تعالى يقسمهم، فالذين أرادوا
لأنفسهم أن يكونوا من المصطفين،
فإن الله تعالى يمدّهم على ضوء إرادتهم
لذلك؛ لكي يوفقوا إلى الطاعة، والذين
أرادوا العناد والعصيان، فالله تعالى
يمدّهم على حسب ما أرادوا.

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ

(١٩) الطباطبائي، محمد حسين، محمد حسين،
تفسير الميزان: ج ٧، ص ٦٦.

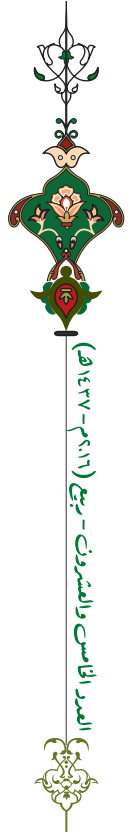
اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّاسْمِعَهُمْ وَلَوْ أَسْمِعَهُمْ لَتَوَلَّوْا
وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٢﴾ [سورة الأنفال:
٢٣] أي أن هؤلاء لا يريدون سماع
الخير، وأنهم مصرين على الهروب من
الحقيقة، ولو علم الله تعالى منهم أنهم
يريدون الطاعة لهيئ الله تعالى لهم أسباب
ذلك وفتح قلوبهم وأسمعهم، بل حتى
لو أعطى لهم الله تعالى البصيرة، وفتح
قلوبهم فإثمهم لا يستفيدون منها.

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا
جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ
مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
رِسَالَتَهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤].

فهؤلاء رفضوا الإيمان بما جاءت به
رسل الله، وقالوا: لماذا لا نكون نحن
أصحاب المعجزة، فجاء الجواب الإلهي
بأن الله أعلم حيث يجعل رسالته، أي أنه
تعالى أعلم بمن هو الذي يستحق أن
يعطى.

٥. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبَوَاهُ
مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا
وَكَفْرًا﴾ [سورة الكهف: ٨٠].

فيقول تعالى إنّما بعثنا عبداً من



عبادنا أن يقتل الابن؛ لأن سيكون سيّياً في كفر والديه؛ لأنه يسيء معاملتهما ويحاصرهما في النشاط الروحي، من خلال طغيانه وإيذاء والديه ﴿فَارْذَنَّا أَنْ يَبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ﴾، أي أشدّ وصلاً للقربة وللرحمة، فلا يرهقهما بشيء، فالله تعالى هيّأ للأبوين أسباب الطاعة بإرادتهما واستعدادهما لها، فقتل الابن لكونه مانعاً في وصول الأبوين لهما.

وعن ابن عباس، في قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ قال: ((حفظاً لصلاح أيّهما، وما ذكر عنهما صلاحاً))^(٢٠).

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿وَيُنْسِرْكُمُ لِلْيَسْرَى﴾ [سورة الأعلى: ٨].

وهذه الآية المباركة تشير بوضوح إلى إن من علم الله منه أنه يريد الطاعة، فالله تعالى بمقتضى حكمته وعدله يهيئ له مقدمات الطاعة، وإذا علم من عبد أنه يريد الشرك ويريد العصيان والعناد، فالحكمة الإلهية تقتضي أن (يسره

(٢٠) الحاكم، المستدرک علی الصحیحین: ج ٢، ص ٤٠٠.

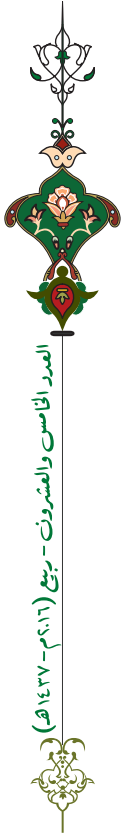
للعسرى) أي: نهى له تلك المقدمات التي من خلالها يستطيع أن يأتي بفعله على وفق ما أراد؛ لذا قال ﷺ: ((كُلُّ ميسر لما خلق له))^(٢١) أي كل ميسر لما أراد واستعد له.

٢. أسباب ومناشئ الاصطفاء في الروايات

هنالك جملة من الروايات تدل على أن الله تعالى يصطفى بعض البشر على ضوء وجود المؤهلات في الإنسان المصطفى، ومن هذه الروايات.

• ما رواه الطبرسي في الاحتجاج بصدد سؤال الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام عدة من الأسئلة، فكان من جملتها قول الزنديق: فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟... قال عليه السلام: ((علم الله منهم حين ذرأهم أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة

(٢١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، ص ٢٨٢؛ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٨، ص ٢١٥.



أبدانهم، فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم، وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين^(٢٤). وغيرها مما يشاركها بالمضمون الدالة على أن سبب اصطفاء الله تعالى لبعض عباده هو علمه تعالى بأن أولئك العباد لا يريدون إلا الطاعة، لذلك اصطفاهم واختارهم دون غيرهم. كلمات أعلام السنة في أسباب الاصطفاء:

هنالك جملة من كلمات أعلام السنة صرحوا بأن سبب ومنشأ الاصطفاء يعتمد ويتكئ على العلم الإلهي بأهلية هذه المجموعة البشرية قبل خلقهم، واليك بعضاً من هؤلاء:

ذكر الآلوسي في تفسيره: ((ما ورد في الصحيح: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان -أي في علم الله- من أهل السعادة المستعدة لها ذاته، فسييسر بمقتضى الرحمة لعمل أهل السعادة؛ لأن شأنه تعالى الإفاضة على القوابل

(٢٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٠.

عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب...))^(٢٢).

• عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله عليه السلام ((خلق الخلق فعلم ما هم صائرون إليه وأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه ولا يكونون آخذين ولا تاركين إلا بإذن الله))^(٢٣).

• عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ((قال الله عز وجل إن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن، فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم، وإن من عبادي المؤمنين لعباد لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في

(٢٢) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٨٣-٨٤.

(٢٣) الكليني، محمد بن يعقوب، محمد بن يعقوب، أصول الكافي: ج ١، ص ١٥٨.

بحسب القابليات، وأما من كان في الأزل والعلم القديم من أهل الشقاوة التي ثبتت لماهيته الغير المجعولة أزلاً، فسيسر بمقتضى القهر لعمل أهل... فيؤول الأمر إلى أن سبب نفي إيجاد الهداية انتفاؤها في نفس الأمر، وعدم تقررها في العلم الأزلي، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم)) (٢٥).

وكذلك يمكن الاستئناس بما ذكره أبو السعود: قال في تفسيره: ((والاصطفاء أخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء، مثل به اختياره تعالى إياهم النفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى، كما في كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام)) (٢٦).

أما ابن كثير فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ((قال قتادة: فكان في علم الله.. أنه

(٢٥) الألوسي، أبو الفضل محمود، روح المعاني: ج ١، ص ١٣٩.

(٢٦) أبو السعود، تفسير أبي السعود: ج ٢، ص ٢٦.

سيكون في تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة..)) (٢٧).

ابن خلدون: قال في مقدمته: ((ومن علاماتهم أيضاً [أي الأنبياء] أنه يوجد لهم قبل الوحي خلق الخير والزكاء ومجانبة المذمومات والرجس أجمع، وهذا هو معنى العصمة، وكأنه [أي الأنبياء] مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها، وكأنها منافية لجلته)) (٢٨).

وفي هذا المضمون التقت عدة من كلمات اعلام السنة، كالواحد في الوجيز في تفسير القرآن (٢٩) والجرجاني في المواقف (٣٠) وابن حجر الهيتمي في فتح الباري (٣١) والقرطبي في

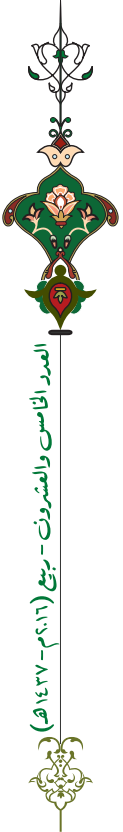
(٢٧) الدمشقي، ابن كثير، تفسير ابن كثير: ج ١، ص ١٠٤.

(٢٨) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون: ص ٩٢.

(٢٩) الواحد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ص ٢٠٨.

(٣٠) الجرجاني، المواقف: ج ١، ص ٣٧٧.

(٣١) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج ١١، ص ٤٨٩.



تفسيره^(٣٢) وغيرهم.

وبعد هذه الجولة في هذه الشواهد الدالة على أن منشأ الإصطفاء الإلهي قائم على أساس علمه تعالى، وهذا المعنى يلتقي في الدلالة معالنصوص القرآنية التي تقدم آفأ.

المبحث الرابع:

أسباب ومناشئ الإصطفاء عند العقل

لا يرتاب العقل المستنير في وجود عدة من الأسباب والمناشئ للإصطفاء، ويمكن بيان هذه الأسباب من خلال المقدمات التالية:

المقدمة الأولى: أن الله عادل حكيم:

المراد الحكيم هو الذي يضع الشيء في موضعه، واما المراد من عدله سبحانه هو ان لا يهمل فعلاً تحتّمه المصلحة، ولا يصدر قبيحاً تمنعه الحكمة، لان الفعل الخالي من المصلحة يكون منشأ صدوره، إما جهل الفاعل او لعجزه بصلاح الشيء وفساده، وكلاهما باطل لما ثبت في

(٣٢) القرطبي، محمد بن أحمد، محمد بن أحمد،

تفسير الجامع لأحكام القرآن: ج٧،

ص٢٤.

محله^(٣٣) من أن الله تعالى عالم بكل شيء،

وقادر على كل شيء فلا موضع للعبث في ساحته تعالى؛ لأنّه تعالى منزّه عن ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ

وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾^(٣٤) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًَا

لَا تَخْذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُنَّا فَعَلِينَ﴾^(٣٥)

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا

هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ [سورة

الأنبياء: ١٦-١٨].

ولكي يتضح معنى كون الله تعالى

عادلاً بشكل واضح، نشير بصورة

مختصرة إلى معاني العدل وهي:

المعنى الأول: يستعمل العدل في

المورد الذي يكون فيه الشيء موزوناً

أي تكون أجزاء الشيء بالمقدار اللازم،

فعن النبي ﷺ أنه قال: ((بالعدل

قامت السماوات والأرض))^(٣٤) أي:

أن تركيب هذا العالم روعي في بنائه

التعادل، وأن كل شيء وكل ما استفيد

(٣٣) انظر: العلامة الحلي، الحسن بن يوسف،

كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد:

ص٣٣٠.

(٣٤) الكليني، محمد بن يعقوب، محمد بن

يعقوب، أصول الكافي: ج٥، ص٢٦٦.



منه بقدر الحاجة، فالعدل بمعنى التوازن والتناسب، وهو من لوازم حكمة الله تعالى وعلمه، حيث إن الله تعالى بمقتضى علمه وحكمته يضع المقادير بشكل متلائم ومتوازن.

وهذا المعنى غير مقصود في محل البحث عن العدل الإلهي، كما هو واضح. المعنى الثاني: العدل هو التساوي، فالعادل هو الذي ينظر إلى الأفراد بالمساواة، ومن دون أي ترجيح. إلا أن هذا المعنى واضح البطلان؛ إذ أن المساواة لا تصنع العدالة، فكيف ينظر إلى الجميع بنظرة واحدة، المحسن والمسيء، والمستحق وغير المستحق!!

المعنى الثالث: إن العدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، فكل يعطى بمقدار استحقاقه، ومن هنا إذا منع المستحق شيئاً فهو ظلم، وإذا أعطي لغير المستحق، فهو ظلم أيضاً، وهذا المعنى خارج عن محل الكلام أيضاً؛ لأنه يفتقر إلى وجود حق على الله تعالى في الرتبة السابقة، ومن الواضح أنه لا يوجد موجود له حق على الله تعالى.

المعنى الرابع: العدل هو إعطاء كل موجود ما هو مستعد له، بمعنى أن الموجودات مختلفة الاستعداد فيكون العدل إعطاء كل موجود ما هو مستعد له من الوجود والكمال، أما الظلم فهو حرمان كل ما هو مستعد لوجود أو كمال وجودي من ذلك، فالفيض النازل منه تعالى لا لون له وإنما يتلون حسب طبيعة كل ظرف، فيأخذ كل موجود ما استعد له من الكمال على حسب درجة استعداده وقابليته، وهذا هو المعنى المقصود من العدل الإلهي في كلمات الحكماء الإلهيين، الذي يختلف عن المعنى السابق -الثالث- لان المعنى الثالث يبتني على وجود حق مسبقاً على الله تعالى.

إذن اتضح أن أي موجود لا يملك حقاً تجاه الله بحيث يكون إعطاء ذلك الحق أداء للدين، وإنما عدل الله هو عين الفضل والجود منه تعالى، وهو إذ يعني أن عدله يقتضي عدم منع فضله تعالى عن أي موجود بمقدار ظرفه وقابليته وما هو مستعد له، فالموجودات جميعاً



المقدمة الثانية: الإنسان كائن مختار:
عند إجراء مسح ميداني على القرآن الكريم لوجدنا آياته طافحة في إثبات أن الإنسان موجود مختار، ومن هذه الآيات:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٩٩].

وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

وقوله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

وغيرها من الآيات التي تشاركها

لا تملك سوى المسؤولية والتكليف تجاه خالقها، وليس لها أي حق تجاه موجودها، اذن المعنى المقصود من العدل الإلهي، وهو إعطاء كل ذي استعداد ما هو مستعد له، فالله تعالى يفيض على كل مستعد ما استعد له، وان الفيض الإلهي النازل لا لون له وإنما يتلون بلون الإناء الذي يحتويه.

إن قلت: إذا لم يكن لأي وجود حق على الله تعالى فلا بد أن يكون الإعطاء بالتساوي؛ لأن الجميع متساوون بالنسبة إليه تعالى، ولا يوجد لأحد حق على الله تعالى، وبذلك يرجع معنى العدل إلى المعنى الثاني وهو التساوي، وعلى هذا فلماذا اختلفت الإفاضات الإلهية على الموجودات؟.

والجواب: إن هناك فرق بين الاستعداد والاستحقاق، ومن الواضح أن الموجودات لا تستحق على الله تعالى شيئاً، لكنها تختلف من حيث الاستعداد، فكل موجود يأخذ ما هو مستعد له من الفيض الإلهي، فلا يكون العطاء الإلهي متساوياً.



في المضمون، مضافاً إلى صيرورة بعث الأنبياء وإنزال الكتب السماوية لغواً فيها إذا كان الإنسان مسلوب الاختيار.

وقد أجمعت الأديان على أن الله تعالى لو شاء أن يهدي الناس ولذا نجد جملة من النصوص القرآنية تبين أن الأنبياء ليس لهم إكراه الناس على الهداية، كما أن الشيطان ليس له إكراههم على الضلال والغواية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر: ٤٢]

وقال أيضاً: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٢].

المقدمة الثالثة: إن الله عالم بالأشياء قبل خلقها:

وقد قامت عدة من الأدلة والبراهين

الفلسفية والعقلية فضلاً عن الأدلة النقلية على ذلك ونكتفي بذكر واحد منها:

من الأدلة على أن الله عالم بالأشياء قبل خلقها، هو أن معطي الشيء لا يمكن أن يكون فاقداً له وبيان ذلك: إن كل شيء هو مخلوق له تعالى ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر: ٦٢]، سواء كان خلق الشيء مرتبطاً بأصل وجوده، أو بالكمال الذي يرتبط بذلك الشيء.

فالله تعالى خالق كل شيء وواهب الكمال الذي يستحقه ذلك الشيء ﴿رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [سورة طه: ٥٠] وحيث أن معطي الشيء يستحيل أن يكون فاقداً له، كما هو واضح، ينتج أن الله عالم بالأشياء قبل خلقها؛ لأنه لو كان فاقداً للعلم قبل الإيجاد، فلا يمكن أن يكون معطياً، والتالي باطل لأنه أعطى، فإذاً لابد أن يكون واجداً.

ويمكن صياغة هذا الاستدلال بالشكل التالي:



الصغرى: إِنَّ الله تعالى معطي وواهب كل شيء خلقه. والكبرى: إِنَّ معطي الشيء يستحيل أن يكون فاقداً له. وهذه المقدمة من المقدمات البديهية التي يكفي تصور أطرافها للتصديق بها.

النتيجة: إِنَّ الله تعالى يستحيل أن يكون فاقداً لأي شيء مما وهبه لخلقه ومنها العلم بها قبل خلقها، ولو فقد العلم بها قبل خلقها وإيجادها، لكان فاقداً، وإذا كان فاقداً يستحيل أن يكون معطياً، والتالي باطل؛ لأنه أعطى، فلا بد أن يكون واجداً.

وهناك جملة من النصوص الروائية تؤيد ذلك منها:

• عن أبي الحسن عليه السلام: ((لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء)) (٣٥).

• عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة

(٣٥) الكليني، محمد بن يعقوب، محمد بن يعقوب، أصول الكافي: ج ١، ص ١٠٧.

أليس كان في علم الله؟. قال: فقال: ((بلى، قبل أن يخلق السموات والأرض)) (٣٦).

• عن منصور بن حازم، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟. قال: ((لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟. قال: بلى قبل أن يخلق الخلق)) (٣٧). ونحوها من الروايات.

إذن كل ما كان وما هو كائن تفصيلاً قبل أن يخلق السموات والأرض، فهو موجود عنده تعالى.

المقدمة الرابعة: علم الله الأزلي لا يتنافى وحرية الإنسان:

إِنَّ العلم الإلهي كما تعلق بأصل صدور الفعل من الإنسان، تعلق كذلك بكيفية صدور الفعل عن الإنسان على النحو الاختياري.

(٣٦) الصدوق، محمد بن الحسين، محمد بن علي، التوحيد: ص ١٣٥.

(٣٧) الكليني، محمد بن يعقوب، محمد بن يعقوب، أصول الكافي: ج ١، ص ١٤٨.



وبعبارة أخرى: إنَّ علم الله تعالى تابع وليس متبوعاً، بمعنى أن علمه تعلق بصدور فعل الإنسان الاختياري بقيد الاختيار، فلو كان صدور الفعل من الإنسان جبراً لتخلف علمه عن الواقع، فالله تعالى شاءت إرادته أن لا يوجد الفعل إلا بعد تحقق شرطه، وهو اختيار الإنسان، وسيأتي ما يؤيد المطلب في الفصل العناية.

وإلى هذا المعنى أشارت جملة من الروايات الواردة عن أهل البيت همنها ما روي عن رسول الله ﷺ قال: ((الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه))^(٣٨). وفي رواية أخرى: ((الشقي شقي في بطن أمه، والسعيد سعيد في بطن أمه))^(٣٩).

فالحكم بالسعادة أو الشقاء باعتبار ما يؤول إليه أمر الشخص، فمن ينتهي مآل أمره إلى الجنة، فهو محكوم بالسعادة منذ أوائل حياته، فكُنَى عن أوائل الحياة

(٣٨) الكليني، محمد بن يعقوب، محمد بن

يعقوب، أصول الكافي: ج ٨، ص ٨١.

(٣٩) المصدر السابق: ج ٨، ص ٨١.

بطن الأم، وإلى ذلك يشير الحديث الشريف الذي رواه الصدوق بإسناده عن محمد بن أبي عمر، قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله ﷺ: ((الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه فقال: الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء...))^(٤٠).

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ((لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته، ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم قال [السائل]: فما بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟ قال: ((الشريف المطيع، والوضيع العاصي، قال: أليس فيهم فاضل ومفضول؟ قال: إنما يتفاضلون بالتقوى. قال: فتقول:

(٤٠) الصدوق، محمد بن الحسين، محمد بن علي،

التوحيد: ص ١٢٥٦.





إن ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلا بالتقوى؟. قال: نعم، إني وجدت أصل الخلق التراب، والأب آدم، والأم حواء، خلقهم إله واحد، وهم عبيده، إن الله عز وجل اختار من ولد آدم أناساً طهر ميلادهم، وطيب أبدانهم، وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل، فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لأمر استحقوه من الله عز وجل. ولكن علم الله منهم حين ذرأهم أنهم يطيعونه ويعبدونه ولا يشركون به شيئاً، فهؤلاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده، وهؤلاء الذين لهم الشرف والفضل والحسب، وسائر الناس سواء، ألا من اتقى الله أكرمه، ومن أطاعه أحبه، ومن أحبه لم يعذبه بالنار...)) (٤١).

وغيرها من الروايات التي تؤكد بها لا يقبل اللبس على أن علمه سبحانه بالأشياء قبل الخلق وبعده على نسق

(٤١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٨٣ - ٨٤.

واحد من دون فرق بين الحالين. ويمكن تعزيز هذا المعنى بشهادة المفسر الكبير العلامة الطباطبائي الذي يقول في تفسيره: ((الله سبحانه يمد الإنسان في أعماله سواء كان ممن يريد العاجلة أو الآخرة، فإن جميع ما يتوقف عليه العمل في تحقيقه من العلم والإرادة والأدوات البدنية والقوى العمالة والمواد الخارجية التي يقع عليها العمل ويتصرف فيها العامل، والأسباب والشرائط المربوطة بها كل ذلك أمور تكوينية لا صنع للإنسان فيها، ولو فقد كلها أو بعضها لم يكن العمل، والله سبحانه هو الذي يفيضها بفضله ويمد الإنسان بها بعطائه، ولو انقطع منه العطاء انقطع من العامل عمله)) (٤٢).

وبهذا المسار يذهب الفخر كما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾، أي كل واحد من الفريقين، والتنوين عوض من المضاف إليه: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ﴾

(٤٢) الطباطبائي، محمد حسين، محمد حسين، تفسير الميزان: ج ١٣، ص ٦٦ - ٦٧.

عَطَاءُ رَبِّكَ ، أي أنه تعالى يمد الفريقين بالأموال ويوسع عليهما في الرزق مثل الأموال والأولاد، وغيرهما من أسباب العزّ والزينة في الدنيا؛ لأنّ عطاءنا ليس يضيق عن أحد مؤمناً كان أو كافراً؛ لأنّ الكل مخلوقون في دار العمل، فوجب إزاحة العذر وإزالة العلة عن الكل وإيصال متاع الدنيا إلى الكل على القدر الذي يقتضيه الصلاح، فبين تعالى أن عطاءه ليس بمحظور، أي غير ممنوع يقال حظره يحظره، وكل من حال بينه وبين شيء فقد حظره عليك^(٤٣).

إذن لما علم الله تعالى أن إرادتهم ه تجري دائماً على وفق ما شرّعه لهم من أحكام، نتيجة ما زودوا به من إمكانيات ذاتية واستعدادات خاصة، فهو تعالى يهيئ لهم كل ما يحقق مرادهم من دون سلب اختيارهم كما أراد للأنبياء الطهارة والعصمة.

ومن مجموع ما تقدم من مقدمات من كون الله تعالى عادلاً حكيماً يعطي كل

(٤٣) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج ٢٠، ص ١٨١.

مستعد لما استعد له، وأن الله تعالى عالم بالأشياء قبل خلقها، وأن الإنسان كائن مختار، ينتج أن الله تعالى لو علم باستعداد إنسان لكلمات معينة، فإنّ الله تعالى بمقتضى حكمته وعدله سوف يهيئ له ما يوصله إلى ما استعد له.

وفي هذا الضوء لما علم الله تعالى منذ الأزل باستعداد هذه المجموعة من البشر - وهم الأنبياء والأوصياء - لتحمل مقامات الرسالة والولاية، فإن الله تعالى قد اصطفاهم واختارهم، وهياً لهم ما يمكنهم من وصولهم إلى ما استعدوا له.

وبعبارة أخرى: إنّ عدم إفاضة وإعطاء المستعد ما استعد له، إمّا لبخل، أو لعجز، وكلاهما محال على الله تعالى كما هو واضح، فقد اصطفى تعالى الذين شاء من عباده من بداية الخلق لعلمه مما سيكون من شأنهم وقابليتهم.

إذن بمقتضى حكمته وعدله بإعطاء كل مستعد ما استعد له، أن ييسر له ما استعد له كل حسب قابليته واستعداده، وإلاّ أضر بحكمته وعدله.



بعض عباده ممن له استعداد إرادة للطاعة والعبودية ويهيئ لهم تعالى المقدمات التي يمكن من خلالها الوصول إلى مقام الطاعة والقرب الإلهي.

المبحث الخامس:

أسباب ومناشئ الإصطفاء عند العقلاء

الإصطفاء منهج عقلائي، يمارسه العقلاء في حياتهم، ألا ترى لو وجد بين الطلاب طالب يمتاز بنبوغ عال، فهل من العدالة والإنصاف أن يترك مع بقية الطلبة؟ من الواضح أن هذا غير صحيح؛ لأن العدالة تقتضي أن توفر الرعاية والعناية الخاصة، وتهيئ الإمكانيات التي تجعله قادراً على الإنتاج، والاستفادة من طاقاته ونبوغه بحسب قابليته.

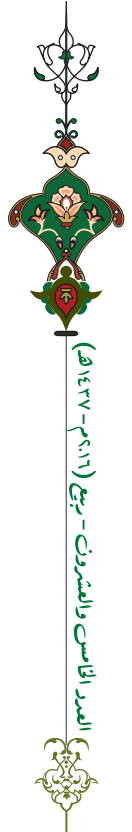
وهناك ومثال آخر يمارسه العقلاء في حياتهم اليومية، وهو فيما لو كان لديك أولاد وكان لأحدهم نبوغ وكفاءة، فهل من العدالة أن تساوي بين هذا النابغة وبقية أخوته من توفير مقدمات الدراسة؟.

الجواب: بناء على ما تقدم من أن قوام

وقد تناول الشيخ الطوسي هذه النقطة بالذات في إجابته عن إشكالية تقديم هؤلاء المصطفين قبل العمل، حيث يقول: ((إذا كان في المعلوم أن صلاح الخلق لا يتم إلا بتقديم الأعلام لذلك بما قدم من البشارة بهم، والإخبار بما يكون من حسن أفعالهم والتشويق إليهم بما يكون من جلالتهم إلى غيره من الآيات التي تشهد لهم، والقوى في العقول والإفهام التي كانت لهم، وجب في الحكمة تقديم ذلك لما فيه والآية تدل على أن الذين اصطفاهم معصومون منزهون، لأنه لا يختار ولا يصطفي إلا من كان كذلك، ويكون ظاهره وباطنه واحداً، فإذا يجب أن يختص الإصطفاء بآل إبراهيم وآل عمران من كان مرضياً معصوماً سواء كان نبياً أو إماماً)) (٤٤).

وبهذا يلتقي القرآن والرواية بالإضافة إلى معاضدة الدليل العقلي للدلالة على أن الباري تعالى يصطفي

(٤٤) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان: ج ٢، ص ٤٤٠.



العدل هو إعطاء كل مستعد ما هو مستعد له، وإلاّ فيكون ظالماً له.

فعلى هذا الأساس فالعدالة إذن تقتضي توفير وتهيئة الظروف الملائمة للاستفادة من نبوغه، ومن الظلم له تركه ومساواته مع غيره من الذين لم يحصلوا على مثل ما حصل عليه.

ومن هنا فالله تعالى أولى عناية خاصة بهذه المجموعة من البشر الذين اصطفاهم بعلمه السابق بهم، وبقابليتهم على طاعته بأعلى درجاتها، دون غيرهم من الناس.

بل قيل إن في علم الهندسة الوراثية يدرسون جينة الشخص؛ لتشخيص قابلياته ومعرفة خصائصه واستعداده ليضعوه في الموضع والمكان المناسب، وهل له قدرة على القيادة والعطاء أم لا؟. وهذا هو منهج الاصطفاء الإلهي.

وهذا المعنى يقرره صدر المتألهين بقوله: ((يختار الله عزّ وجلّ أنبياءه ورسله، لما يجده فيهم من مقومات عظيمة ومؤهلات عالية، ولما يراه مناسباً لقومهم، ويلاءم عصرهم وزمانهم.

وهذا منهج يتبعه القادة والحكام، فإنهم يبحثون الرسل والسفراء إلى أمراء العالم وحكامهم، و يختارونهم اختياراً موفقاً يؤدون فيه مهامهم أداءً حسناً، غير أنه مع الأسف الشديد يرفض بعض الجهلاء هذا المبدأ العقلي السليم)) (٤٥).

إذن اختيار الله تعالى واصطفاءه للأنبياء والأوصياء، إنما جاء وفقاً للعدالة والحكمة الإلهية التي تقتضي إعطاء كل مستعد ما هو مستعد له، وإلا - لو لم يعط كل مستعد ما هو مستعد له - لأخل بحكمته وعدالته.

وعلى هذا الأساس فقد اعتنى الله تعالى بمن اصطفاهم من الأنبياء والأوصياء.

أمّا كيفية العناية الإلهية وآلياتها، فهو يحتاج إلى بحث مستقل لبيان العناية الإلهية بالمصطفين من عباده.

(٤٥) الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): ج ٣، ص ٢٠٠.

المصادر

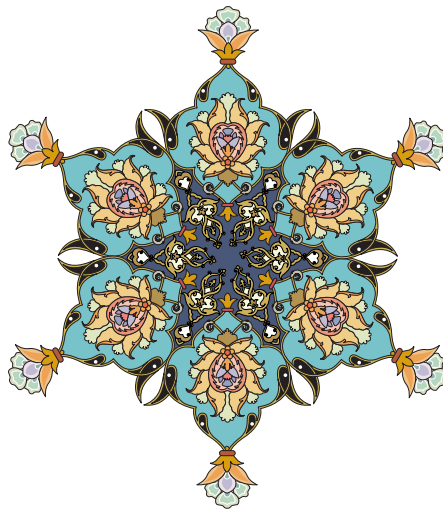
- العلمية، بيروت.
١٠. الراغب الاصفهاني، مفردات القرآن كريم، ط ١، دار الشامية، بيروت.
١١. الزبيدي، تاج العروس، مكتبة الحياة، بيروت.
١٢. الزمخشري، الفايق في غريب الحديث: ط الأولى، ١٤١٧، دار الكتب العلمية.
١٣. الزمخشري، الكشف، ط ٢، منشورات البلاغة، قم.
١٤. الصدوق، الاعتقادات في دين الإمامية، دار المفيد للطباعة والنشر، بيروت.
١٥. الصدوق، الأمالي، مؤسسة البعثة، قم.
١٦. الصدوق، التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسيني الطهراني، جامعة المدرسين-قم.
١٧. الصدوق، الخصال، منشورات جماعة المدرسين، قم.
١٨. الصدوق، علل الشرائع، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.
١٩. الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام،
- القرآن الكريم
١. العسقلاني، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢. الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار القلم، الدار الشامية-دمشق، بيروت.
٣. الجرجاني الشريف علي بن محمد، التعريفات، ط ١، انتشارات ناصر خسرو، طهران.
٤. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار المعرفة.
٥. الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦. البخاري، الجامع الصحيح، ط ١، دار الفكر، بيروت.
٧. بن عاشور محمد طاهر المالكي، التحرير والتنوير.
٨. البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت.
٩. الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ط ٢، دار المكتب



٢٩. الطوسي، التبيان، مكتب الإعلام الإسلامي، طهران.
٣٠. الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق السيد حسن الخرسان، ط ٤، دار الكتب الإسلامية، قم.
٣١. علي ابن إبراهيم القمي، تفسير القمي، مطبعة النجف، ١٣٨٧ هـ.
٣٢. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣. الكليني، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر: دار الكتب الإسلامية أفندي، ط ٣ - ١٣٨٨ هـ.
٣٤. المجلسي، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت.
٣٥. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ط ١، دار الفكر، بيروت.
٣٦. الهيثمي نور الدين مجمع الزوائد، نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، طبعة عام ١٤٠٨.
٣٧. الفراهيدي، كتاب العين، ط ٢ - مؤسسة دار الهجرة.
٣٨. الفيض الكاشاني، التفسير الصافي ط الاولى، منشورات الاعلامي بيروت.
- تحقيق حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
٢٠. الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر غفاري، ط ٢، جماعة المدرسين، قم.
٢١. الصفار محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، منشورات الأعلمي، طهران.
٢٢. الطباطبائي محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة اسماعيليان، قم.
٢٣. الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة.
٢٤. الطبراني، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.
٢٥. الطبراني، مسند الشاميين: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٦. الطبرسي، الاحتجاج، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.
٢٧. الطبرسي، مجمع البيان، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
٢٨. الطبري، جامع البيان، دار الفكر، بيروت.



٣٩. أبو السعود، تفسير أبي السعود، دار
إحياء التراث العربي، بيروت.
٤٠. ابن خلدون، تاريخ بن خلدون،
دار الفكر، بيروت.
٤١. ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة
المعارف، بيروت.
٤٢. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد،
للعلامة الحلي جمال الدين حسن بن
يوسف بن المطهر. تحقيق حسن
- حسن زاده الآملي. الطبعة الأولى،
قم، مؤسسة النشر الإسلامي،
١٤٠٧.
٤٣. أبو المعالي صدر الدين محمد بن
اسحاق، مفاتيح الغيب ط الاولى
١٤١٦ - إيران).
٤٤. الحسن، ابن طاووس، التحصين:
الطبعة الأولى، ١٤١٣ مؤسسة دار
الكتاب الجزائري.



تَوْجِيهُ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ فِي ضَوْءِ حُرُوفِ الْمَعَانِي (حُرُوفِ الْجَرِّ مَثَلًا)

د. أحمد حسين الجحيشي

جامعة المثنى - كلية التربية للعلوم الإنسانية

فحوى البحث

يمثل هذا البحث وقفة متأنية أمام أمثلة قرآنية اشتملت على حروف الجر، إذ أثرت دلالات تلك الحروف في توجيه هذه الأمثلة (النصوص) من جهات مختلفة، فلما كانت تلك الحروف تحتل معاني كثيرة، فاختلف المفسرين في تعيين دلالة من دلالاتها أدى بهم إلى اختلافهم في توجيه النص القرآني، فإذا كان النص القرآني مشتملاً على أحكام شرعية أدى ذلك إلى اختلافهم في بيان تلك الأحكام. وسيجد القارئ وجوهاً كثيرة في النص الواحد، ولربما تداخلت هذه الوجوه - عند القارئ - وصعب التمييز بينها؛ لأنها تلتقي وتفترق فيما بينها في آن واحد.

مدخل

غير خاف أثر اللغة العربية - بنحوها وبلاغتها - في فهم القرآن الكريم، بل جعل العلماء المعرفة بلسان العرب من أهم الشروط المطلوبة لمن أراد أن يفسر القرآن، ويستنبط منه الأحكام، ومن بين مباحث علم العربية، مبحث معاني الحروف أو حروف المعاني، قال الزركشي (ت ٧٩٤هـ): «والبحث عن معاني الحروف، مما يحتاج إليه المفسر لاختلاف مدلولها»^(١)، وذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) هذه الحروف تحت عنوان (الأدوات التي يحتاج إليها المفسر) قائلا: «وأعني أن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها»^(٢) ومن أوسع تلك الحروف من حيث تعدد معانيها، حروف الجر، إذ أثرت دلالات تلك الحروف في توجيه النص القرآني من جهات مختلفة، وقد نبه على ذلك كثير من المفسرين، إذ اختلف المفسرين

في تحديد دلالات حروف الجر مفض إلى اختلافهم في توجيه النص القرآني، فإذا كان النص القرآني مشتملا على أحكام شرعية أدى ذلك إلى اختلافهم في بيان تلك الأحكام.

وستقف على أمثلة قرآنية نتبعها في كتب المفسرين نبين فيها قدر اختلافهم بناء على تعدد دلالات حروف الجر.

إلى:

ولها ثمانية معان^(٣): انتهاء الغاية الزمانية أو المكانية - وهو أصل معانيها - وبمعنى (مع)، والتبيين، وموافقة (اللام)، وموافقة (في)، والابتداء بمعنى موافقة (من)، وزائدة للتوكيد، وأضاف إليها الهروي^(٤) معنى آخر وهو الإلصاق، أي موافقة الباء^(٥). وقد وردت في القرآن الكريم (٧٤٣) مرة^(٦)

(٣) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٨٥ - ٣٩٠، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١ / ١٠٤ - ١٠٥.

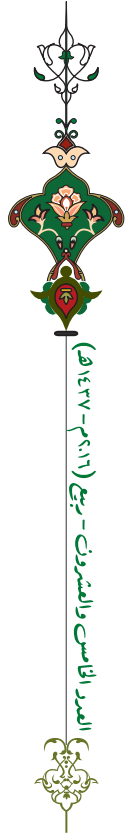
(٤) هو علي بن محمد النحوي الهروي.

(٥) ينظر: الازهية في علم الحروف: ٢٨٤.

(٦) ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ١ / ٣٢٢ - ٣٣٥.

(١) البرهان في علوم القرآن: ٢ / ١٧٥.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ١ / ١٤٥.



ومن أمثلتها في النص القرآني الذي اختلف في توجيهه: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٥٢].

اختلف توجيه المفسرين لهذا النص القرآني تبعاً لاختلافهم في تحديد دلالة حرف الجر (إلى) في هذا النص، وحاصل أقوالهم في معنى حرف الجر (إلى) ثلاثة وجوه، هي:

١. إن حرف الجر (إلى) مضمّن معنى حرف جر آخر.
٢. أن حرف الجر (إلى) مضمّن معنى الإضافة.
٣. إن حرف الجر (إلى) لم يضمّن حرف جر آخر وإنما دلّ على الغاية المجردة وهو أصل معانيها.

وقد اختلف توجيههم للنص القرآني في كل وجه من هذه الوجوه:

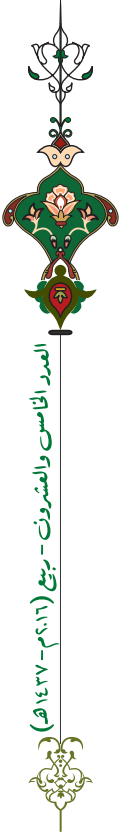
أولاً: إن حرف الجر (إلى) مضمّن معنى حرف جر آخر أو مضمّن معنى الإضافة.

لم يتفق اللغويون والمفسرون القائلين بتضمين حرف الجر (إلى) معنى حرف جر آخر، على حرف جر واحد، وإنما ذهبوا إلى ثلاثة أحرف، هي: (مع) و(في) و(اللام).

١. تضمين حرف الجر (إلى) معنى (مع):

ذكر معظم المفسرين، أن حرف الجر في هذه الآية مضمّن معنى (مع)، بيد أنهم اختلفوا في قبولهم هذا الوجه، أو الردّ عليه، أو الاكتفاء بعرضه، وسنكتفي ببيان رأي الذين تبنوه ووجهوا النص القرآني في ضوءه، والذين رفضوه وردّوه: القول بأن (إلى) -في هذا النص- بمعنى (مع) مروي عن سفيان الثوري والسدي وابن جريج^(٧) قال الفراء (ت٢٠٧هـ): «وقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي﴾

(٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين: ابن أبي حاتم الرازي: ٦٥٩، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير: ٢ / ٤٥. ومجمع البيان لعلوم القرآن: الطبرسي: ٢ / ٣٦٩، والبحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٢ / ٤٩٤.



إِلَى اللَّهِ ﴿المفسرون يقولون: من أنصاري مع الله، وهو وجه حسن. وإنما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضممت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه، كقول العرب: إن الذود إلى الذود إبل، أي إذا ضممت الذود إلى الذود صارت إبلا. فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان (مع) (إلى)، ألا ترى أنك تقول: قدم فلان ومعه مال كثير، ولا تقول في هذا الموضع: قدم فلان وإليه مال كثير. وكذلك تقول: قدم فلان إلى أهله، ولا تقول: مع أهله، ومنه قوله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢] معناه: ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم»^(٨)، واختار الطبري (ت ٣١٠هـ) هذا التوجيه وحسنه قائلا: «وإنما حسن أن يقال: (إلى الله) بمعنى: (مع الله)؛ لأن من شأن العرب إذا ضموا الشيء إلى غيره ثم أرادوا الخبر عنهما بضم

أحدهما إلى الآخر إذا ضمَّ إليه جعلوا مكان (مع)، (إلى) وأحيانا تخبر عنهما بـ (مع)»^(٩) وذكره الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في أحد وجوه معنى (إلى)^(١٠) واختاره أيضا السمرقندي: «يقول: من أعواني مع الله؟. قال القتيبي^(١١) (إلى) ههنا بمعنى (مع) مثل قوله ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ أي مع أموالكم»^(١٢)، واختاره أيضا ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) إذ فسر حرف الجر (إلى) هنا بالمعية فذكر بسنده عن سفيان الثوري أنه قال: في قوله: (من أنصاري إلى الله) قال: من أنصاري مع الله»^(١٣).

والملاحظ في هذا التوجيه أن المفسرين واللغويين لم يقولوا أن (إلى) بمعنى (مع) وكفى - سوى ما ورد في

(٩) جامع البيان في تفسير القرآن: الطبري: ٤٤٣ / ٦.

(١٠) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٤٧٣ / ٢.

(١١) هو أبو محمد عبد الله بن قتيبة القتيبي الدينوري (ت ٢٧٠هـ).

(١٢) بحر العلوم: ٢٧٠ / ١.

(١٣) تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين: ٦٥٩ / ٣.

(٨) معاني القرآن: ٢١٨ / ١، وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٨٦، وينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الآلوسي: ١٧٥ / ٣.

المأثور عن سفيان والسدي وجريج-
وإنما أوردوا مثالا قرآنيا آخر أرادوا في
ضوئه توضيح ما ذهبوا إليه وهو قوله
تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ إذ
اشترطوا في (إلى) أن تحمل معنى الضم أو
الإضافة، وهو معنى (مع) فإن لم تحتمل
هذا المعنى لا يصح تقديرها بـ (مع)، قال
الزجاج (ت ٣١١هـ): «و(إلى) ههنا إنما
قاربت (مع) معنى بأن صار اللفظ لو
عبر عنه بـ (مع) أفاد مثل هذا المعنى،
لا أن (إلى) في معنى (مع) لو قلت:
ذهب زيد إلى عمرو لم يجوز: ذهب زيد
مع عمرو؛ لأن (إلى) غاية، و(مع) تضم
الشيء إلى الشيء، فالمعنى: يضيف نصرته
إياي إلى نصره الله، وقولهم: إن (إلى) في
معنى (مع) ليس بشيء، والحروف قد
تقاربت في الفائدة فيظن الضعيف العلم
باللغة أن معناهما واحد»^(١٤).

والملاحظ أن بعض المفسرين الذين
قالوا: إن (إلى) بمعنى (مع) من دون
تفصيل أو توضيح يتوهم في قولهم
أنهم يقولون أن معناهما واحد، ولذا
سارع المفسرون إلى بيان الفارق الدلالي
بينهما فقالوا: إنها يشتركان بمعنى
الضم أو الإضافة ومع هذا التوضيح
والتبيين استعمل هؤلاء لفظ (مع) كما
ذكرنا في بعض أمثلتهم سابقا، في حين
لم يستعمله آخرون ومنهم الزمخشري
(ت ٥٣٨هـ) حين قال: «و (إلى الله) من
صلة أنصاري مضمنا معنى الإضافة،
كأنه قيل: من الذين يضيفون أنفسهم
إلى الله ينصروني، كما ينصروني»^(١٥)، وقد
نحا البيضاوي^(١٦) (ت ٦٨٥هـ) منحى
الزمخشري فقال: «ويجوز أن يتعلق الجار
بـ (أنصاري) مضمنا معنى الإضافة، أي
من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله تعالى

(١٤) معاني القرآن وإعرابه: ١ / ٤١٦، وينظر:
التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): الفخر
الرازي: ٨ / ٦٩، وينظر: مجمع البيان
لعلوم القرآن: ٢ / ٣٦٩، وينظر: روح
المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع
المثاني: ٣ / ١٧٥.

(١٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون
الأقوال في وجوه التأويل: الزمخشري:
١٧٣.

(١٦) هو ناصر الدين عبد الله بن عمر بن
محمد البيضاوي الشيرازي الشافعي.

في نصري»^(١٧)، وهو ما قاله المراغي في تفسيره أيضا^(١٨).

إن تضمين الإضافة في حرف الجر (إلى) في هذه الآية كان مقبولا عند من ينكر أن (إلى) بمعنى (مع) بيد أنه اشترط أن يكون معناه الغاية بلا تقدير (مع) ومنهم ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) إذ ردّ هذا التوجيه بقوله: «وقوله: (إلى الله) يحتمل معنيين... والمعنى الثاني: أن يكون التقدير من يضيف نصرته إلى نصره الله لي؟. فيكون بمنزلة ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ فإذا تأملتها وجدت فيها معنى الغاية لأنها تضمنت إضافة شيء إلى شيء، وقد عبر عنها ابن جريج والسدي بأنها بمعنى (مع)، ونعم إن (مع) تسد في هذه المعاني مسد (إلى) لكن ليس يباح من هذا أن يقال إن (إلى) بمعنى (مع) وهذه عجمة، بل (إلى) في هذه الآية غاية مجردة»^(١٩).

(١٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١/ ٣٤٩.

(١٨) ينظر: تفسير المراغي: ٣/ ١٦٣.

(١٩) المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز: ٤٤٢ / ١.

وقال الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ) «والمعنى في قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَى اللَّهِ﴾ من يضيف نصرته إلى نصره الله، و(إلى) في هذا أبلغ من (مع)؛ لأنك لو قلت: من ينصري مع فلان لم يدل على أن فلانا وحده ينصرك، ولا بدّ، بخلاف (إلى) فإن نصرته ما دخلت عليه محققة واقعة، مجزوم بها، إذ المعنى على التضمين: من يضيف نصرته إلى نصرته فلان»^(٢٠).

وقد ردّ السيد الطباطبائي هذا التوجيه سواء أكانت (إلى) بمعنى (مع) أم كانت مضمنة الإضافة، بقوله: «وأما ما احتمله بعض المفسرين من كون (إلى) بمعنى (مع) فلا دليل عليه، ولا يساعد أدب القرآن أن يجعله تعالى في عداد غيره فيعد غير الله ناصرا كما يعده ناصرا، ولا يساعد عليه أدب عيسى عليه السلام اللائح مما يحكيه القرآن من قوله تعالى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، أيضا لا يساعد عليه إذ كان من اللازم على ذلك أن يقولوا: (نحن أنصارك مع الله)

(٢٠) الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٨٦.



فليتأمل»^(٢١).

تضمين حرف الجر (إلى) معنى (في):

القائلين بهذا الوجه عدد قليل من المفسرين بيد أن الرازي (ت ٦٠٤هـ) - بعد أن ذكر وجوه معنى (إلى) - ذكر أنه قول الحسن البصري قائلًا: «تقدير الآية، من أنصاري في سبيل الله، و (إلى) بمعنى (في) جائز وهذا قول الحسن»^(٢٢) بيد أني وجدت في بعض التفاسير أن ما نسب إلى الحسن غير الذي ذكره الرازي ولا سيما في تفسيري الطوسي والطبرسي (ت ٥٤٨هـ) وهما متقدمان عليه «قال الحسن: من أنصاري في السبيل إلى الله؟ لأنه دعاهم إلى سبيل الله»^(٢٣) وعلى هذا تكون (إلى) دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها، وليس بمعنى (في) كما ذكر الرازي، فهناك فرق كبير في التقديرين

(٢١) الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٢٣٥.

(٢٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ٨ / ٦٩.

(٢٣) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٢ / ٤٧٣، وينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٢ / ٣٦٩، وينظر: البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٢ / ٤٩٤.

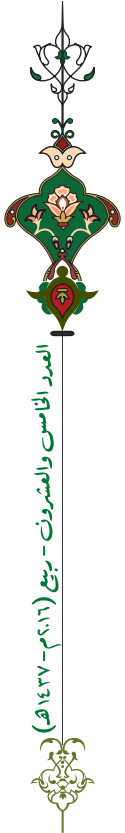
بين أن تقول: من أنصاري في سبيل الله، ومن أنصاري في السبيل إلى الله، على أن التقدير الثاني ذكر في أكثر من تفسير وإن لم ينسب للحسن، بخلاف التقدير الأول الذي لم يذكره سوى الرازي منسوباً للحسن، أما البيضاوي فقد اكتفى بالإشارة إلى تضمين (إلى) معنى (في) قائلًا: «وقيل: (إلى) ههنا بمعنى (في)»^(٢٤) وأشار آلوسي (ت ١٢٧٠هـ) إلى ذلك أيضاً^(٢٥).

تضمين حرف الجر (إلى) معنى (اللام):

القائلين بهذا الوجه عدد قليل من المفسرين وقد جعله الطوسي في الوجه الثالث منسوباً للجبائي ومعللاً هذا الوجه بقوله: «قال الجبائي: من أنصاري لله، كما قال: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [سورة يونس: ٣٥] ووجه ذلك أن العرض يصلح فيه (اللام) عن طريق العلة وإلى طريق النهاية، فإن قيل أن عيسى إنما

(٢٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣ / ٣٤٩.

(٢٥) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣ / ١٧٥.



المفسرون في معنى (إلى) في هذه الآية - إلى هذا المعنى قائلا: «فالسالم عن هذا الحمل من التفاسير مع اشتماله على قلة الإضمار أولى، ومن هنا اختار بعضهم كون (إلى) بمعنى (اللام)... كأنه عليه السلام طلب منهم أن ينصروه الله تعالى لا لغرض آخر مدججا أن نصره الله تعالى في نصره رسوله، وجوابه المحكي عنهم بقوله سبحانه: ﴿قَالَ الْخَوَارِثُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، شديد الطباق له، كأنهم قالوا: نحن ناصروك؛ لأنه نصر الله تعالى للغرض الذي رمز إليه، ولو قالوا مكانه: نحن أنصارك لما وقع هذا الموقع. وأنت تعلم أن جعل (إلى) بمعنى (اللام) أو (في) التعليليتين يحصل طلبه المسيح التي أشير إليها على وجه لعله أقل تكلفا مما ذكر» (٢٩)

فالأسوسي وجد في الوجوه الكثيرة التي ذكرها المفسرون في بيان معنى (إلى) أنها لا تخلو من التقدير والإضمار وهو مما يشوبه التكلف، فالمعنى عنده مع قلة

(٢٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣/ ١٧٥.

بعث بالوعظ دون الحرب لم استنصر عليهم؟. قلنا للحماية من الكافرين الذين أرادوا قتله عند إظهار الدعوة - في قول الحسن ومجاهد - وقال آخرون: يجوز أن يكون طلب النصرة للتمكين من إقامة الحجة وإنما قاله لتمييز الموافق من المخالف» (٢٦) وقد جعله الرازي في الوجه الخامس في معنى (إلى) من دون أن يرجحه أو يعلله، إذ اكتفى بعرضه قائلا: «أن يكون (إلى) بمعنى (اللام) كأنه قال: من أنصاري لله؟. نظير قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾» (٢٧) وذكر أبو حيان هذا الوجه مع نسبته إلى أبي علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) قائلا: «قال أبو علي الفارسي معنى: إلى الله: الله، كقوله: (يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، أي للحق)» (٢٨) وأشار الألوسي - بعد أن ذكر ما قاله

(٢٦) التبيان في تفسير القرآن: الطوسي: ٢/ ٤٧٣.

(٢٧) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ٨/ ٦٩.

(٢٨) البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي: ٢/ ٤٩٤.

الإضمار أولى؛ لذا اختار أن يكون معنى (إلى) قريب من معنى (اللام) أو (في) مشيراً إلى أن هذا الوجه وإن اشتمل على شيء من التكلف فهو أقل تكلفاً مما ذكره الآخرون وأكثر انسجاماً وتلاهما ومطابقة مع جواب هذا السؤال المحكي عنهم (نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ).

ثانياً: إنّ حرف الجر (إلى) لم يضمن حرف جر آخر وإنما دلّ على الغاية المجردة وهو أصل معانيها.

ذكر هذا الوجه عدد كبير من المفسرين بيد أنهم وإن اتفقوا في دلالة حرف الجر (إلى) على الغاية فقد اختلفوا في توجيه النص القرآني ولاسيما في تقدير المضمّر فيه على أقوال:

١. ذهب فريق منهم إلى أن حرف الجر (إلى) متعلق بمحذوف وقع حالا، وعلى هذا يكون تقدير الآية: من أنصاري متوجّهاً إلى الله، أو ملتجئاً إليه، أو ذاهباً إليه؟. وممن ذكر ذلك من المفسرين^(٣٠) الزمخشري،

(٣٠) ينظر: الكشف: ١٧٣، والتفسير الكبير (مفاتيح الغيب): ٨ / ٦٩، وأنوار

والرازي، والبيضاوي، والشوكاني^(٣١) (ت ١٢٥٠هـ)، والآلوسي.

٢. ذهب فريق آخر إلى تقدير محذوف يبقّي حرف الجر (إلى) دالاً على الغاية، وعلى الرغم من اختلافهم في تقدير هذا المحذوف إلا أن المعنى العام للنص القرآني يكاد يكون متقارباً ومن ذلك: ما ذكره ابن عطية «وقوله ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يحتمل معنيين، أحدهما: من ينصّري في السبيل إلى الله؟. فتكون إلى دالة على الغاية دلالة ظاهرة على بابها»^(٣٢) وقد ذكرنا فيما سبق أن هذا التوجيه ينسب إلى الحسن^(٣٣)، أو ما ذكره الطبرسي بقوله: «من أعواني على

التنزيل وأسرار التأويل: ١ / ٣٤٩، وفتح القدير: ١ / ٥١٩، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٣ / ١٧٥. (٣١) وهو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، مفسر فقيه مجتهد، من كبار علماء اليمن. (٣٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٤٤٢.

(٣٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢ / ٤٧٣، وينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٢ / ٣٦٩.





إقامة الدين المؤدي إلى الله؟»^(٣٤)

أو ما اختاره ابن كثير بقوله:

«فالظاهر أنه أراد من أنصاري

في الدعوة إلى الله؟»^(٣٥) وبه قال

محمد عبده: «(قَالَ مَنْ أَنْصَارِي

إِلَى اللَّهِ) أَي تَوَجَّهَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى

البحث عن أهل الاستعداد الذين

ينصرونه في دعوته تاركين لأجلها

كل ما يشغل عنها منخلعين عمّا

كانوا فيه متحيزين ومنزوين إلى الله

منصرفين إلى تأييد رسوله ونصره

على خاذليه والكافرين بما جاء به

(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ)

أي أنصار دينه»^(٣٦).

والملاحظ أن هذه التقديرات وإن

اختلفت في الكلمات فإن معناها واحد

فلا فرق بين السبيل، والدين، والدعوة.

ومن أمثلتها التي اشتملت على حكم

شرعي قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا

وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [سورة

المائدة: ٦].

اختلف المفسرون في توجيه هذا

النص القرآني تبعا لاختلافهم في بيان

معاني حرف الجر (إلى) وذلك على قولين:

١. حرف الجر (إلى) بمعنى (مع).

٢. حرف الجر (إلى) لانتها الغاية.

ومن يطّلع على آراء المفسرين في

توجيه هذا النص القرآني يجد فيها

أثر الفقه واضحاً، لا لأن هذا النص

مشمّلت على حكم شرعي فحسب، بل

لأن هذا الحكم اختلف فيه بين المذاهب

الإسلامية، إذ غسل اليد في الوضوء

يشتمل على أمرين هما: كيفية الغسل،

وحدّ الغسل، ولذا حاول معظم

المفسرين الانتصار لمذهبهم الفقهي عن

طريق توجيه النص القرآني.

١. (إلى) بمعنى (مع):

نقل الطبرسي عن الواحدي أن «

كثيراً من النحويين يجعلون (إلى) هنا

بمعنى (مع)، ويوجبون غسل المرافق،

وهو مذهب أكثر الفقهاء»^(٣٧) والظاهر

(٣٧) مجمع البيان لعلوم القرآن: ٣ / ٣٣٠.

(٣٤) مجمع البيان لعلوم القرآن: ٢ / ٣٧٠.

(٣٥) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٤٥.

(٣٦) تفسير المنار: ٣ / ٣٣١ - ٣١٤.

أن تقدير النحويين (إلى) بمعنى (مع) هو لغرض إدخال المرافق في الوضوء، نظراً لكثرة الروايات عن النبي ﷺ أنه كان يغسلها إذا توضأ، إذ لم يجعلوها لانتهاء الغاية؛ لأنهم يرون أن انتهاء الغاية ظاهر في انتفاء دخول ما بعدها وهو ما ذكره الألويسي بقوله: «ومنهم من حكم بظهور انتفاء الدخول، وعليه النحويون»^(٣٨)، وحكي عن الشافعي أنه قال: لا أعلم خلافاً في أن المرافق يجب غسلها، ولذا قيل (إلى) بمعنى (مع) كما في قوله تعالى ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [سورة هود: ٥٢] و (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ).... وأمثال ذلك كثيرة^(٣٩).

٢. حرف الجر (إلى) لانتهاء الغاية.

رفض عدد من اللغويين والمفسرين أن تكون (إلى) بمعنى (مع) وذهبوا إلى أنها تفيد الغاية لا غير، ومنهم الزجاج بقوله: «فذكر الحد في الغسل إلى المرافق، واليد من أطراف الأصابع إلى الكف

ففرض علينا أن نغسل بعض اليد من أطراف الأصابع إلى المرافق، فالمرق متقطع مما لا يغسل ودخل فيها يغسل، وقد قال بعض أهل اللغة معناه مع المرافق، واليد المرفق داخل فيها، فلو كان اغسلوا أيديكم مع المرافق، لم تكن في المرافق فائدة، وكانت اليد كلها يجب أن تغسل، ولكنه لما قيل: إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حدّ المرفق... فالمرق حدّ ما ينتهي إليه في الغسل منها، وليس يحتاج إلى تأويل (مع)»^(٤٠) وقد وافق الزجاج في تعليقه هذا عدد من المفسرين كالطبرسي، والبيضاوي والسيد الطباطبائي^(٤١).

وتوجيه النص القرآني على أن (إلى) بمعنى (مع) أو أنها لانتهاء الغاية يترتب عليه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: سبب القول: إن (إلى) بمعنى (مع) هو لغرض إدخال المرافق في الوضوء لأن النبي ﷺ كان يدخلها فيه، فهؤلاء يرون أن (إلى) لو

(٤٠) معاني القرآن وإعرابه: ٢ / ١٥٣.

(٤١) ينظر: مجمع البيان: ٣ / ٣٣٠، وأنوار

التنزيل: ٢ / ١١٦، والميزان في تفسير

القرآن: ٥ / ٢٢٥.

(٣٨) روح المعاني: ٦ / ٧١.

(٣٩) ينظر: مجمع القرآن لعلوم القرآن: ٣

٣٣١، وروح المعاني: ٦ / ٧٠.



كانت لانتهاه الغاية لما صح أن تدخل المرافق في الوضوء؛ لأن الغاية لا يصح أن يدخل ما بعدها في حكم ما قبلها، لذا حاولوا أن يوفقوا بين دلالة النص القرآني وبين ما ورد عن النبي ﷺ وهو إدخال المرافق في الوضوء من غير أن ينقضوا هذه القاعدة فأولّوا (إلى) بمعنى (مع).

وقد ردّ السيد الطباطبائي ذلك التوجيه بقوله: «وربما ذكر بعضهم أن (إلى) بمعنى (مع) كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ وقد استند في ذلك إلى ما ورد في الروايات أن النبي ﷺ كان يغسلها إذا توضأ، وهو من عجيب الجرأة في تفسير كلام الله، فإن ما ورد في السنة في ذلك إما فعل والفعل مبهم ذو وجوه فكيف يسوغ أن يحصل بها معنى لفظ من الألفاظ حتى يعد ذلك أحد معاني اللفظ؟. وإما قول وارد في بيان الحكم دون تفسير الآية، ومن الممكن أن يكون وجوب الغسل للمقدمة العلمية أو مما زاده النبي ﷺ وكان له ذلك كما فعله ﷺ في الصلوات

الخمس على ما وردت به الروايات الصحيحة» (٤٢).

المسألة الثانية: القائلون إن (إلى) لانتهاه الغاية اختلفوا في دخول ما بعدها-وهو المرافق- في حكم ما قبلها، يقول الزركشي: «واختلف في دخول ما بعدها في حكم ما قبلها على مذاهب:

أحدها: لا تدخل إلا مجازاً؛ لأنها تدل على غاية الشيء ونهايته التي هي حدّه، وما بعد الحد لا يدخل في المحدود، ولهذا لم يدخل شيء من الليل في الصوم في قوله تعالى: ﴿أَتِمُوا الصَّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧].

الثاني: عكسه، أي أنه يدخل ولا يخرج إلا مجازاً بدليل آية الوضوء. والثالث: أنها مشتركة فيهما لوجود الدخول وعدمه.

الرابع: إن كان ما بعدها من جنس ما قبلها أو جزءاً كالمرافق دخل وإلا فلا" (٤٣).

فالذين ذهبوا إلى وجوب غسل

(٤٢) الميزان في تفسير القرآن: ٥ / ٢٢٥.

(٤٣) البرهان في علوم القرآن: ٤ / ٢٣٢.

المرفقين في الوضوء^(٤٤) منهم من ذهب إلى أن الأصل في الغاية في الحدّ أنه داخل في المحدود^(٤٥).

ومنهم من ذهب إلى أن ما بعدها إن كان من جنس ما قبلها يدخل احتياطاً وإلاّ فلا، يقول ابن عطية: «وتحرير العبارة في هذا المعنى أن يقال: إن كان ما بعد (إلى) ليس مما قبلها فالحدّ أول المذكور بعدها، وإذا كان ما بعدها من جملة ما قبلها فالاحتياط يعطي أن الحدّ المذكور بعدها؛ ولذلك يترجح دخول المرفقين في الغسل»^(٤٦).

(٤٤) ينظر: أحكام القرآن للشافعي: ١ / ٤٣، المحرر الوجيز: ٢ / ١٦٢، الكشف: ٢٨٠، أحكام القرآن للجصاص: ١ / ٣٢٠، أحكام القرآن لابن العربي: ٢ / ٥٩، أنوار التنزيل: ٣ / ٢٢٠، الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ٨٦، تفسير القرآن العظيم: ٢ / ٢٥، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١ / ٣١٠، معالم التنزيل: ٢ / ١٧، لباب التأويل: ٢ / ١٨، فتح القدير: ٢ / ١٧، زاد المسير: ٢ / ٣٠٠، مدارك التنزيل: ١ / ٣٩٥، مجمع البيان: ٣ / ٣٣٠، روح المعاني: ٦ / ٧٠، التحرير والتنوير: ٦ / ١٣٠.

(٤٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٦ / ١٣٠.

(٤٦) المحرر الوجيز: ٢ / ١٦٢.

ومنهم من ذهب إلى أن ما بعدها محتمل للدخول والخروج إلاّ أن الاحتياط هو الذي أخذ بالعلماء إلى أن يحكموا بدخولها في الغسل^(٤٧).

وأما الذين ذهبوا إلى عدم وجوب غسل المرفقين^(٤٨) فمنهم من قال بأن ما بعد (إلى) لا يدخل في حكم ما قبلها، ومنهم من قال بأن ما بعدها محتمل الدخول فيما قبلها، ويحتمل عدم الدخول ولم يأت دليل على الدخول، فنأخذ بالأصل وهو عدم الدخول^(٤٩).

وذهب فريق ثالث إلى أن النص القرآني لم يحدد وجوب غسل المرفقين من عدمه، وإنما الذي يحدد ذلك أمر خارج النص وهو السنة النبوية ويمكننا أن نتلمس ذلك في ما ذهب إليه الزمخشري بقوله: «(إلى) تفيد معنى الغاية مطلقاً فأما دخولها في الحكم وخروجها فأمر يدور مع الدليل... وقوله: (إلى المرافق)

(٤٧) ينظر: الكشف: ٢٢٨٠، مدارك التنزيل: ١ / ٣٩٥.

(٤٨) ينظر: جامع البيان: ٦ / ١٣٤، والبحر المحيط: ٣ / ٤٥٠.

(٤٩) ينظر: البحر المحيط: ٣ / ٤٥٠.



و(إلى الكعنين) لا دليل فيه على أحد الأمرين»^(٥٠)، فأصبحت الآية مجملة في ذلك، والسنة هي التي تبين الحكم وقد ورد عن النبي ﷺ أنه كان يدخلهما، وقد وافقه الجصاص في ذلك^(٥١)، وقريب من ذلك ما ذكره البيضاوي بقوله: «وأما دخولها في الحكم أو خروجها منه فلا دلالة لها عليه وإنما يعلم من خارج ولم يكن في الآية»^(٥٢) وهو ما ذهب إليه السيد الطباطبائي أيضا بقوله: «وأما دخول مدخول (إلى) في حكم ما قبله أو عدم دخوله فأمر خارج عن معنى الحرف، فشمول حكم الغسل للمرافق لا يستند إلى لفظة (إلى) بل إلى ما بينته السنة من الحكم»^(٥٣).

المسألة الثالثة: لما كانت (إلى) لانتهاء الغاية فإن ذلك يقتضي أن يكون الغسل يبدأ من أطراف الأصابع وينتهي إلى المرفقين، وقد نقلنا ذلك عن

(٥٠) الكشف: ٢٨٠.

(٥١) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٢ / ٢٤١

(٥٢) أنوار التنزيل: ٢ / ١١٦.

(٥٣) الميزان في تفسير القرآن.

الزجاج فيما سبق.
بيد أن السيد الطباطبائي وإن وافق الزجاج في أن (إلى) لا تكون بمعنى (مع) للعلة التي ذكرها، إلا أنه أضاف أن غسل اليد بعد التحديد مطلق غير مقيد بالغاية، قائلا: «وقد تبين أن قوله: (إلى المرافق) قيد لقوله: (أيديكم) فيكون الغسل المتعلق بها مطلقا غير مقيد بالغاية يمكن أن يبدأ فيه من المرفق إلى أطراف الأصابع وهو الذي يأتي به الانسان طبعاً إذا غسل يده في غير حال الوضوء من سائر الأحوال أو يبدأ من أطراف الأصابع ويختتم بالمرفق، لكن الأخبار الواردة من طرق أئمة أهل البيت ؑ تفتي بالنحو الأول دون الثاني، وبذلك يندفع ما ربما يقال: إن تقييد الجملة بقوله: (إلى المرافق) يدل على وجوب الشروع في الغسل من أطراف الأصابع والانتهاء إلى المرافق، ووجه الاندفاع أن الإشكال مبني على كون قوله: (إلى المرافق) قيذا لقوله: (فاغسلوا) وقد تقدم أنه قيد للأيدي، ولا مناص منه لكونه مشتركا محتاجا إلى

ومن أمثلتها في النص القرآني الذي
اختلف في توجيهه:

قوله تعالى: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ
وَلَا تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ وَارْسُوكُمْ
يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجْتُمْ فَأَتْبَعَكُمْ
عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ لَكُمْ تَحَرُّوا عَلَى
مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ
وَاللَّهُ خَيْرٌ يَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٥٣].

اختلف توجيه المفسرين لهذا النص
القرآني تبعاً لاختلافهم في تحديد دلالة
حرف الجر (الباء) في قوله تعالى:
﴿فَأَتْبَعَكُمْ عَمَّا بَغِمَ لَكُمْ﴾، وحاصل
أقوالهم في معنى حرف الجر (الباء) أربعة
وجوه، هي:

١. الباء تفيد السببية.
٢. الباء تفيد الجمع فيحتمل أن تكون
بمعنى (مع) أو (إلى) أو (على).
٣. الباء تفيد المقابلة.
٤. الباء تفيد البدل.

وقد اختلف توجيههم للنص القرآني
في كل وجه من هذه الوجوه، فضلاً عن
ذلك إن اختلافهم في تعيين دلالة حرف

القرينة المعينة، ولا معنى لكونه قيداً لهما
جميعاً. على أن الأمة أجمعت على صحة
وضوء من بدأ في الغسل بالمرافق وانتهى
إلى أطراف الأصابع كما في المجمع^(٥٤)،
وليس إلا لأن الآية تحتمله، وليس إلا
لأن قوله: (إلى المرافق) قيد للأيدي دون
الغسل^(٥٥).

الباء:

وهي ضربان زائدة وغير زائدة، فأما
غير الزائدة فقد ذكر لها النحويون ثلاثة
عشر معنى^(٥٦): (الإلصاق) - وهو أصل
معانيها - التعدية، الاستعانة، السببية
أو التعليل، المصاحبة، الظرفية، البدل،
المقابلة، المجاوزة، الاستعلاء، التبعية،
القسم، بمعنى (إلى) وقد وردت في
القرآن الكريم (٢٥١٧) مرة^(٥٧).

(٥٤) يريد بذلك كما ورد في تفسير مجمع البيان
في علوم القرآن ينظر، مجمع البيان: ٣/
٣٣١.

(٥٥) الميزان في تفسير القرآن: ٥ / ٢٢٥ -
٢٢٦.

(٥٦) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٣٦ -
٤٥، ومغني اللبيب: ١ / ١٣٧ - ١٤٤.

(٥٧) ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن
الكريم: ٢ / ٤٥٤ - ٤٩٦.



الجر (الباء) جعلهم يختلفون في أشياء أخرى منها: أن (الغم) المذكور هل هو ثواب ونعمة أم عقاب ونقمة، وعلى ذلك وجب تعيين دلالة الفعل (أثابكم) وتعيين فاعله هل هو الله عز وجل أم النبي محمد ﷺ، وهل هذا الغم واحد أم هو غم مضاف إلى غم، أي غمين متتابعين، وعلى ذلك وجب تعيين دلالة حرف الجر (الباء)، وتعيين هذين الغمين الأول والثاني.

١. الباء تفيد السببية:

ذكر عدد كبير من المفسرين هذا الوجه بيد أنهم اختلفوا في تعيين السبب الذي أدى بهم إلى هذا الغم:

أ. إن سبب ذلك هو مخالفتهم النبي ﷺ وعصيانهم له مما أدى إلى غمه فجزاهم الله بذلك غماً^(٥٨). وعلى

(٥٨) ينظر: معاني القرآن للزجاج: ١ / ٤٧٩، والبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٢٢، ومجمع البيان: ٢ / ٤١٩، وتفسير الكشاف: ٢٠٠، والمحزر الوجيز: ٥٢٦، والبحر المحيط: ٣ / ٩١، وتفسير البضاوي: ٢ / ٤٣، وزبدة التفاسير: ١ / ٥٧٧، وروح المعاني: ٤ / ٩٢، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي: ١ / ٣٥٨.

هذا الوجه يكون الغم عقوبة لهم ونقمة عليهم من الله عز وجل، لذا تأولوا الفعل (أثابكم) بما يناسب ذلك فقالوا: وسمي الغم ثواباً على معنى أنه القائم في هذه النازلة مقام الثواب وهذا قوله: تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ صَرَبٌ وَجِيعٌ.

وكقول الآخر:

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه

أداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل القيود والسياط عطاء أي أن

العطاء عقوبة^(٥٩) وقالوا أيضاً: «إنما قيل

في الغم ثواب؛ لأن أصله ما يرجع من

الجزاء على الفعل طاعة كان أو معصية ثم

كثر في جزاء الطاعة كما قال الشاعر:

واراني طربا في إثرهم

طرب الواله أو كالمختبل

فعلى هذا يكون الغم عقوبة لهم على

فعلهم، وهزيمتهم^(٦٠).

(٥٩) وينظر: جامع البيان: ٤ / ١٧٩، التبيان في

تفسير القرآن: ٣ / ٢١، ومجمع البيان: ٢ /

٤٢٢، المحزر الوجيز: ١ / ٥٢٦، والبحر

المحيط: ٣ / ٩٠.

(٦٠) التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٢١، وينظر:

ب. إن الضمير في (أثابكم) يعود للرسول ﷺ:

وعلى ذلك فتوجيه النص يختلف عن سابقه وإن كانت (الباء) للسببية، قال الزمخشري: «ويجوز أن يكون الضمير في (فأثابكم) للرسول، أي: فأساكم في الاغتمام، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما، غمه ما نزل بكم، فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتمتموه لأجله، ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره، وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم، كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله، ولا على ما أصابكم من غلبة العدو»^(٦١) وعلى ذلك يكون الغم ثوابا فالفعل (أثابكم) معناه حقيقي لا مجازي.

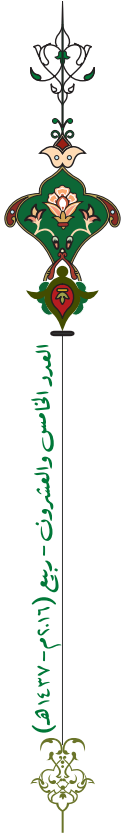
ورد أبو حيان هذا الوجه بقوله: «وهو خلاف الظاهر؛ لأن المسند إليه في الأفعال السابقة هو الله تعالى، وذلك في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ﴾

ومجمع البيان: ٢/ ٤٢٢، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن: ١/ ٣٥٨.
(٦١) الكشف: ٢٠٠، والبحر المحيط: ٣/ ٩١، وتفسير البضاوي: ٢/ ١٠٤.

وَعَدَهُ ﴿٦٢﴾ وقوله ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ﴾ فيكون قوله: (فأثابكم) مسنداً إلى الله تعالى. وذكر الرسول إنما جاء في جملة حالية نعى عليهم فرارهم مع كون من اهدوا على يده يدعوهم، فلم يجيء مقصوداً لأن يحدث عنه، إنما الجملة التي ذكر فيها في تقدير المفرد إذ هي حال»^(٦٢).

٢. إن الباء تفيد الجمع والإضافة فيحتمل أن تكون بمعنى (مع) أو (على):

ذكر هذا الوجه معظم المفسرين بيد أن بعضهم أشاروا إلى اجتماع الغمّين من دون أن يقدروا حرف الجر (الباء) بحرف جر آخر أو يعينوا دلالته، من ذلك قول الفراء: «(غما بغم) ما أصابهم يوم أحد من الهزيمة والقتل ثم أشرف عليهم خالد بن الوليد بخيله فخافوه، وغمهم ذلك»^(٦٣) وقال الزمخشري: «غما مضاعفاً، غماً بعد غم، وغماً متصلاً بغم من الاغتمام



(٦٢) البحر المحيط: ٣/ ٩١.

(٦٣) معاني القرآن: الفراء: ١/ ٢٤٠، وينظر:

معاني القرآن: الزجاج: ١/ ٤٧٩.

وإنما إذا أريد الجمع بين الغممين ينبغي أن تكون بمعنى المصاحبة إذ هو أحد معانيها، فالمعنى: «غما مصاحبا لغم، فيكون الغمان إذ ذاك لهم»^(٦٦) وقد عبر بعض المفسرين عن هذه المصاحبة بقولهم: إن (الباء) بمعنى (مع)^(٦٧). ومن ثم اختلف المفسرون في بيان هذين الغممين أو في ترتيبهما^(٦٨).

٣. الباء تفيد البدل:

أشار عدد من المفسرين إلى هذا الوجه بيد أن توجيههم للنص القرآني بناء على معنى البدلية مختلف ذكر ابن عطية: (فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ) الذي أوقع على أيديكم بالكفار يوم بدر... فالباء باء معادلة كما قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال»، ومعنى المعادلة

(٦٦) البحر المحيط: ٣ / ٩٠ - ٩١.

(٦٧) ينظر: مجمع البيان: ٢ / ٤١٩، والمحرم الوجيز: ١ / ٥٢٦، وآلاء الرحمن في تفسير القرآن: ١ / ٣٥٨.

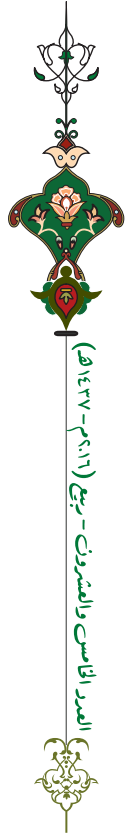
(٦٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٤ / ١٨٠ - ١٨٣، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين: ابن أبي حاتم الرازي: ٧٩١. وروح المعاني: ٤ / ٩٢.

بما أرجف به من قتل رسول الله ﷺ، والجرح، والقتل، وظفر المشركين، وفوت الغنيمة، والنصر»^(٦٤) في حين ضمّن بعضهم حرف الجر (الباء) حرف جر آخر يدل على اجتماع الغممين قال الطبري: «وأما قوله (غما بغم) فمعناه: غما على غم كما قيل: ﴿وَلَأُصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾» [سورة: طه: ٧١] بمعنى ولأصلبكنم على جذوع النخل... فكان كذلك معنى (فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ)؛ لأن معناه: فجزاكم الله غما بعقب غم تقدمه، وهو نظير قول القائل: نزلت ببني فلان، ونزلت على بني فلان، وضربته بالسيف وعلى السيف»^(٦٥).

وذهب أبو حيان إلى أن هذا التوجيه هو تفسير للمعنى لا تفسير إعراب؛ لأن (الباء) لا تكون بمعنى (بعد) أو (إلى)

(٦٤) الكشف: ٢٠٠، والبحر المحيط: ٣ / ٩١، وينظر: تفسير البيضاوي: ٢ / ٤٣، وزبدة التفاسير: ١ / ٥٧٧، والتفسير الأصفي: ١ / ١٧٨.

(٦٥) تفسير الطبري: ٧ / ٣٠٤ - ٣٠٥، والتبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٢١، ومجمع البيان: ٢ / ٤١٩.



ليس في معاني (الباء) لذا ذهب أبو حيان إلى أن هذا التوجيه يجعل (الباء) سببية بقوله: « وإن كانت الباء للسبب وهي التي عبر بعضهم عنها أنها بمعنى الجزاء، فيكون الغم الأول للصحابة، والثاني قال الحسن وغيره: متعلقه المشركون يوم بدر، والمعنى: أثابكم غماً بالغم الذي أوقع على أيديكم بالكفار يوم بدر» (٦٩) ويبدو لي أن ابن عطية بتوجيهه هذا لم يرد معنى السببية؛ إذ ذكر معنى السببية من دون الإشارة لهذا التوجيه وإنما أراد معنى غيره أطلق عليه (المعادلة) وهو قريب من معنى المقابلة أو البديل وكلا المعنيين في معاني (الباء)، وأرى أن هذا التوجيه بعيد عن دلالة النص، إذ كيف يثيب الله عز وجل المسلمين غماً عوض غمهم المشركين يوم بدر فهل هذا الغم ثواب أم عقاب إذ لا يصدق عليه أحد المعنيين.

ونقل الشيخ الطوسي توجيهها للنص بناء على أن (الباء) بمعنى البديل نسبه للحسين بن علي المغربي قال: «معنى (غماً

(٦٩) البحر المحيط: ٣ / ٩١.

بغم) يعني غم المشركين بما ظهر من قوة المسلمين على طلبهم على حمراء الأسد، فجعل هذا الغم عوض غم المسلمين بما نيل منهم» (٧٠). وعلى هذا يكون الغم الأول للمشركين بدل غمهم المسلمين يوم أحد من عدم إدراكهم النصر وفوت الغنيمة.

وذهب السيد الطباطبائي إلى أن (الباء) بدلية بيد أنه وجه النص توجيهها يختلف عن سابقه قائلًا: «قوله تعالى فثابكم غماً بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم الخ أي جازاكم غماً بغم ليصرفكم عن الحزن على كذا وهذا الغم الذي أثيبوا به كيفما كان هو نعمة منه تعالى بدليل قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فإن الله تعالى ذم في كتابه هذا الحزن كما قال: لكيلا تأسوا على ما فاتكم، فهذا الغم الذي يصرفهم عن ذاك الحزن المذموم نعمة وموهبة فيكون هو الغم الطاري عليهم من جهة الندامة على ما وقع منهم

(٧٠) التبيان في تفسير القرآن: ٣ : ٢٢، ومجمع

البیان: ٢ / ٤٢٠.

الإطالة، منها: قوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ [سورة النساء:
٤٣]، وقوله: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [سورة
المائدة: ٦]، وقوله: ﴿فَأَمْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ﴾ [سورة
المائدة: ٦].

من:

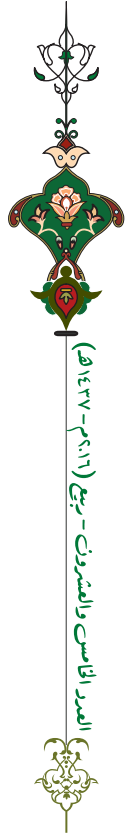
وهي ضربان زائدة وغير زائدة، فأما
غير الزائدة فلها أربعة عشر معنى^(٧٢):
(ابتداء الغاية في المكان اتفاقا وفي
الزمان، التبويض، بيان الجنس، التعليل،
البدل، المجاوزة بمعنى (عن)، الانتهاء،
الغاية، الاستعلاء تضمين الفعل معنى
(على)، الفصل، موافقة الباء، بمعنى
(في)، موافقة (رب)، أن تكون للقسم.
ولم يثبت أكثر النحويين لـ (من) جميع
هذه المعاني، وتأولوا كثيرا من ذلك على
التضمين أو غيره، وذهب قسم منهم
إلى أنها لا تكون إلاّ لابتداء الغاية وإن
سائر المعاني التي ذكروها راجع إلى هذا
المعنى. وقد وردت في القرآن الكريم

(٧٢) ينظر: الجنى الداني: ٣٠٨-٣١٥.

والتحسر على ما فاتهم من النصر بسبب
الفشل ويكون حينئذ الغم الثاني في قوله
بغم، الغم الآتي من قبل الحزن المذكور
والباء للبدلية والمعنى جازاكم غما
بالندامة والحسرة على فوت النصر بدل
غم بالحزن على ما فاتكم وما أصابكم.
ومن الجائز أن يكون قوله أثابكم مضمنا
معنى الابدال فيكون المعنى فأبدلكم غم
الحزن من غم الندامة والحسرة ماثيا لكم
فينعكس المعنى في الغمين بالنسبة إلى
المعنى السابق. وعلى كل من المعنيين
يكون قوله (فأثابكم) تفريعا على قوله
(ولقد عفا عنكم) ويتصل به ما بعده
أعني قوله (ثم أنزل عليكم) أحسن
اتصال والترتيب أنه عفا عنكم فأثابكم
غما بغم ليصونكم عن الحزن الذي لا
يرتضيه لكم ثم أنزل عليكم من بعد
الغم أمانة نعاसा^(٧١).

أما الآيات القرآنية التي اشتملت
على أحكام شرعية وأختلف في توجيهها
بناء على حرف الجر (الباء) نذكر بعضا
منها من دون الخوض في تفصيلها خشية

(٧١) الميزان في تفسير القرآن: ٤ / ٤٧.



كثيراً (٧٣).

ومن أمثلتها في النص القرآني الذي اختلف في توجيهه:

﴿الَّذِينَ تَرَى اللَّهَ يُزِيحُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يُجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدَفَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور: ٤٣].

تكرر حرف الجر (من) في هذا النص ثلاث مرات اتفق المفسرون في تحديد دلالة (من) الأولى وأختلف في تحديد دلالة الثانية والثالثة وبناء على هذا الاختلاف تعددت توجيهاتهم للنص، قال الشوكاني: والحاصل أن (من) في (مِنَ السَّمَاءِ) لابتداء الغاية بلا خلاف، و(من) في قوله تعالى ﴿مِنْ جِبَالٍ﴾ فيها ثلاثة أوجه، وأما (من) في (مِنْ بَرَدٍ) ففيها أربعة أوجه» (٧٤).

ومن النظر في أقوال المفسرين نلاحظ أن دلالات (من) تتمحور حول ما يأتي:

(٧٣) ينظر: معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ١٠٤٠ - ١١٠٣.
(٧٤) فتح القدير: ٥٧ / ٤.

١. (من) الأولى لابتداء الغاية.

٢. (من) الثانية لابتداء الغاية (بدل)، أو البيان، أو التبويض، أو زائدة.

٣. (من) الثالثة للبيان، أو التبويض، أو زائدة.

وخلاصة أقوال المفسرين تدور حول ثلاثة معان:

١. أن جبال البرد نازلة من السماء، أي هي المفعول به.

٢. أن جبال البرد في السماء، والنازل منها محذوف يجب تقديره.

٣. أن الجبال في السماء والنازل منها هو البرد.

وفي كل معنى من هذه المعاني وجه النص القرآني عدة وجوه تتفق فيما بينها من جانب وتفترق في جوانب أخرى.

المعنى الأول: أن جبال البرد نازلة من السماء، أي هي المفعول به.

وتوجيه النص القرآني للوصول لهذا المعنى يقتضي أن يكون حرف الجر (من) يشتمل على دلالات معينة:

١. الأولى لابتداء الغاية والثانية والثالثة زائدة.





نسب هذا الوجه للأخفش (ت ٢١٥هـ)، وعند الرجوع إلى كتابه معاني القرآن نجده يقول: «وهو فيما فُسر: يُنزل من السماء جبلاً فيها بردٌ»^(٧٥) من دون الإشارة إلى أن (من) في الموضعين الثاني والثالث زائدة، في حين قال بعض المفسرين أن الأخفش يقول بزيادتهما^(٧٦) ووصف ابن عطية هذا الوجه بالضعف^(٧٧) ومع ذلك اختلف توجيههم للنص بناء على زيادتها في الموضعين، قال القرطبي: «قال الأخفش: إن (من) في الجبال و(برد) زائدة في الموضعين، والجبال والبرد في موضع نصب، أي: ينزل من السماء برداً يكون كالجبال»^(٧٨). فالمفعول به (من جبال) فالجبال بناء على هذا التوجيه تكون وصفا للبرد أو تشبيهاً له، ووجه

(٧٥) معاني القرآن: الأخفش: ٢٧٦، ينظر: جامع البيان: ٦ / ١٣٣، التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٤٤١.

(٧٦) الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٨٩، معاني القرآن: النحاس: ٤ / ٥٤٤، البحر المحيط: ٦.

(٧٧) والمحرم الوجيز: ٤ / ١٩٠.

(٧٨) الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٨٩.

أبو حيان كلام الأخفش توجيهها آخر، قال: «(من) الثانية والثالثة زائدتان وقاله الأخفش، وهما في موضع نصب عنده كأنه قال: وينزل من السماء جبلاً فيها أي في السماء برداً وبرداً بدل أي برد جبال»^(٧٩). وبناء على هذا التوجيه كل من المجرورين في محل نصب أما الأول فعلى المفعولية لينزل وأما الثاني فعلى البدلية منه أي ينزل من السماء جبلاً برداً، وقيل: «المعنى وينزل من السماء قدر جبال، أو مثل جبال من برد إلى الأرض»^(٨٠)، فالمفعول به هو (جبال برد) وعلى ذلك تكون (جبال البرد) نازلة من السماء وليس فيها وفي هذا التوجيه جعل الضمير في (فيها) عائد على الجبال. فيصبح التقدير: ينزل من السماء جبلاً فيها برداً. وقد نسب بعض المفسرين هذا الوجه للفراء أي جعل قدر

(٧٩) البحر المحيط: ٦ / ٤٢٧، وينظر: روح المعاني: ١٨ / ١٩٠.

(٨٠) الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٨٩، وينظر: والمحرم الوجيز: ٤ / ١٩٠، معالم

التنزيل: ٣ / ٣٥١، وتفسير السمرقندي:

٢ / ٥١٧.

جبال برد نازلة من السماء وليس فيها، قال أبو حيان: «قال الفراء: هما زائدتان أي جبلاً فيها برد لا حصى فيها ولا حجر، أي يجتمع البرد فيصير كالجبال على التهويل فبرد مبتدأ و(فيها) خبره. والضمير في (فيها) عائد على (الجبال) أو فاعل بالجار والمجرور لأنه قد اعتمد بكونه في موضع الصفة لجبال»^(٨١)، في حين نجد أن ما ذكره الفراء يذهب إلى أن قدر جبال البرد يكون في السماء وليس النازل منها على ما سنبينه لاحقاً. ويصدق هذا التوجيه أيضاً على من ذهب إلى أن (من) الأولى لا ابتداء الغاية، والثانية زائدة، والثالثة لبيان الجنس، والتقدير: يُنزل من السماء جبلاً من برد^(٨٢).

٢. الأولى لا ابتداء الغاية والثانية للتبويض والثالثة للبيان.

اختار عدد من المفسرين هذا الوجه^(٨٣)، وهذا الوجه لا يختلف

(٨١) البحر المحيط: ٦ / ٤٢٧، وينظر: روح المعاني: ١٨ / ١٩٠.

(٨٢) ينظر: معالم التنزيل: ٣ / ٣٥١.

(٨٣) جامع البيان: ٦ / ١٣٣، التبيان في تفسير

عن سابقه سوى أن النازل بعض جبال البرد، وليس (جبال برد)؛ لأن (من) الداخلة على (الجبال) أفادت التبويض، أما جنس هذه الجبال فتكون من البرد، ف (من) الثالثة في التوجيه السابق تكون زائدة، وهنا تكون لبيان جنس الجبال، ومع ذلك فالمعنى واحد، وهو: ينزل من السماء جبال برد. أو بعض جبال البرد. فالمفعول به هو (من جبال) وحاول الطبري أن يؤكد دلالة (من) الثانية على التبويض من خلال إيراد بعض النصوص القرآنية والقياس عليها، قائلاً: «والصواب من القول في ذلك، أن من لا تدخل في الكلام إلا لمعنى مفهوم، وقد يجوز حذفها في بعض الكلام وبالكلام إليها حاجة لدلالة ما يظهر من الكلام عليها، فأما أن تكون في الكلام لغير معنى أفادته بدخولها، فذلك... غير

القرآن: ٣ / ٤٤٢، ٧ / ٤٤٦ - ٤٤٧،

جوامع الجامع: الطبرسي: ٢ / ٦٢٦،

الكشاف: ٧٣٢، والمحرم الوجيز: ٤ /

١٩٠، والبحر المحيط: ٦ / ٤٢٧، معالم

التنزيل: ٣ / ٣٥١.

١. الأولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة للبيان.

أي: يُنَزَّلُ من السماء من جبالِ بَرَدٍ فيها، حرف الجر (من) الأول والثاني يفيد ابتداء الغاية بيد أن الثاني بعض من الأول وإن شاركه في ابتداء الغاية فالسماء أوسع وأشمل من الجبال التي فيها؛ لأن كل ما علاك فهو سماء، أما الجبال فهي بعض ما في السماء، وذكر المفسرون هذين الوجهين في (من) الثانية واختيار أحد الوجهين لا يغير من دلالة النص القرآني كثيرا، ف (من جبال) سواء أكانت بدلا (من السماء) أم بيانا لها فهي جهة الإنزال، أما (من) الثالثة فهي لبيان الجبال، أي جبال من بَرَدٍ في السماء، ونحو هذا قول الفراء: «والمعنى، أن الجبال في السماء من بَرَدٍ خلقه مخلوقة، كما تقول في الكلام: الآدمي من لحم ودم، ف (من) وهنا تسقط فتقول: الآدمي لحم ودم، والجبال بَرَدٌ. وكذا سمعت تفسيره»^(٨٥). والفرق بين هذا (٨٥) معاني القرآن: الفراء: ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧،

جائز أن يكون فيما صح من الكلام. ومعنى دخولها في قوله: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٤] للتبعض إذ كانت الجوارح تمسك على أصحابها ما أحل الله لهم لحومه وحرم عليهم فرثه ودمه، فقال جل ثناؤه: فكلوا مما أمسكن عليكم جوارحك الطيبات التي أحلت لكم من لحومها دون ما حرمت عليكم من خبائثه من الفرث والدم وما أشبه ذلك مما لم أطيبه لكم، فذلك معنى دخول (من) في ذلك»^(٨٤)، ومن أيضا قوله عز وجل: ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٧١].

المعنى الثاني: أن جبال البرد في السماء، والنازل منها محذوف يجب تقديره.

وتوجيه النص القرآني للوصول لهذا المعنى يقتضي أن يكون حرف الجر (من) يشتمل على دلالات معينة:

(٨٤) جامع البيان: ٦ / ١٣٤، وينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٤٤٢، معاني القرآن: الأخفش: ٢٧٦،



المعنى وسابقه أن (جبال البرد) هي في السماء ويكون الإنزال منها وليست هي النازلة من السماء، لذا قيل أن هذه الجبال مخلوقة.

٢. الأولى لابتداء الغاية والثانية والثالثة للبيان.

أي: (يُنزَل من السماء من أمثال الجبال من البرد فيها)، ف (من جبال) بيان لما في السماء، أي أن فيها أمثال الجبال ومقاديرها وليس فيها جبال حقيقة، و(من برد) بيان للجبال، فالجبال كناية عن كثرة البرد الموجود في السماء والضمير في (فيها) يعود على السماء لا الجبال، قال الفراء: «وقد يكون في العربية أمثال الجبال ومقاديرها من البرد، كما تقول: عندي بيتان تبنًا، والبيتان ليسا من التبن، وإنما تريد: عندي قدر بيتين من التبن، فمن هذا الموضع إذا أُسْقِطت نصبت

ينظر: جامع البيان: ١٨ / ٢٠٥، التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٤٤٢، معاني القرآن: الأخفش: ٢٧٦، والمحرم الوجيز: ٤ / ١٩٠، معالم التنزيل: ٣ / ٣٥١، روح المعاني: ١٨ / ١٩١.

ما بعدها، كما قال: ﴿أَوْ عَدَلْ ذَلِكَ صَيَامًا﴾ [سورة المائدة: ٩٥] وكما قال: ﴿مَلَأَ الْأَرْضَ ذَهَبًا﴾ [سورة آل عمران: ٩١] ^(٨٦)، وعمد الطبري والشيخ الطوسي إلى بيان هذا الوجه بقولهما «فيجيز حذف من (من برد) ولا يجوز حذفها من الجبال، ويتأول معنى ذلك: وينزل من السماء من أمثال جبال برد، ثم أدخلت من في البرد؛ لأن البرد مفسر عنده عن الأمثال، أعني: أمثال الجبال، وقد أقيمت الجبال مقام الأمثال، والجبال وهي جبال برد، فلا يجيز حذف من (من الجبال)؛ لأنها دالة على أن الذي في السماء الذي أنزل منه البرد أمثال جبال برد، وأجاز حذف من (من البرد)؛ لأن البرد مفسر عن الأمثال، كما تقول: عندي رطلان زيتا، وعندي رطلان من زيت، وليس عندك الرطل وإنما عندك المقدار، ف (من) تدخل في المفسر وتخرج منه. وكذلك عند قائل هذا القول: من السماء، من

(٨٦) معاني القرآن: الفراء: ٢ / ٢٥٦ - ٢٥٧، وينظر: معاني القرآن: الزجاج: ٤ / ٤٩.



أمثال جبال، وليس بجبال»^(٨٧).
وقد يجد القارئ تطابقاً بين هذا الوجه والوجه الأول الذي ذكرناه في المعنى الأول إذ كلاهما يجعل الجبال وصفاً للبرد وكناية عن كثرتة، بيد أننا نلفت نظره إلى أن هذين الوجهان وإن تطابقا من جهة الوصف إلا أنها يختلفان من جهة المكان، فالوجه الأول يرى أن أمثال جبال البرد ومقاديرها نازلة من السماء إلى الأرض، في حين أن هذا الوجه يرى أن أمثال جبال البرد ومقاديرها هي التي في السماء وليست النازلة منها، ففي الوجه الأول المفعول به موجود وهو (جبال البرد) وفي هذا الوجه المفعول به محذوف. وذكر الزجاج هذا المعنى إلا أنه وجه النص بشكل آخر، قال: «ومعنى (مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ) من جبال برد فيها، كما تقول هذا خاتم في يدي من حديد، المعنى هذا خاتم حديد في يدي»^(٨٨) فعلى هذا يكون (مِنَ بَرَدٍ)

(٨٧) جامع البيان: ٦ / ١٣٤، التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٤٤١.

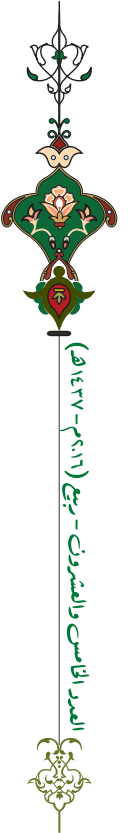
(٨٨) معاني القرآن: الزجاج: ٤ / ٤٩، وينظر: معاني القرآن: النحاس: ٥٤٤، البحر

في موضع الصفة لجبال، كما كان (من) في (من حديد) صفة لخاتم، فيكون في موضع جر ويكون مفعول (يُنْزَلُ) هو (مِنَ جِبَالٍ) وإذا كانت الجبال (مِنَ بَرَدٍ) لزم أن يكون المنزل برداً.

وفي الوجهين من هذا المعنى تجد أن المفعول به حاجة إلى تقدير، ف(جبال البرد) سواء أكانت مخلوقة - بناء على الوجه الأول - أم كانت كناية عن كثرة البرد الذي في السماء، يبقى النازل منها محذوف؛ ولذا لجأ المفسرون إلى تقديره، فإن كانت هذه الجبال مخلوقة، قيل: خلق الله في السماء جبالات من برد، فهو ينزل منها برداً، وفيه إضمار، أي ينزل من جبال البرد برداً^(٨٩)، وإن كانت الجبال

المحيط: ٦ / ٤٢٧.

(٨٩) جامع البيان: ٦ / ١٣٣، ١٨ / ٢٠٥، الجامع لأحكام القرآن: ١٢ / ٢٨٩، التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٤٤٢، ٧ / ٤٤٦ - ٤٤٧، مجمع البيان: ٧ / ٢٥٨ - ٢٥٩، أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ١١٠، والمتخبر من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ابن إدريس الحلبي: ١٥٠، زبدة التفاسير: فتح الله الكاشاني: ٤ / ٥٢٢.



كناية عن كثرة البرد الذي في السماء، قيل: ويُنزّل من أمثال جبال البرد برداً، فالمفعول به المقدر -بناءً على الوجهين- هو (بردًا)، وذهب الطبري والشيخ الطوسي في تقدير المفعول به مذهباً آخر، قال: «إن كان أنزل من جبال في السماء من برد جبالا، ثم حذف الجبال الثانية فالجبال الأولى في السماء جاز كما يقال: أكلت من الطعام يريد أكلت من الطعام طعاماً، ثم يحذف الطعام، ولا يحذف (من)»^(٩٠). فالمفعول به المقدر هو (جبال برد) والتقدير: وينزل من السماء من أمثال جبال البرد جبالا من برد.

وتبنى السيد الطباطبائي هذا الوجه قائلاً: «السماء جهة العلو، وقوله: (من جبال فيها) بيان للسماء، والجبال جمع جبل وهو معروف، وقوله: (من برد) بيان للجبال، والبرد قطعات الجمد النازل من السماء، وكونه جبالا فيها كناية عن كثرة وتراكمه، والسنا بالقصر الضوء. والكلام معطوف على قوله: (يزجي)، والمعنى: ألم تر أن الله

(٩٠) التبيان في تفسير القرآن: ٣ / ٤٤٢.

ينزل من السماء من البرد المتراكم فيها كالجبال فيصيب به من يشاء فيفسد المزارع والبساتين وربما قتل النفوس والمواشي ويصرفه عمن يشاء فلا يتضررون به يقرب ضوء برقه من أن يذهب بالابصار»^(٩١).

المعنى الثالث: أن الجبال في السماء والبرد نازل منها.

وتوجيه النص القرآني للوصول لهذا المعنى يقتضي أن يكون حرف الجر (من) يشتمل على دلالات معينة:

١. الأولى لابتداء الغاية والثانية للتبيين والثالثة زائدة.

أي (يُنزّل من السماء من جبال فيها برداً) هذا الوجه قريب من سابقه بيد أنه يجعل الجبال بيان لما في السماء وهو السحاب المتراكم فالجبال وصف للسحاب وليس للبرد النازل منها، فالمفعول به هو (من برد) وقد ذهب الشريف الرضي إلى أن هذه الجبال الموجودة في السماء وإن لم تكن حقيقية كجبال الأرض إلا أنها استعيرت

(٩١) الميزان في تفسير القرآن: ١٥ / ١٣٧.



التوجيه يصدق أيضا على من ذهب إلى أن (من) الأولى والثانية لابتداء الغاية والثالثة زائدة^(٩٣).

فهذا الوجه الذي قال به الرضي وتبعه آخرون يتفق من جهة مع الوجه السابق الذي قال به الفراء ومؤيدوه، ويفترق عنه من جهات أخرى، فأما جهات الاتفاق بينهما هي: أن الفراء والرضي ومن ذهب مذهبهما يتفقان على أن هذه الجبال هي ليست حقيقية، أي أنها ليست بمنزلة الجبال التي في الأرض، وأنها موجودة في السماء ولسيت نازلة منها، وأما جهات الافتراق أن الفراء يجعل الجبال صفة للبرد، والرضي يجعلها صفة للسحاب، ولهذا كان المفعول به عند الفراء محذوف يجب تقديره، أما عند الرضي فالمفعول به موجود وهو (البرد) لأنه هو النازل من سحاب يشبه الجبال. فضلا عن ذلك أن الفراء يقول: قدر جبال برد في السماء ينزل منها البرد، فلا توجد مشابه بين البرد الذي في السماء

للسحاب تشبيها لها، قال: في (من جبال فيها): «وهذه استعارة على بعض التأويلات؛ لأن الجبال هاهنا يراد بها السحاب الثقال، تشبيها لها بكثائف أطوادها، ومشارف هضابها، ويكون الضمير في قوله سبحانه: ﴿مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾ عائدا على السماء لا على الجبال، فكأن التقدير: ويُنزل من جبال من السماء من برد، يريد من السحاب المشبهة بالجبال، وتكون الفائدة في قوله من جبال في السماء تخصيص تلك الجبال من جبال الأرض؛ لأننا لو جعلنا الضمير الذي فيها عائدا على الجبال أوهم أنها جبال تنزل إلى الأرض من السماء. فإذا جعلنا الضمير عائدا إلى السماء أمن الالتباس، وكان في ذلك أيضا تعجب لنا من وصف جبال في السماء على طريق التشبيه؛ لأن الجبال على الحقيقة لا تكون إلا في قرارات الأرض، وصفحات التراب»^(٩٢). وهذا

(٩٢) تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي: ٢٤٦، وينظر: متشابه القرآن ومختلفه: ابن شهر آشوب: ٢ / ٢٦٨، والأمثل: ١١ / ١٢٨.

(٩٣) ينظر: البحر المحيط: ٦: ٤٢٧، معالم التنزيل: ٣ / ٣٥١،

وبين الجبال وإنما كناية عن الكثرة، أما الرضي فيرى أن السحاب المتراكم الذي ينزل منه البرد يشبه الجبال، وقد أخذ السيد قطب هذا المعنى قائلاً: «إن يد الله تزجي السحاب وتدفعه من مكان إلى مكان، ثم تؤلف بينه وتجمعه فإذا هو ركام بعضه فوق بعض، فإذا ثقل خرج منه الماء والويل الهائل، وهو في هيئة الجبال الضخمة الكثيفة، فيها قطع البرد الثلجية الصغيرة، ومشهد السحاب كالجبال لا يبدو لنا كما يبدو لراكب الطائرة وهي تعلو فوق السحب أو تسير بينها، فإذا المشهد مشهد جبال حقا، بضخامتها ومساقطها وارتفاعها وانخفاضها، وإنه لتعبير مصور للحقيقة التي لم يرها الناس إلا بعد ما ركبوا الطائرات» (٩٤).

٢. الأولى والثانية للابتداء والثالثة للتبعيض.

وهذا الوجه لا يختلف عن سابقه سوى أن النازل بعض البرد؛ لأنه يجعل (من) الثالثة للتبعيض، والمعنى: (٩٤) في ظلال القرآن: ١٩ - ٢٠ / ١٠٩ - ١١٠.

يُنْزَلُ بَعْضُ الْبَرْدِ مِنَ السَّمَاءِ (من جبالٍ فيها) (٩٥) وقريب من هذا الوجه ما نسبته الآلوسي للأخفش من أن (من) الأولى والثانية للابتداء والثالثة زائدة، والتقدير: ينزل بردا من السماء من جبال كائنة فيها (٩٦). وقد ذكرنا فيما سبق أن ما نسب للأخفش هو زيادة (من) الثانية والثالثة.

وبعد هذا العرض نلاحظ أن المفسرين تبنوا وجوها كثيرة أسفرت عن معان ثلاث، ولربما تداخلت هذه الوجوه وصعب التمييز بينها؛ لأنها تلتقي وتفترق فيما بينها في آن واحد، وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذا النص ينطوي على إعجاز علمي لم يدركه المسلمون إلا بعد عصور متطاولة (٩٧).

أما الآيات القرآنية التي ورد فيها حرف الجر (من) وهي تشتمل على أحكام شرعية اختلف فيها فهي كثيرة

(٩٥) تفسير جوامع الجامع: الطبرسي: ٢ / ٦٢٦، الكشف: ٧٣٢، البحر المحيط: ٦ / ٤٢٧، روح المعاني: ١٨ / ١٩٠، (٩٦) ينظر: روح المعاني: ١٨ / ١٩٠. (٩٧) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي: ١٧٤.

- السلام محمد شاهين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- أحكام القرآن: الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، جمعه: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، (د. ت.).
- أحكام القرآن: محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر بيروت، (د. ت.).
- الازهية في علم الحروف: علي بن محمد النحوي الهروي، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- آلاء الرحمن في تفسير القرآن: محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ)، مطبعة العرفان، صيداء، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي، ط ١، دار الكتب العلمية،

وسنقتصر على ذكر بعض أمثلتها من دون الخوض في تفصيلاتها. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٩٨) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ (٩٩).

المصادر

- القرآن الكريم.
- الإتيقان في علوم القرآن: السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.
- أحكام القرآن: أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد (٩٨) [سورة آل عمران: ١٠٤]، و(منكم) فيه حرف جر (من) وقد احتملت دالتين: إما التبيين أو التبعض، وكلاهما تحتاج إلى أدلة للترجيح.
- (٩٩) [سورة المائدة: ٦]، انقسمت المذاهب الإسلامية في معنى الصعيد على فريقين بسبب زيادة (منه) فقال الإمامية والحنفية والمالكية إن هذه الزيادة لا تؤثر على الإطلاق، وقال الشافعية والحنبلية: مطلق خصص بقريته. إذ احتملت ثلاث دلالات هي: ابتداء الغاية المكانية، أو بيان الجنس، أو التبعض، وهذه جميعا تحتاج إلى أدلة للترجيح.



بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ.

بحر العلوم: أبو الليث السمرقندي،

تونس، ١٠٨٤م

تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن

غرامة العمروي، ط١، دار الفكر،

بيروت - لبنان، ١٤١٦هـ.

البحر المحيط: محمد بن يوسف

الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت

٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد

عبد الموجود، والشيخ علي محمد

معوض، ط١، دار الكتب العلمية،

بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

البرهان في علوم القرآن: بدر

الدين محمد بن عبد الله الزركشي

(ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء

الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي

وشركائه، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر

محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)،

تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير

العاملي، دار إحياء التراث العربي،

بيروت - لبنان، (د.ت).

التحرير والتنوير: محمد الطاهر

بن عاشور، الدار التونسية للنشر،

تونس، ١٠٨٤م

• التفسير الأصفي: الفيض الكاشاني

(ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: مركز

الأبحاث والدراسات الإسلامية،

ط١، مطبعة مكتبة الإعلام

الإسلامي، ١٤١٨هـ.

• تفسير جوامع الجامع: الطبرسي

(ت ٥٤٨هـ)، ط١، مؤسسة النشر

الإسلامي، قم، ١٤٢٠هـ.

• تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم

(تفسير المنار): السيد محمد رشيد

رضا، ط٢، دار المنار، القاهرة -

مصر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

• تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي

الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد

سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر

والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

• تفسير القرآن العظيم مسندا عن

رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين:

عبد الرحمن بن محمد بن ادريس

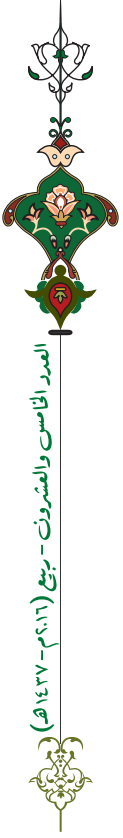
الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)،

بيروت - لبنان، (د.ت).

التحرير والتنوير: محمد الطاهر

بن عاشور، الدار التونسية للنشر،

تونس، ١٠٨٤م



- تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط ١، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، ط ١، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ.
- تفسير المراغي: أحمد مصطفى المراغي، ط ١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، حققه وقدم له وصنع فهرسه: محمد عبد الغني حسن، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أبو إسحق إبراهيم أطفش، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩هـ)، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، ط ١، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ت).
- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، ط ٣، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- زبدة التفاسير: الملا فتح الله



آشوب (ت ٥٨٨هـ)، مكتبة البو ذر
جمهري، طهران، ١٣٢٨هـ.

• مجمع البيان لعلوم القرآن: أبو علي
الفضل بن الحسن الطبرسي (ت
٥٤٨هـ)، المجمع العلمي للتقريب
بين المذاهب الإسلامية، القاهرة،
١٣٧٨هـ-١٩٥٨م.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب
العزیز: القاضي أبو محمد عبد الحق
بن غالب بن عطية الأندلسي (ت
٥٤٦هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد
الشافى محمد، ط ١، دار الكتب
العلمية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

• مدارك التنزيل وحقائق التأويل: عبد
الله بن أحمد النسفي (ت ٧١٠هـ)،
ط ١، دار النفائس، ١٤١٦هـ.

• معاني القرآن: أبو الحسن سعيد
بن مسعدة الأخفش الأوسط
(ت ٢١٥هـ)، تدقيق: د. هدى
محمود قراعة، ط ١، مكتبة الخانجي
بالقاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

• معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن
زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق:

الكاشاني (ت ٩٨٨هـ)، ط ١،
مؤسسة المعارف الإسلامية، قم-
إيران، ١٤٢٣هـ.

• فتح القدير الجامع بين فني الرواية
والدراية من علم التفسير: محمد بن
علي الشوكاني، دار الفكر بيروت،
(د.ت).

• القرآن وإعجازه العلمي: محمد
إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي.
• الكشف عن حقائق التنزيل وعيون
الأقاويل في وجوه التأويل: أبو
القاسم جار الله محمود بن عمر
الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ)،
اعتنى به وخرّج أحاديته وعلّق
عليه: خليل مأمون شيحا، ط ٣، دار
المعرفة، بيروت - لبنان، ١٤٣٠هـ-
٢٠٠٩م.

• لباب التأويل في معاني التنزيل:
علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم
الشهير بالخازن، طبع معه تفسير
البغوي (معالم التنزيل) دار الفكر،
بيروت، ١٣٩٩هـ.

• متشابه القرآن ومختلفه: ابن شهر

- أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د. ت).
- معاني القرآن: النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، ط ١، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٩هـ.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو اسحق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، ط ١، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: محمد حسن الشريف، ط ١، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: جمال الدين بن هشام النصاري (ت ٧٦١هـ)، حققه وعلّق عليه: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط ١، مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٧٨هـ.
- المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان: ابن إدريس الحلي (ت ٥٩٨هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، ط ١، مطبعة سيد الشهداء (عليه السلام)، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ.
- الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، ط ١، منشورات مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، قم - إيران، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: علي بن أحمد الواحدي، ط ١، دار القلم، دمشق - بيروت، ١٤١٥هـ.



السِّيَاقُ الدَّلَالِيُّ لِحُرُوفِ الْجَوَابِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (بلى ونعم) أنموذجا

م . م . ستار جبار هاشم
مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة

فحوى البحث

وضع السيد الباحث عنوان البحث مبدوءاً بكلمة (السياقات الدلالية...) وقد صرحناه بما هو ظاهر في العنوان لاننا لم نجد (في ما بين ايدينا من المعاجم) جمعاً لكلمة (السياق) بالمؤنث السالم. وهذا من الاغاليط الشائعة بين كتاب العربية المحدثين، شأنها شأن (نزاعات) و (نشاطات).

والبحث، كما يشير الى ذلك عنوانه -يصب في رافد تجريد كلمتي (بلى) و (نعم) ودالتهما في القرآن الكريم كحرفي جواب. وقد ارتكز على مقدمة ومبحثين وخاتمة تعقبها قائمة بالمصادر والمراجع. فبدأً بتقصي لفظة (نعم) ومعناها اللغوي والاصطلاحي، واحصى المواضع التي وردت فيها هذه اللفظة في القرآن الكريم والمعاني التي افادتها. و جرى البحث بعد ذلك في كلمة (بلى) وبالسياق نفسه، معتمداً معاجم اللغة وكتب التفسير..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

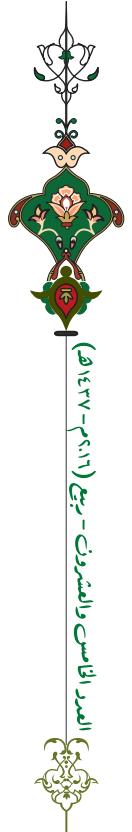
الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على مَنْ أنزل عليه القرآن الكريم بلسان عربي مبين، وعلى آله وصحبه المنتخبين الطاهرين، وبعد...

يعدّ القرآن الكريم في مجال البحوث العلمية والإنسانية، البحر الذي لا يساجل والجَمّ الذي لا يحافل، وكلّمًا تعمّق الباحث في سبر أغواره تتوسع له أبواب جديدة من العلم والمعرفة، ومن يتدبر حروف الجواب في القرآن الكريم يجدها متفرقة في سور متعددة قد تناولها القدماء والمحدثون في أبواب اللغة والنحو وكتب معاني النحو وكتب القراءات من حيث وجوب أو جواز الوقوف عليها، وهي كثيرة في اللغة وقد أحصوها (أحد عشر حرفاً) هي:

(كلا، بلى، نعم، إي، إذن، لا، إن، أجل، بجل، جلل، جير)، والذي ذكر منها في القرآن خمسة أحرف فقط هي: (كلا، بلى، نعم، إي، إذن)، ولأنّ البحث محدد بعدد من الصفحات فقد انتقيت

منها ثلاثة حروف: (بلى، ونعم، وإي) بسبب وجود علاقة التشابه والاختلاف في معانيها اللغوية والسياقية التي وردت فيها، لغرض الوصول الى معرفة الفرق في معانيها وآلية استعمالها في السياقات القرآنية التي وردت فيها، ومن الجدير بالذكر أنّ لفظة (إي) لم أذكرها في عنوان البحث لقلة استعمالها، إذ وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، فشرعتُ بإحصاء هذه الحروف في سور القرآن الكريم، وعملت على دراستها وتصنيفها معوّلاً في ذلك على كتب اللغة والنحو والتفسير وكتب معاني الحروف والدراسات السابقة التي تناولت هذه الحروف ومنها: دراسات نحوية في حروف الجواب واستعمالاتها مستقصاة في القرآن الكريم للدكتور: علي محمود الناي، وكتب ودراسات الوقف على (كلا، بلى)، وغيرها.

إذ يعدّ السياق من أهمّ الظواهر اللغوية، لأنّ كثيراً من الكلمات يتغير معناها، وتكتسب معنى جديداً من خلال ما يجاورها من كلمات ضمن



أهم النتائج التي توصل اليها البحث،
وختم البحث بقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول

السياقات الدلالية التي وردت فيها لفظة

(بلى)

أولاً: المعنى اللغوي لـ(بلى):

ذكر الخليل (ت: ١٧٥هـ) في
معنى (بلى) قوله: (وأما (بلى) فجواب
استفهام فيه حرف نفى، كقولك: ألم
تفعل كذا، فتقول: (بلى))^(١)، وقال
سيبويه (ت: ١٨٠هـ): (وأما (بلى)
فتوجب به بعد النفي، وأما (نعم) فَعِدَّة
وتصديق، تقول: قد كان كذا وكذا،
فيقول: نعم، وليس اسمين)^(٢)، وذهب
الفراء (ت: ٢٠٧هـ) الى أن (بلى) أصلها
(بل) والألف زائدة، إذ قال: (زيدت
للقوف، فلذا كانت للرجوع عن النفي،
لما كانت للرجوع عن الجحد في: (ما
قام زيدٌ بل عمرو))^(٣)، وقال الأزهري
(ت: ٣٧٠هـ): (إنما صارت (بلى)

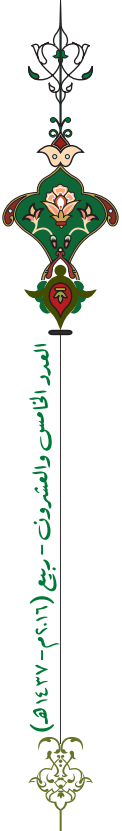
السياق الذي وضعت فيه، ذلك أن
السياق هو المكان الطبيعي لبيان المعاني
الوظيفية، وقد عوّل أصحاب اللغة
والمعاجم سيّما الذين جاءوا بعد الخليل
على السياق إذ نلاحظ أنهم لم يكتفوا بذكر
الألفاظ ومعانيها، وإنّما ربطوا تلك
المعاني بسياقاتها من خلال ما ضربوه من
الأمثلة التي وردت فيها.

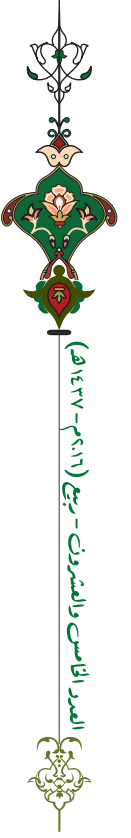
ارتكز البحث على مقدمة ومبحثين
وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع،
تناولت في المبحث الأول: لفظة (بلى)
ومعناها اللغوي والاصطلاحي،
وشرعت بعد ذلك بإحصاء السور
والمواضع التي وردت فيها هذه اللفظة
وذكر المعاني التي أفادتها من خلال
السياق الذي وردت فيه معوّلاً في ذلك
على آراء أهل اللغة والنحو والتفسير،
جاعلاً الآيات التي وردت فيها هذه
الالفاظ ذات المعاني المتشابهة أو المتقاربة
ضمن حقل دلالي واحد، وهكذا مع بقية
المعاني الأخرى، واتّبع المنهج نفسه في
المبحث الثاني مع لفظة (نعم) و(إي)،
وبعد ذلك أوجزت خاتمة أوردت فيها

(١) كتاب العين (بلى): ٨ / ٣٤٠.

(٢) كتاب سيبويه: ٤ / ٢٣٢.

(٣) معاني القرآن: ١ / ٥٣.





السياق الدلالي لحروف الجواب في القرآن..... المصباح

الوضع، والألف من أصل الكلمة، وليس أصلها (بل) التي للعطف، فدخلت الألف للإيجاب وللإضراب والرد، أو للتأنيث كالتاء في (رُبَّتْ) و (ثُمَّتْ) خلافاً لذلك وهي حرف جواب مختص بالنفي، فلا تقع إلا بعد نفي في اللفظ أو في المعنى^(٨)، ويتفق البحث مع هذا الرأي، لأسباب منها: أنّ (بل) و (بلى) تشتركان عند اللغويين وفي كلام العرب و القرآن في معنى (الإضراب) عن الأول والإيجاب للثاني، وأنّ البصريين يجوزون لـ (بل) أن تقع بعد النفي، نحو: (ما قام زيدٌ بل عمرو) أو الإثبات نحو: (قام زيدٌ بل عمرو) وهذا ممّا لا يجوزهُ الكوفيون؛ لأنّ (بل) عندهم يجب أن تقع بعد النفي أو ما يجري مجراه ولا تقع بعد الإيجاب، وسبب آخر هو أنّ (بل) في كلّ أحوالها حرف (عطف) تعطف ما بعدها على ما قبلها، سواء عطفت مفرد على مفرد أم مفرد على جملة أم جملة على جملة، في حين أنّ (بلى) لا تعطف

(٨) الجنى الداني في حروف المعاني: ٤٢٠.

تتصل بالجمد لأنها تأتي بعد الجمد كقولك: ما قام أخوك بل أبوك، وإذا قال الرجل للرجل: ألا تقوم؟. فقال له: بلى، أراد: بل أقوم، فزادوا الألف على (بل) لِيَحْسُنَ السكوت عليه^(٤)، وهذا هو مذهب الكوفيين أنّ أصل كلمة (بلى) هي (بل) ثمّ زيدت عليها الألف للدلالة على أنّ الوقوف أو السكون عليها ممكن، في حين أنّ الألف المزيّدة التي أصلها ياء تدل على الإيجاب لما يكون بعدها، ولما كانت دالة على التأنيث أمالتها العرب والقراء مثلاً أمالوا (سكرى) و (ذكرى)^(٥).

ولذلك قال بعض أصحاب الرأي: (إنّها للتأنيث بدليل إمالتها)^(٦)، وذكر الراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ): (أنّ (بلى) رَدٌّ للنفي)^(٧)، أمّا المرادي (ت: ٧٤٩هـ) فقال: (إنّها حرف ثلاثي

(٤) تهذيب اللغة، ١٥ / ٣٩٣.

(٥) ينظر: التمهيد في علم التجويد، ١٩٧.

(٦) كتاب معاني الحروف: ١٠٥، وينظر: النشر

في القراءات العشر: ٢ / ٤٢، ومغني

الليبي عن كتب الأعراب: ١ / ١٥٣.

(٧) معجم مفردات ألفاظ القرآن، ٥٩.

أبداءً، وإنما تكون حرف جواب في جميع أحوالها، جاب بها النفي خاصة وتفيد إبطاله سواء أكان هذا النفي مجرداً من الاستفهام أم معه ^(٩).

وقد استعملت هذه اللفظة في الشعر العربي بمعنى الجواب عن الكلام المنفي، قال حسان بن ثابت:

[من الطويل]

وَإِنْ قُتِلُوا لَمْ تَوْفِ مِنْهُمْ دِمَاؤُهُمْ

بلى إِنَّ قَتَلَ الْقَاتِلِينَ شَفَائِي ^(١٠)

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للفظه

(بلى):

إنَّ المعنى الاصطلاحي للفظه (بلى) هو المعنى اللغوي نفسه لها، إذ لا فرق بينهما، قال صاحب التعريفات: ((بلى): هو إثبات لما بعد النفي كما أَنَّ (نعم) تقرير لما سبق من النفي، فإذا قيل في جواب قوله تعالى ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾

[سورة الأعراف: ١٧٢]، نعم يكون

كفراً ^(١١). وهذا يعني أَنَّ (بلى) تكون جواباً للكلام أو الجمل التي فيها الإنكار سواء كان قبلها استفهام أم لم يكن، فإذا أجبت بـ(بلى) بعد الإنكار نفيتها، ولا يصح أن تأتي بـ(نعم) في مكانها، لأنك إذا فعلت ذلك تكون قد حققت الإنكار، وتعدّ (ألست) و (ألم) من حروف الإنكار فلو جئت بـ(نعم) كنت محققاً للإنكار، و (بلى) نافية له ^(١٢).

ثالثاً: معاني لفظه (بلى) ضمن السياقات التي وردت فيها:

ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في اثنين وعشرين موضعاً، في ست عشرة سورة، منها اثنا عشرة سورة مكيّة، وأربع سور مدنية ^(١٣). وقد وردت لـ(بلى) معاني عدة بحسب السياق الذي وردت فيه في الآيات القرآنية، ومن هذه المعاني:

١. التوكيد:

أ. قال تعالى في سورة الأنعام (مكيّة):

(١١) معجم التعريفات: ٤٣، وينظر: الكليات: ٢٣٥ و ٩١٣، والمعجم الوسيط (بلى): ٧٠.

(١٢) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٨.

(١٣) ينظر: معجم ألفاظ القرآن (بلى): ١٦٤.

(٩) ينظر: معاني الحروف للرماني: ٩٤، ورصف المباني في شرح حروف المعاني: ١٥٣-

١٥٨، والمعجم الوسيط (بلى): ٧٠.

(١٠) ديوان حسان بن ثابت: ١ / ٤٠٦.



﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ
هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا
الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة
الأنعام: ٣٠]، (وقفوا على ربهم):
مجاز على الحبس للتوبيخ والسؤال
كما يوقف العبد الجاني بين يدي
سيده ليعاتبه، (أليس هذا بالحق)
تعبير من الله تعالى على تكذيبهم
وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث
البعث والجزاء ما هو بحق إن هو
إلا باطل^(١٤)، (والهمزة في (أليس)
ليست للاستفهام الحقيقي، وإنما
أفادت معنى الاستخبار والتحقيق
والإيجاب في تثبيت الحق^(١٥)،
وذكر الألوسي أن قوله: ((بلى
وربنا) أكدوا اعترافهم باليمين
ظاهراً لكمال تيقنهم بحقيقته وايداناً
بصدور ذلك عنهم برغبة ونشاط
طمعاً بأن ينفعهم^(١٦))، وهذا يعني

(١٤) ينظر: الكشف: ١٧ / ٢.

(١٥) رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٤٦.

(١٦) روح المعاني: ٧ / ١٣١، وينظر: التفسير

الكبير: ١٢ / ١٦١، والجامع لأحكام

القرآن: ٦ / ٤١١.

أن (بلى) أفادت التوكيد والاعتراف
بما كانوا ينكرونه حسب السياق
الذي ورد فيه فضلاً عن وظيفتها
النحوية، إذ تعدّ حرف جواب
يثبت به ما بعد النفي، فلا يجوز
أن يقولوا (نعم) لأنها تحقق النفي
ويكون المعنى (ليس هذا بالحق)،
ولا يجوز أن يقولوا (إي وربنا)
لأن (إي) بكسر الهمزة استعملت
في العربية حرف جواب بمعنى
(نعم)، وفائدتها لتصديق الخبر، أو
للإعلام، أو الوعد، ولكنها تختلف
عن (نعم) في كونها مختصة بالقسم
الذي يأتي بعدها، وأن لا تسبق
بنفي^(١٧)، قال تعالى ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ
أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ
وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة
يونس: ٥٣]، ولا يحسن الوقوف
على (بلى) لأن القسم يتصل بها،
فكأنّها والقسم جملة واحدة، وهي

(١٧) ينظر: رصف المباني في شرح حروف

المعاني: ١٣٦، والجنى الداني في حروف

المعاني: ٢٣٤.

والقسم جواب للأستفهام الداخل على النفي، و (ثمّ محذوف بعدها والتقدير (قالوا بلى هذا هو الحقّ وربّنا)، والابتداء بها لا يحسن لأنّها جواب لما قبلها) (١٨).

ب. قال تعالى في سورة النحل (مكيّة):

﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَـةَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٨]،

توفاهم الملائكة (ظالمي أنفسهم) أي حال كونهم مستمرين على الشرك الذي هو ظلم منهم لأنفسهم (فألقوا السّلم) أي: الاستسلام، ويظنّ الباحث من خلال التمعن في معنى الآية الكريمة وكأنّ هذه المحاورة بين الملائكة والذين ظلموا أنفسهم بعمل السوء حصلت أثناء عملية الاحتضار (خروج النفس من الجسد)؛ فصدّموا بالواقع ووجدوا

(١٨) الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم:

٨٠، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن

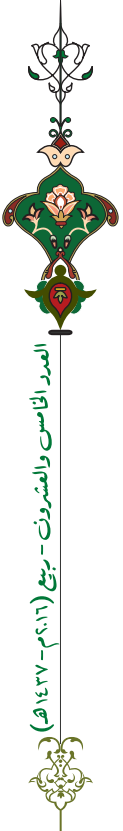
الكريم: ٩٦.

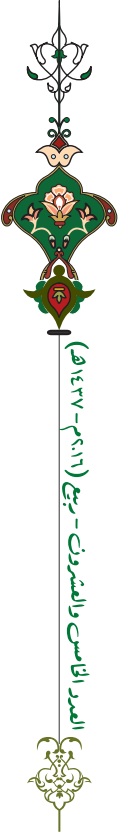
أنّ وعد الله حقّ في محاسبتهم وهم لا يستطيعون شيئاً سوى أنّهم أنكروا ذلك ظناً منهم في الخلاص من عذاب الله، ودليل ذلك قوله تعالى للذين آمنوا ساعة احتضارهم:

﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل:

٣٢]، فأين السلام من الاستسلام، فجاءت (بلى إنّ الله) لإبطال النفي وتأكيد ظلمهم لأنفسهم وعمل السوء، ولا يقال الرد على من جحد واستيقنت نفسه لأنّه يكون كذباً، ومن الناس من قال بجواز وقوع الكذب يوم القيامة وعليه فلا إشكال في ذلك (١٩)، والوقوف على (بلى) حسن جيد لأنّه جواب النفي الذي قبلها وهو قولهم: (ما كنا نعمل من سوء) فالمنعى بل عملتم سوءاً، والدليل ورود (إنّ) بعدها مكسورة الهمزة، وهي ممّا يكسر في الابتداء، فالوقوف على ما قبلها حسن إذ هي

(١٩) ينظر: روح المعاني، ١٤ / ١٢٨.





السياق الدلالي لحروف الجواب في القرآن المصباح .

للابتداء، ولا يحسن الابتداء بـ(بلى)،
لأنّها جواب لما قبلها^(٢٠).

ج. قال تعالى في سورة النحل (مكيّة):

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا
يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل: ٣٨]، (دخول (لا)

على الفعل المضارع (يَبْعَثُ) تصرف

دلالتها الى المستقبل^(٢١)، وإنكارهم

البعث مقسمين عليه، و(بلى) إثبات

لما بعد النفي أي: (بلى) يبعثهم،

ووعده الله مصدر مؤكد لما دلّ عليه

(بلى) لأنّ البعث موعده من الله حقّ

واجب عليه في الحكمة^(٢٢)، وقال

الرازي: ((بلى) إنّما هو إثبات لما بعد

النفي، أي: بلى يبعثهم^(٢٣)، ف(بلى)

رَدُّ على الذين أقسموا لا يبعث الله

(٢٠) رسالة في الوقف على كلا وبلى: ١٦،

وينظر: حروف الجواب: ٥٧، ودراسات

لأسلوب القرآن الكريم: ٩٦.

(٢١) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١/
٣١٣.

(٢٢) ينظر: الكشف: ٢/ ٥٦٦.

(٢٣) التفسير الكبير: ٢٠/ ٢٥، وينظر: دراسات

لأسلوب القرآن الكريم: ٩٦.

مَنْ يَمُوتُ أَي: إِنَّهُ يَبْعَثُهُ، ويدلّ

على ذلك أنّ اللام في سياق الآية

التي قبلها في قوله تعالى: ﴿لِيَسِنَّ

لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [سورة

النحل: ٣٩]، تتعلق بما دلّ عليه

(بلى) أي: يبعثهم لبيّن لهم^(٢٤)، فقد

أفادت (بلى) التوكيد حسب السياق

الذي وردت فيه واقتراها بالمصدر

(وعداً) ولفظ التوكيد (حقاً)، ومن

يتمعن في سياق الآية، يجد أنّ هناك

حذفاً والتقدير (قال أو قلنا بلى)،

والوقوف على (بلى) هنا جائز لأنّه

جواب للنفي الذي قبله وهو قوله:

(لا يبعث الله من يموت) فالمعنى:

بلى يبعثهم الله ثم حذف لدلالة (بلى)

عليه، والاختيار على أن يقف على

(حقاً) لأنّ وعداً مصدر مؤكد لما

قبله، وهو إيجاب نفيهم، ولا يحسن

التفريق بين التأكيد والمؤكد^(٢٥).

د. قوله تعالى في سورة سبأ ﴿وَقَالَ

(٢٤) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦٤.

(٢٥) ينظر: الوقف على كلا وبلى في القرآن

الكريم: ٨٢.

الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِيَنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي
لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٧﴾ [سورة سبأ:

٢٣]، ((بلى)) جواب للنفي المجرد من الاستفهام السابق من قولهم (لا تأتينا الساعة)، أي: (بلى) لتأتينكم وهي ردٌ لكلامهم وإثبات لما نفوه من عدم إتيان يوم القيامة (٢٦)، وقد أفادت (بلى) التوكيد بحسب السياق الذي وردت فيه، والوقف على (بلى) جائز عند نافع وعند غيره لايحوز، لأنَّ القسم متصل بـ(بلى)، فالوقف الجيد لتأتينكم، وهو قول الأخفش وهو ما يتفق البحث معه لانه لا يحسن الوقف على (وربي) لأنَّ (لتأتينكم) من جواب لا تأتينا الساعة، ولأنَّ اللام جواب القسم، فذلك ممتنع من الوجهين، ولا يحسن الابتداء بـ(بلى) لأنها جواب للنفي

(٢٦) روح المعاني: ٢٢ / ١٠٤، وينظر: فتح القدير: ٤ / ٣١٢.

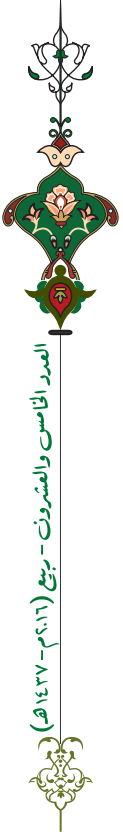
الذي قبلها وهو قولهم لا تأتينا الساعة (٢٧).

ه. قال تعالى في سورة الأحقاف (مكية): ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٤]،

الهمزة للإيجاب والتحقيق، وثم محذوف في النص والتقدير: (قالوا بلى إنه الحق)، وقوله: (بلى) تصديق بحقيقته، وأكد بالقسم كأثمهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيته ذلك كما في الدنيا وأنى لهم ذلك، وذكر أهل التفسير أثمهم يعذبون في النار وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون أنه العدل (٢٨)، ولا يجوز أن يكون الجواب (إي وربنا) لأنَّ الكلام مسبوق بنفي على الرغم من وجود القسم (وربنا)، وقد أفادت (بلى) التوكيد فضلاً

(٢٧) ينظر: حروف الجواب: ٦٢، والمكتفي: ٤٦٣.

(٢٨) ينظر: روح المعاني: ٢٦ / ٣٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٦ / ٢١٩.



تربصكم بالرسول^(٣١)، وذكر ابن الجزري في التمهيد: (أن الوقف على (بلى) كاف)^(٣٢)، وقال الأشموني: ليس بوقف وإن وجد مقتضى الوقف وهو تقدم الاستفهام على (بلى) لتكون جواباً له، إلا أن الفعل المضمر بعدها قد أبرز فصارت هي ما بعده جواباً لما قبلها)^(٣٣)، وذكر الداني في المكتفي أنه وقف تام نقلاً عن نافع والدينوري^(٣٤)، والراجح هو اختيار الوصل لاتصال (بلى) بما بعدها جواباً لما قبلها وجواز الوقف عليه)^(٣٥).

ز. قال تعالى في سورة التغابن (مدنيّة): ﴿ذَمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّيَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٧]، الزعم:

(٣١) ينظر: التفسير الكبير: ٢٩ / ١٩٧، وتفسير البضاوي: ٥ / ٢٩٩.

(٣٢) التمهيد: ١٩٤.

(٣٣) منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ٣١٢.

(٣٤) ينظر: المكتفي: ٥٥٥.

(٣٥) رسالة في الوقف على كلا وبلى: ١٨، وينظر: حروف الجواب: ٧٨ - ٨٠.

عن دلالتها النحوية، والوقوف على (بلى) لا يحسن، لأن القسم مرتبط بـ(بلى) كالذي في سورة الأنعام، و (بلى) هنا جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها^(٢٩).

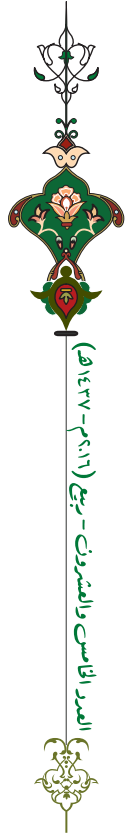
و. قال تعالى في سورة الحديد (مدنيّة):

﴿يَأْتِدُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [سورة

الحديد: ١٤]، قالوا (بلى) أي: (أقروا بأنهم كانوا معهم في الظاهر ولكنكم فتنتم أنفسكم في الظاهر بالنفاق وإبطان الكفر، قال مجاهد: أهلكتموها بالنفاق وقيل بالشهوات والذات)^(٣٠)، وذهب الرازي إلى أن المؤمنين قالوا (بلى) كتتم معنا إلا أنكم فعلتم أشياء بسببها وقعت في هذا العذاب أولها: فتنتم أنفسكم بالكفر والمعاصي وكلها فتنة، وثانيها

(٢٩) ينظر: حروف الجواب: ٧٨، والمكتفي: ٥٢٠.

(٣٠) فتح القدير: ٥ / ١٧٠.



الإدعاء الكذب، والذين كفروا: أهل مكة و(بلى) إثبات لما بعد (لن) وهو البعث^(٣٦)، وقال شريح: (لكل شيء كنية وكنية الكذب: (زعموا) قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي مع خباب ثم عمّت كل كافر^(٣٧))، (بلى) جواب النفي وقد أفاد التوكيد بحسب السياق الذي ورد فيه، لأنّ قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ﴾ فيها ثلاثة مؤكّدات: القسم واللام ونون التوكيد الثقيلة، جاء في الكتاب (وزعم الخليل أنّها توكيد كما التي تكون فصلاً، فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكّد، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدّ توكيداً)^(٣٨)، وذلك لأنّ (تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد وأنّ دلالة توكيد البعث هي دلالة مستقبلية، لأنّ نون التوكيد إذا اتصلت بالفعل المضارع

خصّت دلالته للمستقبل)^(٣٩)، والابتداء ب(بلى) جائز على مذهب من أجاز الابتداء بالقول وإن كان جواباً، إذ القول مستأنف وليس هو بالاختيار وإن كان مستأنفاً فلا يخرج من أن يكون جواباً للنفي الذي قبله، والجواب مرتبط بما هو جواب له، ويبعد الوقف على (تبعثن) لأنّ ما بعدها معطوف عليه، والوقوف على (بلى) هنا لا يحسن لأنّ المضمر بعدها قد ظهر، ولا يحسن الوقوف على (وربي)^(٤٠).

ح. قال تعالى في سورة الانشقاق (مكية): ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾^(١٤) ﴿بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ [سورة الانشقاق: ١٤-١٥]، الحور: (الرجوع عن الشيء والى الشيء، حار الى الشيء، رجع عنه واليه)^(٤١)، ومعنى قوله: (أن لن

(٣٦) ينظر: الكشف: ٤ / ٥٥٠.

(٣٧) جامع الأحكام: ١٨ / ١٣٥.

(٣٨) كتاب سيوبه: ٣ / ٥٠٨، وينظر: شرح

الأشمووني على ألفية ابن مالك (منهج

السالك الى ألفية ابن مالك): ٣ / ٢١٢.

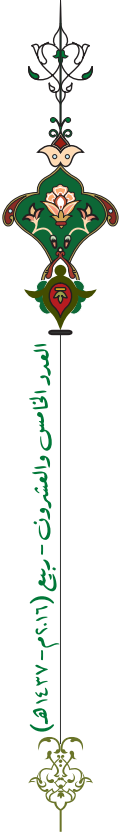
(٣٩) شرح المفصل: ٥ / ١٦٤، وينظر: شرح ابن

الناظم على ألفية ابن مالك: ٤٤١.

(٤٠) ينظر: الوقف على كلا وبلى في القرآن:

٨٦-٨٧، ومنار الهدى: ٣٩٢.

(٤١) لسان العرب (حور): ٤ / ١٥٧.



وفي الآية حذف تقديره (قال أو قلنا بلى) وقد أفادة (بلى) التوكيد بالرجوع فضلاً عن وظيفتها النحوية، (ويجب الوقف على (بلى) لأنها جواب للنفي الذي قبلها، ويدل على حسن الوقف على (بلى) أنّ ما بعدها (إنّ) المكسورة وهي مما يبدأ بها، وتكسر في الابتداء ولا يحسن الابتداء بـ(بلى) لأنها جواب لما قبلها) (٤٦).

٢. التحسر وجواب النفي الضمني الذي أفادته (لو) في قوله تعالى في سورة الزمر (مكية) ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٨) ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الزمر:

٥٧ - ٥٩]، ((بلى) حرف جواب لمنفي سبق بهزمة التقرير، ولما كان

(٤٦) حروف الجواب: ٩٠، وينظر: الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم: ٨٨.

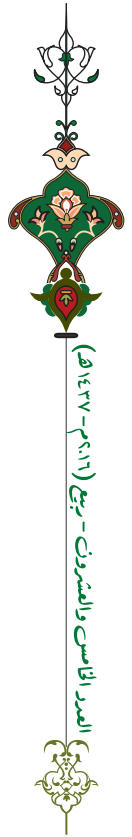
يُحْجَرُ) أي: لن يرجع حيّاً مبعوثاً فيحاسب، ثمّ يثاب أو يعاقب، و(يُحْجَرُ) كلمة بالحبشية معناها: يرجع، ومنه الخبز الحواري لأنّه يرجع الى البياض، وقال ابن عباس ما كنت أدري ما يُحْجَرُ حتّى سمعت أعرابية تدعو بنية لها حورى: أي أرجعي (٤٢)، و(دلالة توكيد نفي عدم الرجوع بـ(لن) هي دلالة مستقبلية مستمرة) (٤٣)، و(بلى) إيجاب لما بعد النفي (لن يُحْجَرُ): أي (بلى) ليُحْجَرُ، لأنّ ربه كان به بصيراً وبأعماله لا ينساها ولا يخفى عليه، فلا بدّ أن يرجعه ويجازيه عليها (٤٤)، وذكر الألوسي (أنّ (بلى) أي ليس الأمر كما ظنّ بل يُحْجَرُ إلينا ويرجع أنّ ربه كان به بصيراً قبل أن يخلقه عالماً بأنّ مرجعه إليه) (٤٥)،

(٤٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٠ / ٨١، وفتح القدير: ٥ / ٤٠٧.

(٤٣) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٣٧٢.

(٤٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٥ / ٤٥٨.

(٤٥) روح المعاني: ٣٠ / ٨١.



قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّهُ هَدَانِي﴾
 وجوابه متضمناً نفي الهداية،
 كآته قال: ما هداني الله فقيل له:
 (بلى)، قد جاءت آياتي مرشدة لك
 فكذبت بها^(٤٧)، ف(بلى) جواب
 من الله لما تضمنه قول القائل: (لو
 أَنَّ الله هداني) من نفي أن يكن الله
 تعالى هداه ورد عليه ولا يشترط
 في الجواب بـ(بلى) تقدم النفي
 صريحاً، وقد وقع موقعه اللائق به
 رعاية للترتيب المعنوي، وذلك لأنَّ
 التحسر بعدم الهداية إنما يكون بعد
 مشاهدة حال المتيقن^(٤٨)، ولا يحسن
 الابتداء بـ(بلى) لأنها جواب لما قبلها
 على القولين جميعاً^(٤٩).

٣. التأنيب:

أ. قال تعالى في سورة الزمر (مكية):
 ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
 زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا

(٤٧) البحر المحيط: ٧ / ٤١٩.

(٤٨) ينظر: روح المعاني: ٢٤ / ١٨.

(٤٩) ينظر: حروف الجواب: ٦٦، ورسالة في
 الوقف على كلا وبلى وبعض الكلمات في
 القرآن العظيم: ١٧.

وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
 مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ
 وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا
 بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى
 الْكَافِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧١]،
 (الزمر: الفوج من الناس والجماعة
 من الناس المتفرقة بعضها في إثر
 بعض)^(٥٠)، ومعنى الآية: (بلى) أتونا
 وتلوا علينا، ولكن وجبت علينا
 كلمة (الله)، لأملأنَّ جهنمَ لسوء
 أعمالنا وهو الكفر والضلال^(٥١)،
 وذكر الآلوسي: (إنما وبَّخهم
 بالكفر بعد التبليغ لأنه أبعد عن
 الاعتذار وأحق بالتوبيخ والإنكار،
 قالوا (بلى) قد أتانا رسلٌ منا تلوا
 علينا آيات ربنا وأنذرونا لقاء
 يومنا هذا)^(٥٢)، وقد أفادت (بلى)
 التأنيب حسب السياق الذي جاءت
 فيه فضلاً عن دلالتها النحوية،
 والوقوف على (بلى) حسن، لأنها



(٥٠) لسان العرب (زمر): ٤ / ٣٢٩.

(٥١) ينظر: الكشف: ٤ / ١٤٩.

(٥٢) روح المعاني: ٢٤ / ٣٢.

فالمعنى (بلى) أتتنا الرسل بالبينات، ثم حذف ذلك لدلالة (بلى) عليه، ويدل على حسن الوقف على (بلى) أن ما بعدها قول مستأنف من خزنة النار وهو: (قالوا فادعوا)، ولا يحسن الابتداء بها لأنها جواب لما قبلها^(٥٥).

٤. التهكم:

قال تعالى في سورة الزخرف (مكية): ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨٠]، (النَّجْوَى: السر، ومعنى النَّجْوَى في الكلام ما يَنْفَرِدُ به الجماعة والإثنان سِرًّا كَانَ أَوْ ظَاهِرًا)^(٥٦)، ونجواهم: أي تناجيهم وتحادثهم سِرًّا وقال غير واحد: السرُّ ما حدَّثوا به أنفسهم أو غيرهم في مكانٍ خالٍ، والنجوى: ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي ودلالة نفي سماع السرِّ والنجوى مستقبلية لأن دخول

جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها، ولا يحسن الابتداء بـ(بلى) لأنها جواب لما قبلها^(٥٣).
ب. قال تعالى في سورة غافر (مكية):

﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاتُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [سورة غافر: ٥٠]،

الاستفهام للتوبيخ والتفريع وقد جاءت الهمزة قبل الواو لأنها من الألفاظ التي لها الصدارة في الكلام، ((قالوا بلى) أي: أتونا بها فكذبناهم ولم نؤمن بهم ولا بما جاءوا به من الحجج الواضحة)^(٥٤)، وقد أفادت (بلى) معنى تأنيب الكفار على عدم إيمانهم بالرسل حسب السياق الذي وردت فيه، والوقوف على (بلى) واجب وبالغ لأنها جواب الاستفهام الداخل على النفي قبلها،

(٥٣) ينظر: حروف الجواب: ٦٩، والمكتفي في الوقف والابتداء: ٤٨٧.

(٥٤) فتح القدير: ٤ / ٤٩٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٤ / ٨٤، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٩٦.

(٥٥) ينظر: حروف الجواب: ٧١، والوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم.

(٥٦) لسان العرب (نجا): ٣٠٩ / ١٥.

(لا) النافية على الفعل المضارع تصرف دلالتة الى المستقبل، ((بلى) نسمعها ونطلع عليها ورسلنا الذين يحفظون عليهم أعمالهم (لديهم) ملازمون لهم، (ويكتبون) كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال، والمضارع (يكتبون) للاستمرار التجديدي، وهو مع فاعله خبر^(٥٧)، وقد أفادت (بلى) معنى التهكم فضلاً عن دلالتها النحويّة، والوقوف على (بلى) حسن وجيد لأنّه جواب لما قبله، ويدلّ على ذلك أنّ ما بعده (ورسلنا) مبتدأ و (لديهم يكتبون) خبر^(٥٨).

٥. التقرير:

أ. قال تعالى في سورة الأعراف (مكيّة): ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا

(٥٧) روح المعاني: ٢٥ / ١٠٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٦ / ١١٨، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٩٦.

(٥٨) ينظر: حروف الجواب: ٧٥، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء: ٣٥٢، والمكتفي في الوقف والابتداء: ٥٠٦.

أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿[سورة الأعراف: ١٧٢]، كأنّه أشهدهم على أنفسهم وقرّهم وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴿[سورة الأعراف: ١٧٢]، (أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقرنا بوحدانيتك)^(٥٩)، وذكر ابن جزي (ت: ٧٤١هـ) أنّ قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴿[سورة الأعراف: ١٧٢]، أنّ لفظة (بلى) دلّت على اقرارهم بأنّ الله ربّهم والتقدير (أنت ربّنا)، فإنّ (بلى) بعد التقرير تقتضي الإثبات، بخلاف (نعم) فإنّها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس في هذه الآية: لو قالوا: (نعم) لكفروا، لأنّ النفي إذا أجيب عنه بـ(نعم) كان تصديقا، فكأنهم أقرّوا أنّه ليس برّبهم^(٦٠).

وذكر الآلوسي عن السيوطي: (أنّ

(٥٩) الكشف: ٢ / ١٦٦.

(٦٠) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١ / ٣٢٨.

هذه الآية أصل في الإقرار و (بلى) حرف جواب تختص بالنفي فلا تقع إلا في جوابه فتفيد إبطاله سواء كان مجرداً أو مقروناً بالاستفهام حقيقياً كان أو تقريرياً وقد أجروا النفي مع التقرير مجرى النفي المجرد في رده بـ(بلى) كما في هذه الآية^(٦١)؛ والوقوف على (بلى) ردٌ للنفي الذي قبلها وأن الوقف عليها كافٍ وتام^(٦٢)، ولا يجوز الابتداء بـ(بلى) ولا بـ(قالوا) لأنه جواب لما قبله كالخبر في الابتداء، وكالجواب من الشرط، وكالنت من المنعوت، وكالعطف من المعطوف في أشباه ذلك^(٦٣).

ب. قال تعالى في سورة (يس) (مكية):
﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة يس: ٨١]،
(بلى) جواب من جهته تعالى، وقد

أفاد التصريح للاستفهام الإنكاري من تقرير ما بعد النفي من القدرة على الخلق، وإيدان بتعيينه لجواب نطقوا به أو تلعثموا^(٦٤)، وقال القرطبي: (الى أن قوله (بلى) إنما يأمر بالشيء أمراً واحداً لا يحتاج الى تكرار وتأکید إذا ما أراد الله أمراً فإنما يقول له كن فيكون)^(٦٥)، والوقوف على (بلى) حسن جيد بالغ، لأنها جواب للاستفهام الداخِل على النفي قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة يس: ٨١]، فالمنعنى ((بلى) يقدر على ذلك، ويدل على حسن الوقف عليها، أن ما بعدها مبتدأ وخبر، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾، ولا يحسن الابتداء بـ(بلى) لأنها جواب لما قبلها)^(٦٦).

(٦٤) ينظر: فتح القدير: ٤ / ٢٨٤، التفسير الكبير: ١٥ / ٣٨.

(٦٥) الجامع لأحكام القرآن: ١٥ / ٦٠،

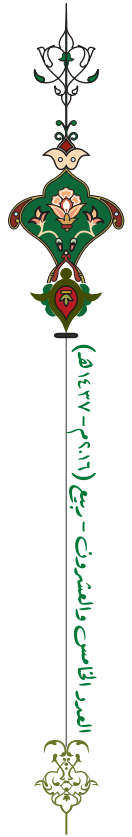
وينظر: دراسات لأسلوب القرآن: ١٩٢.

(٦٦) حروف الجواب: ٦٣، وينظر: الوقف

(٦١) روح المعاني: ٩ / ٩٩، وينظر: التفسير الكبير: ١٥ / ٣٨.

(٦٢) ينظر: التمهيد، ١٩، ورسالة في الوقف على كلا وبلى وبعض الكلمات: ١٦.

(٦٣) ينظر: الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم: ٨١.



ت. قال تعالى في سورة الأحقاف

(مكية): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيَّرْ

بِحَلْفِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى

بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة

الأحقاف: ٣٣]، إِنَّ الدَّلَالَةَ الزَّمْنِيَّةُ

لِلآيَةِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَالْقُدْرَةُ عَلَى أَحْيَاءِ الْمَوْتَى هِيَ

دَلَالَةُ الْمَاضِي، لِدُخُولِ (لَمْ) عَلَى

الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ كَوْنِهَا أَدَاةُ نَفْيٍ

وَجَزْمٍ وَقَلْبٍ، ((عَيَّ) بِالْأَمْرِ عَيَّاءَ،

عَجَزَ عَنْهُ وَلَمْ يُطِقْ أَحْكَامَهُ) (٦٧)، وَ

(بِقَادَرٍ) مَحَلُّهُ الرِّفْعُ لِأَنَّهُ خَبَرٌ، وَإِنَّمَا

دَخَلَتْ الْبَاءُ لِاشْتِمَالِ النَّفْيِ فِي أَوَّلِ

الآيَةِ عَلَى (أَنَّ) وَمَا فِي حِيزِهَا، وَفِي

الْكَشَافِ: (قَالَ الزَّجَاجُ لَوْ قُلْتُ:

(مَا ظَنَنْتُ أَنَّ زَيْدًا بِقَائِمٍ) جَازَ

كَأَنَّهُ قِيلَ: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ) أَلَا

تَرَى وَقُوعَ (بَلَى) مُقَرَّرَةً لِلْقُدْرَةِ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْبَعْثِ وَغَيْرِهِ لَا

لِرُؤْيَيْهِمْ) (٦٨)، وَالْوُقُوفُ عَلَى (بَلَى)

جَيِّدٌ حَسَنٌ وَبَالِغٌ، لِأَنَّهُ جَوَابُ

الاسْتِفْهَامِ الدَّاخِلِ عَلَى النَّفْيِ قَبْلَهَا

وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي

خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [سورة

الأحقاف: ٣٣]، وَالْمَعْنَى (بَلَى) يَقْدِرُ

عَلَى ذَلِكَ، وَوُرُودُ (إِنَّ) الْمَكْسُورَةَ

الْهَمْزَةَ وَهِيَ لِلْأَبْتَدَاءِ) (٦٩).

٦. التوبيخ:

أ. قال تعالى في سورة البقرة (مدنية):

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَنْتِمْ مَا

مَعْدُودَةٌ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا

فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى

اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ

كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٠ -

٨١]، الْمَسُّ: اللَّمَسُ بِالْيَدِ، يُقَالُ:

(مَسَسْتُ الشَّيْءَ أَمْسَهُ مَسًّا إِذَا لَمَسْتَهُ

(٦٨) الْكَشَافُ: ٤ / ٣١٦، وَيَنْظُرُ: التفسير

الكبير: ٢٨ / ٣٠، وَدَرَأَسَاتُ لِأَسْلُوبِ

القرآن الكريم: ٩٦.

(٦٩) حُرُوفُ الْجَوَابِ: ٧٦، وَيَنْظُرُ: التمهيد:

١٩٥، وَرِسَالَةُ فِي الْوُقُوفِ عَلَى كَلَا وَبَلَى: ١٨.

على كلا وبلى في القرآن الكريم: ٨٣،

والمكتفي: ٤٧٦.

(٦٧) لسان العرب (عيا): ١٥ / ١١١.



بيدك^(٧٠)، واللمس اتصال أحد
الشيئين بآخر على وجه الاحساس
والإصابة، وذكر الراغب أنّ (المسّ)
كاللمس لكن اللمس قد يقال
لطلب الشيء وإن لم يوجد كقول
الشاعر: وألمسه فلا أجده...،
والمسّ يقال في كلّ ما ينال الانسان
من أذى^(٧١)، والمراد من (النار) نار
الآخرة ومن المعدودة: المحصورة
القليلة العدد، وقد كنى بالقليلة
لجهل العرب بالحساب، وقد روى
أهل التفسير أنّ هذه الآية نزلت في
حقّ اليهود عندما ظنّوا أنّهم يعذبون
أربعين يوماً عدد عبادتهم العجل،
وزعموا أنّهم وجدوا في التوراة: إنّ
ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين
سنة الى أن ينتهوا الى شجرة الزقوم،
وقد قالوا ذلك حين دخل النبي ﷺ
المدينة وسمعه المسلمون فنزلت
هذه الآية: ﴿قُلْ أَتُحَدِّثُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
عَهْدًا﴾ [سورة البقرة: ٨٠]،

تبكيت لهم وتوبيخ و(العهد) مجاز
عن وعده بعدم مساس النار لهم
سوى الأيام المعدودة وسمّى ذلك
(عهداً) لأنّه أوكّد من العهود
المؤكدة بالقسم والنذر^(٧٢)، و(أم)
إمّا أن تكون معادلة بمعنى أي
الأميرين كائن على سبيل التقدير
لأنّ العلم واقع بكون أحدهما
ويجوز أن تكون منقطعة، وهذا
توبيخ لهم شديد^(٧٣)، و(الكسبُ):
طَلَبُ الرِّزْقِ، كَسَبَ يَكْسِبُ كَسْبًا،
وَتَكَسَّبَ وَاتَّكَسَبَ^(٧٤)، وأنّ
(كَسَبَ) دونَ معنى (اكتَسَبَ) لما
فيه من الزيادة، وذلك لأنّ كسب
الحسنة بالإضافة الى اكتساب السيئة
أمرٌ يسير ومستصغر، وذلك لقوله
تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى
إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة
الأنعام: ١٦٠]، أفلا ترى أنّ

(٧٢) ينظر: روح المعاني، ١/ ٣٠٤، وفتح
القدير: ١/ ١٠٥.

(٧٣) ينظر: الكشاف، ١/ ١٨٥.

(٧٤) لسان العرب (كسب): ١/ ٧١٦.

(٧٠) لسان العرب (مسّ): ٦/ ٢١٨.

(٧١) معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٤٨٧.

الحسنة تصغر بإضافتها الى جزائها
ضعف الواحد الى العشرة، فإذا
كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه الى
هذه الغاية البعيدة المترامية، عَظُمَ
قدرها وفُخِّمَ لفظ العبارة عنها،
فقال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا
مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]،
فزيد في لفظ فعل السيئة، وانتقص
من لفظ فعل الحسنة (٧٥).

و(الخطأ: ضد الصواب، و
الخطيئة: على فعيلة، الذنب على عمد،
والخطيئة: المأثم) (٧٦)، والخطيئة في
هذا السياق جاءت لتحمل معنى
الإحاطة، والإحاطة إنَّما تكون بكثرة
المحيط، فحملة على معنى الكبائر،
والسيئة: الشرك، فيكون المعنى: بلى
من كسب شركاً، وأحاطت به كبائره
فأحبطت أعماله فأولئك أصحاب
النار، وتكون السيئة الذنوب وهي
بمعنى السيئات (٧٧)، و(بلى) حرف

جواب يثبت به ما بعد النفي، (فلما
قالوا لن تمسنا النار أجيوا بقوله:
بلى، وقد حذف الفعل بعدها، والمعنى
(بلى) تمسكم النار والمعنى على التأييد
وبين ذلك بالخلود، وهذا يعني أن
(بلى) تثبت لما بعد النفي وردُّ لقولهم
لن تمسنا النار) (٧٨)، والوقف على (بلى)
هنا جائز وحسن، لأنها جواب للنفي
في قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا
مَّعْدُودَةً﴾ [سورة البقرة: ٨٠]، أي:
تمسكم النار أكثر من ذلك، وأن الوقوف
عليها حسن لأنَّ ما بعدها مبتدأ وخبر
في قوله تعالى: ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾
[سورة البقرة: ٨١]، ف(من) أداة شرط
في محل رفع مبتدأ، و (فأولئك) خبر
والفاء واقعة في جواب الشرط، وقد
أفادت (بلى) هنا التوبيخ فضلاً عن
وظيفتها النحوية، وأجاز قوم (الأبتداء
ب(بلى))، والوقوف عليها أحسن وأقوى
لأنَّها جواب لما قبلها) (٧٩).

(٧٨) الجامع لاحكام القرآن، ٢ / ١١،
وينظر: دراسات لأسلوب القرآن
الكريم: ٩٥.
(٧٩) الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم:

(٧٥) ينظر: الخصائص: ٣ / ٢٦٥.
(٧٦) لسان العرب (خطأ): ١ / ٦٨.
(٧٧) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات:
٢٩٤.

ب. هذا الأمر. والوقوف على (بلى) غير جائز ولا يحسن لأن (قادرين) حال من الفاعل المحذوف بعد (بلى) والتقدير (بلى) نجتمعها قادرين على أن نسوي بنانه) وأن الوقوف الحسن هو على (بنانه) لأن (على) وما بعده متصل بـ(قادرين)، و(قادرين) حال من الضمير المحذوف والمضمر متصل بـ(بلى) وكلاهما جواب النفي الذي تقدم، وهو قوله (أن لن نجتمع عظامه) فالكلام مرتبط ببعضه ببعض، ولا يحسن الابتداء بـ(بلى) لأنها جواب لما قبلها^(٨٢).

ت. قال تعالى في سورة الملك (مكية):

﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَا آلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩ ﴾ [سورة

الملك: ٨ - ٩]، ذهب الألوسي إلى أن قولهم: (بلى) توبيخ لهم وزيادة

(٨٢) المكتفي: ٥٩٧ ، وينظر: المنار: ٣٣٣، الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم: ٨٧.

ب. قال تعالى في سورة القيامة (مكية):

﴿ اِيْحَسْبُ الْاِنْسَانُ اَنْ يَّجْمَعَ عِظَامُهُ ۝٣ ﴾

بَلَىٰ قَدَرَيْنَ عَلَىٰ اَنْ يُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۝٤ ﴾ [سورة

القيامة: ٣ - ٤]، تقرير وتوبيخ حيث ينكر قدرة الله تعالى على إعادة المعدوم و(بلى) جواب للاستفهام المنسحب على النفي، أي (بلى) قادرين على أن نجتمعها وتسوية بنانه التي هي أطراف خلقتها، وتماها على صغرها ونظافتها وضم بعضها الى بعض فكيف بكبار العظام^(٨٠)، ومن البديهي أن دلالة اعتقاد الإنسان نفي حدث جمع العظام هي دلالة مستقبلية لا يمكن حصولها (لدخول أداة النفي (لن) على الفعل المضارع (نجمع)، فضلاً عن دلالتها النحوية (النصب))^(٨١)، وقد أفادة (بلى) توبيخ من ينكر

٧٧. وينظر: رسالة في الوقف على كلا وبلى

وبعض الكلمات في القرآن العظيم: ١١.

(٨٠) ينظر: روح المعاني: ٢٩ / ١٧٢، وفتح

القدير: ٥ / ٣٣٦.

(٨١) معاني النحو، ٤ / ١٦٣.



لهم في العذاب، ثم اعترفوا بجهلهم ف(قالوا) وهو اعتراف بأنه عز وجل قد أزاح عنهم بالكلية (بلى) قد جاءنا نذيرٌ) وجمعوا بين حرف الجواب ونفي الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير، وتحسراً على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيداً لما وقع منهم من التفريط تندماً^(٨٣)، فقد أفادت (بلى) توبيخ الكفار على ذلك حسب السياق الذي وردت فيه، فضلاً عن دلالتها النحوية، (والوقوف على (بلى) هنا غير جائز، ولا يحسن لأن المضمّر بعده قد ظهر، فهو كـله جواب لما قبله، وأن جملة (بلى) قد جاءنا نذير) هي جملة واحدة من قول الكفار كـله ولا يجب التفريق بين قول بعض الكفار وبعض^(٨٤).

٧. الترغيب:

(٨٣) ينظر: روح المعاني: ٢٩ / ١١، والتفسير الكبير: ٥٧ / ٣.

(٨٤) الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم: ٨٧، وينظر: رسالة في الوقف على كلا وبلى: ١٨.

أ. قال تعالى في سورة البقرة (مدنية): ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١١١) بلى من أسلم وجهه لله، وهو محسن فله أجره، عند ربه، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿[سورة البقرة: ١١١]

[١١٢]، (الجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة من الاجتنان وهي السّتر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنّه جنّاً إذا ستره، فإنّها ستره واحدة لشدة التفافها وإظلالها)^(٨٥)، (هوداً) اليهود: التوبة، هاد يهود هوداً، وتهود: تاب ورجع الى الحق فهو تائب^(٨٦)، (أمانيه) الأمانى جمع أمنية وهي ما يتمنى الرجل، وتمنى الشيء: رغبه^(٨٧)، (أسلم) انقاد وأخلص الدين، أي: دخل

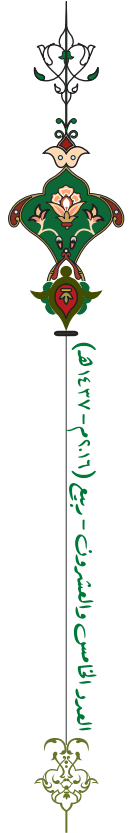
(٨٥) لسان العرب (جنن): ١٣ / ١٠٠.

(٨٦) م، ن (جنن): ١٣ / ١٠٠.

(٨٧) م، ن (منى): ١٥ / ٢٩٢.

ب. الترغيب بالوفاء بالعهد في قوله تعالى في سورة آل عمران (مدية):
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥-٧٦)، [الفنطار: آل عمران: ٧٥ - ٧٦]، (الفنطار: معيار، قيل وزن أربعين أوقية من ذهب، وقيل ألف ومائة دينار، وقيل ألف مثقال من الذهب وقيل غير ذلك) (٩٢)، (الأمي): الذي لا يكتب، قال الزجاج: الأمي الذي على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته (٩٣)، (بلى): جواب لقولهم ليس علينا في الأميين وإيجاب لما نفوه، وقد حذفت الجملة بعد (بلى) والمعنى (بلى عليه

في الاسلام^(٨٨)، وفي الكشف: (بلى إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، وأن (من) أداة تضمنت معنى الشرط وهي مبتدأ وجوابه (فلله أجره))^(٨٩)، وذهب الرازي الى أن (بلى) إثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة، وليس لديهم برهان، وإنما الحجة والبرهان مع المسلم المحسن، وهذا يعني أن الجنة ليست من نصيبهم بل من نصيب المسلمين، وفي النص حث وتوجيه وترغيب لليهود والنصارى على دخول الاسلام ليفوزوا بالجنة^(٩٠)، والوقوف على (بلى) هنا حسن لأنها (جواب للنفي الذي سبقها، ومعنى (بلى) يدخلها غيرهم، ثم حذف ذلك للدلالة (بلى) عليه وأن ما بعدها مبتدأ (من) والخبر (فله أجره) والفاء جواب للشرط ولا يتبدأ بها لأنها جواب لما قبلها)^(٩١).



وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٩٥.

(٩٢) لسان العرب (رطل): ٥ / ١١٨.

(٩٣) م، ن (أمم): ١٢ / ٣٤.

(٨٨) م، ن (أسلم): ١٢ / ٢٩٢.

(٨٩) الكشف: ١ / ١٧٧.

(٩٠) ينظر: التفسير الكبير، ٤ / ٤.

(٩١) الوقف على كلا وبلى في القرآن: ٧٨.

في الأميين سبيل^(٩٤)، وقوله تعالى:

﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ ۖ وَأَتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٦]،

استئناف مقرر للجملة التي عليها

(بلى)^(٩٥). وذهب أبو حيان الى أنَّ

في (بلى) وجهين: الأول أنَّها نفت

ما قبلها، فردَّ الله عليهم (بلى)

أي: عليهم سبيل في ذلك، وهذا

اختيار الزجاج وقد اختار أبو

حيان وقف التمام على (بلى) وبعده

استئناف، وأمَّا الثاني فكلمة (بلى)

تذكر ابتداء لكلام آخر يذكر بعده

وذلك لأنَّ قولهم ليس علينا فيما

نفعل جناح قائم مقام قولهم نحن

أحباء الله تعالى فذكر الله تعالى أنَّ

أهل الوفاء بالعهد والتقوى هم

الذين يحبهم الله تعالى لا غيرهم

وعلى هذا الوجه فإنَّه لا يحسن

الوقف على (بلى)^(٩٦)، وهذا الرأي

يتوافق مع ما ذهب اليه الداني في

المكتفي (أنَّ الوقف على (بلى) تام

والتقدير: (بلى عليه سبيل العذاب

لكذبهم واستحلالهم) والراجح

جواز الوقف، لأنَّه مسبوق بنفي

و (بلى) ردُّ للنفي السابق^(٩٧) في

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ

سَبِيلٌ﴾ [سورة آل عمران: ٧٥].

٨. زيادة البصيرة واليقين بقدرة الله

في قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ

تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ

وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً

مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ

كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْخُفْهُنَّ لِأَيْتِنَاكَ

سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[سورة البقرة: ٢٦٠]، (أرني:

أبصري)^(٩٨)، و(فصرهن): أي:

أملهنَّ وضممنهنَّ اليك^(٩٩)، ذكر

صاحب الكشف: (أنَّ إبراهيم عليه

(٩٧) المكتفي: ٢٠٤، وينظر: رسالة في الوقف

على كلا وبلى: ١٥.

(٩٨) لسان العرب (أرى): ١٤ / ٢٩١.

(٩٩) م، ن (صير): ٤ / ٤٧٨.

(٩٤) الكشف: ١ / ١٩٦، وينظر: دراسات

لأسلوب القرآن الكريم: ٩٧..

(٩٥) ينظر: روح المعاني: ٣ / ٢٠٣.

(٩٦) ينظر: البحر المحيط: ٢ / ٥٢٦، والتفسير

الكبير: ٨ / ٩٠-٩١.

السياق الدلالي لحروف الجواب في القرآن..... المصباح

(والذي يظهر أنّ التقرير إنّما هو منسحب على الجملة المنفية وأنّ الواو للعطف)^(١٠٢) ويجوز الوقف على (بلى) هنا، وهو وقف حسن لأنّها أعطت الإجابة، على السؤال أو الاستفهام الداخل على النفي في قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِن﴾ فكان السياق الذي وردت فيه (بلى) بمعنى (بلى آمنت) وذكر أكثر أصحاب الوقف والابتداء: (أنّ الأحسن أن تصل الكلام وتقف على (قلبي)، لأنّ قوله ﴿وَلَكِنْ لَّيَطْمِنَنَّ قَلْبِي﴾ هو كلام متصل وكله من قول إبراهيم عليه السلام وبالتالي لا يصحّ أن يفصل بين بعض قوله والبعض الآخر، ويجب أن يتصل مقول القول)^(١٠٣).

كان أثبت الناس إيماناً وإنّما سأل ذلك ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجلية للسامعين لأنّ (بلى) إيجاب لما بعد النفي والمعنى (آمنت) و(لكن ليطمئن قلبي) أي: ليزداد سكوناً وطمأنينة، لأنّ ظاهر الأمر هو أسكن للقلب وأكثر للبصيرة واليقين، وبالتالي يكون العلم الذي لا مجال للتشكيك به)^(١٠٠)، وفي الحقيقة أنّ إبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً في قدرة الله عزّ وجلّ في إحياء الموتى، ودليل ذلك قوله تعالى على لسان إبراهيم ﴿رَبِّ اَلَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٨]، وبالتالي أراد إبراهيم أن يظهر للناس مقدرة الله على إحياء الموتى ليزدادوا يقيناً وبصيرة وإيماناً^(١٠١)، وفي البحر المحيط:

(١٠٢) البحر المحيط: ٢ / ٢٩٧، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمه، ٩١.
(١٠٣) المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ: ١٩٠، وينظر: الوقف على كلا وبلى في القرآن: ٧٩.

(١٠٠) الكشف، ١ / ٣٣٦.
(١٠١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١ / ٣٥٢، والجامع لأحكام القرآن: ٣ / ٢٧٩، وروح المعاني: ٣ / ٢٦.

المبحث الثاني

السياقات الدلالية التي وردت فيها

لفظة (نعم):

أولاً: المعنى اللغوي لـ(نعم):

قال ابن فارس: (النون والعين والميم فروع كثيرة، وعندنا أنها على كثرتها راجعة الى أصل واحد يدل على ترفه وطيب عيش... ومن الباب قولهم: نَعَمْ، جواب الواجب، ضد لا، وهي أيضاً من النعمة)^(١٠٤)، ونَعَمْ ونَعِم: كقولك (بلى) إلا أن نَعَمْ في جواب الواجب، ويجاب به الاستفهام الذي لا جحد فيه، وهي حرف من الحروف الهوامل تكون جواباً، ولا يجاب بها إلا في التحقيق^(١٠٥).

وقد وردت هذه اللفظة في الشعر العربي، قال الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين (عليه السلام):

[من البسيط]

(١٠٤) معجم مقاييس اللغة (نعم): ٥ / ٤٤٧.

(١٠٥) ينظر: لسان العرب (نعم): ١٢ / ٥٨٩،

وكتاب معاني الحروف: للرماني (ت):

٣٨٤، ١٠٥.

ما قال لا قط إلا في تشهده

لولا التشهد كانت لاءه نَعَمْ^(١٠٦)

وقد ذكر النحاة أن (نعم): حرف

تصديق ووعد واعلام، فأما التصديق

يكون بعد الخبر، فعندما تقول: (قد

زارك محمد) فتقول: نعم، أو (ما زارك

محمد)، فتقول: نعم مصداقاً قوله اثباتاً

أو نفياً. وأما الوعد فيكون بعد الأمر

والنهي، وما في معناهما، نحو (اقرأ

دَرْسَكَ) أو (لا تفعل هذا الأمر)

فتقول: نعم، واعداً بأنك ستتنجز

طلبه، قال سيويه: (وأما نعم فعدة

وتصديق، تقول: قد كان كذا وكذا،

فيقول: نعم... فإذا استفهمْتُ فقلتُ

أَفْعَلُ؟ أَجَبْتُ بـ(نعم)، فإذا قلت:

أَلَسْتُ تَفْعَلُ؟ قال: بلى، يجريان

مجراهما قبل أن تحيء الألف)^(١٠٧)،

وهذا يعني أن (نعم) تبقي الكلام على

إيجابه ونفيه (لأنها وضعت لتصديق ما

تقدم من إيجاب أو نفي من غير أن ترفع

ذلك وتُبطله، فإذا قال القائل: (أخرج

(١٠٦) ديوان الفرزدق: ٦٣.

(١٠٧) كتاب سيويه: ٤ / ٢٣٤.

زَيْدٌ؟). وكان قد خرج فإنَّكَ تقول في الجواب (نعم) أي: قد خرج، فإن لم يكن خرج، قلت في الجواب (لا): أي لم يخرج، فإن قال: (أما خرج زيدٌ؟). وكان لم يخرج، فإنَّكَ تقول له في الجواب (نعم) أي: نعم ما خرج، فصَدَّقْتَ الكلام على نفسه باطراح حرف الاستفهام، كما صدَّقته على إيجابه، ولم ترفع النفي وتُبْطِله بخلاف (بلى) وإن كان قد خرج قلت في جواب (بلى) أي: بلى قد خرج، فرفعت ذلك النفي وحدث في بعضه إثبات نقيضه، بخلاف (نعم) التي تبقي الكلام على حاله ولا ترفعه^(١٠٨)، لأنَّ النفي إذا دخل عليه الاستفهام رُدَّ الى التقرير وصار إيجاباً، ومنه قول الشاعر جرير^(١٠٩):

[من الوافر]

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا

وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ

فإنَّه أخرج مُحَرَّجَ المدح، وهذا يعني

(١٠٨) شرح ابن عييش: ٥ / ٥٥ - ٥٦، وينظر:

دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٤٦٩.

(١٠٩) ديوان جرير: ١ / ٨٩.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي للفظه (نعم):

إنَّ المعنى الاصطلاحي للفظه (نعم) هو نفس المعنى اللغوي لها، إذ لا فرق بينهما ف(نعم): هو لتقرير ما سبق من الكلام السابق وتصديقه مثبتاً كان أو منقياً طلباً كان أو خبراً من غير رفع وإبطال ولهذا قالوا: إذا قيل في جواب قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢]، نَعَمْ يكون كُفْراً^(١١٠).

ثالثاً: معاني لفظه (نعم) ضمن السياقات التي وردت فيها:

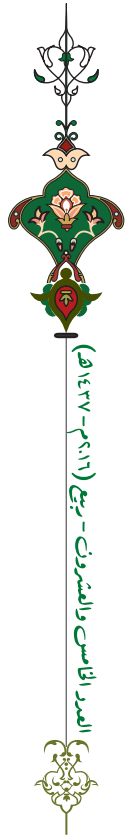
ورد هذا اللفظ (نعم) في القرآن الكريم في أربعة مواضع في ثلاث سور مكِّيَّة وقد أفادت المعاني الآتية:

١. التصديق:

أ. تصديق خبر وعد الله للناس فيقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ

النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ

(١١٠) ينظر: التعريفات: ٢٠٤.



وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ
مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾

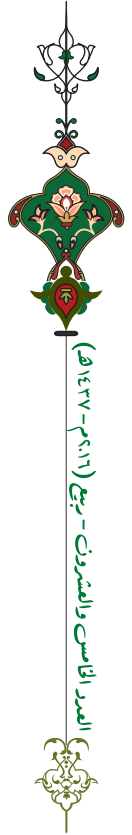
[سورة الأعراف: ٤٤]، فقلوله تعالى: ﴿نَعَمْ﴾ اعترافٌ من الكفار يوم القيامة بأنَّ وعد الله ووعيده حقٌّ وصدق ولا يمكن ذلك إلا إذا كانوا عارفين يوم القيامة بذات الله وصفاته، وقد ذكر سيبويه أنَّ (نعم) عِدَّةٌ وتصديق، وذهب الذين شرحوا كلامه معناه إنَّه يستعمل تارة عِدَّةً وتصديقاً تارة أخرى، وليس معناه أنَّه عِدَّةٌ وتصديقٌ معاً لأنَّ المتكلم إذا قال للمخاطب: أتعطيني؟. وقال المخاطب (نعم) كان عِدَّةً ولا تصديق فيه، وإذا قال: قد كان كذا وكذا فقلت: (نعم) فقد صدقت ولا عِدَّةَ فيه، كذلك إذا استفهمت عن موجب كما يقال: (أيقوم زيدٌ؟). قلت (نعم) ولو كان مكان الايجاب نفياً لقلت (بلى) ولم تقل (نعم) فلفظة (نعم) مختصة بالجواب عن الايجاب ولفظة (بلى) مختصة بالنفي، وقد أفادة نعم هنا

تصديق الخبر الذي قبلها بحسب السياق الذي جاءت فيه، وقد قرأ الكسائي (نعم) بكسر العين في كل القرآن، واحتجَّ بذلك بأنَّه روى عن عمر أنَّه سأل قوماً عن شيء فقالوا: (نعم) فقال عمر أمَّا (النعم) فالإبل، وذكر أبو عبيدة أنَّ هذه الرواية عن عمر غير مشهورة^(١١١).

وهذا يعني أنَّ أجابتهم بـ(نعم) تصديق لجميع ما وعد الله بوقوعه في الآخرة للصنفين، ويكون ذلك اعترافاً منهم بحصول موعود المؤمنين ليتحسروا على ما فاتهم من نعيم أهل الجنة ممَّا يخزيهم، (والوقوف على (نعم) هنا حسن مختار، لأنَّه لا خطاب بعدها فالكلام تام عليها غير متصل بما بعدها)^(١١٢).

ب. تصديق خبر بعث الموتى في قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١٦) ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْآوَّلُونَ﴾ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾

(١١١) ينظر: التفسير الكبير، ١٤ / ٦٩، وروح المعاني، ٨ / ١٢٢.
(١١٢) حروف الجواب: ١٥٢.



[سورة الصفات: ١٦ - ١٨]،

تضمن الاستفهام في الآية الكريمة إنكاراً واستبعاداً ليوم البعث، فأمر الله نبيه أن يجيبهم بـ(نعم) و(أنتم) داخرون، أي صاغرون، (وأنّ هناك محذوف بعد (نعم) تقديره: (نعم تبعثون)، وقرىء (نعم) بكسر العين وهي لغة^(١١٣)، وقال ابن جزي في التسهيل: ((أو آباؤنا) دخلت همزة الإنكار على واو العطف، وقرىء بالإسكان عطفاً بـ(أو)، (قل نعم وأنتم داخرون)، أي: قل تبعثون، والداخر الصاغر الذليل^(١١٤)، وقد أفادت (نعم) تصديق الخبر الذي قبلها بحسب السياق الذي جاءت فيه، ويحسن وصلها بما بعدها وترك الوقف عليها، لأنّ بعدها خطاباً متصلاً بها وبما قبلها، لأنّ بعدها (وأنتم داخرون) مبتدأ وخبر في موضع الحال من المضمّر الذي في

الفعل المحذوف^(١١٥).

٢. الوعد:

أ. قال تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ

لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾

قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾

[سورة الأعراف: ١١٣ - ١١٤]،

إذا أمعنا النظر في النص نجد أنّ المعنى الذي دلّت عليه (نعم) من خلال السياق هو الوعد، أي أعدكم بالأجر إن كنتم غالبين وقد عطف جملة (وإنكم) على الجملة المحذوفة بعد (نعم) التي هي نائبة عنها، والمعنى: ((لن المقربين مني)، وأنّ جملة (وإنكم لمن المقربين) معطوفة على محذوف سدّ مسده حرف الإيجاب، وكأنّه قال: إيجاب لقولهم: (إنّ لنا لأجراً)^(١١٦)، ويحسن في (نعم) وصلها بما بعدها وترك الوقف عليها، لأنّ ما بعدها خطاباً متصلاً بها وبما قبلها، وبعدها

(١١٣) التفسير الكبير: ٢٦ / ١١١، وينظر:

البحر المحيط: ٧ / ٣٣٩.

(١١٤) التسهيل: ٣ / ١٦٩.

(١١٥) ينظر: حروف الجواب: ١٥٥.

(١١٦) الكشف: ٢ / ١٣١.

(وإنكم) فالوقف والوصل جائزان
حسان (١١٧).

ب. قال تعالى في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا

جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا

إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ

إِذَا لَمِنَ الْمَقْرِبِينَ ﴿٤٢﴾ [سورة الشعراء:

٤١ - ٤٢]، قوله تعالى على لسان

فرعون (نعم): أي لكم مع الاجر

والجزاء الذي أوعدكم به إن غلبتم

موسى أن تكونوا عندي من القريبى

والزلفى وقيل أرادوا بـ(الاجر):

أي الجزاء تجزيها به من مالٍ أو جاهٍ،

وقيل أرادوا ثوباً عظيماً، ثم قِيدُوا

ذلك إن غلبوا موسى عليه (١١٨)،

وقد استعمل القرآن في هذه الآية

حرف جواب آخر هو (إذا)، وقد

ورد في كتاب سيبويه (إذن: معناها

الجواب والجزاء) (١١٩)، وذكر بعض

المتأخرين أن (إذن: تدلّ على أن ما

(١١٧) ينظر: الوقف على كلاً وبلى في القرآن
الكريم: ٨٩.

(١١٨) ينظر: روح المعاني: ١٩ / ٧٧، والتفسير
الكبير: ٢٤ / ١١٥.

(١١٩) كتاب سيبويه: ٣ / ١٢.

بعدها متسبب عما قبلها وهي تدلّ

على إنشاء الارتباط والشرط وتكون

مؤكّدة للجواب (١٢٠)، وهذا

يعني أن الأجر والزلفى والقربى

من فرعون تكون مشروطة بغلبة

السحرة لموسى عليه، ولذلك يجد

الباحث في هذه الآية من حروف

الجواب واساليب التوكيد للأجر

والجزاء الذي وعد به السحرة أكثر

كثافة واستعمالاً مما ورد في سورة

الأعراف. و(يحسن وصل (نعم)

بها بعدها، وترك الوقف عليها،

لأنّ بعدها خطاباً متصلاً بها وبها

قبلها) (١٢١).

رابعاً: معنى (إي):

ذهب الكثير من اللغويون والنحاة

الى أن (إي) لا تقع إلا بعد استفهام

وهو الأغلب، ولا يذكر بعدها فعل

القسم، ولا يكون المقسم بها إلا الله،

(١٢٠) رصف المباني في شرح حروف المعاني:

٦٢، وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني:

٣٦٤.

(١٢١) الوقف على كلاً وبلى في القرآن الكريم:

٨٩.



بنفي، بينا (نعم) حرف جواب
يجاب به الكلام المنفي والمثبت
فتعمل على تصديقه وتوكيده نفياً
أو إثباتاً.

٢. إنَّ الفرق الدلالي بين (بلى) و(إي)،
أَنَّ (بلى) يجب أن تسبق بنفي وهي
غير مختصة بالقسم، بينا (إي) ترد في
سياق الجملة المثبتة وتكون مختصة
بالقسم.

٣. إنَّ الفرق الدلالي بين (نعم) و(إي)
أَنَّ (نعم) تأتي في سياق الجملة المثبتة
والمنفية ولا تكون مختصة بالقسم،
بينما (إي) تأتي في سياق الجملة المثبتة
وتكون مختصة بالقسم.

٤. ممَّا تقدّم نلاحظ أنَّ الآية أو الجملة
إذا كانت مبدوءة باستفهام منفي،
فإنَّ الجواب يكون بـ(بلى)، وإذا
كانت مبدوءة باستفهام مثبت فإنَّ
الجواب عنها يكون بـ(نعم) أو
(إي) إذا جاء بعدها قسم.

٥. أفادت (بلى) في القرآن الكريم
معاني كثيرة ومتنوعة منها: التوكيد
والتوبيخ والتقرير والتحسر...

والرَّب، ولعمري، وأنَّ معنى (إي)
بالكسر (يمين) قال تعالى ﴿وَيَسْتَنِيذُونَكَ
أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ
بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة يونس: ٥٣]،
وهي تأتي بمعنى (نعم) إلاَّ أنَّها تختص
بالمجيء مع القسم إيجاباً لما سبقه من
الاستعلام، ولذلك وصل بواوه في
التصديق فيقال: (إي والله) ولا يقال:
(إي) وحده، ومن هذا قالوا كون
(إي) بمعنى (نعم) مشروط بوقوعه في
القسم ^(١٢٢)، وقد أفادت (إي) في سياق
الآية الكريمة التوكيد والتقرير.

الخاتمة:

تتبع البحث ألفاظ الجواب التي
وردت في القرآن الكريم، مستقرياً
متفحصاً مستأنساً بالجانب الدلالي لها،
وهذا التتبع والاستقراء تمخّض عن
النتائج الآتية:

١. (بلى) حرف جواب يأتي لتقرير
وتوكيد ما بعده، ويجب أن يسبق

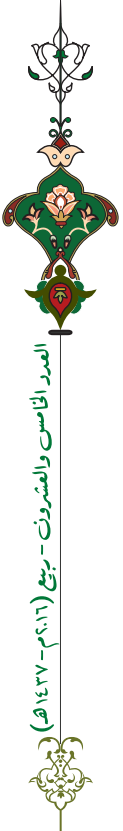
(١٢٢) ينظر: لسان العرب (إي): ١٤ / ٥٨،
والبحر المحيط: ١٦٩ / ٥، والمعجم
الوسيط: ٣٤، والكلّيات: ٢٢٢، ودراسات
لأسلوب القرآن الكريم: ٦٦٨.



بَيَّنَّا أَفَادَت (نَعَمْ) تصديق الكلام وعدته، وَأَمَّا (إِي) التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم فقد أفادت تأكيد الكلام وتقريره.

٦. وردت لفظة (بلى) في اثنتي عشرة سورة مكية هي: (الأنعام، الأعراف، النحل، سبأ، الزمر، غافر، الزخرف، الأحقاف، الملك، القيامة، الانشقاق)، وفي أربع سور مدنية هي: (البقرة، وآل عمران، الحديد، التغابن)، وَأَمَّا لفظة (نَعَمْ) فقد وردت في ثلاث سور مكية هي: (الأعراف، الصافات، الشعراء)، في حين وردت لفظة (إِي) في سورة مكية واحدة هي: (يونس). ومن هذه الاحصائية: يتبين لنا أَنَّ الله سبحانه وتعالى استعمل حرف الجواب (بلى) في السور المكية أكثر من غيرها لمخاطبة أهل مكة وذلك لإزالة النفي أو الاستفهام المنفي المجازي أو الشرط المتضمن معنى النفي؛ لأنَّهم كانوا أكثر إنكاراً وجحداً من غيرهم للمفاهيم

الجديدة التي جاء بها القرآن سيِّماً في بداية نزوله، إذ كانوا ينكرون حقَّ الله ووعدَهُ وعدم الإيمان به، وإنكارهم للبعث ويوم الحساب وعدم الرجوع الى الله، وظلم النَّفس بالكفر باستمرارية الشُّرك، وتأمُّرهم على الدين والرسول وتكذيبهم للنذير، وإنكارهم لقدرة الله على خلق السَّمَاوَات والأَرْض. بَيَّنَّا نجد هذه المعارضة أقلَّ حدةً في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها، إذ نجد أَنَّ السور المدنية التي ذكرت فيها هذه اللفظة، والتي تكاد تكون مقتصرة في تأكيدها على يهود ونصارى المدينة في إنكارهم ليوم البعث، واتباعهم أصحاب الضلالة، وزعمهم وادعائهم الباطل بأن لا يدخل الجنة إلاَّ من كان يهودياً أو نصرانياً، وعدم حفظ الأمانة والوفاء بالدين بحجة أُمِّيَّة الناس في القراءة والكتابة، وقد أكَّد الله تعالى عدائهم للدين في قوله ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً



وَأَنَّ الْوَقوفَ عَلَيْهَا كَافٍ (البقرة: ٨١، ١١٢، وآل عمران: ٧٦، ١٢٥، والأعراف: ١٧٢، والنحل: ٢٨، ويس: ٨١، وغافر: ٥٠، والأحقاف: ٣٣، والانشقاق: ١٤).

ب. عدم جواز الوقف عليها لتعلق ما بعدها بما قبلها وهي سبعة مواضع: (الأنعام: ٣٠، والنحل: ٣٨، وسبأ: ٣، والزمر: ٥٩، والأحقاف: ٣٤، والتغابن: ٧، والقيامة: ٣).

ت. جواز الوقف والوصل، والوصل أرجح لأن ما بعد (بلى) متصل بما قبلها وهي خمسة مواضع: (البقرة: ٢٦٠، والزمر: ٧١، والزخرف: ٨٠، الحديد: ١٤، الملك: ٩).

المصادر والمراجع

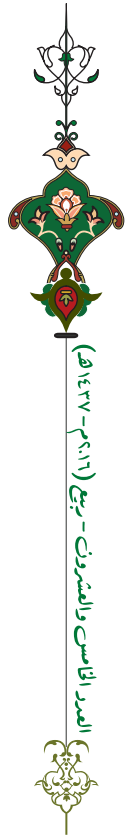
- القرآن الكريم
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن محمد ال غرناطي د. الكلبي، دار الكتاب العربي، لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- تفسير البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف (ت:

لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا اَلْيَهُودَ ﴿١﴾ [سورة المائدة: ٨٢]، كما نجد الترغيب من الله لأهل المدينة بالإيمان بالله وطاعته واعتناق الدين الإسلامي.

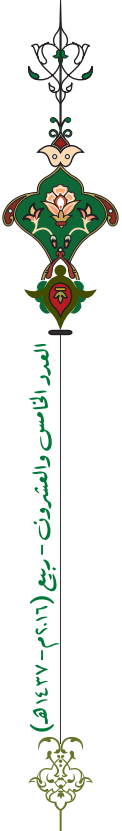
٧. وردت لفظة (نَعَمْ) في ثلاث سور مكية هي: (الأعراف، الصافات، الشعراء)، تؤكد على صدق الله في وعده وووعيده، وتصديق حقيقة بعث الموتى، والايان بقدرة الله من خلال الاطلاع والاعتاض من القصص الغابرة (فرعون مع السحرة).

٨. يَبِّنُ البحث لنا أَنَّ الوقف على (بلى) أو الأبتداء بها كان محل خلاف بين بعض النحويين والقراء في بعض المواضع، فمن القراء من يمنع الأبتداء بها مطلقاً لأنها جواب لما قبلها، وهذا مذهب نافع بن أبي نعيم وغيره، ومنهم من يختار الأبتداء بها مطلقاً. ولذلك كان الوقف عليها على ثلاثة أنواع هي:

أ. وجوب الوقف على (بلى) لأتّها جواب لما قبلها وهي عشرة مواضع



- (٧٤٥هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- التفسير الكبير: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تح: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- التمهيد في علم التجويد، محمد بن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، تح: غانم قدوري حمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الشعب، القاهرة، ط ١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- جامع البيان عن تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني: الحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ)، تح: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٩٧٢.
- دراسات نحوية في حروف الجواب واستعمالاتها مستقصات في القرآن الكريم، د. علي محمود النابي، دار الكتاب الحديث، مكتبة مبارك العامة، (د. ط)، (د. ت).
- ديوان جرير: تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩م.
- ديوان حسان بن ثابت: تح: د.



- وليد عرفات، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ديوان الفرزدق، ضبط معانيه وشروحه واكملها: إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.
- رسالة في الوقف على (كلا وبلى) وبعض الكلمات في القرآن العظيم: علي بن محمد توفيق النحاس، دار الصحابة للتراث، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٤م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني: أحمد بن عبد النور المالقي (ت: ٧٠٢هـ)، تح: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٤هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى، دار احياء التراث العربى، بيروت.
- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: أبو عبد الله بدر الدين ابن الناظم (ت: ٦٨٦هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك (منهج السالك الى ألفية ابن مالك)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط ٢، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.
- شرح المفصل للزخشري، لابن يعيش الموصلي (ت: ٦٤٣هـ)، تح: د إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٥هـ)، تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، (د. ط)، (د. ت).



- كتاب معاني الحروف: أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى النحوي (ت: ٣٨٤هـ)، تح: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشرق، ط ١٤٠٢، ١هـ-١٩٨١م.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزخشي الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٧٣هـ)، تح: د. محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٠٤هـ-١٩٨٩م.
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت: ١٠٩٤هـ)، تح: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المصري (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من عام التفسير: محمد بن محمد الشوكاني، دار الفكر بيروت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تح: د عماد الدين آل درويش، عالم الكتب، ط ١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- معاني النحو: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع



- اللغة العربية، دار احياء التراث، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- معجم التعريفات: علي بن محمد الجرجاني (ت: ٨١٦هـ)، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- معجم مقاييس اللغة: لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع باذن خاص من رئيس المجمع العلمي العربي الإسلامي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري (ت: ٧٦١هـ)، تح: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق
- المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجل: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت: ٤٤٤هـ)، تح: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، مطبعة المصطفى، مصر، ط ٢، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الوقف على كلا وبلى في القرآن الكريم: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تح: د. حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- النشر في القراءات العشر: أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت: ٣٨٤هـ)، تح: علي محمد الطباع، مصر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ط)، (د. ت).



التَّغْيِبُ وَالتَّهْيِبُ دِرَاسَةٌ وَتَحْلِيلٌ فِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ

أ.م.د. حسن كاظم أسد
كلية التربية - جامعة ميسان

فحوى البحث

التَّغْيِبُ: كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقول الحق
و الثبات عليه.
والتَّهْيِبُ: كل ما يخيف و يحذر المدعو من عدم الاستجابة
او رفض الحق او عدم الثبات عليه بعد قبوله.
يحاول السيد الباحث ان يتخذ من سورة الواقعة من
القرآن الكريم انموذجاً لعرض هاتين الحقيقتين اللتين تعرضت
لها ايات كثيرة وفي سور مكية او مدنية والبحث ينتهي بخاتمة
واستنتاج وقائمة بالمصادر والمراجع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه المنتجبين، وبعد...

جعل الله من هذه الأمة قيادة الناس بنبينا محمد خاتم النبيين ﷺ، خصنا الله بدين الإسلام، وعلى منهج الإسلام نعمل، ومنهج الإسلام قائم على طرح النظرية القائمة على الترغيب والترهيب، في أخذ العبرة، والحض على التقوى، ومخافة الله، ولذلك فالأحكام يعللها القرآن الكريم بـ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أو بالتطهير والترقية: ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١٠٣]، ثم في جانب تطبيقي يتجلى في العبادات والمعاملات.

الترغيب كل ما يشوق المدعو الى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه والتهيب كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو

عدم الثبات عليه بعد قبوله. والملاحظ أن القرآن الكريم مملوء بما يرغب الناس في قبول دعوة الإسلام والتحذير من رفضها، مما يدل دلالة قاطعة على أهمية هذا الأسلوب: أسلوب الترغيب والتهيب في الدعوة الى الله تعالى، وعدم اهماله من قبل الداعي المسلم.

الأصل في الترغيب أن يكون في نيل رضى الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة، وان يكون التهيب بالتخويف من غضب الله وعذابه في الآخرة وهذا هو نهج رسل الله الكرام كما بينه القرآن الكريم وجاءت به السنة النبوية المطهرة.

يذكرنا القرآن العظيم أن هناك حياة أخرى بعدها يعرض الناس فيها على الله تعالى، ويحاسبون على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فهذا البحر الزخار، فيه علمٌ مخزونٌ نفعه عظيم، والأمر لا يحتاج إلى مزيد كلام، فهو مما استفاض واشتهر وفشا وانتشر، بين الأنعام، ولا يحتمل وجهاً آخر، لكل من تفكّر ونظر.



فلأجل تفاوت الفهوم، تعددت التفاسير، واختلفت المشارب والمذاهب في فهم الأحكام، كما تعددت المذاهب، بحسب ما من الله من المواهب.

فلذلك فإن أسلوبا الترغيب والترهيب أسسا على فطرة الإنسان من الرغبة في اللذة والنعيم، والرفاهية وحسن البقاء، والرغبة من الألم والشقاء وسوء المصير.

فأصبحت الشريعة الإسلامية لها ضوابط أخلاقية وتربوية سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع ويتجلى ذلك في شروط لابد للمكلف في معرفة أحكام الشرع، في تمييزه الحلال من الحرام في أسلوب تربوي نفسي ينبع من داخل النفس، ضابطه الخوف من الله ومحبه، وتطبيق شريعته اتقاء لغضبه، وعذابه ورغبة في ثوابه، فتصبح الحياة أقرب ما تكون إلى الكمال، والسعادة والطمأنينة والاستقامة.

والترغيب وعد من الله يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، خالصة من الشوائب، مقابل

القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده. والترهيب وعيد، وتهديد من اقتتراف إثم، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت، والعظمة الإلهية، ليكونوا دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي.

يمتاز الترغيب والترهيب في التربية الإسلامية بمميزات صادرة عن الطبيعة الربانية المواتية لفطرة الإنسان التي تتسم بها التربية الإسلامية، في اعتماده على الإقناع والبرهان في عملية سلوكية، فالإقناع عن طريق أخذ العبرة، ثم يعقبها التهديد أو الترغيب، ويكون الترغيب والترهيب القرآني بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس من خلال القصة القرآنية، مصحوبا بصورة فنية، تصور للإنسان نعيم الجنة أو عذاب جهنم، كما انه يمتاز على إثارة الانفعالات الوجدانية، وتربية العواطف الربانية.



التمهيد

دراسة في المفاهيم

معنى الترغيب لغة واصطلاحاً:

مصدر الفعل رَغَبَ وأصل الفعل رغب فلان رغباً ورغبة ورُغبة حرص على الشيء وطمع فيه ورغب إليه ابتهل وضرع وطلب يقال رغب إليه في كذا وكذا سألَه إياه ورغب عن الشيء تركه متعمداً وزهد فيه ورغب بنفسه عن الشيء ترفع عنه ورغب بنفسه عن فلان رأى لنفسه عليه فضلاً ورغب الشيء وفيه أرادته^(١).

وفكرة الترهيب والترغيب مادة مبتكرة وكانت تذكر في ثنايا الكتب الإسلامية... ومعنى الترغيب في الاصطلاح (هو ما يشير إلى ذكر ما تطمئن إليه النفس ويفرحها ويترك الأمل أمامها للوصول إلى أسمى غاياتها)^(٢).

أهمية الترغيب والترهيب:

تكمن أهمية الترغيب والترهيب في الأسلوب القرآني هي أهمية تربوية لغرض دعوة الناس إلى الخير ونيل رضا الله والسعادة في الدارين في إرجاع الناس إلى عقولهم والتمسك بالواجبات والانتهاز عن المحرمات (إذن، الترهيب يمثل عنصر القوة الصادة عن منهج الله وشريعته... والترغيب وسيلة ضاغطة ودافعة باتجاه الخير، والسلوك الحسن، وابتغاء رضا الله، في كل عمل يفعله المرء، حرصاً منه على نيل المرغوب فيه وخشية من فواته...) (٣).

أولاً: الوصف العام للسورة المباركة:

الأجواء التي يستشعرها المستمع لسورة الواقعة أجواء تهويل وترويع وتعظيم وتفخيم يوقع في الحس الشعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة وبضالة

تنقيح عبد الستار حامد، مطابع الدستور التجارية، بغداد، ٧٠.

(٣) الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وأهميتها في الدعوة إلى الله، كيلان خليل حيدر، مجلة العلوم الإسلامية، مجلد ٧، العدد ١٣، السنة ٢٠١٣ م.

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة رغب، والقاموس المحيط، الفيروز ابادي، مادة رغب، والمعجم الوسيط، ١١ / ٣٥٧، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، اشرف على طبعه عبد السلام هارون، المكتبة العلمية.
(٢) الترغيب والترهيب، عبد الحكيم السعدي،



الكائن الإنساني بالقياس إلى هذه القدرة من جهة أخرى^(٤).

فالقضية الأولى التي تعالجها هذه

السورة المكية هي قضية النشأة الآخرة

رداً على قوله الشاكرين فيها المشركين

بالله المكذبين بالقرآن ﴿وَكَاثُرًا يَقُولُونَ

أَيْدَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ

﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ ومن ثم تبدأ

السورة بوصف القيامة وصفها بصفتها

التي تنهي كل قول وتقطع كل شك

وتشعر بالجزم في هذا الأمر (الواقعة)

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِمَن لَّوَقَعَهَا

كَذِبَةٌ﴾ وتذكر أحداث هذا اليوم ما

يميزه عن كل يوم حيث تتبدل أقدار

الناس وأوضاع الأرض في ظل الهول

الذي يبدل الأرض غير الأرض كما

يبدل القيم غير القيم سواء ﴿خَافِضَةً

رَافِعَةً﴾ ﴿٢﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ

الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ﴿٦﴾

وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾^(٥) وتشتمل هذه

السورة الكريمة ذات الست والتسعين

آية على أحوال يوم القيامة وما يكون بين

يادي الساعة وانقسام الناس إلى ثلاث

طوائف (أصحاب اليمين، أصحاب

الشمال، السابقون) وتحدثت عنه قال كل

فريق وما أعده الله تعالى لهم من الجزاء

العادل يوم الدين كما أقامت الدلائل

على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته

في بديع خلقه وصنعه في خلق الإنسان

وإخراج النبات وإنزال الماء وما أودعه

الله من القوة في النار ثم نوهت بذكر

القرآن الكريم وأنه تنزيل رب العالمين

وما يلقاه الإنسان عند الاحتضار من

شدائد وأهوال^(٦).

وختمت السورة بذكر الطوائف

الثلاث وهم أهل السعادة وأهل الشقاوة

والسابقون إلى الخيرات من أهل النعيم

وبينت عاقبة كل منهم...

أما فضل السورة المباركة فقد روي

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:

(من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم

(٦) صفوة التفسير، محمد علي الصابوني،

المجلد الثالث، دار القرآن الكريم،

بيروت، ٣٠٤.

(٤) مشاهد يوم القيامة، [سورة الواقعة: ٤٠].

(٥) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٧/ ٦٩٢.

تصبه فاقه أبداً^(٧) وأخرج الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الله بن مسعود بسنده عن أبي ظبية قال: (مرض عبد الله بن مسعود مرضه الذي توفي فيه فعاده عثمان بن عفان فقال: ما تشكي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال رحمة ربي، قال: ألا أمر لك بطبيب؟ قال: الطيب أمرضني، قال: ألا أمر لك بعطاء؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقه أبداً) فكان أبو ضبيه لا يدعها^(٨).

هذا ما يخص فضل السورة المباركة أما وصفها بشكل الحس إلا بهزة عنيفة وهي منذ أفتتاحها تقرع هذا الحس وتطالعه بالهول القاصم والجد الصارم والمشهد تلو المشهد كله بإيقاع مُلح على

(٧) التمهيد، ابن عبد البر، ٤ / ٢٦٩، وصفوة التفاسير، ٣ / ٣٠٤.

(٨) تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، ٣٣ / ١٨٦، وتفسير ابن كثير، ٤ / ٣٠٢.

الحس بالهول أنا وبالجلال أنا وبالعذاب أنا وبالحرمة القوية في كل آن... تبرز هذه المعاني في اسم القيامة المختار في هذه السورة الواقعة فقد أفتحت بالواقعة، وإنها لواقعة لا محالة وأنها ترفع أقواماً وتخفض آخرين وتلا ذلك الانقلابات الكونية إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ

فكل شيء يتحطم وكل شيء يتبدل ويكون الناس ثلاث طوائف أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقون السابقون ثم يبدأ التفصيل في جزاء هذه الطوائف الثلاث على طريقة القرآن العجيبة في التشبيهات والكنائيات والمجازات بأسلوب فريد وبلغ ويتنوع أسلوب السورة في عرض حقائقها وأفكارها فترى فيها التصوير البارع والوصف الموجز البليغ القوي في الترغيب والترهيب ووصف مشاهد



يوم القيامة وصور السورة مشوبة بروح التهديد والترهيب والتعظيم والتفخيم وهناك التمثيل والحوار وهو أسلوب من أساليب البلاغة العربية التي بلغ القرآن قمته وذروتها فيها حديث عن أهل الجنة ونعيمهم العظيم وحديث عن أهل النار وأهوال العذاب وهناك الحديث والعرض المجرد عن بدائع خلق الله في الكون والأدلة على وجوده تبارك وتعالى كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ الذي يحمل دليلاً فلسفياً واضحاً على أن الله هو الخالق المبدع والبارئ المصور سبحانه وتعالى عما يشركون وفيها القسم العظيم في آخر السورة حول عظمة القرآن وقداسته وتنزيله من رب العالمين وعرض في السورة مشاهد الاحتضار الرهيبة المربعة التي يسلم فيها المرء لربه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم يختم السورة بمصير الطوائف الثلاث التي بدأ فيها الحديث في مقدمة السورة والتقى المطالع بالختام وهذا أسلوب بياني بليغ فيه جدة وابتكار كما أن هناك تجديد لفظي في

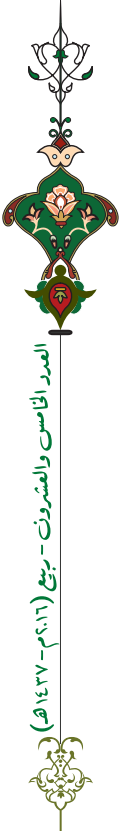
السورة كالواقعة فهي ألفاظ معروفة عند العرب لكنها جديدة في إطلاقها على يوم القيامة وهناك قوة التصوير المناسبة بين اللفظ والمعنى فأن المدود والفتن والقلق في السورة توحى بموسيقاها وصيغتها بمعانيها وأهدافها^(٩).

هذا ما يخص مبنى وهيكل السورة التعبيري والموسيقي والفني والتصويري أما الأفكار الأساسية التي تضمنتها السورة فيمكن إيجازها بالنقاط التالية:

١. القرآن الكريم كتاب الله المنزل على محمد بن عبد الله ﷺ وهو الدستور الخالد الذي للتي هي أقوم ويشير المؤمن والقرآن هو معجزة الإسلام الكبرى وهو كتاب كريم لا يمسه إلا المطهرون وأنه تنزيل من رب العالمين.

٢. تبين السورة حقيقة الموت وترسم مشهد الاحتضار بأسلوب عجيب

(٩) ينظر: مشاهد يوم القيامة، سيد قطب، سورة الواقعة، ودراسات أدبية لنصوص قرآنية، محمد المبارك، ٤٠، وفي ظلال القرآن، مجلد ٧ / ٦٩٤، والتصوير الفني في القرآن.



ستفصلها وتحللها خلال البحث إن شاء الله تعالى.

ولكي يتم الوصف الكامل للسورة لابد من الوقوف على شرح مفردات السورة البارة.

قال البيضاوي سميت (واقعة لتحقق وقوعها)^(١١)، وقال ابن عباس رحمهما الله الواقعة أسم من أساء القيامة كالصاخة والأزفة والطامة وهذه الأشياء تقتضي عظم شأنها.

رُجت: زلزلت وحركت تحريكاً شديداً.

بست: فتت حتى صارت كالدقيق المبسوس.

هباء: ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة.

ثلة: جماعة منه ثلثت الشيء أي قطعتة قاله الزجاج فمعنى ثله كمعنى فرقه وزناً ومعنى موضونة أي منسوجة محكمة النسيج كأن بعضها أدخل في بعض قال الأعشي:

وَمِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مَوْضُونَةٌ

(١١) تفسير البيضاوي، ٥ / ٢٨٣.

وهذا ما تناوله مفصلاً عندما ندرس آيات الترهيب في السورة المباركة إن شاء الله تعالى.

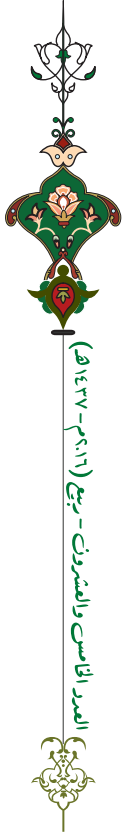
٣. في السورة أمر بتسبيح الله وتقديسه وإفراده بالعبودية والعبادة.

٤. يعرض في ثنایا السورة دلائل قدرة الله الفاتكة في خلق الإنسان وإنزال الماء وإنبات الزرع وإيقاد النار من الشجر الأخضر.

٥. كان الشوط الأول من السورة منصباً على الانقلابات الكونية الهائلة التي تحدث عندما يأمر الله تعالى بالنفخ في الصور معلناً بداية الحساب العادل للناس أجمعين الذين تقسمهم السورة إلى ثلاث طوائف أصحاب اليمين وأصحاب الشمال والسابقين إلى الخيرات.

وهكذا بدأت السورة بما يزلزل الكيان البشري ويهول الحس الإنساني تجاه القضية التي ينكرها المنكرون ويكذب بها المشركون^(١٠)، هذا مجمل المعاني الموجودة في السورة والتي

(١٠) ينظر: في ظلال القرآن، مجلد ٧ / ٦٩٤.



تُساق مع الحَيِّ عيراً فعيراً^(١٢)
يصدعون: صدع القوم بالخمر لحقهم
الصداع في رؤوسهم منها.

ينزفون: يسكرون فتذهب عقولهم.
مخضود: خضد شوكة أي قطع
قال أمية من أبي الصلت: إنه الحدائق
في الجنان ظليلة فيها الكواكب سدرها
مخضود^(١٣)، طلع الطلح شجر الموز-
منضود متراكب بعضه فوق بعض.
عرباً: جمع عروب وهي المتحبة إلى
زوجها.

سموم: ريح حارة تدخل مسام
البدن. يحموم: اليعموم الشديد السواد.
الحميم: الماء المغلي.
الهميم: الإبل العطاش التي لا تروي
لداء يصيبها.

تفكهون: تفكه بالشيء: تمتع به
ورجل فكه منبسط النفس غير مكترث
بشيء.

المزن: السحاب جمع مزنة.
تورون: أورى النار من الزناد قدحها.

(١٢) تفسير القرطبي، ١٧ / ٢٠١.

(١٣) البحر المحيط، ٨ - ٢٠١.

المقوين: المسافرين، يقال أقوى
الرجل إذا دخل القواء وهو القفر
والقوى الجوع.

مدهنون: المدهن الذي ظاهره
خلاف باطنه كأنه شبه بالدهن في سهولة
ظاهره ومنه المداهنة.

مدينين: مجزيين ومحاسبين من الدين
بمعنى الجزاء.

قروح: الروح بفتح الراء الاستراحة.
ريحان: الريحان كل مشموم طيب
الريح من النبات.

الدراسة التحليلية للآيات الكريمة التي احتوت الترغيب والترهيب في السورة المباركة:

أ. دراسة وتحليل آيات الترغيب:
احتوت سورة الواقعة على مشاهد
ليوم القيامة ورسمت صوراً للنعيم
مرغبةً فيه دالة على الخير وعمل المعروف
حتى ينال الإنسان حسن العاقبة وجنات
النعيم.

والآن نبدأ بدراسة وتحليل الآيات
التي احتوت على الترغيب:

الصورة الأولى: قال تعالى:

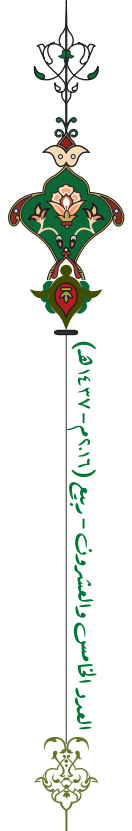
الثلاثة أي السابقون إلى الخيرات والحسنات هم السابقون إلى النعيم والجنات ثم أثنى عليهم بقوله ((أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ)) أي أولئك هم المقربون من الله^(١٥)، في جنات النعيم أي هم في جنات الخلد يتنعمون فيها، قال الخازن: فأن قلت لم أخرج ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين، قالت فيه لطيفة وذلك إن الله ذكر في أول السورة الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفاً لعباده فأما محسن فيزداد رغبة في الثواب وأما مسيء فيرجع عن أساءته خوفاً من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين لسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر ليجدوا ويتمهدوا^(١٦).

والمراد من السابقين هم السابقون إلى الخيرات والحسنات ولو أريد منهم (١٥) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ٣/ ٣٠٦. (١٦) تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد بن إبراهيم البغدادى، دار المعرفة، لبنان، ٤/ ١٥.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (١٠) ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١١) ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (١٢) ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَى﴾ (١٣) ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ (١٤) ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ (١٥) ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ (١٦) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ (١٧) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ (١٨) ﴿لَا يَصَدْعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ (١٩) ﴿وَفَنَكِهِتٍ مِمَّا يَخْتَارُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَلَحَرٍ ظَبِيرٍ وَمِمَّا يَشْتَبُونَ﴾ (٢١) ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ (٢٢) ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الْمَكُونِ﴾ (٢٣) ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ (٢٥) ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [سورة الواقعة: ١٠ - ٢٦]، سورة الواقعة تصنف الناس يوم القيامة إلى فرق ثلاث:

الأولى: أهل السبق ولهم مقام خاص وهم أصحاب الدرجات العلى في الجنة وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار وهذه مراتب الناس في الآخرة قال ميمون بن مهران (اثنان في الجنة وواحد في النار)^(١٤)، ((وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)) هذا هو الصنف الثالث من الأزواج

(١٤) مختصر تفسير ابن كثير، محمد علي الصابوني، ٣/ ٤٢٨.



السابقون إلى الإسلام فهو من مصاديق هذا المفهوم الكلي ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَئِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر:

٣٢]. فالآية تقسم العباد إلى ظالم لنفسه وإلى مقتصد في الحياة ومعتدل في السلوك وإلى سابق بالخيرات بأذن الله تبارك وتعالى وفي نهج البلاغة تفسير لقوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

((شغل من الجنة والنار أمامه ساع سريع نجا وطالب بطيء رجا ومقصر في النار هوى اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة))^(١٧)،
(١٧) نهج البلاغة، محمد عبده، خطبة ١٦، ومن كلام له عليه السلام لما بويج بالمدينة.

والسابقون لهم ميزات ذكرها الله سبحانه في كتابه المجيد منها:

١. يخشون ربهم قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ تُشْفِقُونَ﴾.

٢. يؤمنون بآيات ربهم ولا ينكرونها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَأْتَوْنَ بِهَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٣. لا يشركون بالله طرفة عين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَرَبُّهُمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

٤. يدفعون ما فرض الله عليهم في أموالهم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهًا أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. ثم إن جميع هذه الصفات من صفات السابقين بشهادة أنه سبحانه وتعالى يذكر بعد هذه الميزات ويقول أن هؤلاء الموصوفون بها هم المسارعون في الخيرات يقول سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَئِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٦١].

والسابقون إلى الخيرات هم المقربون كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۖ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾، ولأجل مكانتهم الرفيعة عند الله فلهم من



الأجر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
يحكي القرآن بعضها بقوله: ﴿ فِي جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ
الْآخِرِينَ ۝ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝ مُتَكِنِينَ
عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ
مُخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
۝ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفَوْنَ ۝ وَفَنَكَمَةٌ
مِمَّا يَنْخَرِطُونَ ۝ وَلَحْمٌ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَبُونَ ۝
وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكْنُونِ ۝

وهذه الكرامة من الله سبحانه وتعالى
لم تكن اعتباطية بل جزاء لعملهم في
الدنيا كما يقول: ﴿ جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝ إِلَّا قِيلًا
سَلَامًا ۝ ﴾ [سورة الواقعة: ١٢-٢٦].

هؤلاء هم السابقون وهذه مكانتهم
عند الله تبارك وهذا جزاؤهم في
الآخرة، بقيت هنا نكتة أخرى وهي أنه
سبحانه وتعالى وصف جماعة بالمقربين
وقال: ﴿ إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ
وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝ ﴾ [سورة الواقعة:
٨٨-٨٩]. والمراد من المقربين هنا
هم السابقون لما وصفه سبحانه في أول
السورة بالمقربين وقال: ﴿ وَالسَّابِقُونَ

السَّابِقُونَ ۝ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ ﴾ [سورة
الواقعة: ١٠-١١]، وحيث أن المراد
من السابقين هم السابقون بالخيرات
وصف السيد المسيح بأنه من المقربين
وقال: ﴿ وَجِئْنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنْ
الْمُقَرَّبِينَ ۝ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٥]. ثم
أنه تعالى وصف المقربين في آية أخرى
بأسم شهداء كتاب الأبرار وقال ﴿ كَلَّا
إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
عِلِّيُّونَ ۝ كَتَبَ مَرْقُومٌ ۝ يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ ۝
﴾ [سورة المطففون: ١٨-٢١] وعلى هذا
فالسابقون هم المقربون وهم شهداء
كتاب الأبرار.

وفي وصف نعيم المقربين يبدأ
بالنعيم الأكبر، النعيم الأسنى نعيم
القرب من ربهم ﴿ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ ۝
فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَجَنَاتِ النَّعِيمِ كُلُّهَا
لَا تَسَاوِي ذَلِكَ التَّقَرُّبِ وَلَا تَعْدِلُ
ذَلِكَ النِّصِيبُ^(١٨)، وهذه درجة عظيمة
أصحابها ثلثة من الأولين وقليل من
الآخرين فهم عدد محدود وفريق منتقى
كثرتهم في الأولين وقلتهم في الآخرين
(١٨) في ظلال القرآن، ٢٧ / ٦٩٥.



واختلفت الروايات في من هم الأولون ومن هم الآخرون فالقول الأول إن المقربين الأولين هم السابقون إلى الإيمان ذوو الدرجة العالية فيه من الأمم السابقة قبل الإسلام وإن الآخرين هم السابقون إلى الإسلام ذوو البلاء فيه.

القول الثاني: إن الأولين والآخرين هم من أمة محمد ﷺ فالأولون من صدرها والآخرين من متأخريها^(١٩)، ورجحه الحسن وأبن سيرين^(٢٠).

وحدث عبد الله أبن أبي بكر المزني قال سمعت الحسن أتى على هذه الآية ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^(١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم أجعلنا من أصحاب اليمين والمناعم في الجنة لهؤلاء عظيمة جداً تبدأ بالسراير الموضونة المشبكة بالمعادن الثمينة^(٢١)، ﴿مُتَقَرَّبِينَ﴾^(٢٢) في راحة وخلو بال من الهموم والمشاكل ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ

مُخْلَدُونَ﴾ لا يفعل فيهم الزمن، ولا تؤثر في شبابهم وصباحتهم السن ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَنٌ مُخْلَدُونَ﴾^(١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَؤُوسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿مِن خمر صافية سائلة، ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزِفُونَ﴾^(١٨) وَفَنَكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾^(٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾^(٢١) وَحُورٌ عِينٌ﴾^(٢٢) كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الَّتِي كُنْتُمْ﴾^(٢٣) جَزَاءً يَمَا كُنْتُمْ يَعْمَلُونَ﴾ وهذا كله مكافأة على عمل كان في دار العمل، حياة كلها سلام يرفق ﷻ ويشيع فيها السلام تسلم عليهم الملائكة في ذلك الجو الناعم الآمن ويسلم بعضهم على بعض ويبلغهم السلام من الرحمن فالجو كله سلام سلام^(٢٤).

وعلى أية حالة فهم فرقة ممتازة في النعيم وهو هنا نعيم مادي حسي فلعل هؤلاء هم المحرومون في الدنيا الذين صبروا على الشغف وسارعت نفوسهم إلى الإيمان واثقين في فضل الرحمن^(٢٥)، ويذكر أبن عباس حديثاً عن رسول

(٢٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٧/ ٦٩٦.

(٢٣) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط ١، ١١٦.

(١٩) الكشف، الزمخشري، ٤/ ٥٣.

(٢٠) في ظلال القرآن، ٢٧/ ٦٩٥.

(٢١) مختصر أبن كثير، ٣/ ٤٣٠.

الله ﷻ (أنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيحز بين يديك مشوياً) (٢٤).

(قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن عطاء عن كعب قال: إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطفقن له فإذا اشتهى منها شيئاً أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء) (٢٥)، وقال في خمر الآخرة: في الخمر أربع خصال (السكر والصداع والقيء والبول وقد ذكر تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال الذميمة) (٢٦).

وفي وصف النساء جاء الترغيب ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۖ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الْمَكْنُونِ﴾

أي ولهم مع ذلك النعيم نساء من الحور العين الواسعات العيون في غاية الجمال والبهاء كأنهم اللؤلؤ في الصفاء

(٢٤) الكامل، عبد الله بن عدي، ٢ / ٢٧٣.

(٢٥) تفسير بن كثير، ٤ / ٣٠٨.

(٢٦) مختصر تفسير أبْن كثير، محمد علي الصابوني، ٣ / ٤٣٠.

والنقاء الذي لم تمسه الأيدي قال في التسهيل: شبههن باللؤلؤ في البياض ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغير حسنه وحين سألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه قال: (صفاؤهن كصفاء الدر في الأحداق الذي لم تمسه الأيدي) (٢٧).

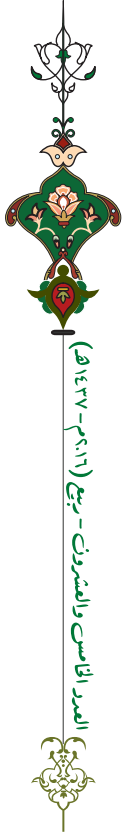
ومن كمال النعيم أنهم لا يطرق آذانهم كلام فاحش ولا يلحقهم أثم مما يسمعون، قال أبْن عباس: ((لا يسمعون باطلاً ولا كذباً)) (٢٨)، قال في البحر المحيط (والظاهر أنه استثناء فقطع لأنه لم يندرج في اللغو ولا التأثيم) (٢٩). وقال أبو السعود والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أو لا يسمع كل منهم إلا سلام الآخر بدءاً أو رداً (٣٠).

(٢٧) مجمع الزوائد، الهيتمي، ١٠ / ٤١٧، والتسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣، ٤ / ٨٩.

(٢٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧ / ٢٠٦.

(٢٩) البحر المحيط، ٨ / ٢٠٦.

(٣٠) تفسير أبي السعود، ٨ / ١٩٢.



إلى هنا نأتي على تحليل النص الأول والمشهد الأول في الترغيب في سورة البقرة لندخل في المشهد الثاني وهو وصف النعيم لأصحاب اليمين.

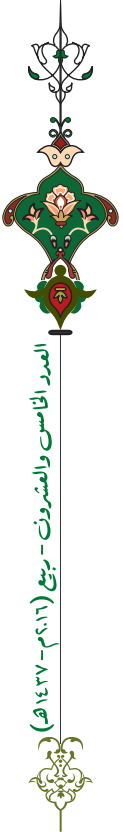
الصورة الثانية: قال تعالى واصفاً نعيم الجنة الخاص بالفرقة الثانية (أصحاب اليمين) قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۖ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۖ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ۖ وَقُلُوبٌ مَّزْدُودٍ ۖ وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ۖ وَكَفَّةٌ كَثِيرَةٌ ۖ لَا تَقْطُوعُ ۖ وَلَا تَمْنُوعُ ۖ وَفُرُشٌ مَّرْفُوعَةٌ ۖ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْشَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُمْ أَجْنَاةً ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا ۖ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ۖ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [سورة الواقعة: ٢٧-٤٠].

بعد أن تحدث القرآن الكريم عن السابقين وأحوالهم يوم الدين أنتقل بالحديث إلى الفريق الثاني وهم أصحاب اليمين وهم أصحاب الميمنة وهؤلاء نعيم مادي محسوس كذلك ولكنه يقيم فيه شيء من الخشونة والبدانة بالقياس إلى ذلك النعيم اللين الناعم الذي يرفل به السابقون

المقربون^(٣١)، وقيل أن ندخل في نعيم أصحاب الإيمان لابد أن نقف على أصحاب اليمين في القرآن الكريم فنقول (أصحاب اليمين هم الطائفة الثانية ذكرهم سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [سورة الواقعة: ٢٧]، ثم ذكر أن أصحاب اليمين هم ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين.

وأختلف المفسرون في المقصود من أصحاب اليمين والمعروف أن هناك رأيين في المقام الأول: أن المراد منهم هم الذين يعطون كتابهم بيمينهم وقد استدلوا عليه بالآيات التالية: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِيمَانِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٧١]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً﴾ [سورة الحاقة: ١٩]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [سورة الانشقاق: ٧-٨].

(٣١) مشاهد القيامة في القرآن، ١١٧.



وعلى ذلك فهؤلاء الذين أُسموا بأصحاب اليمين لأجل استلام كتبهم بيمينهم يتمتعون بمنزلة عظيمة عند الله سبحانه ذكرها سبحانه في غير واحدة من الآيات بعد الحديث عن دفع كتبهم إلى يمينهم يقول:

﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [سورة الانشقاق: ٩]، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٢١]، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة: ٢٢-٢٣]، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة الحاقة: ٢٤].

هذه هي النظرية الأولى في تفسير أصحاب اليمين أما النظرية الثانية في تفسير أصحاب اليمين فهي أن المقصود من اليمين هو اليمن والبركة وهؤلاء هم الذين وصفهم سبحانه في صدر سورة الواقعة بأصحاب الميمنة وقال تعالى ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [سورة الواقعة: ٧-٨].

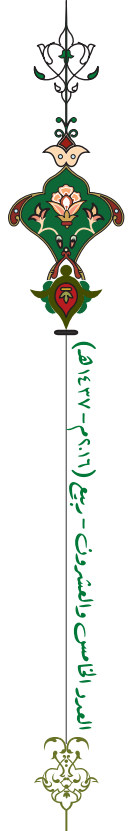
وبما أن أصحاب الميمنة يقابلون أصحاب المشأمة المأخوذ من الشؤم

والشقاء فيكون أصحاب الميمنة مقابلاً لهم غارقون في البركة والنعمة كما أن الذين يقابلونهم غارقون في الشقاء والوصب ومما يؤيد إن أصحاب اليمين هم المتمتعون بنعم الله في الآخرة وقوله سبحانه ﴿فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ﴾ ﴿فَكُ رَقَبَةٌ﴾ ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ ﴿يَتَبَمَّ ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ ﴿أَوْ مَشْكِيْنَا ذَا مَتَرَبَةٍ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [سورة البلد: ١١-١٨]،

والإمعان في سورة الواقعة التي هي الأصل في تصنيف الناس يوم القيامة يعطي هذا الانطباع إن أصحاب الميمنة هم أصحاب اليمين لا صنف آخر والدليل على ذلك إن السورة تصنف الناس إلى أصناف ثلاثة:

١. فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة.
٢. أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة.
٣. السابقون السابقون أولئك المقربون.

فأصحاب اليمين هم أصحاب الخير واليمن والبركة والذين يعطون كتبهم بأيانهم وجزاهم الله الجزاء الأوفى فهم



في سدر مخضود أي هم تحت أشجار
النبق الذي قطع شوكه قال المفسرون
والسدر شجر النبق والمخضود الذي
خضد أي قطع شوكه^(٣٢)، وفي الحديث
الشریف (أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ
فقال يا رسول الله أن الله تعالى ذكر في
الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال وما
هي؟ قال السدر فأن له شوكاً، فقال:
رسول الله ﷺ أليس الله يقول ﴿ **فِي**
سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾ خضد الله شوكه فجعل
مكان لكل شوكة ثمرة وأن الثمرة من
ثمره تفتق عن اثنين وسبعين لوناً من
الطعام ما فيها لون يشبه الآخر^(٣٣)،
وطلح منضود هو شجر الموز ومعنى
مقصود أي متراكم قد نضد بالحمل من
أسفله إلى أعلاه^(٣٤) ﴿ **وَزَلَّ مَمْدُودٌ** ﴾^(٣٥)
وَمَاءٌ مَّسْكُوبٌ ﴾ أي هم في الظل الدائم
الذي لا تنسخه الشمس^(٣٥).

وفي الخبر (حدثنا علي بن عبد الله
حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج
عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال
إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها
مائة عام لا يقطعها واقرؤا ان شتم
وظل ممدود^(٣٦)، ومعنى ممدود أي لا
زوال له فهو دائم (أكلها دائم وظلها،
أي دائم الظل ليس ظل الأشجار بل
ظل يخلقه الله تعالى)^(٣٧)، وقد ورد قوله
تعالى: ﴿ **وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا** ﴾ [سورة
النساء: ٥٧].

وقد ورد في الحديث الشريف
(حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا يحيى
عن عبيد الله قال حدثني خبيب بن عبد
الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي
هريرة عن النبي ﷺ قال سبعة يظلهم الله
في ظله يوم لا ظل الا ظله الإمام العادل
وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل قلبه
معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله
اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل طلبته

(٣٢) صفوة التفاسير، ٣ / ٣٠٨.

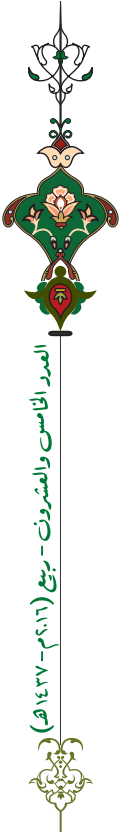
(٣٣) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع
المثاني، الألوسي، ٢٧ / ١٤٠.

(٣٤) صفوة التفاسير، ٣ / ٣٠٨.

(٣٥) تفسير سورتي الواقعة والجمعة، جميل
القريشي، ٣ / ٣٠٨.

(٣٦) صحيح البخاري، ٦ / ٥٧.

(٣٧) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ٢٩ /
١٦٤.



ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه^(٣٨).

وماء مسكوب أي وماء جارٍ دائماً لا ينقطع يجري في نهر ممدود، «كانت العرب أصحاب بادية والأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا بالجنة بأسباب النزهة وهي الأشجار وظلالها والمياه والأنهار وجريانها^(٣٩)»، أما الفاكهة فهي لا مقطوعة ولا ممنوعة، متنوعة وكثيرة، قال ابن عباس: «لا تنقطع إذا جنت ولا تمتنع من أحد إذا أراد أخذها»^(٤٠)، وفي تفسير آخر (ما قطعت ثمرة من ثمار الجنة إلا عاد مكانها أخرى)^(٤١).

وقوله تعالى ﴿وَفُرْشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ وهم أي أصحاب اليمين على فرش عالية وطيبة ناعمة، أي عالية وطيبة ناعمة قال

(٣٨) صحيح البخاري، ١ / ١٦١.

(٣٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧ / ٢٠٩.

(٤٠) تفسير الخازن، ٤ / ١٨.

(٤١) تفسير البغوي، ٤ / ٢٨٣.

النسائي وأبو عيسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمر بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿وَفُرْشٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ قال «ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام» ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال: وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبي كريب عن رشدين به^(٤٢).

أما نساء الجنة فيقول الله تعالى في شأنهن ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً﴾ أي خلقنا نساء الجنة خلقاً جديداً وأبدعناهن إبداعاً عجباً قال في التسهيل ومعنى إنشاء النساء أن الله تعالى يخلقهن في

(٤٢) تفسير ابن كثير، ٤ / ٣١٢.



الجنة خلقاً آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا فالعجوز ترجع شابة والقيحة ترجع جميلة^(٤٣)، قال ابن عباس يعني الآدميات العجائز الشمط خلقهن الله بعد الكبر والهرم خلقاً آخر^(٤٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ أما ابتداءً وهن الحور وأما استئنافاً وهن الزوجات المبوئات شواب فجعلناهن أبكاراً لم يمسن (عرباً) متحبات إلى أزواجهن (أتراباً) متوافيات السن والشباب لأصحاب اليمين مخصصات لهم ليتسق ذلك مع الفرش المرفوعة^(٤٥).

و(عرباً) جمع عروب وهي المتحبة لزوجها العاشقة له قال مجاهد هن العاشقات لأزواجهن المتحبات لهم اللواتي يشتهن أزواجهن^(٤٦)، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ ^(٣٥) **فَجَعَلْنَهُنَّ**

أَبْكَارًا ^(٣٦) **عُرُبًا أَتْرَابًا** فقال: يا أم سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجائز شمطاً عمشاً رشحاً جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء^(٤٧).

وفي الحديث «حدثنا عبد بن حميد، حدثنا مصعب بن المقدم، حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: «أتت عجوز إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: يا أم فلان! إن الجنة لا تدخلها عجوز، قال: فقلت تبكي. فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾»^(٤٨).

هذا النعيم لأصحاب اليمين الذين هم جماعة من الأولين من الأمم السابقة وجماعة من المتأخرين من أمة محمد ﷺ قال في البحر ولاتنا في بين هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ وبين الآية التي سبقتها وهي قوله ﴿وَلِلَّهِ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ لأن الثانية في السابقين فلذلك قال:

(٤٣) كتاب التسهيل، ٤ / ٩٠.

(٤٤) تفسير الخازن، ٤ / ١٨.

(٤٥) في ظلال القرآن، ٢٧ / ٦٩٧.

(٤٦) روح المعاني، الألوسي، ٢٧ / ١٤٣.

(٤٧) الجامع لأحكام القرآن، ١٧ / ٢١٠.

(٤٨) الشامل المحدية، الترمذي، ١٣٢،

صفوة التفسير، ٣، ص ٣٠٩.

إلى رسول الله ﷺ يبلغه تحيات أخوانه أصحاب اليمين وما أُنْدى السلام ساعته وما أحبه حين يتلقاه وقد بلغت الحلقوم فيطمئن باله ويشعر بالأنس في الصحبة المقبلة مع أصحاب اليمين^(٥٣).
ب. دراسة وتحليل لآيات الترهيب في السورة:

الصورة الأولى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۚ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۚ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۚ وَسَبَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۚ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۚ﴾ [سورة الواقعة: ١].

هول الساعة هنا مادي من النوع المرعب الرهيب فالقيامة هنا حادث واقع لا مجال لكذبه ولا تكذيبه ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لَوْعِنَهَا كَاذِبَةٌ ۚ﴾ ولفظة الواقعة بما فيها من مد ثم سكون أشبه بسقوط الجسم الذي يرفع ثم يترك فيقع فينتظر له الحس فرقة وضجة^(٥٤).

و (سميت واقعة لتحقق

(٥٣) في ظلال القرآن، ٢٧ / ١٤٥.

(٥٤) مشاهد القيامة في القرآن، ١١٥.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وهذه في أصحاب اليمين ولذلك قال: ﴿وَنُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾^(٤٩).

الصورة الثالثة: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۚ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ۚ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۚ فَسَلَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ قد مر بنا صور النعيم الذي أعده الله للمقربين من الأرائك المشبكة بالمعادن والخور العين والطير المشوي والفاكهة والكأس المعين وهنا ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ الألفاظ ذاتها تقطر رقة ونداوة وتلقي ظلال الراحة الحلوة والنعيم اللين والأنس الكريم^(٥٠)، والمراد بالمقربين السابقون الذين ذكروا في أول السورة^(٥١).

وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك يا محمد منهم لأنهم في راحة وسعادة ونعيم^(٥٢)، فيلتفت الخطاب

(٤٩) البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، ٨ / ٢٠٧.

(٥٠) في ظلال القرآن ٢٧ / ٧٠٩.

(٥١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٧ / ٢٣٢.

(٥٢) صفوة التفاسير، ٣ / ٣١٦.



وقوعها^(٥٥)، قال ابن عباس الواقعة أسم من أسماء القيامة كالصاخة والآزفة والطامة وهذه الأشياء تقتضي عظم شأنها^(٥٦)، ليس لوقعتها كاذبة أي لا يكون عند وقوعها نفس كاذبة تكذب بوقوعها كحال المكذبين اليوم لأن كل نفس تؤمن حينئذ لأنها ترى العذاب عياناً كقوله تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^(٥٧).

والواقعة مهمتها ترفع أولياء الله فهم في المكانة العالية الرفيعة وتخفّض أعداء الله فهم في الدرك الأسفل من النار ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ قال الحسن: تخفّض أقواماً إلى الجحيم وإن كانوا في الدنيا أعزّة وترفع آخرين إلى أعلى عليين وإن كانوا في الدنيا وضعاء^(٥٨).

(٥٥) تفسير البضاوي، ٥ / ٢٨٣.

(٥٦) تفسير البحر المحيط، لأبن حيان الأندلسي، ٨ / ٢٠٢.

(٥٧) ينظر: البضاوي وأبي السعود والآلوسي وأبن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة.

(٥٨) مختصر أبن كثير، محمد علي الصابوني، ٣ / ٤٢٨.

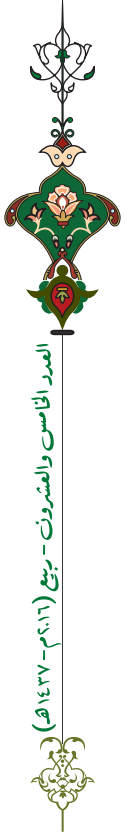
ثم بين الله متى يكون ذلك فقال: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾^(٥٩) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا أي زلزلت زلزالاً عنيفاً واضطربت اضطراباً شديداً بحيث ينهدم كل ما فوقها من بناء شامخ وطود راسخ^(٥٩).

قال المفسرون: ترج كما يرج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها من بناء وينكسر كل ما فيها من جبال وحصون^(٦٠)، أما الجبال فهي تفتت تفتتاً حتى صارت كالدقيق المسوس وهو المبلول بعد إن كانت شامخة، قال تعالى في آيات آخر عن مصير الأرض والجبال يوم القيامة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾^(٦١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿[سورة الزلزلة: ١ - ٢].﴾ وَيَوْمَ

نُسِِرُ الْجِبَالُ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴿[سورة الكهف: ٤٧]،﴾ وَيَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴿[سورة إبراهيم: ٤٨]،﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاقًا ﴿[سورة ق: ٤٤]،﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا

(٥٩) صفوة التفاسير، ٣ / ٣٠٥.

(٦٠) تفسير الثعلبي، ٩ / ٢٠٠.



عن نسق الجبال من أصلها.
 ٢. تعود المرحلة الثانية كأنها غبار
 منبث في الفضاء.
 ٣. أخيراً تؤول نهايتها إلى أطلال من
 تراب.
 وهذه التحولات التي يمر بها
 النظام الكوني السابق توحى إلى صورة
 كثيفة ومرعبة عن وضع العالم ولكنها
 تبشر في الوقت نفسه بظهور نظام
 أكمل من ذي قبل.

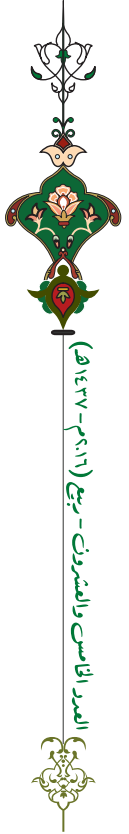
فجو السورة ومطلعها هو تهويل
 وترويع وتعظيم وتفخيم يوقع في
 الحس الشعور بالقدرة الإلهية الكبرى
 من جهة وبضالة الكائن الإنساني
 بالقياس إلى هذه القدرة من جهة
 أخرى^(٦١). وهذه السورة العظيمة
 هائلة رهيبة قبل أن يتلقاها الحس إلا
 بهزة عنيفة وهي منذ افتتاحها تفرع
 هذا الحس وتطالعه بالهول القاصم
 والحد الصارم والمشهد تلو المشهد
 كله بإيقاع مُلح على الحس بالهول آنأً
 وبالجلال آنأً وبالعذاب آنأً وبالحرارة

(٦١) مشاهد القيامة، ص ١١٦.

دَكَّا ﴿ [سورة الفجر: ٢١]، ﴿ إِذَا رُجَّتِ
 الْأَرْضُ رَجًا ﴿ [سورة الواقعة: ٤]،
 ﴿ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿ [سورة الانشقاق:
 ٣]، أما مصير الجبال فهو كما نرى
 في آيات الذكر الحكيم ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ
 سُيِّرَتْ ﴿ [سورة التكويد: ٣]، ﴿ وَيَوْمَ
 نُسَيِّرُ الْجِبَالَ ﴿ [سورة الكهف: ٤٧]،
 ﴿ وَنَسِيرُ الْجِبَالَ سِيرًا ﴿ [سورة الطور:
 ١٠]، ﴿ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿
 [سورة النبأ: ٢٠]، ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
 كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿ [سورة
 القارعة: ٥]، ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿
 [سورة المرسلات: ١١]، ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ
 الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً ﴿
 [سورة المزمل: ١٤]، ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ
 بَسًا ﴿ [سورة هبأً مُنْبَثًا ﴿ [سورة
 الواقعة: ٥ - ٦]، ﴿ وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ
 فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿ [سورة الحاقة: ١٤].

وهذه الآيات الكريمة تحكي عن
 حدوث تحولات وتغيرات على الجبال
 منها:

١. الحركة والسير والرجف وهي
 الحركة الشديدة الاضطراب تسفر



القوية في كل آن (٦٢).

الصورة الثانية: قال تعالى:

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٤١﴾ فِي
سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٤٢ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ ٤٣ لَا بَارِدٍ
وَلَا كَرِيمٍ ٤٤ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ
٤٥ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦
وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا
أَءَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٤٧ أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٤٨
قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٤٩ لَمَجْبُوعُونَ
إِلَىٰ مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ٥٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ أُنْتَبِهُوا فَلِأَنَّ
الْمُكَذِّبِينَ ٥١ لَا يَكُونُونَ شَجَرًا مِّنْ زُقُومٍ ٥٢ فَالْثَوْنُ
مِنَهَا الْبَطُونُ ٥٣ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٥٤
فَشَرِبُوا شَرْبَ الْحَمِيمِ ٥٥ هَذَا نُزِّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿

[سورة الواقعة: ٤١ - ٥٦].

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾
والقرآن يصف تارة أحوالهم في الدنيا
وموقفهم من الشرع والشرعية وأخرى
أحوالهم في الآخرة أما صفاتهم في الدنيا
فيصفهم بالأوصاف التالية:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٤٥﴾
وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٤٦ وَكَانُوا
يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءَنَّا

(٦٢) في ظلال القرآن، ٨ / ٢٤٥.

﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ [سورة الواقعة: ٤٥ - ٤٧]،
ويصفهم في سورة أخرى ﴿إِنَّهُ كَانَ
لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ
الْمَسْكِينِ ﴿[سورة الحاقة: ٣٣ - ٣٤]،
إن التدبر في هذه الآيات يستشف منها
خلاصة صفاتهم وهي الأتراق أولاً
ونقض العهد ثانياً وانكسار المعاد
ثالثاً وعدم الإيمان بالله الواحد رابعاً
وعدم الحض على طعام المسكين خامساً
ولعل لأصحاب الشمال أوصافاً أخرى
في القرآن الكريم غير ما ذكرنا وأما
أحوالهم في الآخرة فيكفي في ذلك
الآيات التالية:

﴿وَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ
يَلَيِّنَنِي لَوْ أُوتِيَ كِتَابِيَّ ٢٥ وَلَوْ أَدْرِمَا حَسَابِيَّ﴾
[سورة الحاقة: ٢٥ - ٢٦]، فهو لسوء
المصير يتمنى عدم حشره كما قال الله
تعالى: ﴿يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [سورة
الحاقة: ٢٧]، فهو يدرك بأن ما جمعه
من المال والنفوذ ما منعه من عذاب
الله فيقول كما قال الله تعالى: ﴿مَا
أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّ ٢٨﴾ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿
[سورة الحاقة: ٢٨ - ٢٩]، ولكن

تمنيه وصراخه لا يفيد شئاً فيأخذه
الموكلون يغلونه فيصلونه الجحيم كما
يقول سبحانه وتعالى: ﴿ خُذُوهُ فُغْلُوهُ ﴾
﴿ ٣٠ ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿ ٣١ ﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿ سورة الحاقة: ٣٠-٣٢ ﴾، وفي سورة الواقعة التي
نحن بصدد تحليل آياتها في الترهيب
جاء قوله عز وجل ﴿ وَأَصْحَبُ الْجَنَّةِ
مَا أَصْحَبُ الْجَنَّةِ ﴾ ﴿ ٤١ ﴾ فِي سُمْوٍرٍ وَحَمِيمٍ ﴿ ٤٢ ﴾
وَوَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿ سورة الواقعة: ٤١-٤٣ ﴾، أي تهب عليهم ريح حارة
تدخل مساماتهم ويصب عليهم ماء
مغلي ﴿ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴾ أي وفي ظل
من دخان أسود شديد السواد لا بارد
أي ليس هذا الظل بارداً يستروح به
الإنسان من شدة الحر (٦٣)، ولا كريم
أي وليس حسن المنظر يسر به من
يستقيء بظله قال الخازن في تفسيره
إن فائدة الظل ترجع إلى أمرين أحدهما
دفع الحر والثاني حسن المنظر وكون
الإنسان فيه مكرماً وظل أهل النار
بخلاف هذا لأنهم في ظل من دخان

أسود حار (٦٤).

ولا بأس هنا أن ننقل الصورة
الفنية الرائعة التي جاءت في كتاب
مشاهد القيامة لئن كان أصحاب
اليمين في ظل ممدود وماء مسكوب
فأنظر لترى أصحاب الشمال في سموم
وحميم فلهواء شواظ ساخن ينفذ إلى
المسام ويشويها والماء متناه في الحرارة
لا يبرد ولا يروي وهناك ظل ولكنه
ظل من يحموم ظل الدخان اللاfach
الخائق إنه ظل للتهكم والسخرية
من نوع ذلك الظل ذي الثلاث
الشعب الذي لا ظليل ولا يفني من
اللهب وهو هنا لا بارد ولا كريم هو
ظل ساخن وهو كذلك كزنجيل لا
يحسن استقباهم ولا يهين لهم الراحة
والاسترواح هذا الشظف كله جزاء
وفاق ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾،
وما ألم الشظف للمترفين ﴿ وَكَانُوا
يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ وهو الشرك
بالله وفيه حنث بالعهد الذي بين الله
وعباده على الإيمان ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾



الْمَكْذِبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُقُومٍ ﴿٥٢﴾

ونحن لا ندري ما شجر الزقوم ولكن اللفظ نفسه يجرسه يصور ملمساً خشناً شائكاً مديباً عزق الأيدي بله الحلقوم وذلك في مقابل السدر المخضود الذي لا شوك فيه ﴿فَالْيَوْمَ مِنْهَا الْبَطُونَ﴾ فالجوع كافر والمحنة غالبية وإن الشوك الخشن بحاجة إلى ماء يسلك الحلقوم والخشوم وأنهم لشاربون وشاربون عليه من الحميم الذي لا يبرد غله ولا يروي ظمأ ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ شَرِبَ الْهَمِيمِ﴾ وهي الإبل المصابة بداء الاستسقاء التي لا تكاد ترتوي من الماء ﴿هَذَا نَزَلْنَاهُمْ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ والنزل للراحة والاستقرار ولكن هؤلاء هذا نزلهم الذي لا راحة فيه وهو شبيه بذلك الظل الذي لا ظل فيه (٦٥).

الصورة الثالثة: قال تعالى:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ

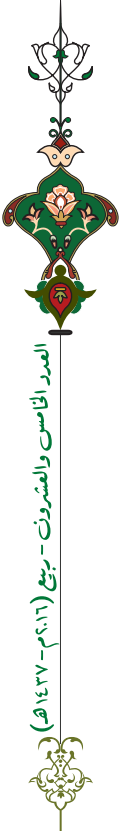
(٦٥) مشاهد القيامة، ١١٩ (التصوير الفني) في كتاب التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.

لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ [سورة الواقعة: ٨٣ - ٨٧].

يبين الله تعالى حقيقة الموت في السورة فالموت حسب ما يصفه النبي ﷺ أول منزل من منازل الآخرة وآخر منزل من منازل الدنيا فالموت عبارة عن ذهاب القوة في الشيء (٦٦).

والموت هو انتقال من مرحلة إلى مرحلة إلى مرحلة أخرى ومن حياة دانية إلى حياة عالية فهو بهذا المعنى ليس أمراً عديمياً فهو أمر وجودي بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [سورة الملك: ٢]، الموت سنة عامة قطعية أثبتت العلوم الحديثة أن الكون يسير باتجاه موت حراري وشيخوخة يصطلح عليها في الفيزياء بـ (الانتروبي) يقول الدكتور (فرانك ألن) أن قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا العالم تفقد حرارتها تدريجياً، وأنها سائرة حتماً إلى يوم تصير فيه جميع الأجسام تحت

(٦٦) مقاييس اللغة، ٥ / ٢٨٣.



أقول: إن هذا الأصل يثبت لنا أمرين:

الأول: حدوث المادة وكونها مسبوقة بالعدم كما أن الدكتور (دونالد) إذ لو كانت قديمة بلا أول لفذت طاقتها عبر القرون غير المتناهية.

الثاني: تقويض أسس النظام السائد تحت غطاء نفاذ الطاقات وتساوي الأجسام من حيث الفعل والانفعال والحرارة والبرودة.

والموت حقيقة كونية لا بد منها،

قال الله تعالى في كتابه المجيد ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ﴾ وَالشَّهَادَةُ فَيَنْتَعِمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿[سورة الجمعة: ٨]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

خلاصة وخاتمة ونتائج

نستخلص من خلال هذه الجولة في رحاب القرآن الكريم، أن أسلوب الترغيب والترهيب هما العلاج الناجع في إعداد نفوس المؤمنين، فقد وضع

درجة من الحرارة البالغة الانخفاض هي الصفر المطلق ويومئذ تتقدم الطاقة وتستحيل الحياة ولا مناص من حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقات عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضي الوقت، أما الشمس المستقرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة فكلها دليل واضح على أن أصل الكون وأساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة فهو أيضاً حدث من الأحداث (٦٧).

ويقول الدكتور (دونالد روبرت كار) إن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزلياً ولو كان كذلك لما بقيت فيه أي عناصر إشعاعية، ويتفق هذا الرأي مع القانون الثاني للديناميكية الحرارية (٦٨).

(٦٧) الله يتجلى في عصر العلم، ١٢، تاليف نخبة من العلماء الأمريكيين الطبيعة، مقالة تحت عنوان عالم الطبيعة البيولوجية، فرانك ألن، أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما، ضمن كتاب الله يتجلى في عصر العلم.

(٦٨) المصدر السابق، مقال دونالد روبرت كارت تحت عنوان موجات جيولوجية، ٩١.



والوعد، والوعيد، ويعتبر هذه الطريقة في مداواة النفوس بمزيج الترغيب والترهيب؛ لتنشيط عباده المؤمنين لطاعته، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه.

ذكر البحث طرق ذكر الترغيب والترهيب في القرآن الكريم، فمنها يأتي في آية واحدة، أو أن يأتي في آيتين، أن يأتي هذا الأسلوب ضمن مجموع آيات، فتارة يدعو بالترهيب وتارة بالترغيب وتارة يجمع بين الترغيب والترهيب.

من خلال البحث تبين أن الاجواء التي يستشعرها المستمع لسورة الواقعة أجواء تهويل وترويع وتعظيم وتفخيم يوقع في الحس الشعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة وبضالة الكائن الإنساني بالقياس إلى هذه القدرة.

يلاحظ البحث أن سورة الواقعة هي من العهد المكي، وقد عاجلت قضية النشأة الآخرة رداً على قول الشاكين فيها من المشركين المكذبين بالقرآن الكريم وبما جاء به رسوله ﷺ.

البحث مفهومي الترغيب والترهيب، لغة واصطلاحاً والعلاقة بينه وبين التربية في الوصول بالمؤمن إلى الوجه الأكمل، في تصوير يوم القيامة وما يكتنفه من أهوال وما يفيضه من ملذات تستشعر فطرة الإنسان ووجدانه في حوار قرآني وتقديم قصصي أدوات وآلته الترغيب والترهيب.

يوجه الترغيب والترهيب المؤمن ليعيش بين الخوف والرجاء، يخاف أن تحل به نقمة الله، وفي نفس الوقت يرجو من الله الرحمة؛ لهذا كان القرآن الكريم يحث على البر والإحسان والنهي عن الإثم والعدوان.

تبرز أهمية الترغيب والترهيب في القيام بعمل يرضى الله عنه ورسوله ﷺ، ثم يتبعه ما يتضمن ترهيباً من القيام بعمل يُغضب الله ورسوله. وقد يكون العكس، فيبدأ القرآن الكريم بذكر ما فيه ترهيب، ثم يردفه ما فيه ترغيب، فقد يذكر القرآن الكريم جزاء الكافرين، ثم يعقبه بجزاء المؤمنين؛ ليجمع بين الترغيب، والترهيب،



والتهكم والاستهزاء، والالتفات من الخطاب إلى الغيبة، والجملة الاعتراضية وفائدتها لفت الأنظار إلى أهمية القسم، مع توافق الفواصل في الحرف الأخير مما يزيد في رونق الكلام وجماله بما يسمى هذا بالسجع المرصع وهو من المحسنات البديعية.

قام البحث بدراسة تحليلية بينت صوراً للترغيب وصوراً للترهيب، فقد احتوت سورة الواقعة على مشاهد ليوم القيامة ورسمت صوراً للنعيم مرغبةً فيه دالة على الخير وعمل المعروف حتى ينال الإنسان حسن العاقبة وجنات النعيم.

أهم المصادر والمراجع:

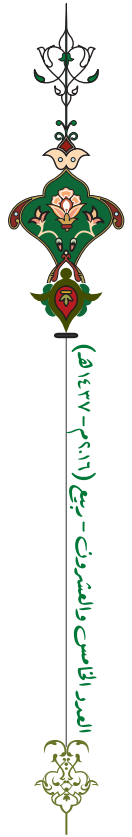
القرآن الكريم.

١. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٢. الترغيب والترهيب، الدكتور عبد الحكيم السعدي، تنقيح الدكتور عبد الستار حامد، مطابع الدستور

وتشتمل سورة الواقعة على التعرض لأحوال يوم القيامة وما يكون بين يدي الساعة وانقسام الناس إلى ثلاث طوائف (أصحاب اليمين، أصحاب الشمال، السابقون) وكل فريق وما أعدّه الله تعالى لهم من الجزاء العادل يوم الدين كما أقامت الدلائل على وجود الله ووحدانيته وكمال قدرته في بديع خلقه وصنعه في خلق الإنسان وإخراج النبات وإنزال الماء وما أودعه الله من القوة في النار ثم نوهت بذكر القرآن الكريم وأنه تنزيل رب العالمين وما يلقاه الإنسان عند الاحتضار من شدائد وأحوال.

اشتملت السورة على كل أنواع البيان العربي من محسنات لفظية ونكت بلاغية واساليب بيانية غاية في الروعة ففيها جناس الاشتقاق، إذا وقعت الواقعة، الجناس الناقص والطباق بين الميمنة والمشأمة وبين الأولين والآخرين وبين خافضة ورافعة والتشبيه المرسل المجمل، والتفخيم والتعظيم، وتأكيد المدح بما يشبه الذم،



- التجارية، بغداد.
٣. الترغيب والترهيب في القرآن الكريم وأهميتهما في الدعوة إلى الله، كيلان خليل حيدر، مجلة العلوم الاسلامية، مجلد ٧، العدد ١٣، السنة ٢٠١٣م.
٤. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣.
٥. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
٦. تفسير أبي السعود - أبو السعود، محمد بن محمد أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٧. تفسير البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق: (١) د. زكريا عبد المجيد النوقي (٢) د. أحمد النجولي الجمل، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢-٢٠٠١م، المطبعة: لبنان/ بيروت - دار الكتب العلمية،
- الناشر: دار الكتب العلمية.
٨. تفسير الثعالبي، الثعالبي (ت ٨٧٥هـ) تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة - الشيخ علي محمد معوض - والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط الأولى، ١٤١٨ المطبعة: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الناشر: دار إحياء التراث، العربي، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - لبنان.
٩. تفسير الثعالبي، الثعالبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٢ - ٢٠٠٢م، المطبعة: بيروت - لبنان - دار إحياء التراث العربي، الناشر: دار إحياء التراث العربي.
١٠. تفسير البغوي، البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، المطبعة: بيروت - دار المعرفة، الناشر: دار المعرفة.
١١. تفسير البيضاوي، البيضاوي،



الشيخ خليل الميس ضبط وتوثيق
وتخريج: صدقي جميل العطار،
١٤١٥ - ١٩٩٥ م، الناشر: دار
الفكر للطباعة والنشر والتوزيع -
بيروت - لبنان.

١٧. روح المعاني في تفسير القرآن
العظيم والسبع المثاني، شهاب
الدين محمود بن عبد الله الحسيني
الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)،
المحقق: علي عبد الباري عطية،
الناشر: دار الكتب العلمية -
بيروت.

١٨. فتح القدير، الشوكاني (ت
١٢٥٥هـ)، المطبعة: عالم الكتب،
الناشر: عالم الكتب.

١٩. في ظلال القرآن، سيد قطب،
ط١ - إحياء الكتب العربية - البائي
الحلبي.

٢٠. نهج البلاغة، محمد عبدة، ط١ - دار
الفكر.

٢١. اليوم الآخر، دكتور عمر سليمان
الأشقر، ط١، مكتبة الفلاح
الكويت ١٩٨٦.

بيروت - دار الفكر، الناشر: دار
الفكر، بيروت.

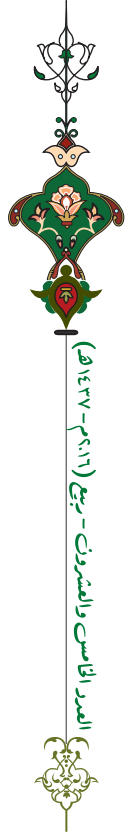
١٢. تفسير الخازن، المسمى لباب التأويل
في معاني التنزيل، علي بن محمد بن
إبراهيم البغدادي، دار المعرفة،
لبنان.

١٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير
(ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: تقديم:
يوسف عبد الرحمن المرعشي،
سنة الطبع: ١٩٩٢ م، الناشر: دار
المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع -
بيروت - لبنان.

١٤. تفسير سوري الواقعة والجمعة،
جميل القريشي.

١٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله
محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى:
٦٧١ هـ)، المحقق: تصحيح:
أبو إسحاق إبراهيم أطفيش،
سنة الطبع: ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م،
الناشر: دار إحياء التراث العربي -
بيروت - لبنان.

١٦. جامع البيان، ابن جرير الطبري
(ت ٣١٠هـ)، تحقيق: تقديم:



تأملات في قوله تعالى:

﴿يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ...﴾

الشيخ حسين كاظم عبد الزياي

استاذ في الحوزة العلمية - النجف الاشرف

فحوى البحث

يعرض سماحة الشيخ الباحث جزءاً من الآية الثانية عشرة من سورة يوسف وهو قول اخوة يوسف لابيهم (ارسله معنا غداً يرتع ويلعب)، فيخوض في تفسير هاتين الكلمتين لغةً وقصداً، استناداً الى اشهر المصادر اللغوية، ثم يعرض لآراء المفسرين والعلماء المسلمين في مسألة جواز وقوع (اللعب واللهو) على الانبياء و يناقش تلك الآراء مناقشة علمية وفقهية ليصل الى نتائج بالروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

تمهيد:

المباح والذي يُعد بمثابة حاجة فطرية للأطفال وبالتالي جعلوا هذا الأمر كقاعدة عامة -كبرى- وجعلوا نبي الله يوسف عليه السلام وغيره من الأولياء مصداقاً من مصاديقها -صغرى- التي تنطبق عليهم من دون إشكال ولا ضير في ذلك.

أقول: إن صحت وصدقت هذه الحاجة كعنوان على الأعم الأغلب من أفراد الجنس البشري، فإنها لا تجري على أولياء الله ممن اصطفاهم واجتباهم لدينه من الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

وقبل مناقشة هذا الموضوع لا بد أن نستعرض كلمات أهل اللغة والتفسير حول مفردتي (يرتع ويلعب) بشكل خاص، وجو الآية بشكل عام.

قرأ نافع، وأبو جعفر: [يرتع ويلعب] من فعل: ((ارتعى)) وبالياء في الفعلين.

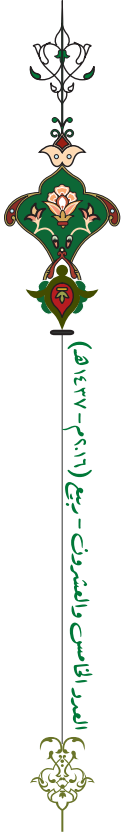
وقراها ابن كثير: [نرتع ونلعب] من فعل ((ارتعى)) وبالنون في الفعلين.

وقراها أبو عمرو، وابن عامر:

لا يخفى على ذوي البصيرة أن سورة يوسف عليه السلام تضم بين جنباتها الكثير من الدروس والعبر والأحكام التي مازالت غائبة عن اذهان كثيرة من أهل العلم فضلاً عن غيرهم؛ وهذا ليس بالأمر المستغرب، بل هو من معاجز القرآن الكريم، الذي كلما تأملت في معنى من معانيه أعطاك وأعطاك إلى أن تقف عاجزاً متحيراً في أمر هذا الكتاب الشريف.

ففي ضمن هذا السياق وعند التأمل في قوله تعالى: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٢]، بالإمكان بيان -وبضم بعض الآيات القرآنية إلى بعضها في نفس هذه السورة وغيرها- أن المعنى الذي استفاده أهل التفسير ويكاد أن يكون موضع وفاق عندهم غير صحيح!

والذي أجمع عليه الكثير من الأعلام في تفاسيرهم وتبعهم بعض الفقهاء على ذلك وإستناداً لهذه الآية وبعض النصوص هو جواز اللعب



[نرتع ونلعب] من ((الرتع)) وبالنون في الفعلين.

وقرأهما باقي القراء العشرة: [يرتع ويلعب] من ((الرتع)) وبالياء في الفعلين.

وفي هذه القراءات تفنن وتكامل. يقال لغة: ((ارتعى)) أي: رعى كيف يشاء في سعة. ويقال: ((رتعت الماشية رتعا)) أي: رعت كيف شئت في خصبٍ وسعة. ويقال: ((خرجنا نرتع ونلعب)) أي: ننعم ونحرك أجسامنا باللعب النافع رياضةً لها.

((يرتع)): أي يتسع في خصب المأكّل، مأخوذةً من قول العرب ((رتع الإنسان أو البعير)) أي: أكل كيف شاء. وكلّ مخصبٍ راتع.

((ويلعب)): أي: ويمارس رياضةً نافعةً في المراعي والهواء الطلق والأرض الواسعة، فالمراد باللعب هنا اللعب النافع المفيد، وهو يسر (يعقوب) عليه السلام، ويراه مطلوباً من مطالب تقوية الأجساد ونمائها وصحتها.

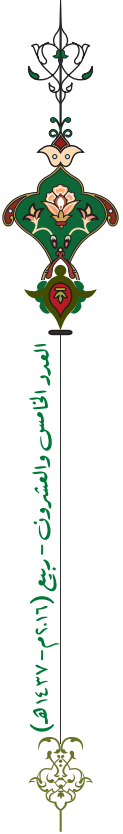
في هذه الآيات بيانٌ ما يدلُّ على موافقة

الأب ((يعقوب)) عليه السلام، على أن يذهب أبناؤه العشرة بأخيهم يوسف معهم إلى المراعي ليرتع ويلعب كما طلبوا مُلحّين وعاتبين^(١).

وذكر بعض المفسرين أن (يرتع): من الرتع، وهو الرعي، والأكل. يقال: رتع الإنسان والبعير: إذا أكلا كيف شاء، وقرئ: (يرتعي) بإثبات الياء. (ويلعب) أي: ينشط بالركض والمسابقة، ورمي السهام، هذا؛ ويقرأ الفعلان بالنون أيضاً قراءتان سبعيتان، هذا؛ والرتع في الأصل: أكل البهائم في الخصب زمن الربيع، ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير^(٢).

وذكر الموسوي في معنى (يرتع): أي يتسع في أكل ما لذ وطاب، قال الراغب الرتع: حقيقته في أكل البهائم ويستعار للإنسان إذا أريد به الأكل الكثير^(٣).

- (١) معارج التفكير ودقائق التدبر، ص ٦٢٤ و ص ٦٣٠، مج ١٠. للميداني.
(٢) تفسير القرآن الكريم، ص ٥٥١، مج ٤، محمد علي الدرة.
(٣) الواضح في التفسير، ج ٨، ص ١٩٠، السيد عباس الموسوي.





وقال الفيض الكاشاني: (يرتع) يتسع في أكل الفواكه وغيرها من الرتعة وهي الخصب (ويلعب) بالاستباق بالأقدام والرّمي وقرئ يرتع من ارتعى، وبالكسر والياء فيه وفي يلعب وبالياء والسكون فيها^(٤).

وقال السيد شبر في تفسيره: (يرتع) نعم ونأكل (ويلعب) بالرّمي والاستباق، بالنون فيها وجزم العين لأبي عمرو وابن عامر وكذا ابن كثير لكن بكسرها من (ارتعى) كنافع بالياء فيها وبالياء والجزم للكوفيين^(٥).

وأيضاً مما ذكره الجزائري بقوله: (يرتع): الرتع: التردد يميناً وشمالاً. أبو جعفر ونافع (يرتع ويلعب) بالياء فيها وكسر العين من (يرتع). وابن كثير بالنون فيها وكسر العين. وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيها وجزم العين. وأهل الكوفة بالياء فيها وجزم

العين^(٦).

ثم قال: (يرتع): أي يتسع في أكل الفواكه وغيرها. وأصل الرتعة: الخصب والسعة.

فإن قلت: كيف استجاز لهم يعقوب اللعب؟ قلت: كان لعبهم الاستباق في العدو والانتضال ليمرّونا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو؛ بدليل قوله: ((إنا ذهبنا نستبق)) وسموه لعباً لأنه في صورته.

ولعله **ثابت** أخذ هذا المعنى من صاحب تفسير الكشاف، كما أخذ المعنى الأول في بيان معنى (يرتع) من صاحب مجمع البيان **ثابت**.

وأما السيد الطهراني فقد ذكر ما نصه: (يرتع ويلعب) وقرئ بالياء أي: نذهب ونجىء وننشط ونلهو والرتع هو التردد يميناً وشمالاً، وأرادوا اللعب المباح وقد روي أنّ كلّ لعب حرام إلا ثلاثة: لعب الرجل بقوسه وفرسه

(٤) تفسير الصافي، ج ٣، ص ٧، الفيض الكاشاني.

(٥) الجوهر الثمين، ج ٣، ص ١٩٥، السيد عبد الله شبر.

(٦) عقود المرجان، مج ٢، ص ٤٩٥، السيد نعمة الله الجزائري.

وأهله (٧).

أقول: ان ما ذكره هذا السيد الجليل لا يخلو من إشكال إذ انه جعل من معاني (الرتع) اللهو؛ وهو غير صحيح فأحدهما غير الآخر لغةً، وايضاً يتنافى مع مقام يوسف (عليه السلام) عقيدة؛ ولهذا ذكر السيد الجزائري أن هذا اللعب كان الاستباق للتمرين من أجل قتال الأعداء وليس للهو، لينزه مقام الصديق (عليه السلام) ولكن أيضاً مما يرد على السيد الجزائري أنه لم ينزه مقام الصديق (عليه السلام) بل نزه أخوته هذا أولاً.

وثانياً: أنه لا يوجد أي شاهد في الآية ولا في غيرها أن يوسف (عليه السلام) أشترك في هكذا نوع من اللعب.

وثالثاً: من الغريب استدلاله بقوله تعالى: ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ في بيان معنى المراد من لعبهم، وذلك لأن هذا قول اخوة يوسف وهو كذب محض، لأنهم لم يذهبوا لأجل اللعب وأيضاً لم يمارسوا اللعب في ذلك اليوم كما هو واضح.

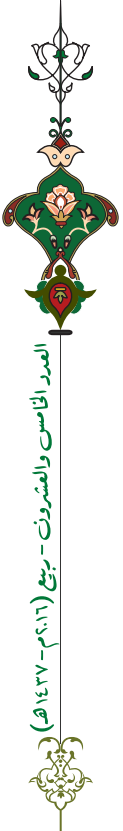
والله عز وجل نقل قولهم وعذرهم غير الصحيح والواقعي امام نبي الله يعقوب (عليه السلام).

• ومن الغريب أنه استدل برواية لا تنطبق على المقام؛ وذلك لما ذكرنا آنفاً من عدم ثبوت اللعب ليوسف (عليه السلام) ولو ثبت - كما هو المشهور - فالرواية تثبت أن نبي الله يوسف ارتكب الحرام - والعياذ بالله - لأنها حصرت اللعب المباح في هذه الثلاثة وجميعها لا تنطبق على لعب يوسف (عليه السلام) الذي ذكره أهل التفاسير من الطرفين!.

هذا وقد ذكر النهاوندي في معنى (يرتع ويلعب)، (يرتع) من الفواكه، ويأكل منها كثيراً (ويلعب) بالاستباق والتناضل، وغيرهما مما يناسب الصبيان (٨). ومما ذكره أيضاً تحت عنوان قيل: لما رأى يعقوب إلحاح بنيه في إخراج يوسف معهم إلى الصحراء، ومبالغتهم بالعهد واليمين، ورأى ميل

(٧) مقتنيات الدرر، ج ٦، ص ١٣، السيد علي الحائري الطهراني.

(٨) نفحات الرحمن، ج ٣، ص ٧٣٠، الشيخ محمد بن عبد الرحيم النهاوندي.





يوسف إلى التفرّج والتفريح، رضي بالقضاء وأذن لهم في إخراجه معهم.

أقول: سيأتي بيان مواطن الخلل في مثل هذا الكلام ونحوه فيما يأتي، والظاهر أنه أخذ هذا القيل من تفسير روح البيان بفارق أنه ذكر التفريح بدلاً من التنزه، فلاحظ.

وأما السيد فضل الله فإنه ذكر معنى مختصراً لـ ((يرتع)) بقوله: أي يتنعم^(٩).

وبحسب الطباطبائي فإن: ((الرتع)) هو توسع الحيوان في الرعي والإنسان في التنزه وأكل الفواكه ونحو ذلك^(١٠).

وقال صاحب الأمثل أن ((يرتع)) من مادة ((رتع)) على وزن ((قطع)) ومعناه في الأصل رعي الأغنام والأغنام بصورة عامة من النباتات وشعبها منها، ولكن قد يطلق هذا اللفظ ((رتع)) ويراد به تنزه الإنسان وكثرة

(٩) من وحي القرآن، ج ١٢، ص ١٧٢، محمد حسين فضل الله.

(١٠) الميزان، ج ١١، ص ٩٧، محمد حسين الطباطبائي.

الأكل والشرب أيضاً^(١١).

وأما مفردة اللعب فقد ذكر صاحب مقاييس اللغة ابن فارس في لعب: كلمتان يتفرع كلمات. إحدهما-اللَّعب المعروف. والتلعب: الكثير اللعب. والملاعب: مكان اللعب. واللَّعبة: اللون من اللعب. واللَّعبة: المرّة منها، إلا أنهم يقولون: لَمَن اللَّعبة. ومُلاعِب ظله: طائر. والكلمة الأخرى -اللُّعاب: ما يسيل من فم الصبي، ولعب الغلام يلعب: سال لُعبه، ولُعاب النحل: العسل. والعباب الشمس: السراب، وقيل هو الذي كأنّه نسج العنكبوت.

وقيل إنّ أصل الباب هو الذهاب من غير استقامة.

وأما الفيومي فقد قال في كتابه مصباح اللغة: لعب يلعب لعباً، ويجوز تخفيفه بكسر اللام وسكون العين، قال ابن قتيبة: ولم يسمع في التخفيف فتح اللام مع السكون. واللَّعبة إسم منه، يقال: فرغ من لُعبته، وكل ما يُلعب به

(١١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٧، ص ٩٦، ناصر مكارم الشيرازي.

فهو لعبة، مثل الشطرنج والنرد، وهو حسن اللعبة، للحال والهيئة التي يكون الإنسان عليها. ولعب يلعب: سال لعبه من فمه.

وأما الراغب في مفرداته قال في (لعب): أصل الكلمة اللُّعاب وهو البُزاق السائل، وقد لعب يلعب. ولعب فلان: إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً، ورجل تلعبه: ذو تلعب. ولُعاب النحل للعسل. ولُعاب الشمس: ما يرى في الجو كنسج العنكبوت.

وذكر ابن منظور في لسان العرب: اللَّعِب واللَّعِب: ضد الجد، لعب ولعب وتلاعب وتلعب، ويقال لكل من عمل عملاً لا يُجدي عليه نفعاً: إنما أنت لاعب.

والتلاعب: اللعب، صيغة تدل على تكثير المصدر، كفعل في الفعل على غالب الأمر.

والتحقيق^(١٢):

(١٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مج ١٠، ص ٢١٨-٢١٩، المصطفوي.

أن الأصل الواحد في المادة: هو قول أو عمل لا يقصد منه منظور مفيد عقلاً ولا يرغب إليه العاقل. وأما مفهوم اللُّعاب فمأخوذ من السريانية، مضافاً إلى مناسبة بين المعنيين: فإنّ البزاق السائل من الفم كعمل أو كقول يظهر من دون جدّ وقصد وهو مما ليس فيه أثر مفيد.

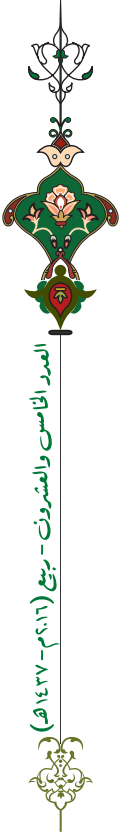
وأما الهزء والسخر: فما لا يرغب إليه العاقل، ولا فائدة فيه. وهو من أظهر مصاديق اللعب، لما فيه من الضرر-والقبح أيضاً.

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ - ٩ / ٦٥.

﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ - ٤٣ / ٨٣.

﴿قُلِ اللَّهُ تَعَزَّاهُمْ فِي خَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ - ٦ / ٩١.

سبق أن الخوض عبارة عن الإنغماس في شيء فيه فساد وشر، فإذا كان الإنسان خائضاً ومنغمساً في اللعب ولا يرى له جدّ في سيره، ولا استهداف وغرض في أعماله: فهو:



جريان محدود لا بقاء له ولا دوام.

أقول: هذا يؤيد ما ذكرناه في ردنا على السيد الجزائري بأن اللهو غير اللعب وإلا لما عطف القرآن بينهما.

فاللهو هو التشاغل، وفي الأغلب يستعمل للتشاغل بالدنيا عن الآخرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ﴾ أي: إن الدنيا لهو عن الآخرة،

فهي ملهية وشاغلة للذهن وللجسم عن الطاعة. فاللهو هو التشاغل عن المهموم بالمؤنسات، أو التشاغل عن المصالح بالمفاسد والموبقات.

وقد يكون اللهو لهواً عن الآخرة، وقد يكون لهواً واشتغالاً عن المصالح الدنيوية، فنراه يتلهى بالقمار مثلاً عن عمله والكد على عياله. وعلى كل حال فاللهو يُراد به في الغالب نسيان المصاعب وتناسيها والخلود إلى الراحة (١٣).

والمتبع للقرآن الكريم يجد التشنيع المركز الخطير على الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، لأن الدين ليس مورداً لهما لا

(١٣) مئة المنان في الدفاع عن القرآن، ج ٥، ص ١٥٢، محمد الصدر.

﴿ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ ﴾ -

٣٢ / ٦ من الأخسرين.

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٦٣) وَمَا

هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ - ٦٤ / ٢٩

﴿ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ ﴾ -

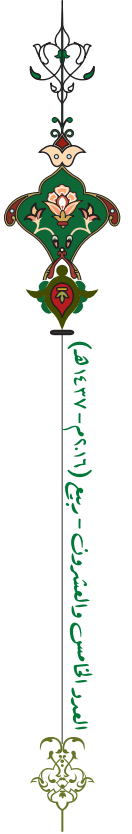
٣٦ / ٤٧

* * * *

سبق في العبث أنّ اللهو ما يكون فيه تمايل، إلى شيء وتلذذ به من دون نظر إلى نتيجة، فاللهو فيه قيد زائد على اللعب وهو التمايل، فهو إنما يتأخر ويتحقق بعد استمرار اللعب.

وأما الآية الثانية: فالنظر فيها الى النتيجة الحاملة المنظورة من الحياة الدنيوية، فيقدم اللهو على اللعب، وهذا المعنى يدل عليه التعبير بقوله - هذه الحياة الدنيا.

ثم إن الحياة الدنيا هي ما تكون حياته مصروفة في الأمور الدنيوية المادية، وتكون أفكار الإنسان وأعماله وحركاته وحواسه مشغولة بذلك البرنامج، وهذا



من قريب ولا من بعيد.

أقول: إلى هنا تحصل عندنا من مجموع هذه الكلمات أن (الرتع) بالأصل مجعول للحيوانات واستخدم من باب الاستعارة في الإنسان، وبهذا يكون من المستبعد جداً رغبة يوسف الصديق عليه السلام في هكذا عنوان هذا أولاً.

وثانياً: خصوصاً إذا بنينا على المبنى القائل بعدم وجود استعارات في كلام المولى عز وجل فيرجع المعنى إلى معناه الأصلي الذي وضع له وهو في البهائم خاصة وهو ما يتناسب مع أخوة يوسف في تلك الفترة ويجل مقام الصديق حتى وإن كان في طفولته من الخوض في هكذا عناوين!.

ثالثاً: إن في تعريفاتهم في مادة (رتع) الكثير من التشويش والتخبط، والذي يجل عنه مقام الصديق عليه السلام وهو محط الرعاية الإلهية من قبل أن يُخلق.

فقد تبين مما مرّ من معاني (يرتع) هو الأكل الكثير بالنسبة للإنسان، فبالله عليك هل ينطبق هذا المعنى على يوسف عليه السلام وهو الطفل الصغير المؤدب

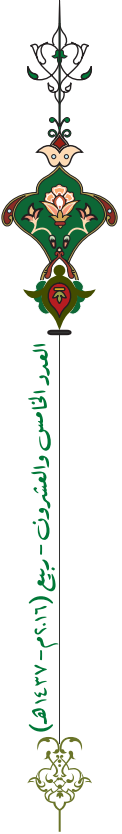
بأدب النبوة؟ وهل يُعقل أن يقبل يعقوب عليه السلام بطلب أبنائه بأخذ قرّة عينه يوسف لأجل هذا الشيء الذي هو من مختصات أهل الدنيا؟!.

ثم أي فاكهة التي يتكلمون عنها مع أنهم يقولون أنها صحراء واسعة -أي صحراء كنعان -وكانت كثيرة الذئاب الخ...

وعليه فالقبول بهذا المعنى هو ظلم لنبيين من أنبياء الله عز وجل يعقوب ويوسف عليه السلام. هذا فيما يخص الفعل ((يرتع)) وقد نزهنا يوسف عنه كذلك قبول يعقوب وموافقته على هذا العنوان والفعل.

وأما ما يخص العنوان الثاني وهو (اللعب) فلنشرع بذكر بعض الأقوال للمفسرين في هذا الصدد، ومن ثم بيان ما يمكن إيرادها عليها.

ولنبداً بتفسير الأمثل حيث ذكر: ((تعال يا أبانا وارفع اليد عن اتهامنا فإنه اخونا وما يزال صبيّاً وبحاجة إلى اللهو واللعب، وليس من الصحيح حبسه عندك في البيت، فخل سبيله



(أرسله معنا غداً يرتع ويلعب) (١٤).
ثم كتب عنواناً مفاده (حاجة الإنسان الفطرية والطبيعية إلى التنزه والارتياح) قال فيه: من الطريف أن يعقوب عليه السلام لم يردّ على كلام أخوة يوسف واستدلّاهم على أنه بحاجة إلى التنزه والارتياح، بل وافق على ذلك عملياً، وهذا دليل كاف على أن أي عقل سليم لا يستطيع أن ينكر هذه الحاجة الفطرية والطبيعية... فالإنسان ليس آلة تستعمل في

أي وقت كان وكيف كان، بل له روح ونفس يناهما التعب والنصب كما ينالان الجسم. فكما أن الجسم يحتاج إلى الراحة والنوم، كذلك الروح والنفس بحاجة إلى التنزه والارتياح السليم.

التجربة -أيضاً- تدل على أن الإنسان كلما واصل عمله بشكل رتيب، فإنّ مردود هذا العمل سيقبل تدريجياً نتيجة ضعف النشاط، وعلى العكس من ذلك فإنّ الاستراحة لعدة ساعات تبعث في الجسم نشاطاً جديداً بحيث تزداد

(١٤) الأمثل، ج٧، ص٩٦، الشيرازي.

كمية العمل وكيفيته معاً، ولذلك فإن الساعات التي تصرف في الراحة والتنزه تكون عوناً على العمل أيضاً.

وفي الروايات الإسلامية نجد هذه الواقعية بأسلوب طريف جاء بمثابة ((القانون)) حيث يقول الإمام علي عليه السلام: ((للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرّم معاشه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها فيما يحلّ ويحمل)).

ومما يستجلب النظر أنّ في بعض الروايات الإسلامية أضيفت هذه الجملة إلى النص المتقدم ((وذلك عون على سائر الساعات)).

وعلى حدّ تعبير البعض فإنّ التنزه والارتياح بمثابة تدهين وتنظيف أجهزة السيارة، فلو توقفت هذه السيارة ساعة عن العمل لمراقبة أجهزتها وتنظيفها، فإنها ستغدو أكثر قوة ونشاطاً يُعوض عن زمن توقفها أضعاف المرات، كما أنه سيزيد من عمر السيارة أيضاً.

لكن المهم أن يكون هذا التنزه صحيحاً، وإلا فإنه لا يحل المشكلة بل



سيزيدها، فأن كثيراً من حالات التنزه هذه تدمر الإنسان وتسلب منه نشاطه وقدرته على العمل لفترة ما، أو على الأقل تخفف من نشاط عمله.

وهناك نقطة تدعو للالتفات ايضاً، وهي أن الإسلام أهتم بمسألة الترويض والاستراحة النفسية بحيث أجاز المسابقات في هذا المضمار: ويحدثنا التاريخ ان قسماً من هذه المسابقات جرت بمرأى من رسول الله ﷺ، وأحيانا كانت تناط به مهمة التحكيم والقضاء في هذه المسابقة، وربما أعطى ناقته الخاصة -لبعض الصحابة للتسابق عليها.

ففي رواية الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: أن النبي أجرى الأبل مقبلة من تبوك فسبقت العصابة وعليها أسامة، فجعل الناس: يقولون سبق رسول الله ورسول الله يقول: سبق أسامة^(١٥).

(إشارة إلى أن المهم في السبق هو الراكب لا المركب، حتى وإن كان المركب السابق عند من لا يجيدون السبق).

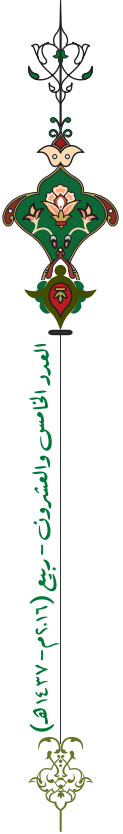
(١٥) سفينة البحار، مج ١، ص ٥٩٦.

النقطة الأخرى هي انه كما ان أخوة يوسف استغلوا علاقة الإنسان-ولا سيما الشاب - بالتنزه واللعب من أجل الوصول إلى هدفهم الغادر... ففي حياتنا المعاصرة -أيضاً نجد أعداء الحق والعدالة يستغلون مسألة الرياضة واللعب في سبيل تلوين أفكار الشباب فينبغي ان نحذر المستكبرين (الذئاب) الذين يخططون لإضلال الشباب وحرفهم عن رسالتهم تحت اسم الرياضة والمسابقات المحلية والعالمية^(١٦).

ثانياً: قال صاحب تفسير النور: إن الأطفال والأحداث، بل الإنسان بشكل عام، بحاجة إلى الاستراحة والرياضة والتسلية؛ فهذه الآية الشريفة تبين أن السبب المنطقي الذي حدا ليعقوب عليه السلام إلى القبول بخروج يوسف عليه السلام مع إخوته، هو حاجة يوسف إلى اللعب واللهو والتسلية.

وقد ذكرت الروايات أنه لا بد للمؤمن من أن يخصص جزءاً من وقته

(١٦) الأمل: ج ٧، ص ٩٩ - ١٠٠. الشيرازي.



المبيدات يفتكون بالمزارع ويستأصلون الغابات والأحراش؛ وبإسم الدراسات الإسلامية يُحاولون تشويه الإسلام وتقديمه بشكل مغاير^(١٧).

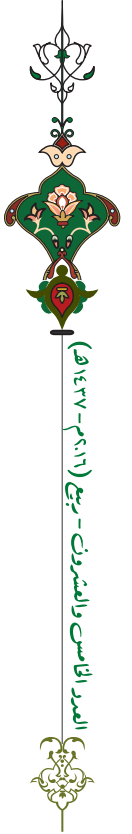
وقد ذكر تحت عنوان التعاليم في النقطة الثانية قال: لقد استخدم أخوة يوسف عليه السلام عذراً مشروعاً ومنطقياً لخداع أبيهم (أرسله... يرتع ويلعب). وفي النقطة الثالثة: إذا كان لدى الآباء والمعلمين الحريصين والمخلصين برنامج مناسب لأوقات الفراغ واللعب والتسلية خاص بالأطفال والشباب، فلن يكون باستطاعة الآخرين الاصطياد في الماء العكر، فأخوة يوسف استغلوا حاجة أخيهم إلى اللعب والرياضة^(١٨).

ومما ذكره صاحب الواضح في التفسير في تفسير هذه الآية حيث قال: نحن غداً سنخرج إلى البرية: إلى حيث عملنا في حفظ أرزاقنا من أغنام ومواشي وإلى حيث نقيم لأداء رياضة

للراحة والترفيه والتمتع بما أحل الله له من الملذات لكي يقوى على أداء سائر أعماله الأخرى.

ما زال الشباب يُصرفون عن أهدافهم الحقيقية ويُحرص على إبقائهم غافلين عن واجباتهم، باسم الرياضة واللعب واللهو، سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. لا بدّ من التعامل مع اللعب والرياضة بجِدٍّ لكي نحصل على كل ما هو جدّي منها كذلك.

يحاول المستكبرون والمتآمرون تنفيذ أغراضهم الدنيئة باستغلال اسم الرياضة أو مسمّى جميل آخر، وباسم الدبلوماسية يُرسلون إلينا الجواسيس الخطرين، ويحكيون الدسائس لمعرفة أسرارنا العسكرية تحت مسمّى المستشار العسكري، وباسم حقوق الإنسان يدافعون عن عملائهم وأزلامهم؛ وباسم الطب والدواء يشحنون الأسلحة الفتاكة إلى صنائعهم وعملائهم؛ وباسم المختصين الاقتصاديين يعملون على إبقاء الدول الضعيفة على ضعفها ويعملون على إنهاكها؛ وباسم رش



(١٧) تفسير النور، ج ٤، ص ١٦٣ - ١٦٤،

الشيخ محسن قراعي.

(١٨) نفس المصدر.

تساعدنا على أثبات وجودنا عندما نحتاج إليها في مواجهة أعدائنا، نحن غداً سنخرج فأرسل يا أبانا معنا أخانا يوسف يتمتع بالهواء العليل والطبيعة الخلابة والشار والفواكه الطيبة ويلعب حيث هناك متسع كبير لأداء كل أنواع الرياضات^(١٩)..

وقال السيد فضل الله في هذه الآية: لأن من حق الشاب ان يمارس مع الشباب اللهو واللعب والانطلاق في الهواء الطلق، لتتفتح روحه، وتصفو أفكاره، وترتاح مشاعره، لأن لكل مرحلة من مراحل العمر حقها في التنفس والانطلاق... وكيف يمكن ان يضل معك محبوساً في دائرة الالتزامات الاجتماعية التي يلتزم بها الشيوخ في تقاليدهم وأوضاعهم وعلاقاتهم الاجتماعية^{(٢٠)؟!}

طبعاً هنا السيد يتكلم بلسان أخوة يوسف مع أبيهم.

(١٩) الواضح في التفسير، ج ٨، ص ١٩٢، السيد عباس علي الموسوي.

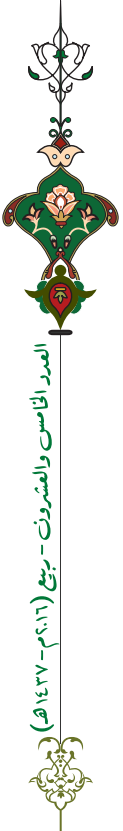
(٢٠) من وحي القرآن، ج ١٢، ١٧٤. محمد حسين فضل الله.

وأيضاً يذكر أحمد المهري: إن الرحلات السياحية قديماً رحلات سباق وصيد وخاصة بين الشبان، فلم يحن بعد الوقت الذي يلتحق فيه الأخ الصغير بمجموعة الفتیان الأقوياء من أهله. فقالوا لأبيهم: أنت تعرف بأننا نحب أخانا ونحب أن يشاركنا في رحلاتنا، وسوف نخصص يوم غد للهو والترع دون السباق والصيد، فلم لا توافق على أن يرافقنا ليلهو ويأكل من صيدنا في أجواء أراضي البلد الذي عاشوا فيه^(٢١)؟.

وقال بعضهم: ورد في قصة يوسف عليه السلام إن إخوته -وفي سبيل إحكام خطتهم لإبعاد يوسف عن أبيه- قالوا لأبيهم: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ظاهر الآية يحكي عن حياة يوسف، ومكر أخوته لإبعاده عن أبيه، في حين أن هناك عبرة يمكن استخلاصها من هذه القصة وهي: أن المخالفين

(٢١) الصديق يوسف من غيابت الحب إلى قيادة مصر، ص ٣٢، أحمد الفهري.



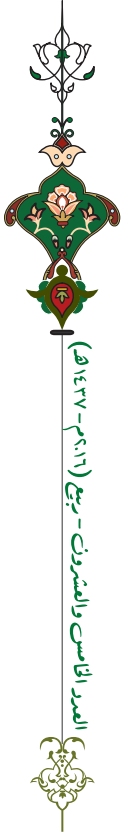
يوسف عليه السلام بنسبته للميل الى اللعب واللهو ونحو ذلك، مما ولدّ قناعة عند الجميع بأن هذا التفسير من الأمور المسلمة والمتفق عليها كما ذكرنا في مقدمة هذا البحث؛ وذكرنا بأنّ هذا الأمر غير صحيح بالمرة وذلك:

١. لأن اللعب يؤدي إلى الضياع والغفلة ولو بأدنى درجاته، وهذا ما أكدّه النبي يعقوب عليه السلام بقوله ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ لا لأنهم يلهون ويلعبون في ذلك اليوم، بل لأنهم هكذا واقعاً، وإلا فإنهم ذلك اليوم وبمناسبات الحكم والموضوع وسياق القصة، لم يقوموا باللهو واللعب وانما كان جلّ اهتمامهم على تنفيذ المكيدة كما هو واضح، وانما هم غافلون عن آية الله ومراة جماله يوسف الصديق، لأنهم من أهل الرتع واللعب، وهم أقروا أمام إمام زمانهم في وقته وهو يعقوب عليه السلام بأنهم من أهلها -أي الرتع واللعب- حقيقة لا استعارة.

لطريق الهداية، يحاولون أن يسرقوا أولادكم بحجة اللعب والقضايا المادية؛ فلا بدّ أن تحذروا من ذلك. وهذه المسألة يمكن تطبيقها في كل وقت، بعد إلغاء الخصوصيات الزمانية والمكانية والأفراد المذكورين في القصة واستخراج قاعدة كلية، وعبرة تصلح للجميع، ويمكن أن نجد لهذه القصة مصاديق كثيرة في الوقت الحاضر فالمستعمرون، وعن طريق استخدام طرق متعددة، من اللعب، يسعون إلى فصل جيل الشباب عن أمتهم، والقائهم في التيه والضياع^(٢٢)...

أقول المتابع لقصة يوسف في القرآن والروايات يلاحظ أن جميع من أحبوا يوسف عليه السلام كانوا سبباً في بلائه ووقوعه في المشاكل وبالتالي وقوع الظلم عليه؛ والظاهر أن هذا الأمر ما زال قائماً، فما لا شك فيه أنّ هؤلاء الأعلام ممن يحبون يوسف عليه السلام ولكنهم بهذا التفسير لهذه الآية قد ظلموا

(٢٢) مناهج التفسير واتجاهاته، ص ٢٨٣، د. محمد علي الرضائي الاصفهاني.



فإن قلت: فلماذا وافق النبي يعقوب عليه السلام على طلبهم وأرسل يوسف معهم.

قلت: وذلك لأنه عليه السلام عمل بمقتضى تكليفه الإلهي المشابه لأمر إبراهيم عليه السلام من ذبح ولده إسماعيل، وكان يوسف على دراية بهذا التكليف فلا بد أن يمثل لهذا التكليف لأن يوسف يمرّ بنشوة من انتظار النبوة ويعرف بأن إخوانه مشغولون بالصيد والسباق والرعي وكل شيء إلا العلم وكسب الفضائل، ولن يقدر الله النبوة للاعبين، إنه يعرف بأنه هو بنفسه أكثرهم اهتماماً برسالة السماء وأعلامهم لياقة لأن يتعلم أصول النبوة والكتاب.

ولن يتحقق هذا الأمر إلا من هذا الطريق الذي اعتبره الأخوة هواً ولعباً؛ ليحصل على الدرجات التي لا ينالها إلا بهذا الابتلاء. كما ورد بحق الحسين عليه السلام ((أن لك درجات لا تنالها إلا بالشهادة)).

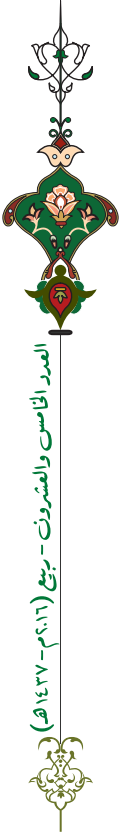
وحين انقطعت على يوسف عليه السلام

مراعاة أبيه حصل له الوحي من قبل مولاه، وكذا سنته تعالى أنه لا يفتح على نفوس أوليائه باباً من البلاء إلا فتح على قلوبهم أبواب الصفاء، وفنون لطائف الولاء.

٢. قد ثبت عندنا إن من إحدى علامات الإمام أنه لا يلهو ولا يلعب. فقد روى صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام، في ما يخص بعض صفات الإمام: ((الإمام لا يلهو، ولا يشغل وقته باللعب والمرح))، في حين وجدت رواية أن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد كان طفلاً، قد أخذ بعنزة مكية، وكان يقول لها: ((اسجدي لربي))، فأخذه الإمام الصادق عليه السلام وضمه إلى صدره، وقال: ((بأبي وأمي من لا يلهو ولا يلعب)) (٢٣).

وفي رواية أخرى: إنه بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام أتى جمع من الناس، كان من بينهم علي بن حسان الواسطي، أرادوا بزيارتهم

(٢٣) الأصول من الكافي ١: ٣١١، ح ١٥.



نعمَ المركوب، وكان يحببها ﷺ ونعمَ الراكبان (٢٥).

قلت: الروايات المشار إليها محل إشكال عندنا دلالةً وسنداً، فإن المعصوم حتى ولو كان صغيراً؛ إذ أنه لا يختلف حال صغره عن حال كبره في كمالاته الوجودية وصفاته الجمالية والجلالية (٢٦).

ومن هذه الروايات: (أن الحجة (عجل الله فرجه)، كان يلعب بأصابع أبيه، فكان يمنعه بذلك من الكتابة)). وهذا القول غير مقبول في حق خاتم الأوصياء، ولا يجوز نسبته إليه.

ويظهر من هذه الرواية أن الإمام العسكري (عليه السلام) قد جعل لعبة ابنه كرة ذهبية مرصعة بالجواهر والأحجار الكريمة، في حين أن سيرة الأئمة الأطهار أنهم لم يكونوا أهل الدنيا، ولا ممن يعيشون حياة الترف والغنى، فكيف يعقل أن تكون لعبة من ذلك النوع

امتحان الإمام، وكان الواسطي قد أحضر معه ألعاباً فضية قدمها هدية للإمام الجواد (عليه السلام)، وكان طفلاً، يقول الواسطي نفسه: إن الإمام غضب لذلك أشد الغضب، وأخذ يقلب تلك الألعاب يميناً وشمالاً، وقال: ((إن الله لم يخلقنا لهذا)). وقد ألححت عليه في طلب العفو والسماح كثيراً وما فارقت إلا بعد أن عفا عني وسامحني، فقام وأغلق بابه، فأخذت تلك الألعاب ورحلت)) (٢٤).

فإن قلت: انه ورد في بعض الروايات بعض المعصومين (عليهم السلام) كانوا يلعبون في صغرهم، ومن هنا استند الدكتور علي رضا باريكلو إلى جعل اللعب حقاً من حقوق الأطفال الثابتة، بقوله: لم يكتف النبي الأعظم ببيان أهمية اللعب للطفل بصورة نظرية، بل كان ﷺ يقوم بذلك عملياً، فكان يركب حفيديه الحسن والحسين (عليهم السلام) على عاتقه ويلعبهما، فكانا يقولان:

وبتلك القيمة (٢٧).

يعني أن الأئمة ومن قبلهم الأنبياء منتخبون من لدن الله تعالى، ودلت روايات من النبي الأكرم ﷺ على هذا، مما يعني أن لدى الأئمة والأنبياء الاطلاع والعلم الكامل بشؤون الأمة وسياستها؛ وما يوسف الصديق عليه السلام إلا غصن من أغصان شجرة النبوة ومعدن الطهارة، والذي يجري بحق آبائه من أحكام ومنها التنزه عن اللهو واللعب في أيام صغرهم، يجري في حقه كذلك وهذا يجب أن يكون واضحاً، وعلينا أن لا نتماشى مع مقولة أخوة يوسف ونصدقها، ونبين استنتاجاتنا وتفسيراتنا عليها.

وأن الذي ذكره بعض الأعلام من موعظة وعبرة فيما تقدم لا بأس به وحرى بالتدبر، لكنه غريب عن فحوى الآية ولا مساس له بها:

وكما أن بعض الاستظهارات ما هي إلا إسقاط لتنتائج البحث الفقهي

(٢٧) مجلة الاجتهاد والتجديد، العدد، ١٨، ص ٢٣٥، عبد المهدي جلاي.

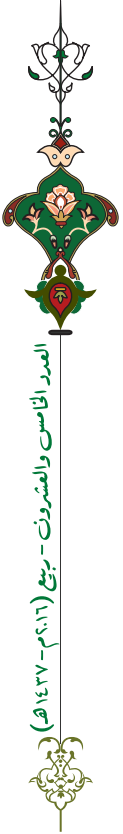
وتحميله على معنى الآية.

٣. أن الحالة التي جعلوها مناسبة للفترة والطبيعة الطفولية وهي اللعب لا تجري على الذوات الطاهرة من الأنبياء والأئمة بل وحتى بعض الأولياء والعباقرة. ففي صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه قال: إنا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين، فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين الحديث (٢٨).

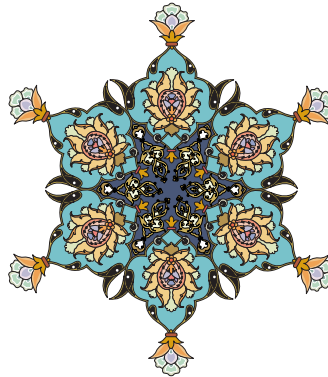
فمن هذه الرواية وغيرها نستشف أن قابلية صبيان الأئمة تختلف عن صبيان غيرهم، والمراد من الصبيان غير المعصوم بطبيعة الحال فالمعصوم لا يحتاج إلى أمر لا بالصلاة ولا بغيرها لأنه زق العلم زقاً وهو في أول ساعات نزوله لهذا العالم.

ومن ذكريات الطفولة في حياة السيدة زينب عليها السلام نقرأ في كتب التاريخ أنها سألت أباه ذات يوم أتعبننا يا أبتاه؟.

(٢٨) الوسائل ج ٣، ب ٣ من أبواب إعداد الفرائض.



فقال الإمام: وكيف لا أحبكم وأنتم ثمرة فؤادي؟
فقلت يا أبتاه، إن الحبّ لله تعالى، والشفقة لنا)).
٤. ما ذكره بعض العلماء فيما تقدم من أن أبناء يعقوب خدعوه؛ ظلم بحق نبي من أنبياء الله فالأنبياء لا يمكن خداعهم لا من القريب ولا من البعيد، لأنهم مُسدّدون من المولى عز وجل. وغير ذلك من الملاحظات التي لا تتسع هذه الأوراق لها.
وفي نهاية هذا البحث أقول: أنه ينبغي أن ننزه الأنبياء والأولياء وفق العقيدة الصحيحة وضمن إطارها الصحيح، وذلك من خلال متابعة جذورها وأسسها في الآيات الشريفة والروايات المباركة عن أهل بيت العصمة والطهارة، حتى نحافظ ونتعرف على تلك الأصلاب الشائخة والأرحام المطهرة والتي لم تنجسها الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسها المدلهمات من ثيابها. وملاحظة أن كل أفعال الأنبياء والأوصياء تجري وفق حركة غيبية ومخطط إلهي متقن لا سطحي ولا ساذج وإن كان بظاهره للوهلة الأولى - كذلك، ولكن بامعان النظر والتدبر والتعمق سوف يتضح غير ذلك تماماً. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وصلّ اللهم على الهداة المهديين محمد، وآله الطاهرين.



نافذة

المصباح

العرض والنقد والتعريف

المحتويات

• منهجية العلامة الطباطبائي التفسيرية و تطبيقاتها على إعجاز القرآن

سماحة السيد الاستاذ الدكتور محمد علي الحسيني

منهجية العلامة الطباطبائي التفسيرية

و تطبيقاتها على إعجاز القرآن

في ضوء علم اللغة التوحيدي

سماحة السيد الاستاذ المتمرس الدكتور محمد علي الحسيني

دكتوراه في علم اللغة التطبيقي من جامعة سنت اندروس (St Andrews) بريطانيا؛ استاذ في قسم اللغات - جامعة تربيت معلم طهران (خوارزمي)؛ رئيس مركز التعليم و الأبحاث في مسجد الإمام الرضا (عليه السلام)؛ طهران؛ ايران

خلاصة البحث:

لقد عالجت هذه المقالة المتواضعة (منهجية) العلامة الطباطبائي في تفسير القرآن عموماً، مطبقةً هذه المنهجية على موضوع (إعجاز القرآن) و مركزةً على (الآيات الخمس) من سورة البقرة (٢١ - ٢٥). و قد استنتجت منهجه؛ بأنه: (تفسير القرآن بالقرآن) أو: (التفسير الموضوعي التوحيدي) الذي يُعنى بتفسير الآيات (ذات الموضوع الواحد) طائفةً طائفةً، و إن كان يتبع ظاهراً التفسير (التجزئي) مبتدأً من باء البسملة إلى سين الناس حسب ترتيب الأجزاء الثلاثين.

و يقرّر بأن منهجه هذا يشبه منهج الأوائل من المفسرين؛ مستشهداً بكلام الإمام علي عليه السلام، بقوله: «يصف القرآن على ما في النهج ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض - الخطبة -». و قد نقد المناهج التي استدلت: (من كل شيء على كل شيء)، و تحمّل ما أنتجت الأبحاث العلمية و الآراء التي

لا تستند إلى مصادر الوحي الإلهي. وقد فُسِّر القرآن بأسلوب (توحيدي موضوعي) يختلف عن سائر التفاسير قبله؛ وعرِّف التفسير بتعريف جديد - مامضمونه -: «شرح للأذهان و تنوير لعقل الإنسان» و ليس بياناً للبيان أو تبياناً للتبيان - كما يدعي القرآن لنفسه و هو الحق - و إذا ما فُسِّر القرآن بالروايات الواردة عن المعصومين (عليه السلام) فهو أيضاً تفسير للقرآن الصامت بالقرآن الناطق. و ذلك بيان للمصاديق، و تأويل في التطبيق.

الكلمات المفتاحية:

الإعجاز، التأويل، التفسير التجزيئي، التفسير الموضوعي، السياق، علم اللغة التوحيدي، نظم القرآن.

المقدمة:

قبل معالجة موضوع إعجاز القرآن^(١) في التفسير و لاسيما في (الميزان) و منهجيته، لابدّ لنا من أن نعرض باختصار إلى ما امتاز به هذا التفسير الفريد؛ الذي هو بحق كاسمه الميزان بين سائر التفاسير القرآنية على كثرتها الكاثرة منذ صدر الإسلام إلى يوم الناس هذا. فقد وضع العلامة تلکم التفاسير (جُملة) في ميزان النقد و الانتقاد مبيّناً الهنات و النقاط الإيجابية فيها معاً.

موضوعات المقدمة:

و قد عرض صاحب الميزان في (مقدمته) لطبقات المفسرين و ذكر بعض أعلامهم المشهورة عبر العصور، و سار سيراً سَجُحاً مستعرضاً مذاهبهم المتنوعة و مشاربهم المختلفة في موضوع التفسير و علوم القرآن بإجمال، مبتدئاً بالطبقة الأولى من الصحابة، ثمّ الطبقة الثانية من التابعين و هكذا إلى يومنا العتيد، و أشار إلى البحوث المختلفة في المقام من أمثال (البحث الكلامي) و (البحث الفلسفي) و إلى أصحاب المشارب

(١) الإعجاز من مادة (عجز): «و العجز - بسكون الجيم - التأخر عن الشيء مطلقاً و صار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء و هو ضد القدرة» مفردات الراغب «و أعجزني: أي فاتني و عجزت عن طلبه و إدراكه و قصرت و تأخرت عنه» لسان العرب (المادة) و من المجاز (ثوبٌ عاجزٌ: قصير)، اساس البلاغة (المادة).

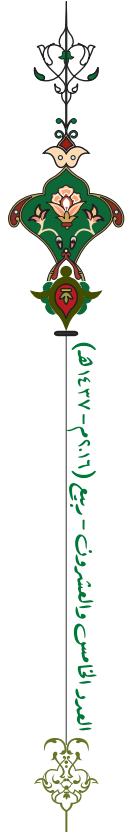
المتنوعة من (المحدثين) و (المتكلمين) و (الفلاسفة) و (المتصوفة) و أضرابهم. و نقد كل فرقه من هذه الفرق ولاسيما أولئك الذين أمعنوا في «الاستدلال من كل شيء على كل شيء حتى آل الأمر إلى تفسير الآيات بحساب (الجمل) و ردّ الكلمات إلى الزبر و البيّنات و الحروف النورانيّة و الظلمانيّة إلى غير ذلك»^(٢) من العلوم الغريبة و المشارب العجيبة، و التي صبغت تفاسير أصحابها بصبغة خاصّة طغت على سائر مناهج التفاسير الأخرى من حيث يحتسبون و من حيث لا يحتسبون. و من أشهرها التفسير بالمأثور من الحديث الشريف.

بيان منهجية العلامة:

فقد اختار العلامة لنفسه بعد ذلكم النقد (المنهج الموضوعي: التوحيدي) إضافة إلى الالتزام عموماً بالتفسير (التجزئي) حسب ترتيب الأجزاء و السور و الآيات، و صرح في (مقدمة الميزان) بأنّ منهجه هو: (تفسير القرآن بالقرآن) معتمداً المنهج الذي اتّبعه أئمة أهل البيت (عليهم السلام) و طائفة من أعلام الصحابة و التابعين؛ أمثال ابن عباس^(٣) تلميذ الإمام علي (عليه السلام) الذين انتهجوا منهجهم في تفاسيرهم؛ و بذلك نراه يفسّر (الآيات بالآيات) تفسيراً (توحيدياً موضوعياً) و بشكل مستدلّ و مفصّل مستوعب؛ بعكس ما كانت عليه بدايات التفسير من (الاختصار) و «الاستدلال بآية على آية و كذلك قليل من التفسير بالروايات المأثورة»^(٤).

الفرق بين التفسير و التأويل:

و هو لا يغفل تفسير (الآيات بالروايات) الواردة عنهم (عليهم السلام) و عن غيرهم مؤكّداً على أنّ بعضها من باب تبيان (المصاديق) و التأويل الذي يؤول إليه معنى الآيات؛ غير أنّه يعضد منهجه تفسير (الآيات بالآيات) هذا مستنداً إلى أمثال ما ورد في (نهج



(٢) مقدّمة الميزان - ص ٧.

(٣) ينظر المقياس، تفسير ابن عباس (المقدّمة).

(٤) الميزان - ج ١ - ص ٥.

البلاغة) و سائر المصادر المعتمدة بقوله: «وقال علي عليه السلام: يصف القرآن على ما في النهج: ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض -الخطبة -» (٥).

و يخلص أيضاً إلى أنّ تفسير (الآيات بالروايات) المأثورة و الواردة عنهم عليه السلام لا يخرج عن منهجه التوحيدي الموضوعي هذا، أي: (تفسير الآيات بالآيات) فهو أيضاً يرى أنّ (الروايات) المروية عنهم (كقرآن ناطق يفسر القرآن الصامت) و بذلك يكون المنهج المتبع هو هو عينه (٦).

و قد ميّز العلامة الطباطبائي رحمه الله في (ميزانه) بين اصطلاحى: (التفسير) و (التأويل). كما بحث بعد تفسير كلّ مجموعة من الآيات ذات (الموضوع الواحد) مطالب مختلفة بعد عرضه للبحث (الروائي) المرتبط بتلك الآيات المسوقة لهدف توحيدي مشترك، تحت عنوانات شتى من قبيل: (بحث فلسفي) و (بحث اجتماعي) و (بحث تاريخي) و (بحث علمي). و قد أكّد في (البحث الروائي) ذي الصبغة التأويلية التفسيرية على أنّ تلكم الروايات و لاسيّما الواردة عن أهل البيت عليه السلام هي بمثابة (المصدق) و (التأويل) و ليس هي من قبيل التفسير المصطلح.

مجمال المعارف التي بحثها العلامة في المقدمة:

لقد بحث العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان معارف قرآنية امتاز بها، و أجملها في (مقدمته) على اختصارها النسبي بأنّها تتعلّق بأسماء الله و صفاته و أفعاله و معارف الأمور و الخلق و معارف الوسائط و المجاري و الوسائل و معارف اللوح و القلم و أم الكتاب و المعارف المتعلقة بالإنسان قبل هذه الدنيا و العوالم المتقدمة و المعارف المتعلقة بالإنسان في هذه الحياة الدنيا التي هي دار ممرّ و مجاز و المعارف المتعلقة بعالم البرزخ و المعاد و يوم القيامة و الحساب و الجنة و النار بعد هذه الدنيا و آخرها المعارف المتعلقة

(٥) الميزان - ج ١ - ص ١١.

(٦) فقد جاء في المأثور من الأحاديث و الأدعية و الزيارات: (أنّ المعصومين من أهل البيت عليه السلام هم المفسرون و العالمون بالتأويل: «لا يعرف القرآن إلّا من خوطب به»، «السلام عليك أيها العالم بالتأويل»، مفاتيح الجنان، زيارة الإمام الحسن عليه السلام).



بالأخلاق الإنسانية^(٧) و مناهج (السير و السلوك) العرفاني و هو الفيلسوف المتكلم و الفقيه العارف و الجامع بين المعقول و المنقول.

و عادة ما يتناول هذه المعارف العالية و الحكمة المتعالية متأثراً بصدر الدين الشيرازي (ملا صدرا)^(٨) بعد مجموعات من الآيات التي يجمعها الغرض الواحد تحت عنوان مصطلح (بيان)^(٩).

و هذه المعارف المتعالية و إن كان قد تناولها بعض المفسرين من مختلف المشارب و المذاهب من قبله (مجتمعين) غير أنه تفرد بفكرة فريدة رائدة - على بساطها ظاهراً - بتساؤل منطقي علمي؛ مامضمونه أن حقيقة التفسير: هي (بيان) معاني الآيات و السور و توضيح معاني جميع القرآن. و القرآن نفسه يدّعي - و هو الحق - بأنه (بيان) و (تبيان) و (نور) و ما إلى ذلك من عبارات؛ فكيف يصح أن يحتاج البيان إلى بيان و التبيان إلى تبيان و النور إلى تنوير؟!.

و يستشهد العلامة على هذا الأمر بالآيات الكثيرة التي تُعرّف حقيقة القرآن بأنه ﴿بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٨] و ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل: ٨٩] و ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء: ١٧٤] ثم يعرض لهذا التناقض الظاهري: apparent paradox محلاً و مجبياً فيقول: «و حاشا أن يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء و لا يكون تبياناً لنفسه»، و قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [سورة البقرة: ١٨٥] الآية، و كيف يكون القرآن هدىً و بيّنةً و فرقاناً و نوراً مبيناً للناس في جميع ما يحتاجون و لا يكفيهم في احتياجهم إليه و هو أشدّ الاحتياج! و قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾

(٧) تنظر مقدّمة الميزان - ص ١ - ٢.

(٨) تنظر الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة، ج ١، المقدّمة، ط. (انتشارات بنیاد حکمت اسلامی صدرا).

(٩) تنظر هذه المعارف و الأبحاث القرآنية في جميع أجزاء الميزان، بعد عرضه للبحث الروائي و تفسيره للآيات ذات الموضوع التوحيدي العام.

لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿[سورة العنكبوت: ٦٩] الآية. وأىُّ جهاد أعظم من بذل جهد في فهم كتابه؟! وأىُّ سبيل أهدى إليه من القرآن؟^(١٠)!

حلُّ التناقض الظاهري:

و بعد ذلك يحلُّ هذا التناقض الظاهري: apparent paradox ببراعة فائقة بأنّه يجب تفسير القرآن بالقرآن نفسه، و تفسير الآيات بالآيات نفسها؛ و هو منهجه: (التوحيدي الموضوعي) في تفسير الميزان. و إذا ما استشهد بالروايات على الآيات (تفسيراً أو تأويلاً) فهو أيضاً لا يخرج عن منهجه هذا، كما أشرنا آنفاً إلى هذه النكتة المعرفية في منهجه.

و نحن نخلص من كلّ ذلك إلى هذا الجواب المقترح عنده: (التفسير: هو شرحٌ للأذهان، و تنويرٌ لعقل الإنسان) لا بيان للبيان و ليس تبياناً للتبيان: الذي هو القرآن الفرقان.

إلماعات لغويّة توحيدية:

و من أهمّ ما نريد أن نلمع إليه هنا في هذه المقالة المتواضعة هو اهتمامه (بالدلالات اللغويّة) للمفردات و التركيبات التي تشبه دراساتها عنده الدراسات اللغوية الحديثة في علم اللغة المعاصر: modern linguistics ولاسيما وفق ما نذهب إليه في منهجنا اللغوي الدلالي الذي يتبنى على (علم اللغة التوحيدي): unithetical linguistics و كذلك وعيه العميق إلى هذه المقولة التي تقول: يجب ألاّ نحمل تفسير نصوص القرآن ما انتجته الأبحاث العلميّة و النظريّات و الآراء التي لاتستند إلى مصادر الوحي الإلهي^(١١).

فراه يحاكم مفهوم التفسير المتعارف عند المفسرين من القدامى و المحدثين الذين (يحملون النصّ ما لا يحتمل) فيقول ناقدًا و منتقدًا: «هذه جملٌ ما ذكره

(١٠) مقدّمة الميزان، ص ١٠.

(١١) تنظر مقدّمة (علم اللغة التوحيديّ بين النظرية و التطبيق).

أو يستلزمه ما ذكره... وإنما الكلام في أن ما أوردوه على مسالك السلف من المفسرين أن ذلك (تطبيق) وليس بتفسير؛ وارد بعينه على طريقتهم في التفسير... وانت بالتأمل في جميع هذه المسالك المنقولة في التفسير تجد أن الجميع مشتركة في نقص و بئس النقص، وهو تحميل ما انتجته الأبحاث العلمية أو الفلسفية من خارج على مداليل الآيات، فتبدل به التفسير (تطبيقاً)... وكيف كان فهذا الاختلاف لم يولده اختلاف النظر في مفهوم: (- مفهوم اللفظ أو الجملة بحسب اللغة و العرف العربي -) الكلمات، أو الآيات فإنما هو كلام عربي مبین لا يتوقف في فهمه عربي ولا غيره ممن هو عارف باللغة و أساليب الكلام العربي... وإنما الاختلاف كل الاختلاف في (المصداق) الذي تنطبق عليه المفاهيم اللفظية^(١٢). و يستمر كراً و فرّاً على هذه الآراء الفاردة الرائدة ولا سيما بمعالجته موضوعاً أصولياً لغوياً^(١٣): (لسانياً): linguistic تعتمده الدراسات اللغوية الحديثة في مناهجها التحليلية الدلالية: analytical methodologies حيث يوضح ذلك بقوله: «توضيحه إنّ الأنس و العادة كما قيل يوجبان لنا أن تسبق إلى أذهاننا عند استماع الألفاظ (معانيها المادية) أو ما يتعلّق بالمادة، فإنّ المادة هي التي تتقلب فيها أبداننا و قوانا المتعلقة بها ما دمنا في الحياة الدنيوية، فإذا سمعنا الفاذ (السماء) و (الأرض) و (اللوح) و (القلم) و (العرش) و (الكرسي) و (الملك و أجنحته) و (الشيطان و قبيله و خيله و رجله) إلى غير ذلك، كان المتبادر إلى أفهامنا مصاديقها الطبيعية»^(١٤).

ثم يأتي بشواهد من (الآيات و الروايات) و كذلك من الأبحاث اللغوية، و دلالات الالفاظ المستعملة عبر تطوّر العصور و المجتمعات، و اقتضاءات الظروف

(١٢) مقدمة الميزان، ص ٨.

(١٣) فهو يدلي هنا بدلوه في (موضوع اللغة) و أصول الفقه في قسم (مباحث الألفاظ) و هو الأصولي الفقيه و الفيلسوف المفسر القرآن.

(١٤) مقدّمة الميزان، ص ٩.



الجديدة، ولاسيما بالإشارة إلى الدلالات و (العلامات) و (العلائم): signs، و هي التي تبحث حديثاً في علوم السيمانطيقية: semantics، و السيميوطيقية: semiotics أو ما نصلح عليه بعلم (السمات) توحيدياً: semiology فيقول: «و هذا شأننا في جميع الألفاظ المستعملة... فوضعنا الألفاظ (علائم) لمسمياتها التي نريد منها غايات و أغراضاً عائدة إلينا»^(١٥).

و هو لا يكتفي بإعطاء الفكرة اللغوية و المعاني المعجمية التي دعت إلى وضع المفردات في القواميس و المعجمات حسب؛ بل يذكر الأمثلة الدالة على ما يذهب إليه نظره (اللغوي التوحيدي) بقوله: «السراج أول ما عمله الإنسان كان إناءاً فيه فتيلة و شئ من الدهن تشتعل به الفتيلة للاستضاءة في الظلمة، ثم لم يزل يتكامل حتى بلغ اليوم السراج الكهربائي و لم يبق من أجزاء السراج المعمول أولاً الموضوع بإزائه لفظ السراج شئ و لا واحد. و كذا الميزان المعمول أولاً: و الميزان المعمول اليوم لتوزين ثقل الحرارة مثلاً: و السلاح المتخذ سلاحاً أول يوم: و السلاح المعمول اليوم إلى غير ذلك. فالمسميات بلغت في التغير إلى حيث فقدت جميع أجزائها السابقة ذاتاً و صفةً. و الاسم مع ذلك (باق) و ليس إلا لأنّ المراد في التسمية إنّما هو من الشئ (غايته) لا شكله و صورته. فهادام غرض التوزين أو الاستضاءة أو الدفاع (باقياً) كان اسم الميزان و السراج و السلاح و غيرها باقياً على حاله»^(١٦). فهذه الوحدة في الغرض، و الملحظ الواحد في الهدف: unithetical point of view هو الذي نبتّاه في علم اللغة التوحيدي: unithetical linguistics.

(١٥) مقدّمة الميزان، ص ٩ و كذلك ينظر في الموضوع كتاب: علم اللغة التوحيدي بين النظرية و التطبيق (المقدّمة).

(١٦) مقدمة الميزان، ص ٩. و قد تناول هذا الموضوع العلماء قديماً و حديثاً و وضعت النظريات في علم الدلالة المعاصر semantics و كذلك بحث الأصوليون هذا الموضوع في (مباحث الألفاظ) و أطنبوا فيها إطناباً يكاد لا يحمد عقباه.

المفهوم التوحيدي الغائي من الكلمات:

و بهذا المفهوم التوحيدي اللغوي: (الغائي) الذي يحكي عن حسّ العميق، و نظره الدقيق في سبب تسمية الأشياء و دلالاتها الأوليّة و تطوّر موادّها و صوّرها، يوضّح خطأ من يذهب من (الحشوية) و (المجسّمة) إلى المفاهيم الباطلة من الجمود على ظواهر الآيات في التفسير بالرأي، فيقول: «و ليس في الحقيقة جموداً على الظواهر؛ بل هو جمود على العادة و الأنس في تشخيص المصاديق»^(١٧).

بيان إعجاز القرآن في الميزان:

و بعد هذه (الفذلّة)^(١٨) في تبيان منهجيّة العلامة في تفسيره نحاول الآن أن نتناول موضوع الإعجاز بالدراستين الخارجية و الداخلية ممزوجتين معاً لنصوص (الآيات الخمس) في سورة البقرة (٢١ - ٢٥) ذات الموضوع (التوحيدي المشترك) في إعجاز القرآن عموماً، و ذلك بتحليل دلالات الآيات و الغاية التي تهدف إليها، (كأنموذج تطبيقي) لمنهج في التفسير التوحيدي الموضوعي. و هكذا هو يبدأ تفسيرها تحت عنوان (بيان) كسائر مباحثه التفسيرية لمجاميع الآيات ذات السياق الموحد المشترك: «قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا﴾^(١٩) إلخ، لما بيّن سبحانه حال الفرق الثلاث (المتّقين و الكافرين و المنافقين) و أنّ المتّقين على هدىً من ربّهم و القرآن هدىً لهم و أنّ الكافرين مختومٌ على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة و أنّ المنافقين مرضى و زادهم الله مرضاً و هم صمٌّ بكمٌ عمى و ذلك في تمام تسع عشرة آية (فرّع تعالى) على ذلك أن دعا الناس إلى عبادته...»^(١٩) فنراه قبل أن يمضي بشرح دلالات المفردات و التراكيب القرآنية و روابطها اللغوية و النحوية و البلاغية في تفسير هذه الآيات محلّ البحث؛ يتناول الآيات السابقة عليها أولاً كما

(١٧) مقدّمة الميزان، ص ٩.

(١٨) مصطلح يستعمله العلامة في ميزانه باستمرار، و هو (منحوت) من: (فذلك الذي...): «كالتكذية: أى أقول كذا»، ينظر كتابنا (دراسات و تحقيقات)، ص ٥.

(١٩) الميزان، ج ١، ص ٤٧.



يعرض للآيات اللاحقة بأسلوب (توحيدي موضوعي) يريك أنّ الآيات جميعاً بل السور كلها؛ بل القرآن جميعاً كنصّ إلهي واحد منسجم، أو قل سبيكة واحدة تهدف إلى (غاية واحدة) وهي (هداية الناس) جميعاً اختياراً: «هدى للناس» دعوة عامة نحو عبودية الرب الخالق؛ غير أنّ الذي يوفّق إلى ذلك منهم، و يفيد من القرآن الكريم تمام الفائدة هم المتّقون حسب «هدى للمتّقين» حيث يقول: «لما بين سبحانه حال الفرق الثلاث: (المتّقين و الكافرين و المنافقين) و أنّ المتّقين هم على هدى من ربهم و أنّهم هم المفلحون، و القرآن هو هدى لهم (غاية) و أنّ الكافرين مختوم على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة؛ و أنّ المنافقين مرضى و زادهم الله مرضاً و هم صمّ بكمّ عمى، و ذلك في تمام تسع عشرة آية (فرّع تعالى) على ذلك أن (دعا الناس) إلى عبادته و أن يلتحقوا بالمتّقين دون الكافرين و المنافقين بهذه الآيات الخمس إلى قوله: (خالدون)»^(٢٠) كرّاً و قرّاً إلخ.

فتفسيره هذه الآيات الخمس يبدأ بالربط بين الآيات السابقة و اللاحقة بإجمال و إدلال و دلّ و دلّال؛ فنجدّه يلخص تفسير (تسع عشرة آية سابقة) بعبارات موجزه غير مخلّة و بيانات مفصّلة غير ممّله، بقوله: «أن دعا الناس إلى عبادته» هدياً إشارة إلى (آيات الصوم) في هذه السورة المباركة (البقرة): «هدى للناس» ثم يؤكّد على أنّ الذين يفيدون حقّاً من القرآن (اختياراً) هم المتّقون: «هدى للمتّقين» في أول السورة. و يركّز على كلمتين كاصطلاحين متميّزين يلخصان هدف الكتب السماوية جميعاً و سنّة الأنبياء و المرسلين قاطبةً و هما: (الدعوى و الدعوة)^(٢١). و يريد بالدعوى ادّعاء النبوة و لابدّ من إثباتها بالدليل و البرهان عن طريق (المعجزات):

و الدعوى لولا يقام عليها بيّنات أنباؤها أدعياء^(٢٢)

(٢٠) ينظر الميزان، ج ١، ص ٤٧.

(٢١) ينظر الميزان، ج ١، ص ٦٩.

(٢٢) دراسات و تحقيقات، موضوع الإعجاز، ص ٦٧.

ثم يعرف المعجزة^(٢٣): على أنها تحد لجميع الإنس و الجن، و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً مستشهداً بالآيات المختلفة من سور القرآن الكريم في المقام، بعد التبكيت و التقرير و عجز الجميع عن معارضته^(٢٤) و عن الإتيان و لو بسورة واحدة قصيرة كسورة الكوثر و النصر و العصر و التوحيد، و بذلك تثبت (الدعوى) و بعد ثبوت الدعوى تصح (الدعوة) إلى عبادة الله وفق أوامر الدين و نواهيه؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] - أى ليعرفوني -^(٢٥). و يدلي بدلوه في تفسير هذه الآيات الخمس ملخصاً تفسير الآيات السابقة في تمام تسع عشرة آية، فيقول: «فرع تعالى على ذلك» فكأن الفكرة عنده و هي التي تتضمنها الكلمة: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢٦) تَوَاتَى أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا [سورة ابراهيم: ٢٤] كما جاء مثلها في القرآن الكريم و ما أروع ثمرة (العبادة) و (العبودية) و الدعوة إليهما: و «العبودية جوهرية كنهها الربوبية»^(٢٦) و الله سبحانه لا يكره العباد على العبودية، بل يريد منهم اختياراً أن يلتحقوا جميعاً بالمتقين دون الكافرين و المنافقين و يستمر في تفسيره هذه الآيات الخمس مركزاً على (موضوع الإعجاز) بقوله هذا: «فأتوا بسورة من مثله في هذه الآيات الخمس: أمر تعجيزي لإبانة إعجاز القرآن، و أنه كتاب منزل من عند الله لا ريب فيه إعجازاً باقياً عبر الدهور و توالي القرون»^(٢٧). و قد تكرر في كلامه عليه السلام أمر (الإعجاز و التعجيز) و رابطة (الدعوى و الدعوة) كما يستدل بتفسيره هذا بفكرة النظم و السياق: context «و هذا السياق يعطي كون قوله: «لعلكم تتقون» متعلقاً بقوله:



(٢٣) ينظر تعريف المعجزة الخالدة عند الشهرستاني، ص ٥.

(٢٤) ينظر التعريفات للرجزاني، ص ٧٤.

(٢٥) أمالي الهادي، ص ٣٦، ط ٢.

(٢٦) أعيان الشيعة، ج ١، ترجمة حياة الإمام الصادق عليه السلام.

(٢٧) الميزان، ج ١، ص ٤٧.

«اعبدوا» دون قوله «خلقكم» و إن كان المعنى صحيحاً على كلا التقريرين^(٢٨).
و بهذا نجده يفيد من (سياق النصوص) و منهجية التحليل و القراءة القرآنية الخاصة، معتمداً النظرية التوحيدية اللغوية و كأنه يتبع آخر ما توصل إليه علم اللغة الحديث: modern linguistics و ذلك بدراسات المفردات القرآنية واحدةً واحدة من خلال تركيبها في الآيات، و يشير إلى دلالاتها البنيوية المورفولوجية morphological و ربط بعضها البعض في دلالات تركيبية ستناكتيكية: syntactic نظراً إلى المعاني السيميائية: semantic من خلال القواعد النحوية و (الدلالة السيميائية) semiotic غير متغافل عن الدراسات الأصواتية (الفموية) phonetic التي يعرض لها في مواطن متعدّدة من تفسيره، ولاسيما في (أوائل السور) التي وردت فيها (الحروف المقطّعات)؛ لأنّ (الخطاب الإلهي) قد اعتمدها كرموز ذات دلالات و معاني متعدّدة مرتبطة بمعاني السور التي وردت فيها، فقد ذكر العلامة أنّها نيّفت على العشرين^(٢٩)، و من خلال المباني هذه ينتقل إلى المعاني (التوحيدية): فيقول: «الأنداد جمع ند كمثل (وزناً) و (معنى)»^(٣٠) و بهذا الإجمال الجميل الذي يشبه السهل الممتنع بالدليل، و بهذا الإيجاز الذي يشبه الإعجاز، نراه يذهب إلى الهدف التوحيدي من خلال (السياق) النصّي: contextual بقوله: «و عدم تقييد قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بـقيد خاصّ، و جعله (حالا) من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا﴾ يفيد التأكيد البالغ في النهي بأنّ الإنسان و له (علم ما) كيف ما كان لا يجوز له أن يتخذ الله سبحانه أندادا»^(٣١).

إفادته من السياق توحيدياً:

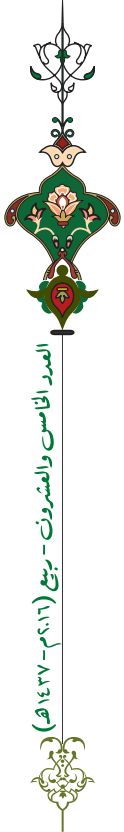
و بهذه النتيجة المنطقية التوحيدية و العقلية المعرفية العرفانية يصل إلى الهدف

(٢٨) الميزان، ج ١، ص ٤٧.

(٢٩) تنظر أوائل سورة الشورى في المقام في تفسير الميزان.

(٣٠) الميزان، ج ١، ص ٤٧.

(٣١) الميزان، ج ١، ص ٤٧.



الموضوعي التوحيدي من السياق: unithetical context و يربط بين هذا النظم المعجز في القرآن الكريم، و النظم المعجز في النظام الكوني العام، و يرى أن (التوحيد التكويني) يرتبط (بالتوحيد التدويني) و هما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة: two faces of one coin^(٣٢) فيقول: «و الحال أنه سبحانه هو الذي خلقهم و الذين من قبلهم ثم نظم النظام الكوني لرزقهم و بقائهم»^(٣٣). فنجد في هذه العبارات التفسيرية الموجزة يذهب مذهباً فطرياً توحيدياً، و ينهج منهجاً منطقياً سليماً، فيربط كلمة (الناس): بالعبادة و (العبادة) بالرّب و (الرّب) بالخالق الذي خلق الوجود جميعاً، بشكلٍ بنوي تحليلي: analytical structural عند معالجة الآية الأولى، من الآيات الخمس، محلّ البحث و الدرس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢١]. و يخلص من كلّ ذلك إلى هدفية (العبادة) من الخلقة، و من هدفية العبادة إلى هدفية (المعرفة) و تراه يفسّر هذا النصّ من خلال سائر النصوص القرآنية و يستشهد بآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦] و ينصّ على أنّ معنى «ليعبدون» أي: ليعرفوني^(٣٤)، كما يذهب إلى ذلك كثيرٌ من المفسّرين المتعرّضين إلى هذه الآية الكريمة^(٣٥).

و هذه الروابط البنيويّة التي يفهمها من (السياق) تعتمد ما يسمّى حديثاً بالمكوّنات أو المؤلّفات المباشرة: immediate constituents سواءً ما كان بين الأصوات و المعاني أو المفردات و التراكيب؛ فنراه يفيد من هذا النصّ القرآني العام: «يا أيّها الناس» الخطاب العامّ لكلّ الناس بأنّهم مأمورون بعبادة الله الذي هو (الرّب) بقوله تعالى ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ اختياراً، و يشير إلى هذا (الربط الموصولي) و إلى الأسم الموصول و

(٣٢) و هذه المنهجية هي التي تبنتي عليها نظريتنا اللغوية: unithetical linguistics.

(٣٣) الميزان، ج ١، ص ٤٧.

(٣٤) أمالي الهادي، ص ٣٦.

(٣٥) ينظر أمالي الهادي، ص ٣٦.



صلته: «الذي خلقكم و الذين من قبلكم» للترجي و الرجاء المثمر بالتقوى: «لعلكم تتقون» هدفاً خلقياً معرفياً، و يؤكد هذا التفسير بقوله: «هذا السياق يعطي كون قوله: «لعلكم تتقون» متعلقاً بقوله: «اعبدوا» دون قوله «خلقكم» ثم يدع الباب مفتوحاً للاحتمالات الأخرى الواردة في التفاسير السابقة، أو التي قد ترد في القابل، فيقول: «و إن كان المعنى صحيحاً على كلا التقريرين»^(٣٦) إشارة إلى إفادة الأمر في (اعبدوا) الربّ أو الخالق، و إن كان الربّ هنا هو الربّي و هو الخالق البارئ المصور.

تفسير آيات الإعجاز بتحليل تركيبها ونظمها:

ثمّ بعد ذلك يتناول معنى المعجزة و الإعجاز و التعجيز (موضوع البحث) بعد تناوله الآية الثانية من هذه الآيات الخمس التي تنصّ على أنّ الذي «خلقكم» و الذين «من قبلكم» هو الذي «جعل لكم الأرض فراشاً» و «السماء بناءً» و هو الذي (أنزل من السماء ماءً) و الهدفية من كلّ ذلك الأمر التوحيدي و النظم التكويني هي هذه (الثمرات) المتنوّعة، بقوله: «فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم» سبباً ترتيبياً (بدلالة فاء العطف التي تدلّ على الترتيب)، و يرى من هذه العبارات و الإشارات و الدلالات اللغوية؛ هذه النتيجة (التوحيدية المعرفية) المنطقية «فلا تجعلوا لله انداداً» و أنتم تعلمون» و يرى أيضاً أنّ هذه المفردات القرآنية و الكلمات المنظومة بهذا النظم المعجز هذه الغاية المتعالية التي توحىها هذه الآيات و سائر الآيات المرتبطة بها بوساطة (الأسماء الموصولة) وصلة الموصول؛ حيث يأخذ بعضها برقاب بعض إلى هذه النتيجة: أنّ الهدف من هذه العبارات و المفردات القرآنية المنظومة التي يهدف إليها الذي «خلقكم و الذين من قبلكم» هو الذي أوجب عبادته فطرياً و عقلياً، و أنّ الهدفية من كلّ ذلك هي (التقوى) و ما أدراكها من غاية سامية و إن كانت (غاية متوسطة في المقام)، و أنّ الهدف من (التقوى) هو (المعرفة السامية): و هي من ألدّ (الثمرات) التي أخرجها سبحانه و تعالى (بهاء السماء) الذي أنزله، و هو السبب الأساس للحياة



المادية و المعنوية و (الغاية) من كل هذا الوجود: هو (الإنسان الكامل) الخليفة الذي (علّمه الأسماء كلّها) ^(٣٧) و خلق الأشياء لأجله: «خلقت الأشياء لأجلك و خلقتك لأجلي» ^(٣٨) لهدف تكميل (الفعل و المفعول) لا (الفاعل) الغني على الإطلاق الذي كان كنزاً مخفياً فخلق الخلق من أجل (المحبة و المعرفة): «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكى أعرف» ^(٣٩) و الإنسان الكامل هو غاية هذا الكنز المخفيّ.

و هذا ما نجده في تضاعيف هذا التفسير التوحيدي الممتاز، فهو يشير إلى هذه الدلالات بهذه الآيات و المفردات التي تعتمد الضمير (كم) للناس المخاطبين: (ربكم، خلقكم، من قبلكم، لعلكم، لكم، جعل لكم، رزقاً لكم). فهذا الرب (ربكم) و الخالق (الذي خلقكم) هو الذي جعل الأرض فراشاً و مهّدها (للإنسان الخليفة) الذي علّمه الأسماء كلّها، و علّمه البيان و (استعمره في الأرض) التي أنزل عليها الماء من السماء سبب الحياة ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠] و ربط به بين السماء و الأرض، و أخرج بواسطة (الماء) هذه (الثمرات) المادية و المعنوية، لكى يعرج الإنسان عن طريق العبادة و الصلاة التي هي (معراج المؤمن) التقي إلى أسمى الدرجات و بهذه التعاليم السماوية الدينية يحصل الربط بين (الفرش) «جعل لكم الأرض فراشاً» و (العرش) «و السماء بناءً» و استخدم القرآن الكريم هنا كلمة (السماء) بدل (العرش) لكى تتساق و (تتناسق المفردات) هنا توحيداً و جرساً و دلالةً و سعةً؛ ولاسيما بين (السماء) و (الماء) الذي هو بطبيعته ينزل من الأعالي: السموات إلى النواصي: الجهات و الجهات المستعدة لكى يثمر الثمرات اليانعة، فدلالة «فأخرج به» الضمير يعود إلى الماء سبب (الثمرات) و الغاية منها هو الرزق المادي و المعنوي، و إذا كان الماء سبباً للحياة، فمسبب الأسباب هو (الحَيُّ الذي



(٣٧) أمالي الهادي، ص ٣٥.

(٣٨) الجواهر السنينة، ص ٣٦١.

(٣٩) الكلمات المكنونة، ص ٣٥، للفيض الكاشاني.

لا يموت). و الإنسان من دون (رزق) يموت بكلّ المعاني، و الرّازق على الإطلاق هو الله سبحانه و تعالى. و هو الذي ذكر في بداية هذه السورة (البقرة) أنّ القرآن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ و بوساطة (فلاحة الأرض) مادياً و معنوياً يكونون من المفلحين ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١ - ٥]. و عن طريق (عمران المساجد) بالصلاة و السجود و العبادة، و سائر التعاليم الدينيّة و الأوامر و النواهي الإلهيّة و بها يستعمرون الأرض ﴿وَأَسْتَعْمِرُكُمْ فِيهَا﴾ [سورة هود: ٦١] بالمعنى القرآني الإيجابي غير المعنى المحرّف المتدهور للإستعمار اليوم. كلّ ذلك ببركة (العلم) الفطري الربّاني «و انتم تعلمون» فيقول العلامة رحمته: «بأنّ الإنسان و له علمٌ كيف ما كان لا يجوز له أن يتّخذ لله سبحانه (انداداً). و الحال أنّه سبحانه هو الذي (خلقهم) و (الذين من قبلهم) ثمّ نظّم النظام الكوني لرزقهم و بقائهم» (٤٠).

تفسيره التوحيدي للإعجاز و التعجيز:

و بعد كلّ هذا الكرّ و الفرّ من (الإشارات العرفانية التوحيدية)، ينطلق العلامة إلى موضوع الإعجاز تفصيلاً و يفسّر الآية الثالثة من هذه الآيات الخمس: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا زَكَّيْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ و يفسّر (التعجيز) بأسلوب: (إبانة الإعجاز) عن طريق التحديّ و التبكيث و التقريع ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾: فهو يعرض للتعجيز على أنّه أشبه (بالصرفة) (٤١) برأى السيّد المرتضى أى صرفهم و هم غير قادرين على أن يأتوا بمثله. و يشير إلى دور (لن) من ادوات النفي التي تفيد (نفي التأييد) على رأى الزمخشريّ و كثير من المفسّرين فأراحهم و خفف عنهم المؤونة. و لكى يعبدوا الله و يتّقوا بذلك النّار ﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾. و يشير ختاماً إلى بقية هذه الآيات الخمس بالبشرى للمؤمنين ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ التي لهم فيها (ازواجٌ مطهرة). و بذلك يلمح إلى أنّ من دلالات (مصطلح

(٤٠) الميزان، ج ١، ص ٤٧.

(٤١) ينظر دراسات و تحقيقات، ص ٧١.

القرآن^(٤٢): أنه يجمع بين الدنيا والآخرة و يعرض لجزء الكافرين و المؤمنين و سَمِّي القرآن قرآناً لجمعه بين القرائن بمختلف اللغات والدلالات^(٤٣)، و يختم العلامة بحث الإعجاز هنا في هذه الآيات الخمس ليعالجه في آيات أخرى أشار لها هنالك و عرض لها بإجمال و إدلال و دَلٌّ و دلّال.

نبذة في وجوه الإعجاز في الميزان:

و بعد هذه الإلماعات و الإلماحات الرائعة لموضوع الإعجاز و التعجيز يفصل القول في ماهيتهما تحت هذا العنوان: (الإعجاز و ماهيته) بشكل عامّ، ثمّ ينطلق بشكل منهجي توحيدي إلى تبيان (إعجاز القرآن) و وجوه الإعجاز المتضمنة للتحديّ و عدم المعارضة و يذكر منها إعجازه (بالعلم) و المعارف القرآنية، و كذلك يشير إلى إعجاز (من أنزل عليه) القرآن. - و هو النبي محمد ﷺ الذي نشأ في عصر الجاهلية و المحيط البعيد عن كلّ اسباب الحضارة و المدنية مفصلاً القول في تلكم السليّات التي لا يمكن لها أن تخرج رجلاً بهذه الأوصاف كمحمد ﷺ من دون مدد الهي و إعجاز ربّاني. و بعد ذلك يجمّل البحث في وجوه إعجاز القرآن تحت عنوانات شتى منها (تحديّ القرآن بالإخبار عن الغيب) و (تحديّ القرآن بعدم الاختلاف فيه) و (التحديّ بالبلاغة) ثمّ يركّز على نكتة كلامية فلسفية يبيّن فيها (حقيقة المعجزة و الإعجاز) على أنّهما لا يناقضان (قانون العلّية العامّ) بل يصدّق القرآن الكريم هذا (القانون العلّي) التوحيدي الذي (يخرق العادة) الطبيعية؛ و لكنّه لا ينقض قانون الفطرة و العلّية العامّ في الوجود. فلا بدّ من وجود (علّة لكلّ معلول) و (علّة العلل) جميعاً هو الله تعالى: prima causa.

كما يسند كلّ العلل المادية و غيرها بالتّالي إلى الله تعالى و هو الذي يؤيّد (نفوس

(٤٢) تنظر في دلالات القرآن اللغوية و المجازية مفردات القرآن للراغب الأصفهاني و أساس البلاغة، للزمخشري (المادة)، و إعجاز القرآن للباقلاني (المقدمة).

(٤٣) ينظر علم اللغة التوحيدي (مصطلح القرآن).

الأنبياء) بقوة الاتيان بالمعجزات و خرق العادات، كدليل على صحّة (دعواهم و دعوتهم). ليحقّ الحقّ بكلماته^(٤٤). و في الوقت نفسه يصرّح بأنّ القرآن الكريم يسند المعجزة إلى (سبب غير مغلوب) و إن كانت تلکم المعجزات تستند إلى الأسباب الطبيعية الظاهرية التي تحكي عن (ارادة الله و أمره) و كلّ ذلك بعد التحديّ و عجز الآخرين عن الاتيان بمثلها بقوله: «إذا كان هناك تحدّ تبني عليه صحة النبوة و الرّسالة و الدّعوة إلى الله تعالى»^(٤٥) و يؤكّد على أنّ القرآن (معجزة خالدة) من ناحية و أنّه (برهان و دليل قاطع على صحة دعوى الرّسالة المحمّدية) من ناحية أخرى و بواسطة القرآن تثبت معجزات الأنبياء السابقين الذي قرّر وجودها سابقاً فيقول: «و هذا هو الذي بعث الأمم إلى سؤال المعجزة على صدق دعوى النبوة... فقد تبين بما ذكرناه أولاً التلازم بين صدق دعوى الرّسالة و بين المعجزة فإنّها الدليل على صدق دعواها لا يتفاوت في ذلك حال الخاصّة و العامّة في دلالتها و إثباتها و ثانياً أنّ ما يجده الرّسول و النّبي من الوحي و يدركه منه من غير سنخ ما نجده بحواسنا و عقولنا النظرية و الفكرية»^(٤٦).

تفنيذ القراءات التي لاتستند إلى الوحي (الهرمنوطيقة):

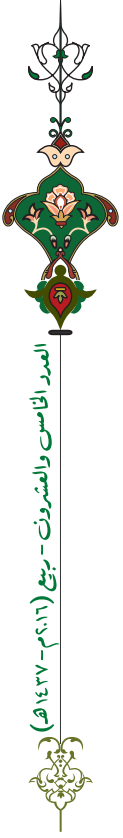
و بذلك يفنّد قول من يقول بأنّ النبوة نبوغ فكري و صفاء ذهني يستحضر به الإنسان (المسمّى نبياً) كمال قومه الاجتماعي و يريد أن يخلّصهم من ورطة الوحشية و البربرية إلى ساحة الحضارة و المدينة^(٤٧). فنجده يعرض للرأى المخالف أولاً بوضوح ثمّ يرّد عليه بالدليل و البرهان المنطقي، فانظر إلى هذه الهرمنوطيقة: (hermeneutic) و الفكر المادي غير الإلهي الذي يخالف الحقّ و الحقيقة كيف ينقله بأمانة، و يطرحه كما هو عند اصحابه فيقول بالنصّ الوارد عنهم حرفياً: «أولاً أنّ

(٤٤) ينظر سورة الأنفال، الآية ٧.

(٤٥) الميزان ج ١، ص ٦٦.

(٤٦) الميزان، ج ١، ص ٦٩.

(٤٧) الميزان، ج ١، ص ٧٠.



النبي إنسان متفكر نابغ يدعو قومه إلى صلاح محيطهم الاجتماعي و ثانياً: أنَّ الوحي و انتقاش الأفكار الفاضلة في ذهنه و ثالثاً: أنَّ الكتاب السماوي مجموع هذه الأفكار الفاضلة المنزَّهة عن التهوسات النفسانية و الأغراض النفسانية الشخصية و رابعاً: أنَّ الملائكة التي أخبر بها النبي قوى طبيعية تدبر الأمور الطبيعية، أو قوى نفسانية تفيض كمالات النفوس عليها، و أنَّ روح القدس مرتبة من الروح الطبيعية المادية تترشح منها الأفكار المقدسة... (و على هذا الأسلوب فسَّروا الحقائق التي أخبر بها الأنبياء كاللوح و القلم و العرش و الكرسي و الكتاب و الحساب و الجنة و النار بما لا يلائم الأصول المذكورة) و خامساً: أنَّ الأديان تابعة لمقتضيات اعصارها تتحول بتحولها. و سادساً: أنَّ المعجزات المنقولة عن الأنبياء المنسوبة إليهم خرافات مجعولة أو حوادث محرَّفة لنفع الدين» (٤٨).

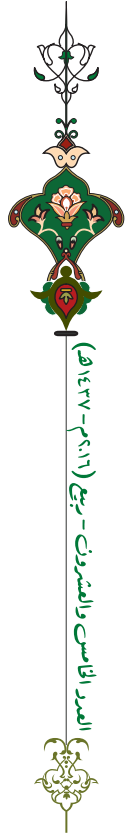
ونحن أنما فصلنا القول في هذا الجانب من منهجه في النقد و التفسير؛ لأهميته ما تفرَّد به العلامة **ثُمَّ** في أسلوب الردِّ العلمي و النقد المنطقي للأفكار المنحرفة التي تتعالى اليوم هنا و هناك في (فهم الوحي) و (معنى النبوة) (٤٩) المتأثرة بآراء الغربيين أو المستغربين و الذين هم من انصاف المثقفين الذين يظنون أنَّهم بلغوا الذروة في العلم و الفلسفة (و إن حملوا الشهادات العالية) فهم من مصاديق قول الشاعر:

وَقُلْ لِمَنْ يَدْعِي فِي الْعِلْمِ فَلِسْفَةً حَفِظْتَ شَيْئاً وَ غَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

فهو رضوان الله تعالى عليه يقول ناقداً و يصرح منتقداً - و هو النيقد الحكيم - و كأنَّه ينقد بدقة بعض آراء المعاصرين لنا اليوم فيقول: «هذه جمل ما ذكروه. و النبوة بهذا المعنى؛ لأنَّ تسمي لعبة سياسية أولى بها من أن تسمي نبوة الهية، و الكلام التفصيلي في اطراف ما ذكروه خارج عن البحث المقصود في هذا المقام و الذي يمكن أن يقال فيه هاهنا أنَّ الكتب السماوية و البيانات النبوية الماثورة على ما بأيدينا

(٤٨) الميزان، ج ١، ص ٧٠.

(٤٩) الميزان، ج ١، ص ٧٠.



لا توافق هذا التفسير و لا تناسبه ادنى مناسبة. و إنّما دعاهم إلى هذا النوع من التفسير إخلادهم إلى الأرض و ركونهم إلى مباحث المادة، فاستلزم إنكار ما وراء الطبيعة و تفسير الحقائق المتعالية عن المادة بما يسلخها عن شأنها و تعيدها إلى المادّة الجامدة^(٥٠). و بهذه النظرية التوحيدية الموضوعية في التفسير و المنهجية الملتزمة بها، و النابعة عنها في التأويل، و التي عاجناها إجمالاً و في هذه المقالة المتواضعة نختم حديثنا آمليين أن نوفّق في قابل إلى استيفاء الموضوع حقه و أداء البحث ما يستحقّه.

نتيجة البحث:

لقد تبينّ ممّا سبق إجمالاً أنّ الكلام على موضوع الإعجاز كلام خطير و جدير بالبحث و التنقير، تتصل بأبحاثه بموضوعات كلامية فلسفية تباشر عقيدة الأئمة و موقفها من (النبوة) و (النبيّ) من ناحية و بالفصاحة و البلاغة و نظرية النظم و السبك و الأسلوب البياني و القيم الجمالية و الجلالية، و المعارف القرآنية من ناحية أخرى.

و الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى مبشرين و منذرين اصطدموا بمشاكل و عقبات اضطرتهم إلى (تحدي المعاندين) و المنكرين و الكافرين و المنافقين؛ فكان لابدّ من دعم سماوي يقوم دليلاً على صدق نبواتهم (دعوى) و صلاح (دعوتهم) عقلاً. و البرهان الساطع و الدليل القاطع على ذلك كلّّه هو (المعجزة) التي يأتون بها للناس جميعاً و لا تكون المعجزة معجزة إلاّ بعد (التحديّ) و سلامته من (المعارضة)^(٥١).

و لولا دليل (المعجزات) لكثرت الأدعياء و المتنبّون، و انقادت السُدج من الناس وراء الأحابيل و الأباطيل^(٥٢). و لاسيّما أن منصب النبوة منصب ديني و دنيوي، و زعامة عالمية كبرى يطمح فيها الطامعون و يطمح إليها الطامحون؛ لذلك وجب

(٥٠) ينظر التعريفات للجرجاني، ص ٧٤. دراسات و تحقيقات ص ٧٢.

(٥١) تنظر التعريفات للجرجاني، ص ٧٤. دراسات و تحقيقات ص ٧٢.

(٥٢) تراجع مقدّمة الميزان.

على الله (لطفًا) أن ينصر دعائه بالمعجزات؛ و يفضح (الأدعياء) بالعجز، و هذا ما صرّح به القرآن الكريم من إحقاق الحقّ: ﴿يُحَقِّقُ الْحَقَّ يَكَلِّمُنِي﴾ [سورة الأنفال: ٧] و ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٤٢].

و إلى ذلك يشير السيّد هبة الدين الشهرستاني في تعريف المعجزة بأنّها: «عبقريّة من أعمال النّبي متى سطع نورها على أبصار الناظرين أورثت فيهم دهشةً تسوقهم إلى الإذعان»^(٥٣).

و كانت طبيعة المعجزات تتناسب مع الأقوام و الأمم السابقة و شيوع العلوم في زمانها^(٥٤). و هذه سنّة الله تعالى في سيرة (أنبيائه) و محجّته الواضحة في رسله. فكانت مثلاً (العصا و اليد البيضاء) التي ظهرت على يد موسى عليه السلام؛ لشيوع السحر و السحرة في زمانه و معجزات عيسى عليه السلام إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى؛ لانتشار الحكمة و الطب في عصره.

و أمّا معجزة نبيّنا محمد ﷺ فالقرآن الكريم، و هو المعجزة الخالدة لشيوع البلاغة و الفصاحة بين العرب، و استشهادهم بالأمثال و الأشعار و الخطب، و ما إلى ذلك. فهي معجزة كلامية خالدة باقية (دعوى و دعوة) و متجدّدة في كلّ عصر و مصر؛ لما يظهر من وجوه الإعجاز الطريفة التي تؤيّد بها العلوم الحديثة؛ لكن أشهر هذه الوجوه، أو من أشهرها هو الإعجاز القولي و النظم الكلامي: «فهو أن يرتقي الكلام في بلاغته إلى أن يخرج عن طوق البشر و يعجزهم عن معارضته»^(٥٥).

و قد أبدع في نظرية (نظم القرآن) هذه عبد القاهر الجرجاني المتوفى (٤٧١ هـ) و خلاصتها عنده هي (توحي معاني النحو) التي تشبّها النظرية البنوية المعاصرة في علم



(٥٣) المعجزة الخالدة، ص ٥.

(٥٤) تراجع مقدّمة إعجاز القرآن للباقلاني. المسمّى: النكت في إعجاز القرآن.

(٥٥) التعريفات للجرجاني، ص ٧٤.

اللغة structuralism غير أنه يمتاز عن سائر القائلين من المعاصرين بأنها: (توّخي معاني النحو الموصلة إلى فهم إعجاز القرآن بالחסّ الروحاني و الذوق البلاغي) (٥٦). و قد عرض لها تطبيقاً في كتابيه الشهيرين: (دلائل الإعجاز و اسرار البلاغة) (٥٧).

و قد كثرت اليوم البحوث الأكاديمية و الدراسات الجامعية و الحوزوية التي تتخذ من مناهج البلاغة و علمائها ميداناً فسيحاً لعرض جوانب من (إعجاز القرآن) و أثره الخالد، و كمثال على ذلك بحث الدكتور مصطفى الصاوي الجويني: (منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان إعجازه) و هناك دراسة مستوعبة (لتاريخ فكرة إعجاز القرآن) عبر العصور و إلى عصرنا العتيق (٥٨). و إنّ مقالتنا هذه لتمتاز في نظرنا ببيان (منهجية العلامة الطباطبائي) و تطبيقاتها على إعجاز القرآن الكريم في ضوء علم اللغة التوحيدي: unithetical linguistics الذي طبعناه في كتاب منفرد و مقالات متعددة في مختلف اللغات.

من أهم المصادر و المراجع:

١. الزمخشري، أساس البلاغة، ط. صادر، بيروت.
٢. عبد القاهر الجرجاني، اسرار البلاغة، ط. دار المنار، القاهرة.
٣. الباقلائي، إعجاز القرآن، ط. القاهرة.
٤. الدكتور خفي محمد شرف، إعجاز القرآن البياني بين النظرية و التطبيق، ط. القاهرة.
٥. الخطيب، إعجاز القرآن في دراسة كاشفة لأسرار البلاغة و معاييرها، ط. القاهرة.
٦. السيد محسن الأمين العاملي، أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
٧. العلامة التبريزي، أمالي الهادي، ط ٢. طهران، ١٤٢٧ هـ. - ٢٠٠٦ م.

(٥٦) تنظر دراسات و تحقيقات، ص ٧٥ و كذلك مقدّمة دلائل الإعجاز و اسرار البلاغة.

(٥٧) المصدر السابق، ص ٧٧.

(٥٨) تراجع مقدّة تاريخ فكرة إعجاز القرآن للحمصي.

٨. الحمصي، تأريخ فكرة إعجاز القرآن، ط. القاهرة.
٩. ابن الزمكاني، التبيان المطلع على إعجاز القرآن لابن الزمكاني، تحقيق الدكتور أحمد مطلوب، ط. بغداد.
١٠. الشريف الجرجاني، التعريفات، ط. القاهرة.
١١. محمد بن الحسن الحر العاملي، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، ط. منشورات مكتبة المفيد، قم.
١٢. صدر الدين محمد الشيرازي (ملاصدرا)، الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة، ط. انتشارات بنیاد حکمت اسلامی ملاصدرا، ١٣٣٨ هـ. ش.
١٣. الدكتور محمد علي الحسيني، دراسات و تحقيقات، ط. دار التراث الإسلامي، بيروت، ١٩٧٤ م.
١٤. الدكتور محمد علي الحسيني، علم اللغة التوحيدي بين النظرية و التطبيق، ط. قم، ١٩٩٧ م.
١٥. الكاشف عن الفاظ نهج البلاغة، ط. طهران.
١٦. الفيض الكاشاني، الكلمات المكنونة، انتشارات فراهاني، ط. طهران.
١٧. ابن منظور، لسان العرب، ط. بيروت.
١٨. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ط ٢. تحقيق محمد فؤاد سزگين. ط. ١٩٩٧ م.
١٩. الرازي، مختار الصحاح، ط. القصبياتي.
٢٠. الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران.
٢١. السيد هبة الدين الشهرستاني، المعجزة الخالدة، ط. بغداد.
٢٢. ابن فارسي، معجم مقاييس اللغة، ط. القاهرة، ١٩٤٨ م.
٢٣. الشيخ عباس القمي، مفاتيح الجنان، ط. مكتب القرآن، ط. طهران.
٢٤. الراغب الإصفهاني، مفردات القرآن، ط. القاهرة.
٢٥. تفسير ابن عباس، المقباس، ط. القاهرة.

